MALLEUS
MALEFICARUM

الكتاب
الأكثر شراً
في التاريخ

مطرقة الساحرات

هينريتش كريمر

ترجمة : أحمد خالد مصطفى

هينريتش كريمر

مطرقة الساحرات

ترجمة
د. أحمد خالد مصطفى

مراجعة
محمد الجيزاوي



تنويه

أنا لم أكتب هذا الكتاب.. أنا فقط ترجمته.. ولا أريد أن يشاع خطأ أنني مؤلفه..

الإهداء

إلى الراحل.. العراب.. د.أحمد خالد توفيق..

كيف تبكي على رجل لم تقابله يومًا.. وكل علاقتك به قصص هو كتبها وأنت قرأتها.. كيف تبكي روحك هكذا كالطفل.. أسطورته أنه شكّل روحك فقط بحروف.. أسطورته أن كل الأطياف الغير متفقة في العالم العربي تحبه.. لكن الأساطير هكذا.. إذا ماتوا بكت قلوب كل الناس لموتهم القاصي والداني.. وأناس إذا ماتوا لعنهم اللاعنون وتجادل الناس في مصيرهم.

أحمد خالد توفيق مثله مثل إدجار آلان بو.. لن تعرف هذه الدنيا قيمته إلا بعد أن تترجم أعماله.. سيقولون انظروا.. هؤلاء المصريون.. كان لديهم شيء عبقري مثل ستيفن كينج.. عزيزي العراب.. دعك من العالم.. نحن كلنا كُتّاب جدد.. كلنا بلا استثناء.. بكل الأشياء التي نكتبها.. وكل تلك الأغلفة البراقة التي نصنعها..لم يكن لكياننا وجود إلا لأنك كنت هنالك عند ذلك الباب تفتحه لنا على مصراعيه.. شكرًا لأنك.. لا أدري.. فقط شكرًا لأنك أنت.

المقدمة

معظم مقدمات المترجمين سمجة.. نعم لا تُنكر هذا.. وافتح لي عينك هكذا واصبر واقترب.. أنت دائمًا تتجاوز مقدمات المترجمين.. إلا مقدمة هذا الكتاب.. هنا قف وانتبه.. لأن هذا الكتاب شر.. وأنت لا ترمي الشر وتتركه هكذا أمام عيون الناس دون أن تقول أنه شر.. فلما كان هاروت وماروت يعلمان الناس السحر كانا يقولان.. انتبه هذه فتنة فلا تكفر.. وأنا أقول لك أيها الإنسان الذي يقرأ هذا الكتاب.. هذا الكتاب عن السحر.. وهذا الكتاب فتنة.. فُتنت بها البلاد والعباد في العصور الوسطى.. سفكوا الدم باسم هذا الكتاب.. وحرقوا البشر باسم هذا الكتاب.

هناك غصة تلازمني منذ أن بدأت في ترجمة هذا الكتاب وإنها والحق يقال لا زالت تلازمني.. إن أضعف أنواع الشر هو الذي يقول لك أنا شر.. فإذا اقتربت مني ودخلت عالمي فأنت شر مثلي.. ولكن الشر الذي يُغلف نفسه بغلاف الخير.. ويبتسم لك ويقول هلم إلى عالم النور إني أنا الخير وأنا الصلاح.. فإذا اقتربت منه فقد دخلت إلى عالم منحط.. هذا هو نفس العالم الذي خرج منه هذا الكتاب.

خطوة بخطوة يغسل هذا الكتاب دماغ الشخص غير المتعلم.. الشخص الأوروبي العامي الذي عاشَ في لُجج الجهالة في عصر الظلام في القرن الثالث عشر.. حتى صنع مجتمعًا كاملًا في قارة كاملة بعقول خربة.. لأنه كان يغسل العقل من أي منطق يحمله ويضع بدلًا عنه عفنًا وروثًا ويحشوه بالقسوة والتعصب.. فأنتج رجالًا يسيحون في الأرض يحرقون النساء باسم الرب.. ثم ينظرون إلى السماء ويبتسمون.. وبالمناسبة لو نزل هذا الكتاب في أي قرية من قرى العالم الحديث من التي لم يصل لها نور العلم.. فإن النتيجة ستكون واحدة.. دماء.. وصرخات نساء وأطفال.

وإن المحزن أن بعضًا مما جاءَ في هذا الكتاب.. يؤمن به الناس في مجتمعنا اليوم.. ويتناقلونه بينهم.. الساحر يقدر أن يفعل كذا وكذا.. وهو يرسل عليك الشيطان الذي يمكنه أن يقتلك ويمرضك وينكحك.. فقط اقرأ وسنِّن سيفك.. فلربما تريد أن تقطع رأس ساحر ما وتصير إلى عصر الظلام.. مع إنسان أوروبا.. في القرن الثالث عشر.

هناك كثير من الكتب في هذا العالم تحدثت عن السحر.. لكن مطرقة الساحرات هو في كفة وحده.. فهو بمثابة داهيةٍ أصابت العالم فهو الأهم والأخطر.. أهميته في أنه كان الشعلة التي أثارت حملاتٍ شعواء في أوروبا لثلاثة قرون من الزمان تحرق كل من تنطبق عليه السفاهات التي ذُكرت في الكتاب.. وأهميته في أنه أفضل ملخص لعلم الشيطانيات في تاريخ الكتب.. أنت هنا تفهم كيف كان الناس أيّامها يرون الشيطان.. وإني قد انتبهت لنفسي كثيرًا بينما أترجم هذا الكتاب أنني أصفق للشيطان الذي جعل أممًا وإمبراطوريات تنظر إليه بهذه النظرة المهيبة.

بموافقة من البابا وتأييد من الكنيسة الكاثوليكية.. انطلق المفتشون في حملاتهم كالمسعورين يقبضون على خصوم الكنيسة السياسيين ويلفقون لهم تهمة السحر.. ويحرقونهم.. وأصبح كتاب مطرقة الساحرات بمثابة مذكرة عملية موضوعة في كل المحاكم في أوروبا ليس فقط في عصر الظلام بل في الثلاثة قرون التي تليه من عصر النهضة.. من القرن الثالث عشر وحتى السادس عشر.. فحرقوا أكثر من ربع مليون إنسان.. نساءً ورجالًا وأطفالًا.. والتهمة جاهزة.. ساحر.

حظي هذا الكتاب بفرصة ذهبية جعلته ينتشر كالنار في الهشيم ويصل إلى رجل الشارع.. لأنه صدر في أيام ثورة التقنية في عالم الطباعة والمطابع.. فأصبحت الكتب تصدر بآلاف النسخ.. وكان هذا الكتاب هو أكثر الكتب انتشارًا في أوروبا في وقته.. وتطبع معظم الشعب بطباع الكتاب السوداء.. الذي يعتبر مثلًا أن كل النساء شريرات بالفطرة.

لقد كنت أترجم هذا الكتاب وأنا قلق من أن يُنسب إليّ على أني أنا مؤلفه.. فمعظم مؤلفات المنفلوطي مثلًا هو مترجمها وليس مؤلفها.. لكن الناس ينسبونها إليه.. لكن أن يُنسب إليّ هذا الشر فهذا مما لا أحبه.. لا أريد أن يأتيني شخص

ويقول أنت كتبت في مطرقة الساحرات كذا.. بينما روايتك «ملائك نصيبين» فيها كلام هو النقيض تمامًا.. إن كاتب هذا الكتاب هو (هينريتش كريمر).. وهو شخص في غاية البشاعة الروحية.. ولقد مات منذ أكثر من خمسمئة عام.

لقد ترجمتُ هذا الكتاب لأنني أريد أن أبين كيف تُغسل عقول البشر.. وكيف تشنّع خصومك السياسيين وتجعل الشعب كله يكرههم ويصفق لك عندما تقتلهم وتسجنهم.. ولكل عصر أدواته التي تُغسل بها عقول أصحابه.

لكن والحق يقال بعد انتهاء عصر النهضة وبداية عصر النور في أوروبا من بداية القرن الثامن عشر تراجعت الهيئات الرسمية المسيحية عن كثير مما جاء في الكتاب وكثير مما حصل في محاكم التفتيش بل وانتهت حملات التفتيش إلى الأبد.. وكثير من علماء اللاهوت المسيحي اتهموا الكتاب بأنه يشرعن الطرق غير الشرعية وأنه غير موافق لعقيدة الكاثوليك عن علم الشيطانيات..وقُلبت صفحة ذلك العصر.. وبدأت صفحة جديدة.. مع طرق جديدة للسيطرة على البشر.. وشياطين جدد.

كاتب الكتاب هو هينريتش كريمر قسيس ألماني خبيث.. وكان معه في التأليف جاكوب سبرنجر قسيس ألماني خبيث آخر.. لكن أغلب الكتاب كتبه هينريتش كريمر.. القصة أن هينريتش هذا كان مهووسًا بملاحقة الساحرات لسبب ما.. وأقام الدنيا وأوصل الأمر إلى البابا إنوسينت الثامن وأعطاه البابا أمرًا شرعيًا رسميًا بالبدء في ملاحقة الساحرات ومحاكمتهن وإبادتهن من على وجه الأرض.. وأُعطيت هذه المهمة لمفتشي حملات التفتيش الذين كانوا هم الكائنات الأكثر شرًّا على ظهر الكرة الأرضية وقتها.

وحدث أن هينريتش كريمر بدأ يُشرف على حملات إبادة الساحرات هذه نفسه حتى نزل مدينة ذات مرة و تشاجر مع امرأة لأنه كانت لديه عُقدة ضد المرأة عامة.. وعلى حظه كانت هذه المرأة هي هيلينا شيوبيرين، امرأة نمساوية قوية مستقلة لا تخاف من شيء.. فلما تشاجر معها كريمر لعنته على الملأ وجعلته بين رجاله كالجرذ إذ قالت له «**اللعنة عليك أيها الراهب القبيح الخبيث، فليأخذك الشر مع الساقطين**»، وجن جنون كريمر، خاصة أن هذه المرأة كانت تمنع الناس من حضور خُطبه المملة حتى أنها دخلت ذات مرة في أحد محاضراته وصاحت علانية

أن المفتشين هم أقذر الناس وأنهم عصبة شيطانية، وكما هو متوقع.. اتهمهما كريمر ضمن حملته الشعواء بأنها ساحرة وحوكمت.

أثناء محاكمة هيلينا كان كريمر لا يستطيع أن يُثبت شيئًا فبدأ يتكلم عن سلوكها الجنسي بشكل سخيف جدًّا، مما جعل الأسقف نفسه يتهم كريمر بالسخافة وأنه يفترض أمورًا لم تثبت، وتمت تبرئة هيلينا، وهنا وقف هينريتش مع نفسه وقفة وقرر أن يُخرج علينا هذا الكتاب، مطرقة الساحرات.. الذي يشرح كيف تشتبه في الساحرة وكيف تحاكمها محاكمة صحيحة.. وأصبح هذا الكتاب بعد وفاة كريمر كما قلت موجودًا في كل محكمة في أوروبا والمحرك الأساسي لكل حملات التفتيش على الساحرات لثلاثمئة سنة.

هذا الكتاب كُتب باللغة اللاتينية عام ١٤٨٧ أولًا.. ثم تُرجم إلى الألمانية بعد حوالي ٤٠٠ سنة عام ١٩٠٦.. ثم تُرجم إلى الانجليزية بعد سبعة عشرة سنة عام ١٩٢٣.. ثم ترجم الآن إلى العربية بعد حوالي مئة سنة.

قبل أن تقرأ هذا الكتاب لا بد أن تعرف كيف ستقرؤه لأنني سأتركك بعد هذه المقدمة.. حيث أنني لم أتدخل بحرف واحد على كلام هينريتش لا بشرح ولا بهوامش.. ترجمته هكذا تمامًا كما كتبه هينريتش وصاحبه جاكوب.

هذا الكتاب على ثلاثة فصول.. تختلف عن بعضها في الأسلوب.. وهو شيء جيّد نوعًا ما ويكسر الملل.. الفصل الأول هو أسئلة وأجوبة عن السحر والساحرات والشيطان وقدرات الشيطان.. الفصل الثاني عن علاج المسحورين وقصص الساحرات الشهيرات التي واجههن هينريتش في حملته أو سمع عنهن من مفتشين آخرين.. الفصل الثالث هو عن الإجراءات القانونية التي تتخذ ضد الساحرات منذ نقطة الاشتباه فيهن إلى حرقهن.

هناك نقطة مهمة في الفصل الأول.. نجده أولًا يكتُب السؤال كعنوان رئيسي.. وهو دائمًا سؤال عن شيء مخالف لإيمان هينريتش.. مثلًا هل حقًا الساحرات شيء وهمي ولا قدرات حقيقية لهن؟ ثم يبدأ في عرض الحجج المؤيدة لهذا السؤال وكيف احتج بها أصحابها الذين يؤمنون أن الساحرات وهم.. ثم يكتب كلمة (الإجابة)

ويبدأ في الرد على الحجج واحدة واحدة حتى ينتهي منها ويقنعك بوجهة نظره.. لكن لاحظت أنه يبدأ الرد على الحجج قبل كلمة (الإجابة) بفقرة أو اثنين.. ولعل هذه الفقرة أو الاثنتين هي رد صاحبه جاكوب سبرنجر وهو جعلها متضمنة في سياق الكلام.. لكني تركت نظامه الذي ارتضاه لكتابه كما هو ولم أُغير فيه شيئًا.

إذا كنت تمل سريعًا من الحجج وغسيل الأدمغة فاقرأ الفصل الثاني أولًا ففيه كثير من قصص الساحرات العجيبة.. وكيف يأكلن الأطفال ويطحنّ عظامهم ويعملن منها مراهم لوصفاتهن السحرية.. وكيف يضاجعن الشيطان ويعملن معه العهد في اجتماع الساحرات حيث يظهر لهم في صورة إنسان.. وكيف يطرن بالمكانس في الهواء.. لقد اتضح لي أن ساحرات ديزني ليسوا وهمًا خياليًا وأنَّ هذا كان شيئًا دينيًا يؤمن به شعب كامل.. والرجل يقنع القارئ بهذا بالحجة وبالدين وباسم الرب وباسم المسيح.

ستجده يقتبس كثيرًا من كلام قديسين مهمين.. مثل (القديس «توماس») وهذا هو توما الأكويني، وهو قسيس وقديس وفيلسوف إيطالي أثر على الفلسفة الغربية كلها وسموه فيلسوف الكنيسة الأعظم.. ويقتبس أيضًا كثيرًا من (القديس «أوجستين») وهذا هو أغسطينوس، قديس وكاتب وفيلسوف وهو أهم شخصية مؤثرة في المسيحية بشكل عام.. ويقتبس من (جون نيدار) وهو عالم لاهوت ألماني اشتهر بكتابه **Formicarius** الفيسلسوفي الديني الشامل الذي كان من خمس مجلدات، آخر مجلد منهم يتحدث عن السحر ويسرد حكاية المفتش بيتر جرايز حيث قبض على ساحر وعمل معه مقابلة كاملة تحدث فيها الساحر بالتفصيل عن طرق السحرة في قتل الأطفال وغيرها.

ويقتبس كثيرًا من الكتاب المقدس ويضع الكلام بين علامتي تنصيص « » ويكتب السفر ورقم الآية.. ويقتبس أيضًا من كتاب مهم يسميه (الشريعة) وهذا يعني به القانون الكنسي وهي القوانين التي تحكم بها السلطة الكنسية ويسري على كل الكنائس، وكان ساريًا أيام كانت الكنيسة تحكم في القضايا المدنية. ثم انتهى هذا بعد الإصلاح البروتستانتي.. والقوانين الحديثة الآن للدول الأوروبية استقت كثيرًا من تشريعاتها من هذا القانون الكنسي.

في النهاية أقول، لقد عرفت هذا الكتاب أول مرة من العرّاب الراحل العظيم دكتور أحمد خالد توفيق حيث أتى على ذكره في أكثر من عدد من سلسلة ما وراء الطبيعة وتحدث عنه باختصار في كتابه موسوعة الظلام.. وكان لديّ فضول لأعرف ما هو هذا الكتاب.. ولما قرأته عرفت أهميته جيّدًا.. وإن كل كتاب مهم يترجم إلى لغة.. يكون مثل نجمة كانت منطفئةٍ حتى تضيء في سماء تلك اللغة.. فيقرؤه المتحدثون بها ويعرفوه.. ولهذا قررت أن أهدي هذا الكتاب للمكتبة العربية.

الدكتور/ أحمد خالد مصطفى

الجزء الأول

السؤال ١٠هل الإيمان بوجود كيانات شريرة كالساحرات هو شيء مهم؟

إذا كان الإيمان بوجود كيانات شريرة كالساحرات هو شيء مهم في الإيمان الكاثوليكي الذي يحارب أي رأي آخر له نكهة هرطوقية واضحة.

يقول المهرطقون أن الإيمان القوي بوجود الساحرات لا يدخل في العقيدة الكاثوليكية: انظر الفصل ٢٦، السؤال ٥ من كتاب **Episcopus**. ويقولون أن كل من يؤمن بوجود مخلوق يمكنه أن يتحول بالسحر إلى مخلوق أفضل أو أسوأ، أو يتحول إلى نوع آخر أو نوع مشابه، بدون تدخل الخالق الذي خلق كل شيء فهذا في الحقيقة أسوأ من الوثني والمهرطق. لذا عندما يذكرون أن أمورا خوارق كهذه عملتها الساحرات، فهذا ليس كلاما كاثوليكيا، بل إن لمن الهرطقة الواضحة أن تصر على هذا الرأي.

يقول المهرطقون أيضًا أنه لا يوجد فعل من أفعال الساحرات له تأثير دائم علينا. ودليلهم: أنه إن كان كذلك، سيُمكن أن نتأثر كبشر بأفعال الشياطين. لكن الإيمان بأن الشيطان له قوة على أن يغير جسم إنسان أو يُحدث عليه ضررًا دائمًا هو شيء لا يبدو متوافقًا مع تعاليم الكنيسة. لأنه بهذه الطريقة سنؤمن أنه بإمكانهم تدمير العالم كله، وتحويله إلى عبث.

يقولون أيضًا أن كل تحول يحدث في جسد الإنسان – مثلًا في الحالة الصحية، الحالة المرضية يمكن أن يُفسر بالأسباب الطبيعية العادية، مثلما وضّحَ أرسطو في كتابه السابع كتاب الفيزياء. نعم هناك تأثير عظيم للنجوم على الإنسان. لكن الشياطين لا يمكنهم أن يتحكموا في النجوم، هذا رأي «ديونيسيوس» في رسالته الإنجيلية إلى «بوليكارب»، لأن الرب فقط هو الذي يفعل هذا، وبالتالي هذا دليل

على أن الشياطين لا يمكنهم حقًّا أن يُحدثوا أي تغيير دائم في جسد الإنسان. أو كما نقول تحول حقيقي، لذا لا يجب علينا إحالة حدوث أي تغييرات كهذا إلى سبب مظلم وسحري.

ويقول المهرطقون أنَّ قدرة الربِّ أعلى من قدرة الشيطان، لذا فالأعمال الإلهية حقيقية أكثر من الأعمال الشيطانية. وحيثما وُجد الشر في العالم، سيكون عمل الشيطان دائمًا يعارض عمل الرب. ولذلك من الهرطقة أن تعتقد أن عملَ الشيطان يمكنه أن يتغلب على صِنعةِ الرب. ومن الهرطقة أن تعتقد أن أعمال الخلق العظيمة كالإنسان والحيوان يمكن أن يقع عليها ضرر ويتم تخريبها بقدرة الشيطان.

يقولون أيضًا أن الذي يكون هو نفسه تحت تأثير المادة لا يمكن أن تكون له سلطة على المادة، والشياطين يخضعون لتأثير النجوم، فالسحرة يلاحظون مسار نجوم معينة ليستدعوا الشياطين، لذلك فالشياطين ليست لديهم القدرة على التأثير في أي جسم مادي، وتبعًا لهذا فالساحرات كذلك لأنهن لديهن قدرة أقل من قدرة الشياطين.

ويقولون أن الشياطين ليست لديهم قدرة على الإطلاق إلا على بعض الفنون الخفية. والفن الخفي لا يمكن أن يُنتج شكلًا حقيقيًّا. وبعض المؤلفين يقولون أن علماء الخيمياء تأكدوا أنه لا يوجد أمل في أن يحدث تغيير حقيقي في المادة. لذا فالشياطين من جانبهم يستخدمون أقصى ما لديهم من صنعة ولا يُمكنهم أن يُحدثوا علاجًا دائمًا أو مرضًا دائمًا في جسد الإنسان. وإذا حدث شيء كهذا فإنه يعُزى إلى أسباب أخرى ربما تكون غير معروفة وليس لها علاقة بأعمال الشياطين أو الساحرات.

ولكن وفقًا للرسائل البابوية **Decretals** (٣٣)، العكس هو الحاصل. فمكتوب فيها «**إذا سمح الرب بعدالته وإرادته لأي من فنون السحر بالاستعانة بقوة الشيطان... إلخ**» هنا إشارة إلى أن فعل السحر يمكن أن يمنع إنهاء زواج مثلًا، ولأجل أن يحدث هذا الشيء غير الشرعي لا بد أن توجد ثلاثة أشياء، السحر، الشيطان، وإرادة الرب. الأقوى يؤثر على الأقل قوة. وقدرة الشيطان أقوى من أي

قدرة بشرية (سفر أيوب) لما قال عن إبليس «**ليس له في الأرض نظير، خلق لئلا يخاف**»

الإجابة. هنا توجد ثلاث أخطاء هرطوقية لا بد أن نستوفيها بحثًا، وعندما نُثبت بطلانها، ستتضح الحقيقة. بالنسبة لبعض الكُتّاب، يقولون أنه حتى بالنسبة للمستحيلات التي حدثت بواسطة التعاويذ السحرية، فلا وجود لشيء كالسحر، وأنه موجود فقط في خيال الرجال الذين ينسبون أي شيء في الطبيعة ليس له سبب إلى السحر والتعاويذ. هناك كُتاب آخرون يعترفون حقًّا أن السحر موجود، لكنهم يصرحون أن تأثير السحر وتأثير التعاويذ إنما هو تخيلات وتهيؤات من الناس. وفئة ثالثة من الكُتاب يعتقدون أن التأثيرات التي قيل أنها معمولة بالتعاويذ السحرية هي كلها وهم وخداع للعين، رغم أنه ربما يمد الشيطان يده أحيانًا لمعاونة بعض السحرة.

والخطأ الذي عمله كل واحد من هؤلاء الأشخاص الثلاثة لا بد أن يتم استعراضه ثم دحضه.

أولًا جميعهم تم إثبات أنهم مهرطقون بواسطة العديد من الكتاب الأرثذوذكس، وخاصة بواسطة القديس توماس، الذي قال أن آراء كهذه هي كلها تعارض سلطان القديسين وأنها مبنية على كفر مطلق. لأن الكتب المقدسة تقول أن الشياطين لهم قدرة على أجساد وعقول الرجال، ذلك عندما سمح الرب لهم أن يُحدثوا هذه القدرة كما يتضح من كثير من المقاطع في الكتب المقدسة.

وبالتالي فهؤلاء الذين يقولون أنه لا وجود لشيء مثل السحر وأنه شيء خيالي تمامًا إنما هم مخطئون، حتى أنهم يؤمنون أن الشياطين ليست موجودة إلا في خيال الجهال والسوقة، وبالنسبة الحوادث الطبيعية التي تحدث للإنسان وينسبها خطأ إلى الشياطين، فإن وعي بعض الناس كافٍ ليعرفوا أنهم يرون أشكال حقيقية وظهورات وليست انعكاسات لخيالهم، وبالتالي يؤمنون أنها ظهورات لأرواح شريرة أو أعمال ساحرات. الإيمان الحقيقي يُعلمنا أن بعض الملائكة سقطوا من السماوات

وأصبحوا الآن شياطين، ونحن مُلزمون أن نعترف أنه وبطبيعتهم الملائكية يمكنهم أن يفعلوا أمورًا مبهرة لا يمكننا نحن أن نفعلها. وأولئك الذين يحثون غيرهم ليعملوا مثل هذه المُبهرات الشريرة يُسمون ساحرات. ولأن الكفر في الإنسان الذي تم تعميده يسمى هرطقة، فإن هؤلاء الأشخاص هم بشكل صريح مهرطقون.

بالنسبة لأولئك الذين أخطأوا الخطأين الآخرين، سنقول أن الذين ينكرون أن هناك شياطين أو ينكرون أن الشياطين تمتلك قدرة طبيعية، لكنهم يختلفون فيما بينهم إن كان هناك تأثير للسحر وأعمال للساحرات: فهم مدرستان، واحدة تقول أن الساحرة يمكنها أن تحدث تأثيرات معينة لكن هذه التأثيرات ليست حقيقية بل تهيؤات، والمدرسة الأخرى تقول أن هناك ضررًا حقيقيًا يمس الشخص أو الأشخاص المصابون، لكن لما تتخيل الساحرة أن هذا الضرر هو بسبب فنونها فهي ليست إلا مخدوعة.

هذا الخطأ يبدو مستندًا إلى مقطعين من الشرائع حيث هناك نساء معينات مدانات تخيلن خطأ أنه خلال الليلة التي تجولن فيها خارجًا مع «ديانا» أو «هيروديا» أحدثن ضررًا، هذا يمكن أن نقرأه في الشريعة. لكن حالة كهذه يمكن أن تحدث بشكل عادي بشري بسبب الوهم وتكون مجرد خيال، أما أولئك الذين يعتبرون أنه وبسبب هذه القصص في الشريعة فكل تأثيرات السحر هي مجرد أوهام وخيالات، فهم مخدوعون.

ثانيًا، بالنسبة للشخص الذي يؤمن أو يعتقد أن مخلوقًا يمكن أن يتغير بالسحر إلى مخلوق أفضل أو أسوأ أو يتحول إلى نوع آخر أو نوع مشابه بغير تدخل الخالق الذي خلق كل شيء، أن يقال عليه أنه شخص كافر أو أسوأ، أو يقال أن تأثيرًا كهذا إذا عُمل بواسطة السحر فهو لا يمكن أن يكون حقيقيًا بل يجب أن يكون وهمًا خالصًا. فإن ضلالات كهذه لها نكهة الهرطقة وتعارض المعنى الواضح للشريعة، سنثبت أولًا وجهة نظرنا بالقانون الإلهي، ثم بالقانون الكنسي والقانون المدني.

كبداية، تعبيرات الشريعة لا بد أن تؤخذ بتفصيلاتها (رغم أن فهم الشريعة سيتضح بشكل أكثر وضوحًا في السؤال التالي). لأن الإله في مواضع عديدة يأمر أنه ليس علينا فقط أن نتجنب الساحرات بل لا بد أن نقتلهن، ولن تُفرض مثل هذه

العقوبة الشديدة عليهم هكذا إذا لم يكن يعملن عهدًا حقيقيًا مع الشياطين لأجل إحداث أذى حقيقي وضرر بالناس.

لأن عقوبة الموت لا تُفرض إلا لأجل الجرائم الخطيرة المعروف أنها سيئة، وكيف لإماتة الروح أن تُحدثها الساحرة بقدرة التوهم والخيال. هذا رأي القديس توماس عندما ناقش هل من الشرير أن نستعين بالشياطين؟ لأنه في الفصل الثامن عشر من سفر التثنية أمَرَ أن «**جميع السحرة والمشتغلين بالسحر يتم تدميرهم**». وأيضًا في الفصل التاسع عشر من سفر اللاويين يقول: «**الروح التي تمشي إلى السحرة والكهان لتعمل الفسق معهم، سأضع وجهي ضد هذه الروح وأدمرها من بين شعبي**». ومرة أخرى يقول «**إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعه فإنه يقتل. بالحجارة يرجمونه**» فالأشخاص الذين يُقال أن فيهم جن يفعلون أمورًا شاذة.

أيضًا لا بد أن نأخذ في الحسبان أنه بسبب هذه الخطية مَرِضَ «أوشوزياس» وماتَ، في سفر الملوك. وأيضًا في كتاب السجلات **Paralipomenon** نجد آراء مهمة للآباء كتبوها في هذه الكتب المقدسة وهم الذين لهم خبرة طويلة في التعامل مع قدرات الشياطين وفنون السحر.

وكتابات عديدة من العلماء توجد في الكتاب الثاني من كتاب الأحكام **Book of Sentences** يمكن أن نستعين بها، وسنجد أن الكل قد اتفق أن هناك سحرة ومشعوذون يمكنهم أن يحدثوا بقدرة الشيطان تأثيرات حقيقية وشاذّة، وهذه التأثيرات ليست تخيلية والرب سمح لهذا أن يحدث. أنا لن أذكر كثيرًا من المواضع الأخرى التي يناقش فيها القديس توماس بالتفصيل العمليات التي من هذا النوع. لكن كمثال، في كتابه الثالث من **Summa contra Gentiles** في الجزء الأول والثاني، يتحدث عن هذا في الجزء الأول السؤال ١١٤، المجادلة الرابعة، في «الثاني من الثانية»، الأسئلة ٩٢ و٩٤. يمكننا أن نستعين أيضًا بالشارحين والمفسرين الذين كتبوا عن حكماء وسحرة فرعون، في سفر الخروج السابع. ويمكننا أن نستعين أيضًا بما قاله القديس «أوجستين» في الكتاب الثامن عشر من **City of Good** الجزء ١٧.

انظر أيضًا كتابه الثاني **On Christian Doctrine**. علماء كثيرون قدموا نفس الرأي، وسيكون من أكبر الحماقة لأي شخص أن يعارض كل هؤلاء العلماء، ولن يكون متحررًا من الخطية والهرطقة. لأن أي شخص يخطئ في تفسير الكتب المقدسة يعتبر مهرطقًا. وكل من يعتقد خلاف هذه الأمور التي تمس عقيدة الكنيسة الرومانية المقدسة هو مهرطق. هذا هو الإيمان.

السؤال ٢. هل يتفقُ مع الإيمان الكاثوليكي أن نعتقد بهذا من أجل ممارسة بعض تأثيرات السحر؟

إذا كان متفقًا مع الإيمان الكاثوليكي أن نعتقد بهذا من أجل تطبيق بعض تأثيرات السحر، وهل الشيطان لا بد أن يتصل ويتعاون مع الساحرة، أو أنه يمكن أن يحدث التأثير بغير تعاونهما، هل يُعني الشيطان بدون الساحرة أو العكس، هل يمكن أن يحدث تأثيرًا كهذا.

الجدلية الهرطوقية الأولى هي كالتالي: أن الشيطان يمكنه أن يُحدث تأثير السحر بدون تعاون مع أي ساحرة. كل الأشياء التي تحدث بشكل مرئي فنراها يمكن أن تكون صنيعة للقدرات الطبيعية العادية. لكن الأمراض الجسدية والاعتلالات هي بالتأكيد ليست مرئية، لكنها محسوسة وبالتالي يمكن أن يصنعها الشيطان. فمثلًا، نحن علمنا من الكتب المقدسة المصائب التي حلت بأيوب، وكيف نزلت نار من السماوات وضربت الغنم وحرقت العبيد، وكيف دمرت ريح شديدة أركان بيته الأربعة الذي سقط على أطفاله وسحقهم كلهم. هذا فِعل الشيطان نفسه بدون تعاون مع أية ساحرة، لكن فقط بإذن الرب وحده كان الشيطان قادرًا على إحداث هذه المصائب. وبالتالي يمكن للشيطان أن يكون هو الفاعل الحقيقي لأشياء كثيرة من التي يُقال عادةً أنها من فعل الساحرات.

وهذا واضح من كلام السبعة أزواج للعذراء سارة، الذين قتلهم الشيطان. أيضًا مهما كانت القوة العليا قادرة أن تفعل، فيمكنها أن تفعله دون الاستعانة بقوة تفوقها، والقوة الأعلى يمكنها أن تفعل كل شيء دون الاستعانة بالقوة الأقل منها. لكن القوة الأقل يمكنها أن تسبب عواصف وتُحدث مصائب بدون الاستعانة بقوة أعظم منها. «ألبيرتوس ماجنوس» المبارك في كتابه **De passionibus aeris** قال: «**إن الحكيم الفاسد إذا استخدمتَ حكمته كما يقولها ثم رميتها في النهر، فإنها رغم هذا ستوقظ عواصف مخيفة وزوابع**».

أيضًا يقول المهرطقون أن الشيطان يستغل الساحرة، ليس لأنه يحتاج إلى واسطة مثلها، لكن لأنه يبحث عن إضلال الساحرات. ويمكن أن نشير إلى ما قاله أرسطو في الكتاب الثالث من مجموعته **Ethics**. الشر هو فعل اختياري يتم إثباته بحقيقة أنه لا أحد في الحقيقة يعمل عملًا ظالمًا، الرجل الذي يرتكب الاغتصاب مثلًا إنما يفعله لأنه يبحث عن المتعة، لا يفعل الشر لأجل الشر نفسه. ورغم ذلك فالقانون يعاقب أولئك الذين يفعلون الشر كما لو كانوا يفعلونه لأجل فعل الشر. وبالتالي إذا كانت أفعال الشياطين تحدث باستخدام ساحرة، فالشيطان إنما كان يوظف أداة، وبما أن الأدوات تعتمد على نية الشخص الذي يستخدمها وأنها لا تفعل ما تفعله بنيتها الخاصة، إذن فخطيئة الفعل لا يجب أن تُلقى على الساحرة، وكنتيجة لهذا لا يجب أن تعاقب الساحرة.

وهناك رأي آخر يؤمن أن الشيطان لا يمكنه أن يلحق الضرر بسهولة بالإنسان، ولذلك فهو يلحق به الضرر باستخدام الساحرات، بما أنهن خادماته.. ولكن حتى كل الأفعال التي لها تأثير على بعضها لا بد فيها من حدوث نوع من الاتصال، ولذلك فالشيطان يستخدم أداة بشرية، وبها يمكنه أن يعمل التأثير المؤذي الذي يلمس الجسد. وكثيرون يؤمنون أن هذا مثبت في النص، وفي التعليق على النص، في الفصل الثالث من رسالة القديس باول إلى الغلاطيين: «**أيها الغلاطيون الأغبياء، من الذي سحركم حتى لا تذعنوا للحق؟**» والتعليق على هذا المقطع يشير إلى أن هؤلاء المتفردون الناريون الذين لهم عيون نارية حسودة يمكنهم بمجرد نظرة أن يؤذوا الآخرين، خاصة الأطفال الصغار.

ابن سينا أيضًا يذكر هذا في كتابه الثالث من عمله **Naturalism** عندما قال « **غالبا يمكن أن يكون للروح نفس التأثير على جسد آخر بنفس القدر الذي تؤثر به على الجسد الذي تسكنه، لأن تأثير عين أي شخص يمكنها بنظرة واحدة أن تجذب وتفتن شخصًا آخر**». ونفس الرأي يؤمن به الغزالي في كتابه الخامس في الجزء العاشر من مجلده **Physics**. يفترض ابن سينا أيضًا - رغم أنه لم يجعل رأيه قاطعًا لا يقبل الجدل - «**أن قدرة التخيل يمكنها أن تُغير أو يظهر أنها تغير الأجسام الخارجية في حالات تكون فيها القدرة على التخيل مطلوقة وغير مقيدة، وبذلك فنحن نتبنى فكرة أن قدرة التخيل لا يمكن أن تعتبر مستقلة عن حواس الإنسان الأخرى، بما أنها عامة لهم كلهم، ولكنها ولمدى معين تتضمن**

كل القوى الأخرى». وهذا صحيح، لأن مثل هذه القدرة على التخيل يمكن أن تغير الأجسام المتجاورة، مثلًا، يستطيع الإنسان المشي على عارضة ممدودة أسفل منتصف الشارع.

ولكن إذا وضعت هذه العارضة على مياه عميقة لن يجرؤ على المشي فوقها، لأن تخيله سيفرض بقوة على عقله فكرة السقوط، وبالتالي فإن جسده وقوة أطرافه لن تطيع تخيلاته، ولن تطيعه أيضًا إن أراد أن يمشي مباشرة بدون تردد. هذا التغيير يمكن أن يقارن بالتأثير الذي تحدثه عين شخص حسود، فيكون هناك تغيير عقلي يحصل لكن بدون أي تغيير في الجسد.

أيضًا، يقول المهرطقون أن التغيير في جسم حي إنما يكون بسبب تأثير عقل الساحر على هذا الجسم الحي، وللإجابة عن هذا نقول. في وجود قاتل ذباح فالدم يسيل من الجروح في جثة الإنسان الذي مات مذبوحًا. وبالتالي بدون أي قدرة عقلية، يمكن للأجسام أن تُحدث تأثيرًا مروعًا في بعضها، لذا فالشخص الحي إذا مر بجوار جثة الرجل المقتول، ورغم أنه ربما لا يشعر بالجسم الميت إلا أن الخوف سيستولي عليه.

هناك بعض الأشياء في الطبيعة تكون لها قوى خفية، ولكن الإنسان لا يعرفها مثلًا كحجر المغناطيس، الذي يجذب المعدن وأشياء أخرى تشبهه، والذي ذكره القديس «أوجستين» في الكتاب العشرين من مجلد **the City of God.**

وبالتالي فحتى تُحدث بعض النساء تغييرًا في أجسام الآخرين بالعلاج فإنهن يستخدمن أشياء معينة تتعدى معرفتنا ويكون ذلك بدون استعانة بالشيطان. فلا يصح أن نقول أنه بسبب غموض هذه العلاجات فهي منسوبة للشيطان كما ننسب له التعاويذ الشريرة المطلقة بواسطة الساحرات.

أيضًا يقول المهرطقون أن الساحرات يستعملن بعض الصور والتمائم، التي من المعتاد أن توضع تحت أعتاب أبواب البيوت، أو في المروج حيث ترعى الأغنام، أو حتى في أماكن تجمع الناس، ثم تطلق التعويذات على ضحاياهم ثم يموت أولئك الضحايا حقًا في كثير من الأحيان. ولأن مثل هذه التأثيرات الشاذة يمكن أن تخرج من تلك الصور سنعتبر أن تأثير هذه الصور يعتمد على تأثير النجوم على جسم

الإنسان، فلأن الأجسام الطبيعية تتأثر بالأجسام السماوية، فبالتبعية الأجسام الصناعية أيضًا ستتأثر. وبما أن الأجسام الطبيعية يمكن أن تحصل على تأثيرات نافعة من بعض الأسرار النجمية، لذا فالأجسام الصناعية يمكنها أيضًا أن تحصل على نفس التأثيرات النافعة.

إذن من الواضح أن هؤلاء الذين يصنعونَ العلاج يمكن أن يمكنهم إعداده باستخدام تأثيرات نافعة مثل هذه، وهذا لا اتصال فيه على الإطلاق بأي قوى شريرة.

إن أكثر المعجزات إدهاشًا هي تلك التي تحدث بقوة الطبيعة. لأن الأشياء الرائعة والرهيبة والمدهشة تحصل بقوى الطبيعة. وهذا ما يشير إليه القديس «جريجوري» في كتابه **Second Dialogue**. القديسون يعملون المعجزات في بعض الأحيان بالصلوات وفي بعض الأحيان بقدرتهم وحدها. وهناك مثال على كل منهما، القديس بيتر لما صلى، أحيا «تابيثا» التي كانت ميتة. وهو نفسه عندما قامَ بتوبيخ «أنانياس» و«سافيرا» الذين كانا يكذبان، أماتهما بدون أي صلوات. وبالتالي يمكن للرجل باستخدام تأثيره العقلي أن يغير في جسم إلى جسم آخر، أو يمكنه أن يغير في جسم من الصحة إلى المرض والعكس.

أيضًا يقولون، أن جسم الإنسان هو أنبل من أي جسم آخر. ولكن بسبب عواطف العقل، يتغير جسم الإنسان ويصبح حارًا أو باردًا، كما في حالة الغضب أو الخوف: عندها يمكن أن يحدث تغيير أكبر خاصة في حالات المرض والموت، والذي بقوتهما يمكن أن يتغير الجسم المادي بشكل كبير.

ولكن بعض هذه الاعتراضات لا بد أن نرد عليها، إن تأثير العقل لا يمكنه أن يحدث تغييرًا على أي شكل إلا بتدخل عامل ما، كما قلنا أعلاه. وهذه هي كلمات القديس «أوجستين» في الكتاب الذي اقتبسنا منه قبلًا: «**إنه من المدهش أن الملائكة الذين سقطوا من السماوات وجب أن يخضعوا للأشياء المادية، لأنهم إنما كانوا يخضعون للرب وحده. الإنسان الذي هو أقل بكثير منهم يمكنه بقوته الطبيعية أن يعمل تأثيرات شاذة وشريرة.**»

الإجابة، هناك أناس كثيرون حتى هذا اليوم يخطئون في هذه النقطة، يعطون

الأعذار للساحرات ويلقون باللوم كله على الشيطان، أو ينسبون التغييرات التي تعملها الساحرات إلى التغيرات الطبيعية العادية. هذه الأخطاء يمكن أن نرد عليها بسهولة. أولاً، بوصف الساحرات الذي ذكره القديس «إيزيدور» في كتابه Etymologiae في الجزء التاسع: «**الساحرات يتم استدعاؤهن بسبب سوادهن وخطيئتهن، فإن أعمالهن أكثر شرًا من أي مخرب من المخربين**». ويكمل: «**هن يُخربن في الأشياء بمعاونة الشيطان، ويُثرن عواصف رهيبة وزوابع**». أيضًا، يقول أنهن «**يصرفن عقول الرجال ويوجهنها إلى الجنون والكراهية المختلة والشهوات الجامحة**». ويكمل «**وهم بواسطة تعاويذهن وحدها يمكنهن أن يدمرن الحياة كما لو كانت تعاويذهن سُمًا قاتلا**»

وكلمات القديس «أوجستين» في كتابه **the City of God** أيضًا تتعلق بنفس النقطة، حيث يخبرنا من هن الساحرات والمشعوذات حقًا. المشعوذات، اللاتي يطلق عليهن ساحرات، يكون وصهن على قدر فداحة أعمالهن الشريرة. إنهن اللاتي يخربن في الأشياء بإذن من الرب، اللاتي يسببن الإلهاء لعقول الرجال، وأمثالهن قد فقدن الثقة في الرب، وبالقوة الرهيبة لتعاويذهن الشريرة – بدون استخدام أي سموم –، يقتلن الإنسان. كما قال «لوكان»: «**هناك عقل لم يتلوث بأي شراب ضار لكننا نجده ينهار بفعل تعويذة شريرة**».

لأنهن يجمعن الشياطين لخدمتهن ولديهن تلك الجرأة على الإضرار بالبشرية وتدمير أعدائهن بتعاويذهن الشريرة. ومن المؤكد أنه في أفعالهن التي من هذا النوع فإن الساحرة تعمل اقترانًا وثيقًا مع الشيطان. ثانيًا، العقوبات أربعة أنواع: نافعة، مؤذية، ومعمولة بفعل السحر، وطبيعية. العقوبة النافعة تنفذها وزارة من ملائكة الخير، والعقوبات الضارة تنفذها الأرواح الشريرة. موسى ضرب مصر بعشرة أوبئة بواسطة وزارة من ملائكة الخير، والسحرة استطاعوا أن يؤدوا ثلاثة فقط من هذه المعجزات بالاستعانة بالشيطان. والوباء الذي نزل على الناس لثلاثة أيام بسبب خطيئة داوود والـ ٧٢ ألف رجل الذين ذُبحوا في ليلة واحدة في جيش سنحاريب، كانت معجزات بواسطة ملائكة الرب. بواسطة ملائكة الخير الذين يخافون الرب ويعلمون أنهم ينفذون أمره.

الضرر المدمر إنما يحدث بواسطة ملائكة الشر، الذين كانت على أيديهم نكبة

بني إسرائيل في الصحراء. فهذه الأضرار الشريرة إنما حدثت بفعل الشيطان، الذي يعمل في بيئة من الساحرات والمشعوذات. هناك أيضًا أضرار طبيعية تعتمد على الاتصال بالأجسام السماوية، مثل المجاعة، الجفاف، العواصف، والتأثيرات المشابهة من الطبيعة.

إنه من الواضح أن هناك اختلافًا ضخمًا بين كل هذه الأسباب والظروف والأحداث. لأن أيوب نكبه الشيطان بمرض ضار، لكن لم يكن إمراضه هو الهدف. ولو كان هناك شخص ذكي وفضولي سيسأل كيف لأيوب أن ينكبه المرض من الشيطان بدون الاستعانة بسحر أو ساحرة أو مشعوذة وبدون أي من هذه الفواحش. سنقول أن العناية الإلهية للرب أرادت في مثال أيوب أن تجعل قوة الشيطان أكبر من قوة الرجال الصالحين حتى يمكننا أن نتعلم أنه يجب أن نحترس من الشيطان «ساتان»، وفي هذا المثال لهذا الرجل الصالح سنرى كيف تجلت عليه عظمة الرب بعد ذلك. لأنه لا يوجد شيء يحدث إلا بإذن الرب.



السؤال ٣. هل يمكن للجاثوم أو السعلاة أن ينجبا ذرية من الإنسان؟

يقول المهرطقون، في البداية ربما يبدو أنه ليس متوافقًا مع الإيمان الكاثوليكي أن نؤمن أن أي ذرية يمكن أن تولد بواسطة الشيطان، أو مثلما يشاع مع الجاثوم والسعلاة: بالنسبة للرب نفسه، فقبل أن تأتي الخطية إلى العالم، أسس التناسل البشري، ومنذ أن خلق المرأة من ضلع الرجل لتكون شريكة معاونة له. كان يقول للناس: أكثروا وتكاثروا، سفر التكوين الثاني ٢٤. ولما أتت الخطية إلى العالم، قيل لنوح أيضًا أكثر وتكاثر، سفر التكوين التاسع، ١، وفي زمن القانون الجديد أيضًا، أكد المسيح هذا الاتحاد لما قال «**ألم تقرأوا بعد، أنه هو الذي عمل الإنسان منذ البداية، عمل منهم ذكرًا وأنثى؟**»، ماثيو التاسع عشر، ٤. وبالتالي، لا يمكن للإنسان أن يولد بأي طريقة أخرى غير هذه.

ولكن يمكن أن يُقال أن الشياطين يأخذون نصيبهم في هذه الذرية لكن ليس كمسبب رئيسي، ولكن كمسبب ثانوي أو صناعي، عندما يتدخلون في عملية الجماع والحمل، بالحصول على المني البشري ثم ينقلونه.

اعتراض. لكن الشيطان يمكن أن يعمل هذا الفعل في كل مرحلة من مراحل الحياة، أو كما نقول في المرحلة الزوجية وغير المرحلة الزوجية. ولا يمكنه أن يفعلها في المرحلة الأولى لأنه عندها سيكون فعل الشيطان أشد قوة من فعل الرب الذي أسس وأكد على هذه المنحة المقدسة، لأنه قد فُرض الزواج لأجل العفة. ولا يمكن للشيطان أبدًا أن يؤثر بهذا الشكل في أي منحة ربانية أخرى: لأننا لم نقرأ قط في الكتب المقدسة أن الذرية يمكن أن يولدوا من الشيطان في أي حالة..

أيضًا يقول المهرطقون، حتى تلد طفلًا فهذه عملية من عمليات الجسم الحي، والشياطين لا يمكنهم وضع الحياة في الأجسام التي يسيطرون عليها، لأن الحياة رسميًا تأتي من الروح، وإخراج الذرية هو فعل الأعضاء الحية الموجودة في الجسم

الحي. وبالتالي فالأجسام التي ليس لها هذه الخواص لا يمكن أن تلد أو تحبَل.

ولكن لا زال بإمكاننا أن نقول أن هؤلاء الشياطين يستولون على الأجساد ليس لأجل أن يضعوا الحياة فيها، ولكن حتى يستخدموا الجسد في حفظ المني البشري وتمرير هذا المني إلى جسد آخر.

اعتراض. بالنسبة للملائكة، إن كانوا ملائكة خير أو شر، نؤمن بأنه ليس هناك أي شيء فيهم زائد أو بلا فائدة، وليس هناك أي شيء في الطبيعة زائد أو بلا فائدة. ولكن الشيطان بواسطة قدرته الطبيعية التي هي أكبر بكثير من قوة الجسد البشري، يمكنه أن يعمل أفعالاً روحية، ويُعمِلها مرة بعد مرة حتى لو لم يميزها الإنسان. وبالتالي هو يقدر على أن يفعل الفعل ولا يحس الإنسان أن شيئًا قد حدث. لأن الأجسام والأشياء المادية كلها في مستوى أقل من الذكاء الروحي الصافي. ولكن الملائكة، إن كانوا ملائكة خير أو شر، هم من نوع الذكاء الروحي الصافي. وبالتالي يمكنهم أن يتحكموا فيما هو أسفل منهم. وبالتالي فالشيطان يمكنه أن يجمع ويستخدم المني البشري التابع للجسد ما كما يريد.

لتجميع المني البشري من شخص ونقله إلى آخر سيحتاج هذا إلى عمل بعض الأفعال على المستوى الموضعي. لكن الشياطين لا يمكنهم أن يحركوا الأجسام من مكان إلى مكان. وهذه هي الحجة. الروح هي جوهر روحي صاف، وكذلك الشيطان: ولكن الروح لا يمكنها أن تُحرك جسدًا من مكان إلى مكان إلا الجسد الذي تسكنه وتعطيه الحياة: وأي عضو من هذا الجسد يهلك فإن الجسد يموت ولا يقدر على الحركة. وبالتالي فالشياطين لا يمكنهم أن يحركوا جسدًا من مكان إلى مكان إلا الجسد الذي يعطونه الحياة. لقد تم الاعتراف بأن الشياطين لا يمنحون الحياة إلى أحد، وبالتالي لا يمكنهم أن يحركوا المني البشري بشكل موضعي محلي يعني من مكان إلى مكان أو من جسد إلى جسد.

أيضًا، كل فعل إنما يحصل بالاتصال، وخاصة فعل الذرية. ولكن لا يبدو ممكنًا أن يحدث أي اتصال بين الشيطان وجسم الإنسان، لأن الشيطان لا يمتلك نقطة اتصال معه. وبالتالي لا يمكنه أن يحقن المني في الجسد البشري، خاصة أنه سيحتاج حركة معينة من الجسد، فيبدو أن الشيطان لا يمكنه أن يحقق ذلك.

أيضًا، الشياطين ليست لديهم قدرة على تحريك الأجسام الأقرب لهم في

النظام الطبيعي، مثلًا الأجسام السماوية، وبالتالي ليست لديهم القدرة على تحريك الأجسام الأبعد عنهم. لقد تم إثبات هذا بما أن القوة المحركة والحركة هما شيء واحد كما يقول أرسطو في كتابه **Physics**. فتبعًا لهذا، الشياطين الذين يحركون الأجسام السماوية لا بد أن يكونوا في السماوات، وهو شيء غير صحيح أبدًا، في رأينا أو في رأي الأفلاطونيون.

أيضًا، يقول القديس «أوجستين» في كتاب **On the Trinity** الجزء الثالث، أن الشياطين يجمعون حقًّا المني البشري، حتى يمكنهم أن يُحدثوا تأثيرات على الأجسام، ولكن هذا لا يمكن تحقيقه بدون حركة موضعية، وبالتالي فالشياطين يمكنهم أن ينقلوا المني الذي جمعوه ويحقنوه في أجسام أخرى. ولكن، كما قال «والافريد سترابو» في تعليقه على سفر الخروج السابع: ونادى الفرعون على الحكماء والسحرة: اجعلوا الشياطين تجوب الأرض وتجمع كل بذرة من ذرية، ليستطيعوا بالعمل عليها أن يبثوا كثيرًا من الأجناس. ومرة أخرى في سفر الخروج السادس يعلق بتعليقين على الكلمات: وأبناء الرب رأوا بنات الناس. أولًا، أبناء الرب تعني أبناء «شيث» وبنات الناس تعني بنات «قابيل». ثانيًا، العماليق لم يتم إنجابهم بواسطة الإنسان، ولكن بفعل بعض الشياطين، الذين كانوا وقحين مع النساء. لأن الكتاب المقدس يقول، العماليق كانوا فوق الأرض. أيضًا، وحتى بعد الطوفان، كانت أجسام الرجال العماليق وأجسام نسائهم كلها بارزة وجميلة جدًّا.

الإجابة. لأجل الاختصار. بالنسبة للكلام عن قدرة الشيطان وأعماله وتأثير السحر سنترك إجابتها، لأن القارئ الورع إما سيتقبلها كما تم إثباتها، أو ربما سيحب أن يتساءل، عندها فليبحث عن كل نقطة موضحة في الكتاب الثاني من مجلد **Sentences**. حيث ستجد الأب يرى أن الشياطين يقومون بكل أفعالهم بإدراك وباختيار، بسبب الطبيعة التي وهبها الرب لهم والتي لم تتغير. انظر «ديونيسيوس» في فصله الرابع عن الموضوع، فطبيعتهم الملائكية بقيت كما هي سليمة ولم تُمس بعد سقوطهم من السماوات، رغم أنهم لا يستطيعون استخدامها في أي عمل خير.

وكذلك الأمر بالنسبة لذكاء الشياطين، ستجد أنهم يتفوقون في ثلاث نقاط تتعلق بالقدرات العقلية، في عمرهم، وفي خبرتهم الطويلة، وفي تلقي الوحي من

الأرواح العليا. ستجد أيضًا أنهم من خلال دراسة تأثير النجوم، تعلموا الصفات السائدة على الإنسان، واكتشفوا أن بعض الناس يمكن استعبادهم بالاشتغال في السحر أكثر من البعض الآخر، وأصبح الشياطين ينتهكون هذه العلوم لأجل أغراضهم.

سيجد القارئ أنه قد تغيرت طبيعة الشياطين إلى الشر، وأنهم صاروا يفخرون بعمل الذنب، ولديهم ذلك الجشع السافر، وسيتعلم أن الرب، بعظمته، يسمح لهم أن يعملوا ضد رغبته. وهو يعلم أنهم بهاتين الصفتين، الذكاء والخِلقة التي خلقهم عليها، استطاعوا أن يفعلوا المعجزات، وأصبحت لا توجد قوة في الأرض تقارن بهم. في سفر أيوب الحادي والأربعون قال «**ليس له في الأرض نظير، خُلِقَ لئلا يخاف**» وعند هذه الآية قال الشارح، رغم أنه لا يخاف من أحد، إلا أنه يخضع لكرامات القديسين.

سيجد القارئ أيضًا كيف أن الشياطين يعلمون حديث قلوبنا، وأنهم يحورون في أجسادنا بشكل جوهري وكارثي بمعاونة وكيل، وأنه يمكنهم أن يحركوا الأجساد موضعيًا، ويحولوا المشاعر الخارجية والداخلية إلى أبعد حد يمكن تصوره، وأنه يمكنهم أن يغيروا الفكر ويغيروا رغبات الرجال بشكل غير مباشر.

ولأن هذا متعلق بتساؤلنا الحالي، نود فقط أن نذكر بعض الاستنتاجات مما سبق عن طبيعة الشياطين، ثم نعود إلى مناقشة السؤال.

اللاهوتيون ينسبون إلى الشياطين بعض الأشياء، أنهم أرواح نجسة، وأن النجاسة ليست طبيعتهم الأصلية. ووفقًا لما قاله «ديونيسوس» توجد في الشياطين طبيعة الجنون والشهوة المسعورة والنزوات الوحشية، وهذا يظهر في خطاياهم الروحية المتعلقة بالكبرياء والحسد والحقد. لهذا السبب هم أعداء للجنس البشري، والشياطين لديهم عقل له منطق، لكنه منطق حاذق في الشر، متحمس للأذية، خصب جدًا في الخداع، إنهم يغيرون تصورات الإنسان ويلوثون مشاعره، إنهم يحيرون اليقظ وفي الأحلام يُقلقون النائم، وهم يسببون الأمراض ويثيرون العواصف ويتنكرون بهيئة ملائكة النور، وهم يحملون لنا الجحيم دائمًا، ويغتصبون من الساحرات عبادة الرب لتكون لهم، وبهذا المعنى تحديدًا تؤدى

التعاويذ السحرية، هم يبحثون عن السيطرة على الصالحين ويعتدون عليهم بكل قوتهم، بما يرشحونه لهم من فتن، ودائمًا ما ينتظرون هلاك البشر.

ورغم أنهم لديهم آلاف من الطرق ليؤذوا بها البشر، وأنهم حاولوا منذ فجر تاريخهم أن يُحدثوا الشقاق في الكنيسة، ليمنعوا الصدقات وليصيبوا حلاوة أعمال القديسين بمرارة الحسد، وبكل طريقة هم يخربون ويقلقون الجنس البشري، ولكن تبقى قدرتهم منصبة على الأماكن الحساسة والسُرة. انظر سفر أيوب الحادي والأربعين. فبالخلاعة تكون لهم قدرة على الرجال، لأن مصدر الفجور عند الرجل يكون في الأماكن الحساسة، لأنه من هناك يخرج المني، تمامًا كما يخرج في المرأة من ناحية السرة.

هذه الأشياء ذكرتها لفهم أفضل للسؤال الخاص بالجاثوم والسلعاة، يجب أن نقول أنه حسب الكاثوليكية نحن نؤمن أن الإنسان يمكن أن يولد من الجاثوم أو السلعاة، والإيمان أن هذا غير ممكن يتعارض مع كلمات القديسين ومع تقاليد الكتب المقدسة. وهذا يمكن إثباته كالتالي، سأل القديس «أوجستين» مرة سؤالاً، لا يتعلق بالساحرات ولكن بكل أعمال الشر، وبخرافات الشعراء، وترك الأمر في حالة من الشك، ففي مجلده **De Ciuitate Dei**، الكتاب الثالث، الفصل الثاني يقول: نحن نترك سؤالاً مفتوحًا، هل كان يمكن لفينوس أن تنجب «إينيس» عن طريق الجماع مع «أنشيسيس»؟ وسؤال آخر برز في الكتب المقدسة، هل يمكن لملائكة الشر أن يناموا مع بنات الناس، ومن ثم أصبحت الأرض مليئة بالعماليق الذين هم رجال أقوياء وضخام الجسد؟

ولكنه أجاب عن السؤال في الكتاب الخامس، الفصل ٢٣، في كلماته: لقد أصبح الكل يؤمن بالحقيقة التي أكدها كثيرين بتجربتهم الشخصية، تجربة رجال لا شك في موثوقيتهم، أن الشيطانين «ساتيرز» و«فاونز» (الذين يطلق عليهما اسم الجاثوم) قد ظهرا وكانا داعرين مع النساء وجامعاهن. وأن بعض الشياطين (الذين يسميهم «جاولز» باسم «دوسي») يحاولون بدأب أن يحققوا هذه القذارة كما شهد بهذا شهود موثوقون كُثُر مما يجعل من إنكار ذلك شيئًا وقحًا.

لاحقًا في نفس الكتاب، يجيب الكاتب عن الخلاف الثاني، تحديدًا في المقطع في سفر التكوين عن أبناء الرب (أبناء شيث) وبنات الناس (بنات قابيل)، وهو

هنا لا يتحدث فقط عن الجاثوم. يقول أنه ليس إيمانًا خاطئًا وغريبًا أن تؤمن أن العماليق التي تحدث عنهم الكتاب المقدس لم يولدوا من البشر ولكن من الملائكة أو تحديدًا من الشياطين الذين ناكحوا النساء. عن نفس هذا كان تعليقه في سفر إشعياء الثالث عشر، لما تنبأ النبي بخراب بابل، وبالوحوش الذين سيغزونها. قال: «**وتسكن هناك بنات النعام، وترقص هناك معز الوحش**».

معز الوحش أو الساتيرز يعني بهم الشياطين كما يقول التعليق، الساتيرز هم مخلوقات شعثاء متوحشة في الغابات، وهم نوع من الشياطين يسمى الجاثوم. ومرة أخرى في إشعياء الرابع والثلاثون، عندما تنبأ بخراب أرض الأدوميين لأنهم اضطهدوا اليهود، قال: «**الكركي والغراب يسكنان فيها، ويمد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء**». تعليقه بين السطور يفسر هذا بأنها وحوش وشياطين. وفي نفس الموضع يشرح «جريجوري» المبارك هذا أنها آلهة الغابات وهي تلك المخلوقات التي سماها الإغريق «بانس» واللاتينيون «جاثوم».

أيضًا «إيزيدور» المبارك في الفصل الأخير من كتابه الثامن قال: «**الساتيرز هم الذين يسميهم الإغريق «بانس» واللاتينيون «جاثوم»، يسمونهم الجاثوم بسبب فعلهم الفاسق الذي يجثم. لأن لديهم شهوة تجاه البحث عن النساء ومناكحتهن: و«جاولز» يسميهم «دوسي» لأنهم مجتهدون في بهيميتهم. ولكن هذه الشياطين عامة يسميها الشعب «الجاثوم» ويسميها الرومان «فون»، مثلما قال «هوراس» «أوه يا فون، يا عاشق الحوريات الهاربات، تعال إلى أرضي وحقولي المبتسمة**»

السؤال ٤. إذا كان الشياطين كلهم يمارسون الجنس مع البشر كالجاثوم والسعلاة

هل هو كاثوليكي أن نقول أن ممارسات الجاثوم والسعلاة الجنسية مع البشر تنطبق كذلك على كل الأرواح النجسة؟ ويبدو أنه كذلك فعلًا، لأنه حتى نقول بالعكس يجب أن نؤمن أن هناك جزءًا من الخير في بعض الشياطين. قيل أنه بَالنسبة للخير فهناك درجات وأنظمة (انظر كلام القديس أوجستين في كتابه عن طبيعة الخير)، وبالنسبة للشر فالأمر فيه شيء من اللبس. ولكن كما أنه عند ملائكة الخير لا يمكن أن يكون شيء بدون نظام، أيضًا بين ملائكة الشر كل شيء بلا نظام، وبالتالي كلهم بدون تمييز يفعلون هذه الممارسات الجنسية. انظر سفر أيوب العاشر: «**أرض ظلام مثل دُجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى**».

أيضًا، إذا لم يكونوا كلهم يفعلون هذه الممارسات، فإن هذه الخصلة التي في بعضهم أتت إما من طبيعة فيهم أو من خطية انجرفوا لها، أو من عقاب فُرض عليهم. لكنها لم تأت من طبيعة في بعضهم لأنهم جميعًا بدون تحديد ميالين إلى الخطية، كما تم ذكره في السؤال السابق. لأنهم بطبيعتهم أرواح نجسة غير صافية، وهم كلهم أنجس من أن يُظهروا أي شيء طيب، فهم حاذقون في الشر، متحمسون للأذية، مليئون بالكبرياء، إلخ. وبالتالي هذه الممارسات التي فيهم سببها إما خطية انجرفوا لها أو عقاب فُرض عليهم. ونحن نعلم أنه كلما كانت الخطية أكبر، يكون العقاب أكبر، والشياطين العالون منهم طبيعي أنهم قد أذنبوا أكثر وأكثر، وبالتالي نستنتج أنه بسبب عقاب فُرض عليهم فهم يقومون بهذه الممارسات الأكثر شرًّا.

أيضًا، قيل أنه حيثما لا يوجد انضباط وطاعة، الكل سيعمل الخطأ بلا فرق بينهم: ومن المسلم أنه لا يوجد انضباط وطاعة بين الشياطين ولا يوجد اتفاق. سفر

الأمثال الثالث عشر: «**الخصام إنما يصير بالكبرياء، ومع المتشاورين حكمة**».

إذن هم كلهم بسبب الخطية سيتساوون في ورودهم إلى الجحيم يوم القيامة لا فرق بينهم في أي شيء، وقبل هذا الوقت سيظلون في غشاوة سفلى كلهم يؤدون المهام التي أوكلت لهم. نحن لا نقرأ أن هناك مساواة في العتق من العذاب، وبالتالي لن توجد مساواة في المهام ولا في الإغواء.

ولكن يأتي ضد هذا التعليق الأول على رسالة بولس إلى كورنثوس الأولى: مادام العالم يتحمل، ستوضع الملائكة فوق الملائكة والرجال فوق الرجال والشياطين فوق الشياطين. وأيضًا في سفر أيوب الحادي عشر يتحدث عن ميزان الشيطان «لوياثان» للأمور، ومن كلامه نفهم تفكير أفراد الشياطين وكيف ينشق بعضهم على بعض. وبالتالي يوجد بينهم تنوع في النظام وفي الأنشطة.

سؤال آخر يبرز، هل هؤلاء الشياطين يمكن أن تقوم ملائكة الخير بكبح جماحهم أم لا إن هم سعوا في ممارساتهم الفاسدة هذه؟

يجب أن نقول أن الملائكة الذين يسيطرون على إخضاع أصحاب الأعمال السيئة يسمون «القوى». كما قال القديس «جريجوري» والقديس «أوجستين» في كتاب **de Trinitate** الثالث. الأرواح المتمردة والخاطئة خاضعون لأرواح الحياة الربانية الطائعة. وهاته المخلوقات التي تكون أكثر كمالا وأقرب للرب تكون لهم سلطة على غيرهم، لأن نظام الأفضلية موجود في الرب وتشاركه فيه مخلوقاته كلما صاروا أقرب له. وبالتالي ملائكة الخير الذين هم أقرب للرب باعتبار تمتعهم بهذا القرب من الرب الذي يفتقده الشياطين، تكون لهم أفضلية على الشياطين ويحكمون عليهم.

وعندما يقال أن الشياطين تعمل كل أذى عظيم بدون أي حساب لأحد، أو أنهم ليسوا مكبوحين ولا يخضعون لملائكة الخير الذين يمكن أن يمنعوهم، أو يقال أنهم حتى إذا كانوا خاضعين، فالشر الذي يعمله أي خاضع إنما يكون بسبب إهمال سيده، فيبدو أن هناك إهمالًا بين أسيادهم ملائكة الخير: الإجابة هي أن الملائكة هم وزراء لحكمة الإله. وحكمة الإله تسمح لبعض الشر أن يحدث بواسطة ملائكة الشر أو بواسطة الإنسان، لأجل الخير الذي يرسمه الرب بعد ذلك، لذا فملائكة الخير لا يمنعون البشر الخبيثين أو الشياطين بشكل كامل من عمل الشر.

الإجابة. إن من الإيمان الكاثوليكي أن نعتقدَ بأن هناك نظامًا معينًا للأفعال الداخلية والخارجية، ودرجة من التفضيل بين الشياطين. هذا يعني أن بعض الفواحش تُرتكب بواسطة النظم السفلى الشيطانية، وتتفاداها النظم العليا الشيطانية باعتبار نبلهم القديم وباعتبار طبيعتهم. يقال أن هذا ينتج عنه نوع من الانسجام الكامل حيث أن المخلوقات تنسجم مع طبيعتها ومع الحكمة الإلهية ومع شرورها الخاصة.

وبشكل أكثر تحديدًا فيما يتعلق بطبيعتهم نقول إنه من الموافَق عليه أنه منذ بداية الخليقة، كان البعض منهم بخلقتهم أرفع مقامًا من بعض، لأنهم يختلفون فيما بينهم في الشكل ولا يوجد اثنان من الملائكة يشبهان بعضهما في الشكل. هذا يؤدي إلى رأي أكثر شمولًا، يتوافق أيضًا مع كلمات الفلاسفة. رأي يضعه «ديونيسوس» في فصله العاشر من كتاب **On the Celestial Hierarchy** حيث يقول أن في النظام الملائكي الشيطاني هناك ثلاث درجات مختلفة، ويجب أن نوافق على هذا حيث أن كلا من الشياطين والملائكة خلقتهم روحية وغير مادية. انظر أيضًا كلام القديس «توماس». أن الخطية لم تغير طبيعة الشياطين، فالشياطين بعد السقوط من السماوات لم يخسروا هباتهم الطبيعية، وتعاملهم من الأشياء يتبع حالتهم الطبيعية. وبالتالي هم متنوعون ومتعددون في الطبيعة وفي الأفعال.

هذا ينسجم أيضًا مع الحكمة الإلهية، لأن هذا مقضي بواسطة الرب (رسالة أهل رومية ١٣). والشياطين تم انتدابهم من قبل الرب لإغواء الرجال وفرض عليهم عقاب اللعن، وهم يعملون على الإنسان بطرق كثيرة ومتعددة.

هذا ينسجم أيضًا مع شرورهم الداخلية. فحيث أنهم في حرب مع الجنس البشري، نجدهم يحاربون بشكل منظم، لأنهم يهدفون إلى إحداث ضرر أعظم للإنسان. يؤدي هذا إلى أنهم لا يشتركون في أسلوب واحد في عمل فواحشهم البغيضة.

هذا يمكن إثباته بشكل أكثر تحديدًا كالتالي، لأن أفعال الشيء تتبع طبيعة الشيء، فهذا يعني أن الذين تكون طبيعتهم في مرتبة أدنى لا بد أن تكون أفعالهم في مرتبة أدنى، كما هو الحال في الأجسام المادية. حيث الأجسام الأدنى بشكل طبيعي تكون أدنى من الأجسام السماوية، وأفعالهم ومشاعرهم تكون خاضعة لأفعال

ومشاعر الأجسام السماوية، وحيث أن الشياطين يختلفون فيما بينهم في التنظيم الطبيعي، فهم أيضًا يختلفون في أفعالهم الطبيعية، خارجيًا وداخليًّا وخاصة في أداء الفواحش التي في السؤال.

من هذا نستنتج أنه، ممارسة هذه الفواحش غريبة على طبقة الشياطين النبلاء الذين طبيعتهم ملائكية، كذلك الأفعال البشرية، فالأفعال الفاسدة منها أو الأكثر توحشًا تعبر فقط عن نفسها ولا تعبر عن طبيعة البشر وتناسلهم.

وأخيرًا، حيث أن البعض يمكن أن يسقطوا من كل نظام، ليس من الغريب أن نؤمن أن هؤلاء الشياطين الذين سقطوا من الكورال الأدنى والذين يحملون الرتبة الأدنى هم المنتدبون لأداء هذه الفواحش وغيرها.

ورغم أن الكتب المقدسة تتحدث عن أن الجاثوم والسعلاة يتبعون شهوتهم تجاه النساء، لكننا لا نقرأ في أي مكان أن الجاثوم والسعلاة يفعلون هذه الرذيلة بشكل يعارض الفطرة كاللواط. نحن لا نتحدث فقط عن اللواط ولكن عن أي خطية أخرى تكون ممارستها خارجة عن المسار الطبيعي. وشناعة خطية كهذه يمكن توضيحها بحقيقة أنه حتى الشياطين، كلهم أيًا كان نظامهم يمقتون ويعتقدون أنه من العار ممارسة هذه الأفعال. ويبدو أن التعليق على سفر حزقيال التاسع عشر يعني هذا، حيث يقول: سوف أجعلكم بين أيدي سكان فلسطين، حيث الشياطين أنفسهم سيخجلون من آثامكم، وهو يعني هنا الرذائل التي ضد الفطرة كاللواط. وسيرى الطالب عندئذ ماذا يجب له أن يفهم بخصوص الشياطين. لأنه لا خطية كانت أعظم من ذلك عاقب عليها الرب وأمات هذا العدد الكبير بطريقة مخزية.

بالتأكيد يقول الكثيرون وهو مما نؤمن به حقًا، أنه لا أحد يمكنه أن يبقى محميًا من أن تمارس عليه مثل هذه الرذائل فيما عدا أثناء أيام الحياة البشرية للمسيح. والتي استمرت ثلاثة وثلاثين عامًا، لكن يمكن أن يُحمى الشخص إذا تم إنقاذه بنعمة خاصة من المخلص. وهذا مُثبت بحقيقة أن هناك ضحايا لهذه الرذائل أعمارهم في الثمانين ومنهم معمرون أكثر من ذلك، وهم حتى ذلك السن عاشوا حياتهم وفقًا لتعاليم المسيح، ولكن بانتهاء حياته البشرية، وجدوا صعوبة كبيرة في الحصول على الخلاص، وفي التخلي بأنفسهم عن هذه الرذائل.

أيضًا، أسماء الشياطين تعبر عن النظام الموجود بينهم، وتدل على المقر الذي ينتمي إليه كل منهم. لأنه رغم أن الاسم واحد وهو الشيطان، نجده يُستخدم بشكل متعدد في الكتب المقدسة بسبب صفاتهم المتعددة، مع ذلك تُعلمنا الكتب المقدسة أن واحدًا من الشياطين يتم تعيينه على رذيلة ما، والرذائل الأخرى يتعين لها واحد آخر. مثلًا من عادة الكتب المقدسة في الكلام أن تُسمي كل روح نجسة «ديابلولوس» من «ديا» وتعني اثنين، و«بولوس» وتعني التافه، لأنه قتل اثنين، جسده وروحه. برغم أن الكلمة اللاتينية «ديابولوس» تعني المحبوس في السجن والتي هي ملائمة أيضًا حيث أنه ليس مسموحًا للشيطان أن يعمل كثيرًا من الأذى كما يتمنى.

أو «ديابولوس» تعني التدفق لأسفل، حيث أنه سقط إلى الأسفل، مكانيًا ومعنويًا. ولقد سُمي أيضًا «ديمون»، وتعني الماكر في سفك الدم، حيث أنه ظمآن ويرتكب الخطية رغم أنه يعرف ثلاثة أضعاف معرفة الإنسان، كونه قوي في خلقته، وفي خبرته لعمره الطويل، وفي تلقي الوحي من الملائكة. يسمى أيضًا «بليعال» والتي تعني بدون قرون أو تعني السيد، حيث يمكن أن يقاتل ضحيته من الإنس. يسمى أيضًا «بعلزبوب» والتي تعني سيد الذباب، والذباب هنا يرمز إلى أرواح الخاطئين الذين تركوا الإيمان الحقيقي بالمسيح. ويسمى «ساتان» وتعني العدو، انظر قول القديس بيتر: لأن عدوكم الشيطان يدور، إلخ. أيضًا يسمى «بيهيموث» وتعني الوحش لأنه يجعل الإنسان متوحشًا.

ولكن أشد شيطان في الفسوق وسيد هذا الرجس اللواطي، يسمى «أسموديوس»، والتي تعني مخلوق الحُكم: سُمي بهذا لأن هذا النوع من الخطية عوقب بتنفيذ الحُكم على «سدوم» قوم لوط وأربعة مدن أخرى. كذلك شيطان الكبرياء يسمي «لوياثان» والتي تعني «إضافتهم»، لأن «لوسيفر» عندما أغوى آباءنا وعدهم بكبرياء، بإضافة صفة إلهية عليهم. يقال عنه في سفر إشعياء: «**في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الملتوية**». أما شيطان الجشع والثروة فيسمى «مامون» والذي ذكره المسيح في الإنجيل «**لا يقدر أحد أن يخدم سيدين.. الخ**».

بالنسبة للحجج، أولًا الخير يمكن أن يوجد بدون الشر، لكن الشر لا يمكن أن يوجد بدون الخير، لأن الشر يتم صبه على المخلوق الذي كان طيبًا بطبعه. وبالتالي الشياطين، برغم أن لديهم في الأصل طبيعة خير، لكنه قد تم تغير سياق الطبيعة

فيهم بسبب أفعالهم، انظر سفر أيوب العاشر.

ثانيًا، يمكن أن يقال أن الشياطين الذين يتم انتدابهم للعمل ليسوا في الجحيم وإنما هم موضوعون في سحب سفلية. وأن لديهم نظامًا بينهم لن يكون لهم مثله إن كانوا في الجحيم، وتم منعهم في السحب السفلية من أن يذوقوا النعيم منذ ذلك الوقت لما سقطوا بلا رجعة من تلك المرتبة. ويمكن أن نقول أنه حتى في الجحيم، سيكون هناك بينهم تدرج في القوة، وفي درجات العذاب، نظرًا لأن بعضهم وليس كلهم يتم انتدابهم لتعذيب الأرواح. ولكن هذا التدرج يأتي من الرب وليس من أنفسهم، وكذلك تدرج عذابهم.

ثالثًا، عندما يقال عن الشياطين الأعلى أنهم بما أنهم أذنبوا أكثر، فهم يُعذَبون أكثر، وبالتالي يجب أن يكونوا هم مرتبطين بعمل هذه الرذائل الجنسية، ستكون الإجابة أن الخطية دائمًا تكون لها علاقة بالعذاب الرباني المفروض عليها، وليس بالفعل نفسه أو بخلقة الفاعل، وبسبب طبيعتهم النبيلة القديمة لا يتم انتداب الشياطين العالية لأجل هذه الفواحش، فهذا لا علاقة له بخطيئتهم أو بعذابهم. وبالرغم من أنهم جميعا أرواح نجسة، ومتحمسون للأذية، إلا أن الواحد منهم يكون أكثر من الآخر، في نسبة ظمأ طبيعتهم إلى الظلام.

رابعًا، يقال أن هناك اتفاقًا بين الشياطين جميعًا - بطبيعتهم الخبيثة الخالية من المودة - أن يكرهوا البشرية، وأنهم يبذلوا قصارى جهدهم ضد العدالة. واتفاقًا كهذا يمكن أن يحدث بين الكيانات الشريرة، حيث يجعلون أنفسهم فرقًا، وينتدبون منهم أولئك الذين تكون مواهبهم مناسبة ليسعوا وراء آثام بشرية معينة.

خامسًا، برغم أن الحبس مفروض عليهم جميعًا في الطبقة السفلى وما بعدها من الجحيم، لكنهم لا يكونون متساويين في العذاب وفي المهام التي تُقضى إليهم: فالأكثر نبلًا في الطبيعة والذي يتبع مقرًا أشد قوة، يكون أكثر عذابًا. انظر كتاب Wisdom السادس «القوي سيعاني عذابات قوية».



السؤال ٥. ما هو مصدر ازدياد أعمال السحر ؟

ماهو مصدر ازدياد أعمال السحر؟ ولماذا زادت ممارسة السحر بشكل ملحوظ؟

هل هو رأي كاثوليكي بأي طريقة من الطرق أن نؤمن أن أصل السحر جاء من تأثير النجوم ومن خبث الإنسان الذي لاحظ هذا التأثير؟ ونترك الإيمان بأن هذا السحر بدأ في البشرية بعد الفواحش التي عملها فيهم الجاثوم والسعلاة. والإجابة هي أن السحر قد ظهر حقًّا من خبث الإنسان. لأن القديس «أوجستين» قال، في كتابه الثالث والثلاثين أن سبب فساد الإنسان يكمن في رغبته الداخلية، فإذا أذنب الإنسان العادي سيذنب من نفسه أو بإيعاز من أحد.

أما الساحرة فقد أفسدتها الخطية تمامًا، فأصل فسادها ليس الشيطان ولكن رغبتها الشخصية الخبيثة في الفساد. في نفس الكتاب تحدث الكاتب عن الإرادة الحرة، قال أن الجميع يتحملون نتيجة خطاياهم والسبب هو أن الخطية كانت بإرادتهم الحرة، والشيطان لا يمكنه أن يدمر الإرادة الحرة لأي شخص، لأن هذا سيعارض فكرة حرية البشر التي نؤمن بها، وبالتالي لا يمكن أن يكون الشيطان هو سبب كل خطية يعملها الإنسان. وأيضًا في كتاب **Ecclesisatic Dogma** قيل: ليست كل شرورنا تم طبخها بواسطة الشيطان، ولكن هي في كثير من الأحيان تبرز من أهوائنا الشخصية.

أيضًا، إذا كانت النجوم ليست هي السبب في أفعال الإنسان الجيدة والسيئة، فالمنجمون ما كانوا ليستخدموها في التنبؤ بهذه الطريقة الصحيحة عندما يتنبئون مثلًا بنتيجة الحرب أو أي من أفعال الإنسان الأخرى، لذلك فالنجوم هي سبب بطريقة ما.

أيضًا، النجوم تؤثر على الشياطين أنفسهم حيث تُستخدم في بعض التعاويذ، وبالتالي فالنجوم يمكنها أن تؤثر في الإنسان. هناك ثلاثة براهين يُستشهد بها على

هذا الافتراض. بالنسبة لبعض الرجال الذين يُدعون بالمجانين فإنما هم أناس تتحرش بهم الشياطين في أوقات معينة أكثر من أوقات أخرى. وليس من عادة الشياطين أن يتصرفوا بهذا الشكل الجيد، بل إنهم سيتحرشون بالمجنون في كل الأوقات، وبذلك نستنتج أن هؤلاء المجانين متأثرين بشيء آخر يظهر ويختفي في أوقات مثل أن يكونوا متأثرين بشدة ببعض أطوار القمر. لقد تم إثبات حقيقة أن مستحضري الأرواح يُراقبون بعض الأبراج لأجل استحضار الشياطين، ولم يكونوا ليفعلوا هذا إلا إذا علموا أن الشياطين متأثرة بالنجوم.

وهذا أيضًا يوضع كبرهان أن النجوم سبب غير مباشر في أفعال البشر، كما قال القديس «أوجستين» في كتابه **de Ciuitate Dei**، الشياطين يوظفون بعض الأجسام السفلية مثل الأعشاب والأحجار والحيوانات وبعض الأصوات والأرقام. ولكن حيث أن الأجسام الأثقل لها قوة أكثر من الأجسام الأسفل، بالتالي فالنجوم لها تأثير أعظم من كل هذه الأشياء. والساحرات تكون أعمالهن خاضعة لتأثير هذه الأجسام القوية أكثر من اعتمادهن على مساعدة الشياطين أنفسهم. والحجة مدعومة من سفر الملوك السادس عشر، حيث اغتاظ شاول من الشيطان ولكنه هدأ عندما عزف له داوود بقيثارته وعندها رحل الشيطان.

ولكن هناك كلام ضد هذا. أنه من المستحيل أن تُنتج تأثيرًا ما بدون وجود مسبب التأثير، وأفعال الساحرات لا يمكن أن تحدث بدون مساعدة الشياطين، كما هو واضح في وصف الساحرات من كلام القديس «إيزيدور» في كتابه **Ethics** الثامن. الساحرات سُمين كذلك بسبب عِظم تعاويذهن السحرية التي يخربن بها الأشياء ويحيرن عقول الرجال، وذلك بدون استخدام أي سم، ولكن فقط باستخدام التمائم.

أيضًا، أرسطو قال في كتابه **Ethics**: «**إن من الصعب أن تعرف بداية عملية التفكير في الإنسان، ويوضح كيف يجب أن تكون هذه العملية التفكيرية قد أتت من مصدر خارجي. لأن كل شيء يبدأ من سبب معين. فالرجل يفعل الشيء الذي يرغب فيه، ولقد بدأ في رغبته في هذا الشيء بسبب اقتراح مسبق في فكره، وإن كان هذا اقتراح مسبق في فكره، فهو إما يكون قد أتى من اللانهائية، أو أنه أتى من مكان خارجي، وهذا المكان الخارجي هو الذي بدأ أول اقتراح للإنسان.**

إلا إذا قلنا أن هذا الفكر قد جاء في العقل بفعل الصدفة مما يجعل بالتالي كل أفعال البشر جاءت بالحظ، وهو شيء سخيف». إن مبتدئ الخير هو الرب، ولكنه ليس هو سبب الخطية. عندما بدأ الإنسان في الرغبة بالخطية، لا بد أنه كان هناك سبب خارجي لهذه الرغبة الأولى. وهذا لا يمكن أن يكون غير الشيطان، خاصة في حالة الساحرات، كما بينا أعلاه، لأن النجوم لا يمكن أن تؤثر مباشرة في أفعال الساحرات. وبالتالي أصبحت الحقيقة واضحة.

أيضًا، هذه الساحرة لديها قدرة على التحكم بالدوافع مما يجعل لها قدرة على عمل النتائج المتسببة من هذه الدوافع. الدافع للرغبة هو شيء محسوس بحاسة العقل، وكليهما خاضع لقدرة الشيطان. لأن القديس «أوجستين» قال في الكتاب ٨٣: هذا الشر الذي هو الشيطان، يتلصص بكل حواسه، هو يجعل نفسه في الأرقام، يكيف نفسه في الألوان، يجذب نفسه إلى الأصوات، يتربص بالأحاديث الغاضبة والمحادثات الغالطة، وهو يلبث في الروائح، وينقع نفسه في النكهات ويملأ بزفراته كل القنوات. وبالتالي نرى قدرة الشيطان أن يؤثر على الإرادة، التي هي السبب المباشر للخطية.

أيضًا، كل شيء فيه اختيار بين طريقين، يحتاج إلى نوع من العامل المحدد قبل أن يأخذ قراره. والإرادة الحرة للإنسان لها الاختيار بين الخير والشر، وبالتالي عندما يباشر الإنسان الخطية، يحتاج لشيء يجعله عازمًا إلى جهة الشر تحديدًا. وهذا الذي يحدث بفعل الشيطان، خاصة في أفعال الساحرات، واللائي رغباتهن مصنوعة لأجل الشر. بالتالي يبدو أن رغبة الشر عند الشيطان هي سبب لرغبة الشر عند الإنسان، خاصة في الساحرات. والحُجة يمكن إثباتها بأنه كما تتجه ملائكة الخير إلى الخير، فملائكة الشر يتجهون إلى الشر، ولكن الأول يوجه الإنسان إلى الخير، والأخير يوجه الإنسان إلى الشر. لأجل هذا يقول «ديونيسوس»، القانون الإلهي الراسخ والغير قابل للتغيير، أن الأدنى يوجَد سببه في الأعلى.

الإجابة. من يقول أن السحر له علاقة بتأثير النجوم فهذا قد ارتكب ثلاثة أخطاء. في المقام الأول، لا يمكن أن يكون أصله آتيًا من المنجمين وموجهي خريطة الأبراج وقارئي الطالع. وكان السؤال هل رذيلة السحر في الإنسان سببها تأثير النجوم عليه، وبالتالي في تحديد صفات الإنسان المختلفة أيضًا، ولأجل الحفاظ

على الإيمان الصحيح، هناك شيء لا بد أن نؤمن به، أن هناك مذهبين يمكننا أن نفهم بهما كيف أن شخصية الإنسان تتأثر بالنجوم، إما المذهب الكامل ويعني كل شيء يتأثر بالنجوم، أو المذهب الطارئ يعني أن التأثير في أوقات طارئة. وبالنسبة للمذهب الأول، فهو ليس فقط خاطئًا، ولكنه مهرطق جدًّا ويعارض الدين المسيحي، إن الإيمان الحق لا يمكن أن تكون فيه ضلالة كهذه.

لهذا السبب، كل من يقول أن كل شيء بالضرورة يأتي من النجوم فهو يأخذ بعيدًا كل النعم الربانية وكل المميزات الممنوحة للبشر من الرب وبالتالي يأخذ عظمة الرب. لأن استقامة الشخصية تتأذى بسبب هذا الضلال، لأنه عندها سنلقي باللوم على النجوم في أفعال المذنبين والمجرمين، وهذه رخصة للخطية بلا ملامة وبلا اعتراف بالخطأ، والإنسان عندها سيتجه لعبادة تلك النجوم والافتتان بها.

لكن بالنسبة للخلاف في أن صفات الإنسان إنما هي متنوعة تبعًا لتنظيمات النجوم، فهذا حقيقي جدًّا ولا يعارض المنطق أو الإيمان. لأنه من الواضح أن تنظيمات الأجسام تسبب تنوعات في مزاج وفي صفات الروح، لأن الروح عامة تحاكي هيئات الأجساد، ولكن هذا ليس مطلقًا، لأن الروح هي سيدة على الجسد خاصة عندما تكون مدعومة بالنعم. لذلك عندما يظهر بشكل ما تأثير قوة النجوم على تشكيل صفات ومزاجات الإنسان، فإنا نوافق أن لهم تأثيرًا على الشخصية، ولكن من بعيد، لأن الطبيعة السفلى الأرضية لها تأثير أكبر على الصفات والمزاجات أكثر من قدرة النجوم.

القديس «أوجستين» في كتابه **de Ciuitate Dei** عندما حل سؤالًا معينًا عن اثنين إخوة مرضا وعولجا معًا، أثبت منطق أبقراط أكثر من منطق المنجمين. لأن أبقراط أجاب بأن هذا حصل بسبب تشابه مزاجاتهما بينما أجاب المنجمون أن هذا بسبب هوية كل منهما في خريطة الأبراج. بالنسبة لإجابة أبقراط فقد كانت أفضل لأنه استشهد بالسبب الأسرع والأكثر تأثيرًا. لذا، يجب أن نقول أن تأثير النجوم هو بدرجة ما يفضي إلى الرجس أكثر مما يفضي إلى أي شيء آخر من الأفعال سواء كانت خبيثة أو فاضلة. ولكن تأثير هذا التنظيم النجمي لا يجب أن يقال أنه ضروري وسريع وكاف ولكن نقول أنه بعيد ومشروط.

ليس ذلك الاعتراض صحيحًا، ذلك الذي بُني على كتب الفلاسفة والمتعلق بسمات العناصر، حيث يقولون أن الممالك قد يتم إخلاؤها والأراضي يتم هجرها بسبب اقتران كوكب المشتري وزحل، ويقال أنه من هذا يمكن أن نفهم كيف أن الأمر خارج عن إرادة الإنسان، وبالتالي تأثير النجوم له قدرة أعلى من الإرادة الحرة. ولقد أجيب عن هذا بأن هذه المقولة لا يعني بها الفيلسوف أن يلمح أن الإنسان لا يمكنه أن يقاوم تأثير الأبراج عليه، بل يمكنه ذلك. لأن بطليموس قال في كتابه **Almagest** قال: الرجل الحكيم يكون سيدًا على النجوم. لأنه رغم أن زحل له تأثير سوداوي والمشتري لديه تأثير جيد، فاقتران المشتري وزحل يمكن أن يُخلص الإنسان من النزاعات والخلافات. وأيضًا بالإرادة الحرة، يمكن أن يقاوم الإنسان هذا الميل، وبسهولة بمعاونة نعمة الرب عليه.

وأيضًا ليس اعتراضًا صحيحًا أن نقتبس كلام القديس «جون داماسين» عندما قال في كتابه الثاني في الفصل السادس أن المذنبات هي إشارة لموت الملوك. وهذا نجيب عنه بأننا حتى لو اتبعنا رأي القديس «جون داماسين» الذي كان واضحًا في الكتاب المشار إليه، وعكس رأي الفلاسفة، فهذا ليس دليلًا على تبعية أفعال البشر للنجوم. لأن القديس «جون» يعتبر أن المذنب ليس خلقًا من الطبيعة، وليس واحدًا من النجوم المنتظمة في السماء، وبالتالي لا تأثير له ولا دلالة طبيعية. لأنه يقول أن المذنبات ليست من النجوم التي خُلقت في البداية، ولكنها صُنعت لأجل سبب معين ثم ذابت، بأمر الإله. هذا إذن هو رأي القديس «جون دامسين». ولكن الرب بإشارة كهذه إنما يُنذر بموت الملوك دونًا عن بقية الرجال، ومن هذا يحدث الارتباك في المملكة. والملائكة أكثر حرصًا على حفظ الملوك لأجل المصلحة العامة، والملوك يولدون ويموتون تحت وزارة من الملائكة.

وليست هناك صعوبة في فهم رأي الفلاسفة، الذين يقولون أن المذنب هو خليط حار وجاف، يسير في الجزء الأعلى من الفضاء قُرب النار، وأن أرضية هذا الشيء الحار والجاف تتشابه مع طبيعة النجوم. ولكن الأجزاء الخلفية التي يمدها البخار كالذيل عند أطرافه تنضم إلى جسمه وتلتحق به. وبناء على هذه الرؤية، فالفيلسوف يتنبأ بالموت الآتي من الحرارة والجفاف. حيث يقول أنه في أكثر الوقت يتغذى الأغنياء على الأشياء الحارة والجافة في طبيعتها، بالتالي في بعض الأحيان يموت كثير من الأغنياء، ويكون موت الملوك والأمراء بينهم واضحًا. وهذه الرؤية

ليست بعيدة من رؤية القديس « جون داماسين»، إذا تم التدقيق فيها، إلا بالنسبة لأفعال ومعاونات الملائكة، والتي لا يمكن أن يتجاهلها هؤلاء الفلاسفة. فالمذنب يمكن أن يتكون بأيدي الملائكة.

بهذه الطريقة فالنجم الذي أنذر بموت القديس «توماس» لم يكن من النجوم المنتظمة في السماء ولكن تم صنعه بواسطة ملاك من بعض المواد المناسبة وقد صنعه الملاك في مقر ملائكي معين ثم أذابه.

من هنا نرى أنه أيًا كان الرأي الذي نتبعه، فالنجوم ليس لها تأثير فطري على الإرادة الحرة، وبناء على ذلك ليس لها تأثير على خُبث الإنسان أو صفاته.

يجب أن نلاحظ أن المنجمين عادة ما يتنبؤون بالحقيقة، وأحكامهم في جزء كبير منها مؤثرة على الإقليم الواحد أو الأمة الواحدة. وسبب أنهم يأخذون أحكامهم من النجوم، هو بناء على أن النجوم لها تأثير عظيم لكن ليس محتومًا على أفعال البشر، وتأثيرها على الأمة الواحدة أو الإقليم الواحد أكبر من تأثيرها على الفرد الواحد. وهذا بسبب أن الجزء الأكبر من الأمة الواحدة يكونون طائعين لتنظيم الجسم أكثر من مما يُطيع الرجل الواحد.

وثاني الطرق الثلاثة التي سنبرر بها وجهة النظر الكاثوليكية هو دحض ضلالات هؤلاء الذين يوجهون خرائط الأبراج وأولئك المشتغلين بالرياضيات الذين يعبدون إلهة الحظ. عن أولئك يقول القديس «إيزيدور» أن هؤلاء الذين يوجهون خريطة الأبراج سُموا بهذا من متابعتهم للنجوم عند ميلاد المسيح، ويطلق عليهم بشكل العام «الرياضياتيين»، وفي نفس الكتاب في الفصل الثاني، يقول أن الآلهة «فورتشون» إلهة الحظ قد جاء اسمها من كلمة الاتفاق. وهي نوع من الإلهات اللائي يؤثرن في البشر بطريقة عشوائية، وبالتالي فهي تسمى العمياء، حيث أنها تجري هنا وهناك بلا اعتبار إلى الصحراء، وتأتي بدون تحيز للخير والشر. ولكن أن نؤمن أن هناك إلهة كهذه، أو أن نؤمن أن الأذى الحاصل للأجسام والمخلوقات والذي ننسبه إلى الساحرة هو في الحقيقة ليس متعلقًا بالسحر بل متعلق بإلهة الحظ تلك، فهذه وثنية مطلقة. أي شخص يمكنه أن يرجع إلى كلام القديس « توماس» في الكتاب الثالث من مجلده **Summa** عن الإيمان ضد الوثنيين. في السؤال ٨٧، إلخ. وسيجد كلامًا كثيرًا عن هذا.

بأي حال، لا يجب أن نستبعد أية نقطة أو نختصر، لأجل هؤلاء الذين ليست لديهم كتب كثيرة. سنلاحظ أن هناك ثلاثة أشياء يمكن عدها في الإنسان يتم توجيها بثلاثة أسباب سماوية، الإرادة، والعقل، والجسم. الأول يسيطَر عليه بشكل مباشر ومتفرد بواسطة الرب، والثاني يسيطَر عليه من الملاك، والثالث يسيطَر عليه من الأجسام السماوية. لأن الاختيار والإرادة مسيطَر عليهم من الرب لأجل الأعمال الخيرة، كما تقول الكتب المقدسة في سفر الأمثال الحادي والعشرين: «**قلب الملك في يد الرب كجدول مياه، حيثما شاء يميله**» ويقول «قلب الملك» ليدل على أن العظيم لا يمكنه أن يخالف إرادة الرب وبالتالي الآخرين لا يمكنهم. أيضًا القديس «باول» يقول «**الرب الذي يجعلنا نتمنى ونؤدي هذا التمني**».

السؤال ٦. ماذا عن الساحرات اللاتي يضاجعن الشياطين؟

بالنسبة للساحرات اللاتي يضاجعن الشياطين.. لماذا تكون النساء مدمنات على الخرافات الشريرة؟

بالنسبة للساحرات اللاتي يضاجعن الشياطين، هناك صعوبة في فهم الطرق التي تتم بها هذه الفواحش. بالنسبة للجزء الخاص بالشيطان: أولًا، من أي عنصر يتكون جسد الشيطان؟ ثانيًا، هل الفعل دائمًا يتعلق بحقن المني الذي حصل عليه الشيطان من شخص آخر؟ ثالثًا، بالنسبة للوقت والمكان هل يرتكب هذا الفعل في وقت معين أكثر من وقت آخر؟ رابعًا، هل هذا الفعل غير مرئي لأي شخص واقف بجوار الساحرة؟

وبالنسبة للجزء الخاص بالمرأة، يجب أن نتساءل إن كانت النساء اللاتي يتخيلن أنفسهن في هذا الوضع القذر هن اللاتي يزورهن الشيطان عادة، أو ثانيًا، هل هن اللاتي يتم وهبهن إلى الشيطان بواسطة العاملات في التوليد أو المولدات أثناء ولادتهن؟ ثالثًا هل هناك متعة جنسية في هذا الفعل؟

ولكننا لا يمكننا أن نرد على كل تلك الأسئلة، لأننا مرتبطون الآن بدراسة عامة، ولأنه في الجزء الثاني من هذا الكتاب سيتم عرضهم كلهم بشكل منفرد في الفصل الرابع، حيث سيتم ذكر كل طريقة على حدة. بالتالي، دعنا نتحدث الآن عن الجزء الخاص بالمرأة، وأولًا، لماذا هذا النوع من الخيانة موجود أكثر في الجنس الأضعف أكثر مما هو موجود في الرجال؟ ثانيًا، ما هو نوع المرأة التي تصدق بالخرافات والسحر؟ وثالثًا، ما يتعلق بالمولدات أو العاملات بالتوليد، اللاتي قد تجاوزن الحد في الخباثة.

لماذا توجد الخرافة بشكل أساسي بين النساء؟

بالنسبة للسؤال الأول، لماذا هناك عدد أكبر من الساحرات في جنس النساء الضعيف أكثر من الرجال، وهي حقيقة طبعًا لا تحتاج إلى معارضتها، حيث أنها مثبتة بالتجربة الفعلية، بعيدًا عن شهادة الشهود الموثوقين. وبدون أي انتقاص من ذلك الجنس الأنثوي الذي نشره الرب المجيد في الأرض، دعنا نقل أن أشخاصًا كثيرين وضعوا عدة أسباب لهذه الحقيقة، كلها تتفق على المبدأ. من أجل ذلك من اللازم أن نُحذر النساء من هذا الأمر، ولقد تم الإثبات بالتجربة أنهن يتحمسن لسماع هذا، طالما قيل هذا لهن بنوع من التعقل.

بعض الرجال المتعلمين اقترحوا السبب التالي، أن هناك ثلاثة أشياء في الطبيعة، اللسان والكاهن والمرأة، وهذه الأشياء الثلاثة لا تعرف الاعتدال في الخير أو في الرذيلة. فعندما تسيطر عليهم روح خيرة، يكونون ممتازين في الفضيلة، وعندما تسيطر عليهم روح شريرة، ينغمسون في أسوأ رذيلة ممكنة.

هذا واضح في حالة اللسان، حيث أنه بسُلطته دخلت معظم الممالك في الإيمان بالمسيح، والروح القُدس ظهر فوق حواريو المسيح في ألسنة من نار. وهناك مبشرون كان لديهم ما يبدو أنه ألسنة كلاب، يلعقون بها جراح وقروح «لازاروس» الميت الذي أحياه المسيح بمعجزة. كما قيل: بألسنة الكلاب تحفظون أرواحكم من العدو.

لأجل هذا السبب، تم تمثيل القديس «دومينيك» أبو تنظيم المبشرين بتمثال كلب ينبح بشعلة في فمه، وحتى الآن هو ربما يردع بنباحه الذئاب المهرطقة من الوصول إلى خراف المسيح.

إنه أيضًا شأن يتعلق بالتجربة العامة أن لسان رجل حصيف يمكن أن يقهر جدل جماعة، كما كان سليمان يُغني كثيرًا في مدح الحُصفاء، في سفر الأمثال العاشر: «**في شفتي العاقل توجد حكمة**» وأيضًا «**لسان الصدِّيق فضة مختارة، قلب الأشرار كشيء زهيد**» وأيضًا « **شفتا الصديق تهديان كثيرين، أما الأغبياء فيموتون من نقص الفهم**». لأجل هذا السبب يضيف في الفصل السادس عشر، تحضير القلب يختص به الإنسان، ولكن إجابة اللسان هي من الرب.

ولكن بالنسبة للسان الشرير ستجد في كتاب سِيراخ الثامن والعشرين: اللسان الذي يغتاب يُقلق الكثيرين، ويحولهم من أُمة إلى أُمة: يُسقط المدن القوية ويُخرب بيوت الرجال العظماء. ولما يقول الكاتب اللسان المغتاب فهو يعني الطرف الثالث الذي يتدخل بسوء بين طرفين.

ثانيًا، بالنسبة للكُهّان، أو كما نقول رجال الدين والمتدينين من الجنسين، يتحدث القديس «جون كريسوستوم» عن النص المقدس، فالمسيح قد طرد أولئك الذين يبيعون ويشترون من المعبد. فمن الكهانة يخرج كل شيء فيه خير، وكل شيء فيه شر. القديس «جيروم» في رسالته الإنجيلية إلى «نيبوتيان» يقول: تجنب الكاهن المُتاجر كما تتجنب الطاعون، ذلك الذي يصعد من الفقر إلى الغنى، من الأسفل إلى الأعلى. و«بيرنارد» المبارك في كتابه الثالث والعشرين **Homily on Psalms** يقول عن الكهان: إذا كان الشخص يريد أن يبتدئ هرطقة، اطرده وأخرسه، وإذا كان عدوًا عنيفًا، اجعل كل الرجال الطيبون يهربون منه. ولكن كيف لنا أن نعرف من الذي نطرده ومن الذي نهرب منه؟ لأنهم يكونون ودودين وعدائيين بشكل يثر الارتباك، مسالمين ومشاكسين، حَسَني الجوار وأنانيين.

وفي بعض الأماكن: أصبح أساقفتنا حاملي رماح، وأصبح القساوسة جزازين. وبالأساقفة هنا نعني أولئك الفخورين رؤساء الدير الذين يَفرضون أعمالًا مُجهدة على من أسفل منهم، لا يلمسون منها شيئًا حتى بإصبعهم الصغير. والقديس «جريجوري» يقول عن القساوسة: لا أحد يفعل أذى في الكنيسة أكثر من ذلك الذي يمتلك اسم القداسة، ويعيش في الخطية، لأنه لا أحد يجرؤ على اتهامه بالخطية، وبالتالي تنتشر الخطية بشكل واسع، لأن صاحب الخطية مكرم لأجل القداسة. «أوجستين» المبارك أيضًا تحدث عن الرهبان لـ «فنسنت» الملقب بـ «دوناتيست». قال أنا أعترف لك أمام السيد ربنا، الذي هو شاهد على روحي منذ أن بدأت في خدمة الرب، بصعوبات أواجهها في حقيقة أنه من المستحيل أن أجد رجالًا أفضل أو أسوأ من أولئك الذين يجلبون الشرف أو يجلبون العار للأديرة.

خبث النساء تم ذكره في كتاب السِيراخ. لا يوجد رأس أعلى من رأس الأفعى، ولا غيظ أعلى من غيظ المرأة. أنا أفضل أن أسكن مع تنين وأسد عن أن أبقى في بيت واحد مع امرأة خبيثة. وهناك كلام كثير سابق ولاحق في الكتاب عن المرأة

الخبيثة، ثم يستنتج ويقول، كل الخبث أصغر من خبث المرأة. لذلك يقول القديس «جون» كريسوستوم»، عن آية «**إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن تتزوج**» (إنجيل متى ١٩): ماذا هي المرأة غير أنها عدو للصداقة، وعقاب لا مهرب منه، وشر ضروري، وإغواء طبيعي، ومصيبة مرغوبة، وخطر مُحَلّى، وضرر لذيذ، شريرة في طبيعتها، ملونة بألوان زاهية، لذلك إذا كان من الخطية أن تطلقها ووجب أن تُبقيها، فهذا تعذيب ضروري، لأننا إما أن نرتكب الغش بأن نطلقها أو أن نتحمل الكفاح يوميًّا.

«سيريسو» في كتابه الثاني **The Rhetorics** يقول: الشهوات العديدة للرجال تؤدي بهم إلى خطية واحدة، ولكن شهوة النساء تؤدي بهن إلى عمل كل الخطايا، لأن أصل كل رذائل النساء هو الجشع. ويقول «سينكا» في كتابه **Tragedies**، المرأة إما أن تحب أو أن تكره، لا توجد حالة ثالثة. ودموع المرأة خدعة، لأنه يمكن أن تخرج من حزن حقيقي، ويمكن أن تكون كمينًا. وعندما تفكر المرأة وحدها، فهي تفكر بالشر.

وكذلك للنساء الخيِّراتِ هناك مديح كثير، نقرأ مثلًا أنهم يأتون بالسعادة على الرجال، وأنهن قد أنقذن أُممًا، وأراضي ومُدنًا، كما هو واضح في حالة «جوديث» و«ديبورا» و«استير». انظر رسالة بولس لأهل كورنثوس السابعة «**والمرأة التي لها رجل غير مؤمن، وهو يرتضي أن يسكن معها، فلا تتركه، لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة، والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل**». وفي كتاب السيراخ السادس والعشرين يقول: مبارك هو الرجل الذي له زوجة فاضلة، لأن أيامه في الدنيا سيشعر أنها تتضاعف. وخلال الفصل هناك مدح كثير يتحدث به عن امتياز المرأة الخيرة، كما في الفصل الأخير من سفر الأمثال لما تحدث عن المرأة الفاضلة.

وكل هذا قد أصبح واضحًا أيضًا في العهد الجديد باعتبار النساء والعذراوات والنساء المقدسات الآتي عندهن إيمان أوصل أممًا وممالك إلى الابتعاد عن عبادة الأوثان وتحولوا إلى الدين المسيحي. أي شخص ينظر إلى «فينسينت أوف بياوفايس» سيجد أشياء مدهشة عن تحول اليونان إلى المسيحية بواسطة «جيليا» المسيحية، وتحول الفرانك بواسطة «كلوتيلدا» زوجة «كلوفيس». هذا موجود بين العديد من الذم الذي نقرؤه في حق النساء، فكلمة نساء هذه كانت تعني شهوة

اللحم. كما يقال: لقد وجدت امرأة أكثر مرارة من الموت، وحتى المرأة الخيرة وجدتها خاضعة لشهوة الجسد.

آخرين طرحوا أيضًا أسبابًا أخرى عن سؤال لماذا هناك عدد أكثر من النساء المؤمنات بالخرافات عن الرجال، والسبب الأول منهم هو، أنهن أكثر سذاجة، وبما أن الهدف الأساسي للشيطان هو أن يُلوث الإيمان، بالتالي هو يُفضل الهجوم عليهن. انظر كتاب السيراخ التاسع عشر: «**الذي يؤمن بالشيء بسرعة هو ذا عقل خفيف، ولا بد أن يتم تقليص حجمه**». السبب الثاني هو، أن النساء هن بشكل طبيعي أكثر حساسية، وأكثر استعدادًا لتقبل تأثير الأرواح، وأنهن عندما يستخدمن هذه المزية جيّدًا يصبحن خيرات جدًّا، ولكن عندما يستخدمنها بطريقة سيئة يصبحن شريرات.

السبب الثالث أنهن لديهن لسان زلق، وغير قادرات على إخفاء شيء عن النساء الأخريات. انظر كتاب السيراخ الاقتباس في الأعلى. أنا أفضل أن أسكن مع تنين وأسد عن أن أبقى في بيت واحد مع امرأة خبيثة. كل الخبث أصغر من خبث المرأة. ونضيف على هذا أنه لأنهن حساسات جدًّا، فهن يتصرفن وفقًا لذلك.

هناك أيضًا آخرون أتوا بأسباب أخرى، لكن يجب على المبشرين أن يكونوا حذرين وهم يستخدمونها. لأنه في العهد الجديد، الكتب المقدسة كان لديها الكثير من الشر لتقوله عن النساء، وهذا منذ المُغوية الأولى، حواء، وضعفها، وبعد ذلك في العهد الجديد نجد أن اسمها تغير من «إيف» إلى «آيف» (كما قال القديس «جيروم») وكل خطية حواء تم غفرانها ببركة «ماري». ولذلك فالمبشرون لا بد أن يقولوا مديحا كثيرًا عن النساء بقدر ما يمكنهم.

ولكن لأنه في تلك الأوقات، هذه الخيانة الشريرة كثُرت بين النساء أكثر من الرجال، كما تعلمنا بالتجربة الفعلية، فإذا كان أي شخص فضولي يسأل عن السبب، يمكننا أن نضيف عما تم قوله الآتي: أنه حيث أنهن أضعف في العقل وفي الجسد، فليس من المتعجب أنهن يأتين تحت تأثير تعاويذ السحر بسهولة.

لأنه بالنسبة للعقل، وفهم الأشياء الروحية، فهن مختلفات عن الرجال، هذه حقيقة مضمونة بالمنطق، مدعومة بأمثلة عديدة من الكتب المقدسة. يقول «تيرانس»: النساء لديهن عقلية الأطفال. و«لاكتانتيوس» يقول في كتاب **Institutions** الثالث،

لا توجد امرأة تفهم الفلسفة إلا «تيميست». وفي سفر الأمثال الحادي عشر يصف المرأة ويقول، «**المرأة الجميلة عديمة العقل خزامة ذهب في أنف خنزيرة**»

ولكن السبب الطبيعي هو أنها أكثر شهوانية من الرجل، كما هو واضح من فواحشها الشهوانية العديدة. ويجب أن نلاحظ أن هناك خللًا في تكوين المرأة الأولى، حيث أنه تم خلقها من ضلع أعوج، الذي هو ضلع من الصدر، وهو مُعوج وكأنه في اتجاه معاكس للرجل. وحيث أن هذا الخلل موجود فيها فهي حيوان غير مكتمل، وبالتالي فهي دائمًا تعمل الخداع. يقول «كاتو»: عندما تبكي امرأة فهي ترسم كمينًا. وأيضًا، عندما تبكي امرأة، فهي تجاهد لتخدع الرجل. وهذا واضح في زوجة «شمشون»، التي أقنعته أن يخبرها بحل اللغز الذي طرحه على الفلسطينيين، وذهبت وأخبرت قومها بالحل، وبالتالي خدعته. وواضح أنه في حالة المرأة الأولى حواء أنه كان لديها إيمان ضعيف، لأنه عندما سألتها الحية لماذا لم تأكلا من كل شجرة في الجنة، أجابت قائلة: خشية أن نموت بالمصادفة. وبالتالي هي قد أبانت أن لديها شكًّا في كلام الرب. وكل ذلك النقص في النساء يُستدل من أصل اسم جنسهن، فكلمة **Femina** أو النسائي آتية من **Fa** و**Minus** وتعني الناقص، وذلك لأنهن دائمًا أضعف في حفاظهن على الإيمان، برغم أنه بفضل نعمة الرب وبالتقديس، ما نقص الإيمان قط في «ماري» العذراء المقدسة، حتى في وقت آلام المسيح لما قَلَّ الإيمان في قلوب الرجال.

بالتالي نستنتج أن المرأة الخبيثة هي بالفطرة أسرع في اهتزاز إيمانها، وبناء على ذلك فهي أسرع في إنكار إيمانها، ومن هنا خرجت جِذرة السحر.

وبالنسبة لقدراتها العقلية، أو لنقل مزاجها الفطري، فعندما تكره المرأة شخصًا أحبته من قبل، فهي تغلي بغضب ونفاد صبر يملأ كل روحها، مثل مياه المد والجزر على الشاطئ والتي تبدو كأنها تغلي. وقال «سينكا» في كتابه **Tragedies** الثامن: لا قوة لهيب ولا كثافة رياح، ولا سلاح قاتل، يمكن أن تخاف منه أكثر من خوفك من شهوة وكراهية امرأة تم تطليقها من على سرير الزوجية.

هذا يتضح أيضًا في النساء اللاتي اتهمن يوسف ظلمًا، وتسببن في سجنه لأنه لم يوافق على ارتكاب جريمة الزنا معهن (سفر التكوين الثلاثون). وحقًّا، أقوى

سبب يساهم في إكثار عدد الساحرات هو الغيرة المُحزنة في النساء غير المتزوجات والمتزوجات.

وهذا موجود حتى عند النساء المقدسات، فما بالك بالأخريات؟ كما نرى في سفر التكوين الحادي والعشرين كيف أن سارة لم تكن صبورًا وكانت حسودًا لهاجر. وكيف كانت راشيل غيورًا من ليا لأنها لم تُرزق بأطفال (سفر التكوين الثلاثون). وهانا التي صار زرعها قاحلًا (سفر الملوك الأول). وكيف أن مريم في سفر العدد الثاني عشر غضبت وتحدثت بالسوء على موسى، وبالتالي عوقبت بالجُذام، وكيف كانت «مارثا» غيورة من «ماري ماجدالين» لأنها كانت مشغولة بينما كانت ماري جالسة (القديس لوقا العاشر). عن هذه النقطة ذكر كتاب السيراخ السابع والثلاثين: لا تستشر امرأة أثناء غيرتها. وهذا يعني أنه لا فائدة من أن تستشيرها في أي وقت لأنها دائمًا في حالة غيرة، وهذه هي الغيرة في المرأة الخبيثة. وإذا كانت النساء يعاملن بعضهن هكذا، فماذا يمكنهن أن يفعلن مع الرجال؟

السؤال ٧. هل يمكن للساحرات أن يُميلن عقول الرجال للحب أو للكره؟

سُئلنا هل يمكن للشياطين بمساعدة الساحرات أن يُغَيرن أو يحرضن عقول الرجال إلى الحب المفرط أو الكُره، ولقد قيل أنه لا يمكنهن فعل هذا. لأن هناك ثلاثة أمور في الرجال، الرغبة والفهم والجسد. الأولى محكومة بالرب والثاني محكوم بالملاك والثالث محكوم بحركة النجوم. وبما أن الشياطين لا يمكنهم أن يؤثروا على الجسد، فلا يمكنهم أن يؤثروا على تحريض الروح التي فيه بحب أو بكره. النتيجة واضحة، أنه رغم أن الشياطين لديهم القدرة الجسدية أكبر من القدرة الروحية، إلا أنه لا يمكنهم التغيير في الأجسام. لأنه لا يمكنهم إحداث أي شكل عشوائي أو حقيقي. وقد قيل، أن من يؤمن أن أي مخلوق يمكن أن يتغير بالسحر إلى مخلوق أفضل أو أسوأ أو يمكن أن يتحول بالسحر إلى مخلوق آخر من نوع آخر أو نوع مشابه، بدون تدخل من الرب خالق كل شيء، هو أسوأ من المهرطق ومن الوثني.

فإذا كان الشيطان يستطيع أن يُغَير عقول الرجال إلى الحبِّ أو الكره، سيمكنه أيضًا أن يرى الأفكار الداخلية للقلب، ولكن هذا يعارض ما قيل في كتاب Ecclesiastic Dogma: الشيطان لا يمكن أن يرى أفكارنا الداخلية. وقيل في الكتاب نفسه أيضًا: ليست كل أفكارنا الشريرة آتية من الشيطان، ولكنها تأتي في بعض الأحيان من اختيارنا.

أيضًا قيل، أن الحب والكره شيء يتعلق بالرغبة، والرغبة جذورها في الروح، والشياطين لا يمكنهم بأي براعة يملكونها أن يؤثروا على الرغبة. ونستنتج أن الوحيد الذي له قدرة على الدخول في الروح والتأثير فيها هو خالقها (كما يقول القديس أوجستين).

أيضًا، ليس من الصحيح أن نقول أن الشيطان كما يستطيع أن يؤثر على المشاعر، فيمكنه بالتالي أن يتحكم بالرغبة. لأن المشاعر أقوى من القوة الجسدية نفسها، والشيطان لا يمكنه أن يؤثر في اللحم والدم بطريقة مادية، وبالتالي لا يمكنه أن يؤثر في المشاعر.

وضد هذا. يقال أن الشيطان يمكن أن يغوي الرجال ليس فقط بطريقة مرئية بل بطريقة غير مرئية، ولكن هذا لن يكون صحيحًا إلا إذا كان قادرًا على عمل شيء من التأثير على العقل الداخلي. أيضًا، يقول القديس «جون داماسين»: كل الشر والقذارة من ابتداع الشيطان. ويقول «ديونيسيوس» في كتابه **de Divine Nom** الرابع: كثرة الشياطين هي السبب في كل الشر، إلخ.

الإجابة. أولًا، سنُفرق بين الأسباب وبين بعضها، ثانيًا سنوضح كيف أن الشيطان يمكنه أن يؤثر على القدرة الداخلية للعقل، التي هي المشاعر، وثالثًا، سنرسم استنتاجًا لائقًا بعد هذا كله. وبالنسبة لأولًا، يجب أن نضع في الاعتبار أن سبب حدوث أي شيء يمكن أن يكون بطريقتين، سبب مباشر أو غير مباشر. فعندما يترك شيء ما أثرًا يؤدي إلى تأثير ما، يقال أن هذا سبب غير مباشر. بهذه الطريقة يمكن أن نقول أن ذلك الرجل الذي يقطع الأشجار هو المتسبب في وجود النار. وبنفس الطريقة يمكن أن نقول أن الشيطان هو السبب في كل خطايانا لأنه أغوى أول إنسان عمل الخطية، والذي ورَّث خطيته من بعده إلى الجنس البشري كله الذي كان عنده ميل ناحية الخطية. وبهذه الطريقة يمكن أن نفهم كلمات القديس «جون داماسين» و«ديونيسيوي» أعلاه.

ولكن السبب المباشر يعني أن الشيء يسبب التأثير مباشرة، بهذا المعنى فالشيطان ليس هو سبب كل خطية. لأن ليست كل الخطايا يتم عملها بتحريض من الشيطان بل إن بعضها يكون باختيارنا الخاص. لأن «أوريجن» يقول: حتى لو غاب الشيطان، فالإنسان سيظل يشتهي الطعام والجماع والأمور المشابهة. وهذه الشهوات جامحة إلا إذا تم كبحها. وكبح شهوة جامحة هو شيء يتعلق بالإرادة الحرة، وتلك ليس للشيطان تحكم بها.

ولأن هذا التفريق ليس كافيًا لنشرح كيف أن الشيطان يمكنه في أوقات أن يثير في الإنسان افتتانًا محمومًا بالحب، يجب أن نلاحظ أنه رغم أن الشيطان لا يمكنه

أن يُسبب الحب الجامح بالفرض المباشر على إرادة الرجل الحرة، لكنه يستطيع أن يفعل ذلك بطريقة الإقناع. وهذا الإقناع يكون بطريقتين، إما طريقة مرئية أو غير مرئية. الطريقة المرئية مثلما يظهر الشيطان للساحرات في هيئة رجل، ويتحدث إليهن بشكل مادي، ويقنعهن بالخطية. وهكذا أغوى آباءنا في الجنة في هيئة أفعى، وكذلك أغوى المسيح في البرية لما ظهر له في هيئة مرئية.

ولكن لا يجب أن يُعتقد أن هذه هي الطريق الوحيدة للتأثير على الإنسان، لأنه في هذه الحالة لا خطية ستنتج من إيعاز الشيطان إلا تلك الموعزة منه في هيئة مرئية. وبالتالي لا بد أن نقول أن الطريقة غير المرئية أيضًا تؤدي بالإنسان إلى الخطية. وهي تحصل بطريقتين، إما بالإقناع أو بتغيير المزاج. بالإقناع، يعني هو يقدم شيئًا سيئًا ليفهمه الإنسان على أنه شيء جيد. ويمكنه أن يفعل ذلك بثلاث طرق، أن يقدم هذا الشيء للعقل، أو للحس الداخلي أو للحس الخارجي. بالنسبة للعقل، فعقل الإنسان يمكن أن تتم مساعدته بواسطة الملاك ليفهم الشيء بطريقة تدعى التنوير أما الشيطان فيمكنه أن يؤثر بطريقة ما على العقل بعملية أخرى تُدعى إلهام.

يمكن أن يقال أن الشيطان يقدر أن يصنع ذلك الإلهام بقدرته الطبيعية، التي هي ليست قليلة. ويمكن أن يقال أنه لا يستطيع أن يعمل بطريقة التنوير ولكن بطريقة بالإقناع. لأن عقل الإنسان له حالة تجعله كلما تم تنويره أكثر، عرف الحقيقة، واستطاع أن يدافع عن نفسه أكثر ضد الخداع. ولأن الشيطان يريد أن يجعل خداعه باقيًا في الإنسان، فلا يوجد إقناع يستخدمه يمكن أن نسميه تنويرًا، لكن يمكن أن نسميه إلهامًا، وهذا هو الذي يستخدمه الشيطان بطريقة غير مرئية للإقناع، وذلك يحصل بأن أن يزرع الشيطان شيئًا في الحسّ الداخلي أو الخارجي. وبهذا المنطق يقتنع العقل بأن يعمل فعلًا معينًا.

بالنسبة لكيفية تَمَكُن الشيطان من التأثير في الحس الداخلي، لا بد أن نذكر أن طبيعة الجسم مولودة فطريًا لتتغير إما موضعيًا أو روحيًا، وهذا واضح في حالة أجسامنا التي تحركها الأرواح وكذلك في حالة النجوم. ولكن الجسم ليس متكيفًا بالفطرة ليتأثر مباشرة بالتأثيرات الخارجية التي ليس هو على علم بها. بالتالي وجود جسم مادي هو شيء ضروري، كما تم إثباته في الكتاب السابع من مجلد

Metaphysics. المادة الجسدية تخضع طبيعيًا لملاك الخير أو الشر بالحركة الموضعية. وتبعًا لهذا يستطيع الشيطان أن يجمع المني بواسطة التحكم بالمشاعر، ويوظف ذلك في الحصول على نتائج مبهرة. هكذا حصل عندما أخرج سحرة الفرعون حيات وحيوانات حقيقية، لما جُمعت العوامل الفعالة وغير الفعالة معًا. وبالتالي لا يوجد شيء يمنع الشياطين من أن تؤثر في أي شيء يختص بالحركة الموضعية للجسد المادي إلا إذا منع الرب ذلك.

والآن لنختبر كيف أن الشيطان يمكنه بالحركة الموضعية أن يستفز النزوة والإدراك الحسي الداخلي للإنسان بلا ظهورات وبالإلهام فقط. نلاحظ أن أرسطو في كتابه **De Somno et Uigilia** يحدد أن سبب الظهورات في الأحلام هو أن الحيوان عندما ينام يتدفق الدم إلى أعمق مكان للحس فيه، وهذا المكان تنحدر منه المشاعر والانطباعات التي تبقى في الذهن مثل الانطباعات الماضية الباقية، وهذه ما ندعوها خيالات أو نزوات، وهما نفس الشيء وفقًا لرأي القديس «توماس» كما سيتم إيضاحه.

الخيالات والنزاوت يخرجان من خزينة الأفكار المتلقاة عبر الحواس. وبهذا يحدث أن الشيطان يثير الإدراك الداخلي، فتظهر الصور المحفوظة التي تبدو كأنها انطباع جديد داخلي بينما هي قد تم تلقيها من شيء خارجي هو الشيطان.

الحقيقة أن هذا لا يوافق عليه الجميع، ولكن إذا فكّر أي أحد أن يَشغل نفسه بهذا السؤال، لا بد أن يضع في اعتباره عدد الحواس الداخلية، فوفقًا لما قاله ابن سينا في كتابه **On the Mind**، فهي خمس، تحديدًا الحس العام، النزوة، الخيال، الفكر، والذاكرة. ولكن القديس توماس في الجزء الأول من السؤال ٧٩ يقول أنهن أربع فقط، لأن النزوة والخيال هما شيء واحد. وبسبب خوفي من الإطالة حذفت كثيرًا مما قيل عن هذا الموضوع.

فقط يجب أن نقول، أن النزوة تخرج من خزينة الأفكار، ولكن الذاكرة يبدو أنها شيء مختلف. لأن النزوة تخرج من خزينة أو مستودع الأفكار المتلقاة عبر الحواس، ولكن الذاكرة تخرج من خزينة الغرائز التي لا يتم تلقيها عبر الحواس. لأنه عندما يرى الإنسان ذئبًا، فهو يهرب لأن الذئب عدو طبيعي. وهو يعلم هذا بالغريزة التي هي مختلفة عن الفكر الذي يعرف أن الذئب كائن عدائي، والكلب

كائن أليف. ومستودع هذه الغرائز هي الذاكرة. والتلقي والاستبقاء هما شيئان مختلفان في طبيعة الحيوان، لأن أصحاب المزاج الرطب يتلقون بسهولة، ولكن يُبقون على الأشياء في داخلهم بصعوبة، والعكس بالنسبة لهؤلاء الذين لديهم مزاج جاف.

للعودة إلى السؤال. الظهورات التي تأتي في الأحلام للنائمين تكون من أفكار باقية في مستودع عقولهم، عبر الحركة الطبيعية لجريان الدم إلى أول وأعمق مقر للحس، ونحن نتحدث هنا عن الحركة الموضعية الغرائزية في الرأس وفي خلايا الدماغ.

وهذه يمكن أن تتأثر عبر حركة موضعية مصنوعة بواسطة الشيطان. أيضًا هذه الأشياء لا تحدث فقط للنائمين، ولكن تحدث أيضًا للمستيقظين. وهنا أيضًا الشيطان يُثير ويستفز الحواس الداخلية والمزاج، فالأفكار الباقية في مستودعات عقولهم يتم رسمها وتظهر للخيال، لهذا يتخيل هؤلاء الناس أن هذه الأشياء حقيقية. وهذا ما يدعى الإغواء الداخلي.

ولا عجب أن الشيطان يمكنه أن يفعل هذا بقدرته الطبيعية، لأن أي إنسان كونه واعيًا وقادرًا على استخدام المنطق، يمكن أن يرسم في ذهنه من مستودعاته الصور الباقية بداخله، يعني يستطيع أن يتطوع ويستدعي أي صور أو أشياء يريدها. وهذا يمكن أن يُفهمنا بسهولة كيف يحدث الافتتان المفرط في الحب.

الآن هناك طريقتان يمكن للشياطين أن تُبرز هذا النوع من الصور الداخلية. في بعض الأحيان هم يعملون بدون تقييد المنطق البشري، كما قلنا في أمر الإغواء وفي مثال الخيال التطوعي. ولكن في بعض الأشخاص يكون استخدام المنطق مقيدًا تمامًا، وهذا يمكن أن نُمثل له ببعض الأشخاص المختلين عقليا، وبالمجانين والسكارى.

بالتالي لا عجب أن الشيطان يمكنه بإذن من الرب أن يقيد المنطق، وهؤلاء الرجال يسمون الهذيانيون، لأن حواسهم تم اختطافها بواسطة الشيطان. والشياطين يفعلون هذا بطريقتين، إما بمساعدة الساحرات أو بدون مساعدتهن. لأن أرسطو في الكتاب الذي اقتبسنا منه قال أن أي شخص يعيش بعاطفته يمكن التحكم فيه بشيء بسيط، العاشق مثلًا بإبعاده عن حبيبه، ونفس الشيء ينطبق

على الكاره. بالتالي الشياطين قد تعلموا من أفعال الإنسان ما هي المشاعر التي يستهدفونها، ويحرضونها للوصول إلى هذا العشق المتطرف أو الكره، فيؤثرون بأغراضهم على خيالات الرجال بطريقة قوية ومؤثرة. ومن السهل على العاشق أن يستحضر صورة العشيق في ذاكرته، ويُبقيها باستمتاع في أفكاره.

عندما تفعل الساحرات هذه الأشياء، يفعلنها بالعهد الذي أدخلوا أنفسهن فيه مع الشيطان. ولكن من المستحيل معالجة هذه المسائل بالتفصيل، بسبب العدد الكثير من الأمثلة المتداولة بين رجال الدين والرجال العاديين. وكم من زان ترك زوجته الجميلة لأجل شهوة لامرأة حقيرة ساحرة.

نحن نعرف امرأة عجوزًا، والتي هي طبقا لكلام الإخوة في الدير وحتى هذا اليوم، ليست فقط سحرت ثلاثة رجال دين متتابعين، لكنها قتلتهم، وبنفس الطريقة أودت بالرابع إلى الجنون. ولقد اعترفت بنفسها علانية، ولم تكن خائفة من أن تقول: أنا فعلت كذا وكذا، وهم لم يقدروا أن يتوقفوا عن حبي لأنهم قد أكلوا كمية كبيرة من الروث الذي حضرته لهم، وكانت تشير بيدها مقدار ذراعها. وحيث أنه ليست لدينا قضية لرفعها عليها ولا لإحضارها إلى المحكمة، فقد نجت حتى هذا اليوم.

قلنا أن الشيطان يسحر الشخص بشكل غير مرئي ويلهمه لعمل الخطيئة، ليس فقط بطريقة الإقناع، كما قلنا، ولكن أيضًا بطريقة التأثير في المزاج، ويقال أنه بتحذير الرجال من التغير في المزاج، فهذا يحفظهم ويجعلهم هذا أكثر سيطرة على الغضب، والشهوة الجنسية والمشاعر الأخرى.

لأنه من الواضح أن الإنسان الذي له جسد ميال للانحراف يكون مُعرضًا للشهوة والغضب ومثل هذه المشاعر، وعندما تُثار مشاعر هذا الشخص بواسطة الشياطين، يكون أكثر عرضة للتأثر من غيره. فلا بد أن نُحذر الناس بشكل علني من هذا. وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب سنتحدث عن العلاجات التي يمكن للرجل المسحور أن يستخدمها ليتحرر من سحره.



السؤال ٨. هل يمكن للساحرات أن يُعطلوا القدرة على الإنجاب ؟

المومسات الزواني والعاهرات يستسلمن للسحر بسبب التعاويذ التي تُطلقها الساحرة لمنع الإنجاب. ولأجل أن تتضح الحقيقة اكثر، سنضع في الاعتبار أقوال أولئك الذين يعارضون رأينا في هذه المسألة. أولًا يقولون أن هذا النوع من السحر ليس ممكنا، لأنه إن كان حقيقيًّا فإنه سيؤثر بالتساوي على كل المتزوجين، وإذا صدقنا هذا، بالتالي فالنكاح هو عمل من عند الرب والسحر من عند الشيطان، عندها سيصبح عمل الشيطان أقوى من عمل الرب.

ولكن إذا كان هذا يؤثر فقط في الزناة وغير المتزوجين، فهذا يستدعي العودة إلى الرأي الذي يقول أن السحر ليس موجودًا أصلًا إلا في مخيلة الناس -وهذا تمت الإجابة عنه في السؤال الأول- وإلا فهناك بعض المنطق في أن نسأل لماذا يجب أن يؤثر هذا السحر في غير المتزوجين وليس في المتزوجين، والمنطق الوحيد الذي نعرفه هو أن النكاح من عند الرب. وحيث أنه طبقًا لكلام اللاهوتيون، هذا المنطق ليس صحيحًا، ستبقى الحجة التي تقول أن هذا يجعل قدرة الشيطان أعلى من قوة الرب، وحيث أنه لا يصح أن نقول هذا، فأيضًا مما لا يصح هو أن نؤمن أن العمل التناسلي يمكن تعطيله بأعمال السحر.

أيضًا، الشيطان لا يمكنه أن يعرقل الأفعال الطبيعية الأخرى، مثل الأكل والمشي والوقوف، وواضح أنه إن كان يقدر فسيمكنه أن يدمر العالم كله.

أيضًا، بما أن العمل التناسلي هو شيء عام عند كل النساء، فإن كان الشيطان قادرًا على عرقلته سينطبق هذا على كل النساء، وإذا لم يكن ذلك كذلك، فبالتالي لا يمكن للشيطان أن يعرقل شيئًا من هذا. والحقائق تثبت أنه لا يقدر، لأنه عندما يقول الرجل أنه قد تم سحره فلا يقدر على جماع فلانة، فهو يظل رغم ذلك قادرًا على جماع النساء الأخريات، والسبب المنطقي لهذا هو أن هذا الشخص فقط لا

يرغب في جماع فلانة. وبالتالي نستنتج من كل هذا أنه لا يمكن للشيطان أن يؤثر في أي شيء مادي مثل الإنجاب.

على العكس، جاءت الحقيقة في ذلك الفصل من كتاب **Decretals** حيث جاء فيه: كل اللاهوتيون والقانونيون تعاملوا مع حالات حصلت فيها عرقلة للزواج بواسطة السحر.

هناك حجة أخرى ترد على هذا، هي، بما أن الشيطان أقوى من الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يعرقل الإنجاب بأي طريقة باستخدام أعشاب مثلًا أو أي شيء آخر، بالتالي فالشيطان يمكنه أن يفعل هذا، لأن لديه علمًا أعلى من علم الإنسان ودهاء أعظم من الإنسان.

الإجابة. الحقيقة تمتلك ما يكفي من الدلائل عليها، وذلك رغم أن طريقة عرقلة الإنجاب لم تتبين بشكل محدد. ولقد تم إثبات أن السحر موجود حقًّا وليس في خيال الناس كما يقال وذلك بملاحظة عدد كبير من حالات السحر التي حدثت فعلا بأمر الرب.

هنا لا بد أن نوضح أن الرب يسمح بهذا الشر في حالات الإنجاب هذه، أكثر من أي حالة أخرى. لأن هذا يصنع ضررًا أكبر من أي فعل آخر من أفعال البشر. وبالنسبة للطريقة التي يتحقق بها هذا التعطيل للإنجاب، نقول أن الشيطان لا يؤثر على الإنجاب نفسه ولكن على خيال ونزوات الرجال.

في هذا الشأن ذكر «بيتر أوف بالود» خمسة طرق. يقول أن الشيطان كونه روحا، فإن لديه قدرة على جسد المخلوق ليعمل فيه أو ليمنع منه حركة موضعية ما. وبالتالي يمكن للشيطان أن يمنع الأجسام من الاقتراب من بعضها البعض، إما بشكل مباشر أو غير مباشر، بوضع نفسه في الوسط في شكل مادي معين. هذه الطريقة حدثت مع شباب كانوا مخطوبين ومع ذلك لم يتزوجوا فتياتهم، وكانوا غير قادرين على معاشرتهن. ثانيًا، يمكن للشيطان أن يُثير الإنسان ليعمل ذلك الفعل، أو يجمد رغبته فيه، بقوة الأشياء السرية التي تعلمتها الشياطين. ثالثًا، يمكن للشيطان أيضًا أن يُقلق حواس وخيال الرجل ليُظهر له تلك الفتاة بمظهر كريه، لأنه يمكنه أن يؤثر على الخيال. رابعًا، يمكن للشيطان أن يمنع الانتصاب لرجل معين منعًا مباشرًا، لأنه يقدر على منع الحركة الموضعية. خامسًا، يمكن

للشيطان أن يمنع تدفق الجوهر الحيوي إلى الأعضاء المهمة وذلك بأن يُغلق قناة المني نفسها مما يمنع المني من الوصول إلى قنوات الإنجاب، أو يرجع المني من تلك القنوات، أو يمنع خروج المني منها، أو في عدد من الطرق السحرية يمكن للشيطان أن يُبطل مفعول المني نفسه.

وقد وافق علماء آخرون كثيرون على هذا. فالرب يسمح للشيطان بمجال أكبر من الحرية للتدخل في هذا الفعل التناسلي بالذات، والذي به انتشرت الخطية أكثر من أي فعل آخر. كذلك، الأفاعي هي أكثر تعرضًا لتعويذات السحر عن بقية الحيوانات. والأمر نفسه بالنسبة للمرأة، فيمكن للشيطان أن يُعتم على فهمها حتى تعتبر زوجها كريهًا مقرفًا ولن تسمح له بكل طرق العالم أن يضاجعها.

نحاول أن نجد السبب الذي يجعل عددًا أكبر من الرجال يُسحرون بهذا السحر أكثر من النساء، ويمكن أن نقول أن تعطيل الإنجاب غالبًا يحدث في مسألة الانتصاب، وهي لا تحدث إلا في الرجال، وبالتالي الرجال يُسحرون أكثر. يمكن أيضًا أن نقول، أن العدد الأكبر من الساحرات نساء، وهن يشتهين الرجال أكثر من النساء، فالرجال يُسحرون أكثر. وبالنسبة للنساء المتزوجات، فهن يجدن كل فرصة لفعل الزنا عندما يكون الزوج لعوبا يناكح نساء أخريات فكذلك الزوجة أيضًا ستبحث لها عن عشاق.

ونضيف أيضًا أن الرب يسمح للشيطان بأن يُحزن الخاطئين بشكل شديد المرارة. من أجل ذلك قال الملاك لـ «توبياس»: هو أعطى الشيطان القدرة على أولئك الذين استسلموا للشهوة. ولكن الشيطان لديه قدرة أيضًا على تغيير العدالة في بعض الأحيان، كما هو الحال في قصة أيوب، ولكن ليس بما يتعلق بالأمور التناسلية. ولكن طرق إزالة مثل هذه التأثيرات سنعرضها في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

بعض الشكوك الطارئة في موضوع التناكح

إذا سُئلنا لماذا هذه الخاصية الإنجابية في بعض الأحيان تتعطل تجاه امرأة واحدة ولا تتعطل تجاه أخرى، فالإجابة حسب كلام القديس «بونافينتورا» هي كالتالي. إما أن الساحرة تعمل هذا السحر مُوجهًا لأولئك الذين يحددهم الشيطان، أو هو بسبب أنَّ الربَّ لا يسمح بأن يصيب أشخاصًا معينين بالسحر، لأجل غرض

يعلمه الرب، كما اتضح في حالة زوجة «توبياس».

وإذا سُئلنا كيف يفعل الشيطان هذا، سنقول أنه يعطل القدرة التناسلية ليس في الجوهر بإضرار العضو نفسه، ولكن خارجيًّا بجعله عديم النفع. بالتالي، ولأن هذا التعطيل مصطنع وليس طبيعيًّا، فالشيطان يمكنه أن يجعل الرجل عقيمًا تجاه امرأة واحدة وليس ناحية الأخريات، بأن يُبطل اشتعال شهوته تجاهها وليس للنساء الأخريات، وهو يفعل هذا إما بفعل قدرته الشخصية، أو بفعل بعض الأعشاب والأحجار، أو ببعض أسرار السحر. وهذا يتوافق مع كلمات «بيتر أوف بالود».

أيضًا، حيث أن العقم هو في بعض الأحيان نتاج برود طبيعي في الرجل، أو عيب خلقي فيه، سُئلنا كيف من الممكن أن نُميز إن كان هذا بفعل السحر أم لا. «هوستينسيس» أعطى الإجابة في كتابه **Summa** (ولكن لا يجب التبشير بهذا علانية) حيث قال: عندما لا يستطيع العضو الذكري أن يُستثار وبالتالي لا يمكنه أن يؤدي الجماع، فهذه علامة على برودة طبيعية في الرجل نفسه، ولكن إذا تمت استثارته وانتصب العضو، ولكن لا يمكنه الأداء، فهذه علامة على وجود السحر في الرجل.

يجب أن نذكر أيضًا أن عقم العضو ليست هي طريقة السحر الوحيدة، ففي بعض الأحيان تكون المرأة هي العقيمة أو يحدث لها إجهاض فتكون هي المسحورة.

نذكر أيضًا أنه طبقًا لما كُتب في الشريعة، أي شخص لديه شهوة انتقام أو كراهية، وهذا الشخص عمل أي شيء لرجل أو لامرأة ليمنعهم من الإنجاب أو الحمل فهو يعتبر قاتلًا. ونذكر أيضًا أن الشريعة تتحدث عن العشاق الخاطئين، الذين هم حتى يحافظوا على عشيقاتهم من العار، استخدموا موانع الحمل مثل الأشربة والأعشاب التي تخالف الطبيعة، ولم يستخدموا مساعدة الشياطين تقول الشريعة أن هؤلاء المرضى ينبغي عقابهم على أنهم قتلة. أما الساحرات اللاتي يعملن هذا العمل بواسطة السحر تُطبق عليهن بالقانون عليهن العقوبة القصوى.

وكحل للجدليات السابقة، فعندما يقال أن هذه الأشياء لا يمكن أن تحدث للذين جمعهم رباط النكاح، يجب أن نعترف أنه حتى الآن، الحقيقة في هذه المسألة لم يتم توضيحها بشكل كاف، لكن بالتجربة، فهذه الأشياء تحدث فعلًا للمتزوجين ولغير المتزوجين. والقارئ الحصيف الذي يملك كثيرًا من الكتب سيرجع إلى اللاهوتيين

وعلماء الشريعة، خاصة لمراجعة حديثهم عن العقم وعن المسحورين. وسيجد أنهم متفقون على إنكار ضلالتين تتعلقان بالمتزوجين الذين يعتقدون أن هذا النوع من السحر لا يمكن أن يحدث لمن يجمعهم رباط النكاح، خاصة أولئك الذين يذكرون حجة أن الشيطان لا يمكنه أن يدمر عمل الرب.

الضلالة الأولى التي ينكرها العلماء هي أن الذين يقولون أنه لا يوجد سحر في العالم إلا في مخيلة الرجال والذين من خلال جهلهم بالأسباب الخفية التي لا يفهمها كثير من الناس بعد، نجدهم ينسبون هذه الأسباب الخفية إلى الحقائق الطبيعية وليس إلى السحر، وكأنهم غير متأثرين أصلًا بهذه الأسباب الخفية، ولكن الشياطين يعملون هذا سواء بأنفسهم أو بمعاونة الساحرات. ورغم أن كل العلماء الآخرين قالوا عن هذه الضلالة أنها بهتان عظيم، إلا أن القديس «توماس» طعن فيها بنشاط أكبر وسماها بالهرطقة الحقيقية، بقوله أن هذه الضلالة تأتي من جذر الكفر. وحيث أن الكفر بالنسبة للمسيحية يعتبر هرطقة، فبالتالي هؤلاء يستحقون الشك في أنهم هراطقة. وأي أحد يراجع المقولات الأخرى للقديس «توماس» التي قيلت في مواضع أخرى، سيجد الأسباب التي جعلته يؤكد على أن هذه الضلالة تأتي من جذر الكفر.

ففي سؤال متعلق بالخطية، ذكر القديس «توماس» التعامل مع الشياطين، وفي سؤالٍ آخر سُئل، هل الشياطين لهم أجسام خاصة بهم، فذكر كثيرًا من الأمور ومن ضمنها أولئك الذين يُرجعون كل تأثير جسدي إلى قدرة النجوم، وقال أن هؤلاء يعتقدون أن الأسباب الخفية للتأثيرات الأرضية خاضعة أيضًا للنجوم. ويقول: من اللازم أن نضع في اعتبارنا أن طلاب الفلسفة، تابعي أرسطو، يؤمنون أن الشياطين ليست موجودة في الحقيقة، وأن هذه الأمور التي تُرجعها الساحرات إلى الشياطين إنما تأتي من قوة النجوم والظواهر الطبيعية الأخرى. لأجل ذلك قال القديس «أوجستين» في كتابه **de Ciutate Dei**، أنه كان رأي «بورفري» أن كل الأعشاب والحيوانات، والأصوات والأشكال وتنظيمات النجوم وكل القوى المماثلة للنجوم هي قوى طبيعية على الأرض، أما الشياطين فهم مُختلقون من خيال الإنسان.

ولكن هذا الرأي تم إثبات أنه رأي خاطئ بواسطة القديس «توماس» في نفس العمل، لأن بعض أعمال الشياطين يمكن مشاهدتها ويستحيل أن تحدث بطرق

طبيعية، كمثال، عندما يتحدث الشخص المتلبس به شيطان بلغة غير معروفة، وأعمال كثيرة أخرى تفعلها الشياطين، مثل فنون استحضار الأرواح، هذه لا يمكن أن تكون آتية من عقل طبيعي بهٍ خير ولكنها حتمًا آتية من شيء ذي نية شريرة. وبالتالي بسبب هذه التعارضات، أجبر فلاسفة آخرون أن يعترفوا أن هناك شياطين. لكنهم أيضًا وقعوا في عدة ضلالات، فبعضهم يعتقد أن أرواح الناس، عندما تغادر أجسادهم، تصبح شياطين. لهذا السبب قتل عديد من العرافين أطفالًا صغارًا، حتى يجعلوا من أرواحهم أعوانًا لهم، وضلالات أخرى حكوها.

من هذا يتضح أنه عندما قال العالم المقدس أن هذا الرأي يأتي من جذر الكفر لم يكن قوله بلا سبب. وأي شخص سيقرأ كتاب القديس «أوجستين» **de Ciutate Dei** الثامن عن الضلالات الكفرية المتعلقة بطبيعة الشياطين. سيجد اقتباسه للرأي العام لجميع العلماء ضد كل الذين يُخطؤون وينكرون وجود أي ساحرات، وهو اقتباس ذو ثقل كبير في معناه، حتى وإن كانت كلماته قليلة.

سيجده بوضوح مكتوبًا أن أولئك المؤمنين بعدم وجود السحر في العالم إنما هم يعارضون كل آراء العلماء والكتب المقدسة الذين أجمعوا وأعلنوا أن هناك شياطين، وأن الشياطين لها قدرة على أجساد وخيالات الإنسان، بأمر الرب. وأن هؤلاء الذين أصبحوا أدوات للشيطان، ويستخدمهم الشيطان لأذية المخلوقات، يسمون ساحرات.

في إنكار العلماء للضلالة الأولى، لا شيء قيل يتعلق بأولئك الذين جمعهم النكاح، ولكن تم ذكر ذلك في إنكارهم للضلالة الثانية التي تؤمن أنه، رغم وجود السحر بكثافة في العالم، وأنه يُضاد النكاح الجسدي، إلا أنه لا يوجد سحر دائم، فبالتالي فالسحر لا يلغي أي زواج تم عقده. الآن في دحض هذه الضلالة (لأننا سنفعل ذلك، حتى إن كان تعلقها بالموضوع بسيطًا، لأجل أولئك الذين ليست لديهم كتب كثيرة)، سنذكر أنهم دحضوها بذكر أن هذا يعارض كل العلماء السابقين وكل القوانين القديمة والحديثة.

من أجل ذلك عمل علماء الكاثوليكية هذا التحديد، قالوا أن العقم الآتي بسبب السحر إما يكون مؤقتًا أو دائمًا. وإذا كان مؤقتا، فهو لا يُلغي الزواج. ويعتبر العقم مؤقتًا إذا قدر المصابون على معالجة أنفسهن خلال ثلاث سنوات من تعايشهما

الزوجي، حيث يكونا قد اتخذا جميع الطرق الممكنة لأجل العلاج إما بطريقة القربان في الكنيسة، أو عبر علاجات أخرى. ولكن إن لم يتم الشفاء بأي علاج، عندها يُعتبر السحر دائمًا. وفي هذه الحالة إما أن نستمر في عقد الزواج، أو نلغي العقد إذا كان لم يُكتب بعد أو إذا كان قد كُتب لكنه توقف قبل أن يكتمل. (كذلك قيل في الكتاب الثاني والثلاثين، البحث الأول، المقطع الأول أن تأكيد الزواج يحدث في المكتب المسؤول) فإذا أتممنا الزواج، فإن رابطة النكاح لن تُلغى. وهناك كثير مما ذكر عن موضوع العقم هذا بواسطة «هوستينسيس» و«جودفري» والعلماء واللاهوتيون.

بالنسبة للحجج، فالحجة الأولى أصبحت واضحة كفاية مما قلناه، مقولة أن عمل الرب لا يمكن أن يدمره عمل الشيطان، نرد بأنه إذا كان السحر له قدرة على المتزوجين، لن تكون له قوة إلا بإذن الرب. لأنه لا يوجد سحر يعمل تأثيره التدميري بالقوة الجارفة مثل قوة الطاغية، ولكن يكون تأثيره بنوع من الفنون الخفية. والحجة الثانية أيضًا تم توضيحها جيّدًا، لماذا يسمح الرب بهذا التعطيل للإنجاب أكثر من سماحه ببقية الأفعال، خاصة أن قدرة الشيطان طاغية على بقية الأفعال أيضًا عندما يأذن له الرب. وليس منطقيًا أيضًا أن نقول أن الشيطان يمكنه أن يُدمر العالم كله. والاعتراض الثالث تمت الإجابة عنه أيضًا بما قلناه.

السؤال ٩. هل الساحرات قادرات على عمل وَهم الاحتيال للرجال؟

إن كانت الساحرات قادرات على عمل بعض وهم الاحتيال للرجال بأن تُظهر له عضوه الذكري وكأنه مفصول عن جسده.

هنا سنوضح حقيقة الأفعال الشيطانية التي تتعلق بأعضاء الإنسان. وحتى نجعل الأمر واضحًا في هذه المسألة، طرحنا السؤال، هل تستطيع الساحرات بمعاونة الشيطان فصل العضو الذكري حقًا، أم أنهم يعملون ذلك بحيلة من الحيل والوهم؟ وسنقول أنهم يستطيعون عمل ذلك حقًا، لأن الشياطين يمكنهم عمل أشياء أكبر من هذا، مثل قتل الإنسان أو حمله من مكان إلى مكان، كما تم توضيحه أعلاه في مثال أيوب و«توبياس». بالتالي يمكنهم بشكل حقيقي فصل العضو الذكري.

أيضًا، هذه الحجة تم أخذها من تفاسير زيارات ملائكة الشر في المزامير: الرب يعذب بواسطة ملائكة الشر، كما عذب بني إسرائيل بأمراض عديدة، كانت حقيقة وواقعًا أصاب أجسادهم. وبالتالي فالعضو الذكري هو حالة مساوية لهذه الزيارات.

يمكن أن يقال أن هذا يحصل بإذن من الرب. وفي هذه الحالة، قلنا من قبل أن الرب يسمح للسحر بقوة أكبر في الأمور التناسلية، لأن أول فساد بالخطية جاء إلينا عبر فعل التناسل، وبالتالي الرب يسمح للسحر بقوة أكبر على العضو الذكري نفسه وبالتالي يسمح بالقوة على فصله.

وأيضًا، كان شيئًا أعظم من هذا تحويل امرأة لوط إلى عمود من الملح، وهذا أكبر من فصل عضو ذكري، كان هذا في (سفر التكوين التاسع عشر) وكان حقيقيًّا وواقعيًا، لم يكن يبدو كتحور أو كمسخ (لأن عمود الملح كان يمكن رؤيته) وهذا تم عمله بواسطة ملائكة الشر، تمامًا كما ضرب ملائكة الخير قوم سدوم بالعمى،

فأصبحوا لا يمكنهم أن يروا باب البيت. وأيضًا في العذابات الأخرى لقوم عمورة. التفسير طبعًا يؤكد أن امرأة لوط قد تلوثت هي نفسها بالرذيلة وبالتالي عُذبت.

وأيضًا، كل من يمكنه أن يخلق شكلًا طبيعيًا يمكنه أيضًا أن يتهيأ في هذا الشكل. ولكن الشياطين خلقت عديدًا من الأشكال الطبيعية، كما هو واضح من قصة سحرة الفرعون، والذين بمعاونة الشياطين أمكنهم خلق ضفادع وثعابين. وأيضًا قال القديس «أوجستين» في الكتاب الثالث والثلاثين، أن هذه الأشياء التي يمكن أن تُفعل بشكل مرئي في الهواء لا يمكن أن تُعتبر أوهامًا، وبما أنه حتى الإنسان يقدر ببعض القطع الماهر أن يفصل العضو الذكري، فبالتالي يمكن للشياطين بخفاء أن يفعلوا ما يقدر أن يفعله الإنسان بشكل مرئي.

ولكن على الجانب المضاد، يقول القديس «أوجستين» في كتاب **de Ciuitate Dei**: لا يجب أن نؤمن أنه بفنون أو بقدرة الشياطين، يمكن لجسم الإنسان أن يتغير إلى وحش، وبكلامه هذا نستنتج أنه من المستحيل أن يتم فصل العضو الذكري أيضًا لأنه ضروري لطبيعة جسم الإنسان، أيضًا قال القديس «أوجستين» في كتاب **de Trinitate** الثالث: لا يجب أن نعتقد أن هذا الجوهر للمادة المرئية هو هدف مُعرض لرغبات هؤلاء الملائكة الساقطة، لأنه معرض فقط للرب.

الإجابة. لا يوجد شك أن بعض الساحرات يمكنهن فعل أمور مدهشة بما يخص الأعضاء الذكرية، لأن هذا يتوافق مع ما رأيناه وسمعناه بواسطة كثيرين، وعن كيفية حدوث هذا، يمكننا أن نقول أنه يحدث بطريقتين، إما حقيقة في الواقع، كما تقول الحجة الأولى، أو عبر بعض الحيل. ولكن عندما تفعل هذا الساحرات، فهو يكون فقط ببعض الحيل، رغم أن المُصاب يقتنع بأنه لا يوجد وهم. لأن خياله يمكن أن يصدق فعلًا أن هذا الشيء قد انفصل، لأنه بواسطة حواسه الخارجية مثل النظر أو اللمس، يمكن أن يشعر أنه غير موجود.

من هذا يمكن أن نقول أن هناك فصلًا للعضو حدث في مخيلته فقط، ولدينا طريقتان ينبغي ذكرهما عن كيفية حدوث هذا. الطريقة الأولى، لا عجب أن الشيطان يمكنه أن يخدع حواس الإنسان، حيث أنه كما قلنا أعلاه، يمكنه أن يوهم الحواس الداخلية، بأن يأتي بأفكار حقيقية ويخزنها في الخيال. أيضًا، هو يفسد للإنسان وظائفه الطبيعية، مسببًا أن المرئي يصير غير مرئي، والملموس يصير غير

ملموس، والمسموع يصير غير مسموع، وكذلك في الحواس الأخرى. ولكن مثل هذه الأشياء ليست حقيقية في الواقع، لأنها حصلت بسبب الخلل الذي وضعه الشيطان في الحاسة نفسها، مثل العين أو الأذن، أو اللمس، وبهذا ينخدع حُكم الإنسان.

ويمكننا أن نستنتج هذا من بعض الظواهر الطبيعية. فالخمر الحلو يبدو أكثر مرارة على اللسان من الخمر الذي فيه نكهة، فطعمه تم خداعه ليس بالحقيقة، ولكن عبر حيلة. كذلك في الحالة التي نحن بصددها، الخداع لا يكون في الحقيقة ذاتها حيث أن العضو لا زال في مكانه ولكنه إيهام للحاسة المتعلقة به.

أيضًا، كما قيل أعلاه بخصوص القوى التناسلية، الشيطان يمكنه أن يعطل ذلك الفعل بفرض جسم آخر له نفس اللون والمظهر، بطريقة أن الجسم المُبتدع يكون في لون اللحم ويتفاعل مع حاستي النظر واللمس، ويتموضع في الجسم الحقيقي للمُصاب، فيبدو له أنه لا يستطيع أن يرى أو يشعر بشيء من عضوه الذكري، إلا بجسم ناعم يبدو من مظهره أنه لا يوجد أي عضو تناسلي موجود. انظر مقولات القديس «توماس» عن الوهم والسحر، وأيضًا في سؤاله عن الخطية، حيث اقتبس مرات عديدة من كتاب القديس «أوجستين» الثالث والثلاثين: هذا الشر الذي يعمله الشيطان يزحف خلال كل المحسوسات، يهبُ نفسه للهيئات، يُكيف نفسه للألوان، يلبث في الأصوات، يختفي في الروائح، يسكب نفسه في النكهات.

أيضًا، يجب أن نضع في الحسبان أن إيهامًا كهذا لحاستي النظر واللمس يمكن أن يحصل ليس فقط بتوسط جسم سلس غير حقيقي، ولكن أيضًا باستدعاء الخيال لأشكال وأفكار كامنة في العقل، بطريقة أن الشيء يتم تخيله كما لو أنه يُدرك للمرة الأولى. لأنه كما وضحنا في السؤال السابق، الشياطين يمكنهم بقدرتهم الخاصة أن يُغيروا الأجسام موضعيًا، وبهذا يؤثرون في تغيير المزاج، وكذلك في الوظائف الطبيعية.

أنا أتحدث عن أشياء تبدو وكأنها حقيقية للخيال أو للحواس. لأن أرسطو في كتاب **de Sommo et Uigila** قال، سبب الظهورات في الأحلام أنه عندما ينام الحيوان فكثير من الدم يتدفق إلى أعمق مكان في الوعي، وبالتالي تأتي أفكار أو انطباعات قادمة من خبرات حقيقية سابقة مخزنة في العقل. ولقد وضعنا تعريفًا في السابق لكيفية أن ظهورًا معينًا يصل بالإنسان إلى انطباع بتجربة جديدة.

وبما أنَّ هذا يحدث طبيعيًّا، فالشيطان يمكن أن يستدعي ظهورات للخيال بجسم سلس ليس موجودًا في الجزء التناسلي، بطريقة تجعل الحاسة تصدق أن هذا حقيقة فعلًا. ثانيًا، بعض الطرق الأخرى سنذكرها تكون أسهل في الفهم والشرح. وطبقًا لكلام القديس «إيزيدور» في كتاب **Etym** الثامن يقول، أن الوهم ما هو إلا بعض الخداع للحواس، وخاصة للعين. ولهذا السبب نسمي الهيبة هيبة من كلمة **prestringo**.

حيث أن رؤية العين محدودة جدًّا وهناك أشياء تبدو لها على غير حقيقتها. و«ألكسندر أوف هيلز» في الجزء الثاني من الكتاب يقول أن الهيبة، كما نفهمهما ربما تكون وهمًا من الشيطان، فهي لا تحدث بسبب تغير حقيقي في الشخص، ولكنها فقط موجودة في عقل ذلك الموهوم، إما في إدراكه الداخلي أو الخارجي.

لأجل ذلك، يمكن أن نقول أن هذه الفنون، تحصل بطرق ثلاث. الأول، أن تحصل بدون تدخل الشياطين، حيث يمكن أن تحصل بخفة يد الشخص الذي يُظهر الأشياء ويخفيها، وذلك كما في خدع المشعوذين والذين يتكلمون من بطنهم. الطريقة الثانية هي أيضًا بدون تدخل الشيطان، عندما يمكن للإنسان أن يستخدم ميزة موجودة في الجسد أو المعادن لينقل لنا التصور بأن شيئًا معينًا له مظهر مختلف عن مظهره الحقيقي. لأجل ذلك طبقًا لكلام القديس «توماس» وكثير غيره، الإنسان ربما بحرق بعض العناصر أو الأعشاب، يقدر أن يصنع أعوادًا تبدو كأنها ثعابين.

الطريقة الثالثة من الوهم هي التي فيها تتدخل الشياطين، بإذن من الرب. وواضح أن الشياطين يملكون بطبيعتهم قدرة على عناصر أرضية محددة، يستخدمونها لما يأذن الرب، لإظهار الأشياء مختلفة عن حقيقتها.

أيضًا في الطريقة الثالثة، نذكر أن الشيطان لديه خمس طرق يوهم بها أي أحد بجعله يظن أن الشيء مختلف عن حقيقته. الأولى، بحيل صناعية، كما قلنا، يفعلها الإنسان بالفن، والشيطان يفعلها أفضل. الثانية، بطريقة طبيعية، بالتموضع، كما قلنا، وضع مادة ما لتخفي الجسم الحقيقي، أو بتضليل خيال الإنسان. الثالثة، عندما يُظهر الجسم نفسه على أنه شيء آخر غير حقيقته، وتشهد في هذا قصة

القديس «جريجوري» المذكورة في كتاب **First Dialogue of a Nun**. أو مثل القصة عندما وجد القديس «أنتوني» كتلة من الذهب في الصحراء.

أو عندما يمس الشيطان الإنسان الحقيقي، ويجعله يظهر وكأنه حيوان، كما سنشرح بعد قليل. الرابعة، عندما يحدث تضليل لعضو البصر، فتبدو الأشياء الواضحة مشوشة، أو مغايرة، فتظهر العجوز كفتاة شابة، وباللعب في المزاجات، يعمل الشيطان على تحويل الأشكال المتلقاة من الحواس، كما قلنا سابقًا، فتتلقى الحواس صورة جديدة. ووفقًا لذلك، آخر أربعة طرق، يمكن للشيطان فيهم أن يوهم حواس الإنسان. بالتالي ليست هناك صعوبة عنده في إخفاء العضو الفحولي ببعض الوهم. وكدليل جلي على هذا، هناك حالات انكشفت لنا في حملة التفتيش، سيتم ذكرها لاحقًا، حيث حكى كثيرون عن هذا وعن أشياء أخرى سنقولها في الجزء الثاني من هذا البحث.

كيف للشيء المسحور أن يتم تمييزه عن الشيء الحقيقي؟

سؤال عرضي، نفترض أن عضو بيتر قد تم فصله، وهو لا يعلم هل هذا بالسحر أو حصل بطريقة أخرى بقدرة الشيطان وبإذن الرب. هل هناك أي طريقة للتحديد أو التمييز بين إن كان هذا الفصل لعضوه حقيقي أم سحر؟ ستكون الإجابة كالتالي. أولًا، هؤلاء الذين اعتادوا على حدوث هذه الأشياء معهم هم إما زناة أو فساق. فهم عندما يفشلون في الاستجابة لرغبات عشيقاتهم، فبدل أن ينفصلوا عاطفيًا ويرتبطوا بامرأة أخرى غير عشيقتهم، نجدهم لأجل الانتقام، يستخدمون طرقًا أخرى تجعل أعضاءهم الذكرية تنفصل. ثانيًا، يمكن أن نُميز بين الحقيقي والمسحور بحقيقة أن المسحور لا يبقى دائمًا للأبد. فإذا حصل بالسحر، فهو ليس دائما، وسيتم إرجاع العضو لمكانه في وقت ما.

ولكن هنا يظهر شك آخر، هل عدم دوام فصل العضو الذكري هو بسبب طبيعة السحر، أنه لا يكون دائمًا. سيُجاب عن هذا بأنه يمكن للسحر أن يكون دائمًا ويستمر مدى الحياة إلى موت الإنسان، مثلما قال علماء الشريعة واللاهوتيون بخصوص تعطيل السحر لرباط النكاح، أن التعطيل المؤقت قد يتحول إلى دائم. لأن «جودفري» قال في كتابه **Summa**، السحر لا يمكن دائمًا إبطاله بواسطة الساحر

الذي عمله، إما لأنه مات، أو لأنه لا يعلم كيف يبطله، أو لأن العمل السحري نفسه قد ضاع. لأجل هذا يمكن أن نقول بنفس الطريقة أن العمل السحري الذي تم عمله على بيتر سيكون عملًا دائمًا إذا لم تعرف الساحرة التي عملته كيف تعالجه.

هناك درجات من الساحرات. بعضهن تؤذي وتعالج، وبعضهن تؤذي ولا تقدر أن تعالج، وبعضهن تقدر فقط على العلاج كما سيتبين لاحقًا. لأن هذا حدث معنا: رأينا ساحرتين كانتا تتشاجران، وبينما تسخر إحداهما من الأخرى قالت واحدة: أنا لست خبيثة جدًّا مثلك، لأنني أعرف كيف أعالج هؤلاء الذين أؤذيهم. العمل السحري يصبح عملًا دائمًا إذا لم يعالج، وهذا مثل أن ترحل الساحرة التي عملته، إما بتغيير مكان سكنها أو موتها. لأن القديس «توماس» أيضًا يقول: أي عمل سحري ربما يكون دائمًا عندما لا تكون له طريقة لعلاجه، أو يكون له علاج لكنه غير معلوم للناس، أو محرم، والرب يمكنه أن يجلب العلاج بواسطة ملاك مقدس يخضع له الشيطان والساحرة.

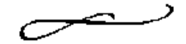
على أي حال، العلاج الرئيسي ضد السحر هو السر المقدس للتوبة. لأن الجسم الضعيف غالبًا ما يفعل الخطية. أما كيف نزيل العمل السحري فهذا أمر سنعرضه في الجزء الثاني من هذا البحث، وفي السؤال الثاني من الفصل السادس، عندما نبحث ونشرح مواضيع أخرى.

حلول المجادلات

بالنسبة للأولى، من الواضح أنه لا شك، أنه بأمر الرب، يمكن للشياطين أن يقتلوا الإنسان، فيمكن للشياطين بالتالي أن يزيلوا العضو الذكري، مثل غيره من الأعضاء. ولكن في هذه الحالة لا تعمل الشياطين من خلال معاونة الساحرات. ومن هذه تتضح أيضًا الحجة الثانية بوضوح. ولكن سنقول أن الرب يسمح بقوة السحر على الأعضاء التناسلية، وبالتالي هو يسمح بأن يحدث انفصال لهذا العضو التناسلي حقيقة وواقعًا، ولكن ليس من الصحيح أن نقول أن هذا هو ما يحصل دائمًا. لأنه لن يكون تبعًا لأسلوب السحر الذي يحصل عادة، وحتى الساحرات، عندما يفعلن هذه الأعمال، لا يدعين أنه لديهم القدرة لإرجاعه كما كان إن أردن.

من هذا يتضح أنه لم ينفصل بشكل حقيقي، ولكن فقط بالوهم. وبالنسبة للثالثة، المتعلقة بتحول امرأة لوط. نقول أن هذا كان حقيقة وليس وهمًا.

وبالنسبة للرابعة أن الشياطين يمكن أن تخلق الأشكال الحقيقية، وبالتالي يقدرون على إزالتها: سنقول أنه بالنسبة لسحرة الفرعون فلقد عملوا ثعابين حقيقية والشياطين بالتالي يقدرون على أن يعملوا تأثيرات معينة على المخلوقات الناقصة لا يستطيعون أن يعملوها على الإنسان، لأن الرب يعتني بالإنسان. لأجل هذا نقول: نعم يمكن للشياطين بإذن الرب أن يعملوا ضررًا حقيقيًّا وواقعيًا للإنسان كما يمكنهم أن يصنعوا ضررًا وهميًا، وبهذه الإجابة تتضح الحجة الأخيرة.



السؤال ١٠. هل يمكن للساحرات ببعض الوهم أن تحوّلن الإنسان إلى وحش؟

هنا سنعلن الحقيقة في إمكانية أن تُحول الساحرات الإنسان إلى وحش. قيل أن هذا غير ممكن، في المقطع التالي من كتاب **Episcopus** السادس والعشرون: كل الذين يؤمنون أنه من الممكن لأي مخلوق أن يتغير بالسحر إلى مخلوق أفضل أو أسوأ، أو أن يتغير بالسحر إلى نوع آخر أو نوع مشابه، بدون تدخل الخالق الذي خلق كل شيء، هو بدون شك كافر، وأسوأ من الوثني.

وسنقتبس هنا حجج القديس «توماس» في الكتاب الثاني من **Book of Sentences** الجزء الثامن: هل الشياطين يمكن أن تؤثر في حواس الجسم بالإيهام. هنا يقول في البداية أنه لا يمكنهم. فشكل الوحش لا بد أن يأتي من مكان ما حتى يستخدموه، وهو لا يمكن أن يتواجد في الحواس، لأن الحواس لا تتلقى مؤثرًا غير موجود في العالم الحقيقي، حيث لا يوجد أية وحوش، وأورد القديس «توماس» حُكم الشرع. وأيضًا، الذي يظهر أنه يكون، لا يمكن أن لا يكون، كما في حالة المرأة التي بدت للناس أنها وحش، لأن شكلين جوهريين لا يمكن أن يتواجدا في وقت واحد في نفس المادة.

ولأن شكل الوحش لا يمكن أن يوجد في أي مكان في الطبيعة، فلا يوجد وهم يمكن أن يحدث في عين الناظر، لأن البصر لا بد له من شيء ينقضي إليه.

وإذا قيل أن الشكل موجود في العالم، فهذا ليس ممكنًا أيضًا، لأن الطبيعة ليست قادرة على أخذ أي شكل أو كيان كهذا، وأيضًا لأن الهواء حول ذلك الشكل إن وجد ليس ثابتًا دائمًا، ولا يمكن أن يكون ثابتًا بسبب طبيعة الهواء المتحركة. وأيضًا لأنه حتى يحدث تحول كهذا لا بد أن يصير التحول مرئيًا لكل أحد، والأمر ليس كذلك، فالشياطين غير قادرة على خداع أنظار الرجال المقدسين على الأقل.

أيضًا، إذا أثر الشيطان على الوعي الداخلي، فهو يفعل ذلك إما بأن يُظهر نفسه للشخص، أو بأن يغير الوعي الداخلي للشخص بالإيهام. وهو لا يعمل بطريقة إظهار نفسه للشخص، لأنه سيتوجب عليه أن يتشكل في جسم، وحتى لو حصل فعندها لا يمكنه أن يخترق العضو الداخلي لخيال أحد، لأن جسمين لا يمكن أن يوجدا في نفس الوقت في نفس المكان، ربما إذن هو يستولي على جسد وهمي، وهذا أيضًا سيكون مستحيلًا، لأنه لا يوجد شكل وهمي بدون مادة.

كذلك هو لا يستطيع أن يغير المعرفة، لأنه إما أن يغيرها بالتعديل، وهذا يبدو أنه غير قادر على فعله، لأن التعديل إنما يحدث بصفات نشطة، وهذه لا تملكها الشياطين، أو هو يمكن أن يغيرها بالتحول الكامل أو الحركة الموضعية، وهذه لا تبدو ملائمة لسببين. الأول أن التحويل لا يمكن أن يحصل بدون أن يتألم الإنسان وأعضاؤه تتحول. ثانيًا لأنه في هذه الحالة سيظهر الشيطان فقط في أشياء ذات شكل معروف، ولكن القديس «أوجستين» يقول أنه يخلق أشكالا من هذا النوع، معروفة وغير معروفة، وبالتالي يبدو أن الشياطين يمكنها قطعًا أن تخدع خيال أو حواس الإنسان.

و لكن ضد هذا، يقول القديس «أوجستين» في كتابه **de Ciuitate Dei** الثامن عشر، أن تحويل البشر إلى حيوانات بهيمية يمكن أن يحدث بفنون الشياطين، ولكنه لا يكون حقيقيًّا وإنما ظاهري. ولكن هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الشياطين غير قادرة على التأثير على حواس الإنسان. القديس «أوجستين» قال في الكتاب الثالث والثلاثين: شر الشيطان يزحف خلال كل الحواس، إلخ.

الإجابة. إذا أراد القارئ أن يَرجع إلى طرق التحول الكامل، سيجدها في الجزء الثاني من هذا الكتاب، الفصل السادس، فيه طرق كثيرة. ولكن دعنا نتحدث عما لدينا بطريقة علمية، دعنا نتفق مع آراء الثلاث علماء، على أن الشيطان يمكنه أن يخدع خيال الإنسان فيجعل الإنسان يبدو كحيوان. آخر هذه الآراء هو للقديس «توماس» وهو أكثر فصاحة من البقية. والأول هو للقديس «أنتونيوس» في أول جزء من كتابه **Summa** الخامس، عندما أعلن أن الشيطان في أوقات معينة يجتهد لخداع خيال الإنسان، بإيهام الحواس، ويُثبت القديس «توماس» هذا بالمنطق الطبيعي، بالشريعة، وبعدد كبير من الأمثلة.

ويتابع قائلًا: أجسادنا معرضة طبيعيًا لطاعة الملائكة إذا عملت الملائكة فيهم حركة موضعية. وملائكة الشر، رغم أنهم خسروا النعم، إلا أنهم لم يخسروا القدرة الطبيعية، كما قلنا من قبل. وحيث أن ملكة الخيال هي ملكة مادية، لأنها مرتبطة بعضو مادي هو العقل، فهي بالطبيعة معرضة للشيطان، ويستطيع الشيطان أن يؤثر فيها، ويسبب الشيطان فيها خيالات عديدة، وذلك بتدفق الأفكار والخيالات لوصف الصورة المتلقاة من الشيطان.

يقول القديس «أنتونيوس»، أنه قد ثبت بالقانون الشرعي التالي **Episcopus** السادس والعشرون: يجب ألا نُهمل بعض النساء الخبيثات، اللاتي أغواهن الشيطان وأغراهن بالأوهام والخيالات الشيطانية، فيتخيلن أمورا غريبة. ولا بد أن نصدق وننشر لكل أحد أن حكاية أنه يمكنهن أن يتجولن في ساعات الليل على ظهور الوحوش مع «ديانا» الإلهة الوثنية، أو مع «هيروديداس» أو مع عدد لا نهائي من النساء، وأنهن في صمت الليل يسافرن مسافات بعيدة من الأرض هي حكايات خاطئة، وأينما يُبشّر للناس بالرب لا بد أن يقال لهم أن هذا كله خاطئ، وأنه عندما يبتلى عقل المؤمن بالخيالات، لا يكون بواسطة الرب ولكن بواسطة روح شريرة. و«ساتان» ذاته حوّلَ نفسه إلى أشكال أشخاص مختلفين عبر الزمن، وفي الأحلام كان يُضلل العقل ويأسره، ويوجهه إلى طرق منحرفة.

تم التعامل مع هذا القانون في السؤال الأول، عن الأربعة أشياء التي يجب أن يُبشر بها. وسيكون من سوء الفهم أن نؤمن أن الساحرات لا يمكنهن أن ينتقلن هكذا عندما يردن وأن الرب لا يمنع هذا، وقد حدث كثيرًا جدًا أن أشخاصًا ليسوا سحرة انتقلوا عبر مسافات بعيدة من الأرض.

ولكن هذه التحولات يمكن أن تحدث بالطريقتين المذكورتين في الكتاب المذكور آنفًا **Summa**، وهناك فصل يقول فيه القديس «أوجستين» أنه يوجد في كتب الوثنيين حكاية أن ساحرة اسمها «سيرس» حولت أصحاب «أوليسيس» إلى وحوش، ولكن هذا كان عن طريق بعض الوهم والخيال، وليس إنجازًا حقيقيًا، بل عملته بتعديل خيالات الناس، وهذا ثبت بوضوح بأمثلة كثيرة.

نقرأ أيضًا في كتاب **Lives of the Fathers**، أنه كان هناك فتاة لا توافق على شاب يتوسل لها حتى تعمل شيئًا حقيرًا معه. والشاب بسبب غضبه منها، جعل

واحدًا يهوديًا يعمل لها عملًا سحريًا، فتحولت إلى مُهرة. ولكن هذا التحويل لم يكن حقيقيًا، بل هو وهم من الشيطان، الذي غير خيال وحاسة الفتاة نفسها، وخيال وحواس أولئك الذين ينظرون إليها، وبهذا بدت للجميع أنها مُهرة، ولكنها كانت في الحقيقة لا زالت فتاة.

لأنه عندما تم اقتيادها إلى «ماكاريوس» المبارك، لم يستطع الشيطان أن يخدع حواس المبارك كما فعل مع الآخرين، فبسبب قداسته، استطاع المبارك أن يراها فتاة عادية وليست مُهرة. وبسبب صلواته لها تحررت الفتاة من الوهم، وقيل أن هذا حدث لها لأنها لم تُشغل عقلها بالأشياء المقدسة، أو لأنها لم تحضر القُداس كما يجب، وبالتالي كان للشيطان قوة عليها، رغم أنها كانت في أمور أخرى صادقة.

بالتالي يستطيع الشيطان بتحريك الإدراكات الداخلية والمزاجات، أن يؤثر في الأفعال والملكات، الجسدية والعقلية والعاطفية، فيعمل على أي عضو جسدي كان، وهذا يتفق مع كلام القديس «توماس». وبهذا يمكن أن نصدق بأفعال «سيمون ماكوس» في الرُقى التي حُكيت عنه. ولكن الشيطان لا يستطيع أن يعمل أيًا من هذه الأشياء بدون إذن الرب، والرب بواسطة ملائكة الخير غالبًا ما يُقيد الخبث الذي في الشيطان ويمنعه عندما يريد خداعنا وأذيتنا. لذلك يقول القديس «أوجستين»: هؤلاء بإذن الرب، يثيرون العناصر ويضللون عقول الذين لا يثقون في الرب.

أيضًا يمكن للشياطين أن تتسبب في أن الإنسان لا يقدر أن يرى زوجته على نحو صحيح، بل يراها على العكس. وهذا يأتي من صناعة الخيال، فيتم تقديم الزوجة لخياله بواسطة الشيطان على أنها شيء بغيض وفظيع. الشيطان أيضًا يُلقي أشياء كريهة في خيال النائمين والمستيقظين، ليخدعهم ويوصلهم للخطية. ولكن لأن الخطية لا تتوقف على الخيال ولكن على الرغبة، بالتالي الإنسان لا يفعل الخطية بهذه الخيالات المقترحة من الشيطان إلا إذا كانت لديه رغبة شخصية في أن يقبل الخطية.

الرأي الثاني للعلماء الحديثين له نفس المعنى، عندما صرحوا بمعنى الإيهام، وعن الطرق التي يمكن للشيطان أن يصنع بها هذا الإيهام. هنا فلنرجع إلى ما قيل بخصوص جدليات القديس «أنتونيوس» ولا داعي أن نكرر.

الرأي الثالث هو للقديس «توماس» وهو إجابة للحجة التي طُرحت وهي، هل

توجد أشكال الوحوش في الحواس أو في الواقع أو في البيئة المحيطة؟ ورأيه هو أن الشكل الظاهر للوحش موجود فقط في الإدراك الداخلي للإنسان، وهذا الشكل بقوة الخيال، يراه الإنسان بطريقة ما كهيئة جسد خارجي. والشياطين لها طريقتان في تحقيق هذه النتيجة.

الأولى: أن أشكال الحيوانات المحفوظة في خيال الإنسان تمر بفعل الشيطان إلى الحواس الداخلية، هذه الطريقة تحدث في الأحلام أيضًا. وبالتالي، عندما تتهيأ هذه الأشكال لتشعر بها أعضاء الحواس الخارجية، مثل البصر، يظهرون وكأنهم موجودون كأجسام خارجية، ويمكن لمسهم في الحقيقة.

الطريقة الثانية: تنتج من التغيير في الأعضاء الداخلية للإنسان، وبالتالي يحصل الخداع، وتم توضيحها في حالة الشخص الذي تم خداع تذوقه، فكل شيء كان حلوًا صار يبدو مرًا. أيضًا، حتى الإنسان يمكنه أن يحقق هذا في أشياء طبيعية، مثلما يظهر في بخار الدخان أن ما يخرج من البيت هي ثعابين، وهناك أمثلة كثيرة أخرى موجودة.

حلول الجدليات

بالنسبة للجدلية الأولى، ذلك النص الذي يتم اقتباسه، عادةً يُفهم بطريقة سيئة. الذي كان يتحدث عن التحول بفعل السحر إلى شكل آخر أو إلى شكل شبيه، فلقد أوضحنا كيف أن هذا يمكن أن يحدث بطريقة الإيهام. وحيث أن النص يقول أنه لا مخلوق يمكن أن يخلق بقدرة الشيطان، فواضح أن لديه منطق إذا تم فهم الكلام بمعنى الخلق. ولكن فلنأخذ كلمة «تحوّل» لتعبر عن الإنتاج الشيطاني للمخلوقات، فهو شيء مؤكد أن الشياطين يمكنهم أن يعملوا بعض المخلوقات غير الكاملة.

والقديس «توماس» يوضح كيف يمكن لهذا أن يحصل. لأنه يقول أن كل التحولات في الأجسام المادية، تحتاج لشيء أساسي وهو المَنيّ الذي يوجد في جميع عناصر هذا العالم، في البرية أو في الماء (مثل الثعابين والضفادع وهذه الأشياء التي تضع

منيها على الأرض أو في الماء)، فيمكن أن تحصل الشياطين على هذا المني. ولذا يمكنها أن تُحول أي شيء إلى ضفدع أو ثعبان.

فهذه التحولات للأجسام المادية يمكن قطعًا أن تحدث بفعل الشياطين. لكن عندما يتغير جسم الإنسان إلى جسم وحش، أو عندما يعود الجسم الميت إلى الحياة، فمثل هذه الأشياء تحدث فقط بالإيهام والسحر، أو تحدث بأن الشياطين يظهرون أمام الإنسان في هذه الأشكال.

هذه الجدليات تم دحضها. لأن «ألبيرتوس» المبارك في كتابه **On Animals** اختبر هل الشياطين أو دعنا نقل الساحرات، يمكنهن أن يصنعن حيوانات، يقول أنه يمكنهن، بإذن الرب، أن يعملن حيوانات ناقصة. ولكن لا يمكنهن أن يفعلن هذا في لحظة كما يفعل الرب، بل يحتجن إلى بعض الوقت. وبالرجوع إلى المقطع في سفر الخروج السابع عندما استدعى الفرعون رجاله الحكماء، قال: هذه الشياطين تمشي في الأرض وتجمع بعض البذور، وباستخدامهم يمكنهم أن يخرجوا بعض الفصائل. والتفسير هنا يقول: عندما تحاول الساحرات أن تؤثر في أي شيء ويسترضون الشياطين، فالساحرات يتجولن في أنحاء العالم ويحضرن المني الخاص بهذه الأشياء وبهذا المعنى، فهم بإذن من الرب، ينتجن فصائل جديدة.

جدلية أخرى يمكن أن تُطرح، هل هذه الأفعال الشيطانية يمكن تعتبر معجزات. والإجابة اتضحت في الجدليات السابقة، أنه حتى الشياطين يمكنها أن تصنع بعض المعجزات بما يتفق مع قدراتهم. ولكن بالنسبة لأفعال «عدو المسيح» الأنتيخريستوس، فيمكن أن يقال أنها من الخداع، وأنه يتم عملها بهدف إغواء الناس.

هناك جدلية أن الشيء الساكن لا يتحرك إلا عبر عامل نشط. وبالتالي فالشكل الذي يُرى لا يمكن أن يكون حقيقيًا ولا يمكن أن نقول أنه تحرك بالعامل النشط الذي هو فعل النظر، سيجاب بأن هذا الشكل لا يبرز من أي حاسة، إنما هو يصدر من صورة محسوسة محفوظة في الخيال، رسمها الشيطان وأخرجها وقدمها للخيال بقوة الإدراك.

بالنسبة للجدلية الأخيرة، سنقول أن الشيطان لا يغير القوى التخيلية والإدراكية بإظهار نفسه لها، ولكن بالتحوير فيها، خاصة الحركة الموضعية. لأنه لا يمكنه بنفسه أن يحث ظهورات جديدة كما قلنا. ولكن هو يغيرهم بالتحوير، الذي يعمله بالحركة الموضعية، عبر تحريك الإدراك والمزاجات وليس بتقسيم مادة العضو الحي، لأن هذا سينتج عنه إحساس من الألم.

السؤال ١١. هل الساحرات اللاتي يعملن قَابِلَات يقتلن الأطفال في الأرحام أثناء التوليد؟

أن الساحرات اللاتي يعملن مولدات يقتلن الأطفال في الأرحام أثناء التوليد ويعملن الإجهاض أو إذا لم يقدروا على هذا، فإنهن يهبن الطفل المولود للشياطين.

هنا سنعرض الحقيقية بخصوص أربعة جرائم مروعة تفعلها الشياطين في الأطفال، في الرحم وبعد الولادة. وحيث أن الشياطين يفعلون هذه الأشياء عبر معاونة الساحرات، وليس الرجال، فهذا النوع من القتل يرتبط بالنساء أكثر، وما سيأتي هي الطرق التي يفعلن ذلك بها.

علماء الشريعة يتعاملون بشكل أشمل من اللاهوتيين في موضوع السحر. وهم يقولون أنه في السحر، عندما لا يستطيع أحد أن يعمل الفعل الجسدي، مثل الإجهاض. فهناك طرق أخرى وهي أنهن إما يأكلن الطفل أو يهبنه للشيطان.

بدون مساعدة الشياطين، يمكن للإنسان بالطريقة الطبيعية بواسطة الأعشاب، أو الحفظ، أو طمث معين، أن يصل بالمرأة ألا تلد. ولكن الطريقة السحرية مختلفة، لأنها تحصل بواسطة الساحرات. وليست هناك حاجة للإتيان بالحجج، لأنه هناك أمثلة عديدة ومواقف تثبت حقيقة هذا الفعل.

الأول من هذه الفواحش التي تفعلها الساحرات، هو أكل الأطفال، وهذا ضد الغريزة الإنسانية، وطبعًا ضد طبيعة كل الوحوش، غير الذئاب، التي هي معتادة على قتل أو أكل صغارها. وبالنسبة لهذا، هناك مفتش من «كومو»، قال لنا الآتي: أنه تم استدعاؤه بواسطة سكان مقاطعة «باربي» ليعمل تفتيشًا، لأن هناك رجلًا معينًا فقد أطفاله أثناء ولادتهم، وقال أن هناك اجتماعًا من بعض النساء في الليل، وأقسم أنه رأى هاته النسوة يقتلن طفله ويشربن دمه ثم يأكلنه.

أيضًا، في سنة واحدة، وهي السنة التي مضت، قال أن إحدى وأربعين ساحرة

أُحرقت بسبب هذا. للتأكيد على هذا هناك كتابات لـ «جون نيدر» في كتابه **Fomicarus**، وفيها ذكر لأحداث يحكيها، وكانت ذاكرته لا زالت حاضرة، حيث تبين أن هذه الأشياء ليست غريبة عليه، وهناك ساحرات تائبات دائمًا يقلن لنا وللآخرين: لا أحد يضر الإيمان الكاثوليكي أكثر من المُولِّدات، لأنهن عندما تقتلن الأطفال، فهن بعد ذلك ولغرض آخر، يأخذنهم خارج الغرفة ويرفعنهم إلى الهواء، ويهبنهم للشيطان. والطريقة التي يؤدين بها جرائمهن سنعرضها قريبًا، ولكن أولًا هناك سؤال ينبغي أن يُسئل بخصوص الإذن الإلهي.

السؤال ١٢. حولَ إذا ما كان إذن الرب الأعلى لا بد أن يحدث في أي عمل من أعمال سحر؟

الآن لا بد أن نتحدث عن الإذن الإلهي، ونسأل أربعة أسئلة.

الأول: هل من الضروري أن يحدث هذا الإذن في أي عمل من أعمال السحر؟

ثانيًا: هل الرب في عظمته سيسمح لمخلوق أثيم أن يفعل السحر والجرائم المرعبة الأخرى؟

ثالثًا: هل جريمة السحر تتجاوز كل الشرور الأخرى التي سمح بها الرب؟

رابعًا: بأي طريقة يمكن التبشير بهذه الأمور للناس؟

سنسأل أولًا هل من الإيمان الكاثوليكي أن نقول أن هناك إذنًا إلهيًا لما تعمله الساحرات من هرطقات عظيمة؟ تقول الحجة بأنه ليس من المنطقي أن نؤمن أن الرب يسمح بهذه القوة الكبيرة للشيطان في هذا النوع من السحر. سنقول أولًا أنه من الكاثوليكي، أن نكافح مقولة أن السحر يحدث بإذن الرب لأن فيها انتقاصًا من الخالق.

لقد قلنا أنه من الكاثوليكي أن نؤمن أن الشيطان ليس مسموحًا له بشيء كبير من الأذية للإنسان، لأنه إذا آمنا أن الرب يسمح، سيبدو وكأنه انتقاص من الخالق. وسينتج عن هذا أنه ليس كل شيء خاضع لعناية الرب. لأن العاطي الحكيم يفترض أن يُبعد كل النقص والشر عن المتقين. ونقول أنه إذا كانت أعمال السحر يؤذن بها من عند الرب، فهي ليست بعيدة عن علمه، لكن إذا كان يعلمها ولا يبعدها، فهو لن يكون عاطيًا حكيمًا، وكل شيء لن يكون خاضعًا لعنايته. ولكن بما أن هذا كله خاطئ، بالتالي فالرب لا يأذن بالسحر.

وأيضًا، حتى يُسمح بشيء أن يحدث يُفترض أن من سمح به، إما بإمكانه أن

يمنعه من الحدوث إذا أراد، أو هو لا يقدر أن يمنعه إذا أراد، ولا شيء من هذه الافتراضات يمكن أن ينطبق على الرب. لأنه في الحالة الأولى سيكون شريرًا، وفي الحالة الثانية سيكون ضعيفًا. ولذلك سنسأل بشكل عرضي: بالنسبة للسحر الذي حدث لبيتر، إذا كان يمكن للرب أن يمنعه، ولم يمنعه، فإما أن يكون الرب شريرًا أو يكون الرب غير مبال على الإطلاق. ولكن إذا لم يكن قادرًا على منعه إذا أراد، لن يكون قادرًا على كل شيء. ولكن بما أنه من المستحيل أن نؤمن بالرأي الذي يقول أن الرب له مثل هذه الصفات، بالتالي لا يمكن أن نقول أن السحر يحصل بإذن من الرب.

أيضًا، ذلك الذي يعمل السوء هو مسؤول عن نفسه ومسؤول عن أفعاله، ولا نقول أنه خاضع لإذن الحاكم حتى يعمل السوء. والإنسان أصبح مسؤولًا عن نفسه أمام الرب، طبقا لكتاب السيراخ الخامس عشر: الرب عمل الإنسان من البداية، وتركه يضع خطته الخاصة. فالخطايا التي يعملها الإنسان قد عُملت طبقًا لتخطيط الإنسان وطبقًا لرغبة قلبه. وبالتالي ليست كل الشرور خاضعة لإذن الرب.

وأيضًا، يقول القديس «أوجستين» في كتاب **Enchridion**، كما قال أرسطو في كتابه التاسع من **Metaphysics**: من الجيد ألا نعرف بعض الرذائل أكثر من أن نعرفها، لكن كل خير لا بد أن ينسب إلى الرب. بالتالي سنقول مبدأيًا أن الرب لا يمنع رذيلة السحر، سواء هو يسمح بها أو لا. انظر أيضًا إلى كلام القديس «باول» في رسالة كورنثيوس الأولى: «**ألعل الرب تهمه الثيران؟**» لذلك لا يعتني الرب إذا كان هؤلاء السحرة يسحرون أم لا، لأنهم ليسوا خاضعين لإذنه، وإذنه يأتي من عنايته.

أيضًا، ذلك الذي يحدث بشكل طبيعي لا يحتاج إلى إذن حكيم أو لصاحب عقل راجح. هذا يتضح في كتاب أرسطو **Ethics** الكتاب الثاني: رجاحة العقل في المنطق الصحيح تكون على الأشياء الخاضعة لرأي الإنسان واختياره. ولكن هناك تأثيرات عديدة للسحر تحدث بشكل طبيعي بدون تدخل السحر، تكون مثلًا بسبب تأثير بالنجوم، التي تسبب المرض، أو أي شيء آخر من الأشياء التي قد نحكم عليها أنها سحر. بالتالي هذه الأشياء الطبيعية لا تحتاج دائمًا للإذن الإلهي.

وأيضًا، إذا سُحر الإنسان بالإذن الإلهي، سيكون هناك سؤال: لماذا يحدث هذا

لشخص أكثر من شخص آخر؟ إذا قيل أن هذا بسبب الخطية، والتي تكون كثيرة عند ذلك الرجل عن الرجل الآخر، فهذا لا يبدو صحيحًا، لأنه هكذا سيكون الأكثر خطيئة هو الأكثر تأثرًا بالسحر ولكن الحقيقة أن المذنبين هم الأقل عقابًا في هذا العالم. لأنه عادة يقال: هنيئًا للكاذبين.

ولكن ضد هذه الجدليات: أنه من المُسَلم به أن الرب يسمح بالشر أن يحصل، رغم أنه لا يتمناه أن يحصل، لكنه يحصل لأجل كمال الكون. انظر كلام «ديونيسيوس» في كتاب **de Diuin Nom** الثالث، الشر سيكون أبد الدهر، لأجل كمال هذا الكون. والقديس «أوجستين» في كتاب **Enchiridion** يقول: كل الأشياء الجيدة والسيئة تصنع الجمال الباهر لهذا الكون. فما يقال أنه شر إنما هو مرتب بعناية، وموضوع في مكانه الصحيح فيؤدي المهمة بشكل أفضل وهذا شيء جيد، والأشياء الجيدة أكثر إرضاء وجدارة بالثناء إذا قارناها بالأشياء السيئة. القديس «توماس» أيضًا يدحض رأي أولئك الذين يقولون أنه رغم أن الرب ليست له رغبة في الشر - حيث أنه لا توجد مخلوقات تبحث عن الشر، سواء في الطبيعة أو في الحيوانات، أو في رغباتهم وشهواتهم، إنما يكون هدفهم هو المتعة الجيدة - ولكنه يريد أن يكون الشر موجودًا. قال أن هذا خاطئ، لأن الرب لا يتمنى للشر أن يحدث، ولا يتمنى للشر ألا يحدث، هو فقط يسمح بالشر أن يحدث، وهذا جيد لكمال الكون.

ولماذا من الخطأ أن نقول أن الرب يتمنى الشر أن يحدث لأجل كمال هذا الكون، يقول أن هذا للسبب التالي، ليس من شيء يُحكم عليه أنه جيد إلا إذا كان جيّدًا في نفسه وليس بالصدفة. مثل الرجل الفاضل، سيحكم بشيء جيد لأن طبيعته جيدة، لن يحكم بطبيعته الحيوانية، والشر ليس مرتبا بذاته لأجل الخير، ولكن ذلك يحدث بالصدفة. لأن الرب ضد رغبات هؤلاء الذين يفعلون الشر، فهم حين يعملون شرهم، تحدث نتائج جيدة في النهاية. بهذه الطريقة يكون الرب ضد رغبات الساحرات، وضد رغبات الطغاة، وظهر هذا خلال إعداماتهن حيث نور الرضا أشرق بوضوح.

الإجابة. هذا السؤال صعب في فهمه كما هو مفيد في شرحه، وهو ليس سؤالا للشخص العادي إنما هو سؤال للشخص الحكيم، والاثنان يشتركان في أنهما يصدقان أن هذا السحر الفظيع يأذن به الرب، وهم يجهلون مراد الرب من هذا

الإذن. وبسبب هذا الجهل من مراده، سيتم قمع الساحرات بكل هذا الشر الذي فيهم، فيبدو أنهن يردن تدمير المسيحية كلها. وعندها، كل من المتعلم وغير المتعلم سيكون مرتاحًا بكل الطرق، طبقًا لرأي اللاهوتيين، نحن سنبدأ إجابتنا بمناقشة اثنين من الصعوبات. أولًا، أن هذا العالم يخضع لعناية الرب التي يعطيها بنفسه للجميع. ثانيًا، أنه في عدالته، يسمح بغلبة الخطية، بكل ما يكون فيها من ذنب وعقاب وضياع، وجاءت الخطية أصلًا بسبب أول إذنين له، تحديدًا، الإذن بسقوط الملائكة وتحولهم إلى شياطين والإذن بخطية آدم وحواء. ومن هذا يتضح أنه يجب أن نصر على الكفر بهذه الهرطقة حتى لا يورط إنسانٌ نفسه في ضلالات الكفار.

وبالنسبة للصعوبة الأولى، ما يتعلق بعناية الرب (انظر كتاب **Wisdom** الرابع عشر: أنت تعتني، يا أبانا، الحاكم على كل شيء)، نحن يجب أن نؤمن أن كل الأشياء خاضعة لإرادته، وأنه أيضًا يعطي كل شيء، وحتى نجعل هذا واضحًا، دعنا أولًا ندحض أحد الضلالات. إذا أخذنا النص في سفر أيوب: «**السحاب ستر له فلا يُرى، وعلى دائرة السماوات يتمشى**». البعض آمن أن عقيدة القديس «توماس» تعني أن الأشياء الطاهرة فقط هي الخاضعة لعناية الرب، مثل الأرواح المختلفة والنجوم، وأيضًا فصائل الحيوانات الأقل درجة من الإنسان، والتي تكون أيضًا طاهرة، ولكنهم قالوا أن هناك أفرادًا من أي فصيلة، يكونون قابلين للفساد، فهؤلاء لا يخضعون.

بالتالي قالوا أن كل الحيوانات ذات الدرجة الأقل في هذا العالم هي خاضعة لعناية الرب في الكون، ولكن ليس بشكل فردي. ولكن بالنسبة للآخرين فهذا الرأي لا يمكن تقبله، لأن الرب يعتني بالحيوانات مثلما يعتني بالإنسان. وبالتالي يقول الحبر موسى متأملًا أن يقف في مكان محايد، أنه يوافق على كلامهم أن كل الأشياء القابلة للفساد ليسوا بشكل فردي خاضعين للعناية الإلهية، لكن الرب حمى البشر من كثير من الأشياء السيئة، بسبب النعمة الباهرة لذكائهم، وأرواحهم المختلفة. وبالتالي تبعًا لهذا الرأي، مهما حدث السحر للإنسان بالإذن الإلهي، فهو ليس كثيرًا مثل الذي يحدث للحيوان أو أي من ثمار الأرض الأخرى.

هذا الرأي أقرب للحقيقة من ذلك الذي يرفض بالكلية عناية الرب في

أمور العالم، إيمانًا بأن هذا العالم قد أتى بالصدفة، مثلما فعل «ديموكريتوس» والأبقراطيون، ورأيهم هذا ليس خاليًا من مغالطات عظيمة. لأنه يجب أن يقال أن كل شيء خاضع للعناية الإلهية، ليس فقط بشكل عام، ولكن أيضًا بشكل محدد، وأن السحر ليس يحدث فقط للإنسان ولكن يحدث أيضًا للحيوانات وثمار الأرض، وأنه يأتي من عناية الرب وإذنه. وهذا صحيح بوضوح، العناية وتنظيم الأشياء إلى نهايات معينة يمتد بقدر ما تمتد السببية الخاصة بهم.

الأشياء التي تخضع لحكم يحكمها، هي تخضع لحكم هذا الحاكم فقط في مدى تحكمه. ولكن عناية الرب هي عناية أصلية، تمد نفسها إلى الوجود كله، ليس فقط بشكل عمومي ولكن بشكل فردي، وليس فقط للأشياء الطاهرة، لأن كل شيء هو من عند الرب، فهو يعتني بكل الأشياء، مما يعني أن كل شيء منظم بواسطته إلى حد معين.

هذه النقطة تحدث عنها القديس «باول» في رسالة رومية الثالثة عشر: «**ليس سلطان إلا من الرب، والسلاطين الكائنة هي مُرتبة من الرب**» وعناية الرب لا بد أن تُفهم بالمنطق التالي، أنه هو يسبب تنظيم الأشياء لغرض معين، فعلى المدى البعيد، كل الأشياء تكون جزءًا من غرض نهائي واحد، والكل خاضع لعناية الرب. والرب يعلم كل شيء، ليس فقط عن الجماعة ولكن عن كل فرد على حدة. ومعرفة الرب لمخلوقاته هي معرفة الصانع لصنعته: فالصانع تكون صنعاته خاضعة لنظامه وتدبيره الخاص، وأيضًا، كل شيء خلقه الرب هو خاضع لنظام وتدبير الرب.

ولكن هذا لا يعطي سببًا كافيًا لحقيقة أن الرب يسمح في عدالته بالشر والسحر ليكونوا في هذا العالم، فهو العاطي والحاكم على كل شيء، ومن المفترض أن يُبعد كل الشر عن المتقين. ونحن نرى رجالًا من المتقين هؤلاء يفعلون كل شيء حتى يُبعدوا كل شر ممكن عن الذين يحبونهم، بالتالي، لماذا لا يبعد الرب بنفس المنطق كل الشر عنهم؟ لا بد أن نذكر أن المتحكم الكوني والعاطي هما شيئان مختلفان تمامًا. المتحكم العادي لا بد بالضرورة أن يُبعد كل الشر، لأنه لا يستطيع أن يستخرج الخير من الشر. ولكن الرب هو المتحكم الكوني بهذا الكون كله، ويمكنه أن يستخرج الخير من أي نوع من أنواع الشرور. يعني مثلًا وجود الطغاة هو الذي يُظهر الصابرين الشهداء، وبأعمال الساحرات يأتي التطهير وإثبات الإيمان، كما سيأتي. بالتالي

الرب ليس هدفه أن يمنع كل الشر، لكن قراءته للكون تجعله يعرف كل الخير. لأجل ذلك قال القديس «أوجستين» في كتاب **Enchiridion**، كم هو رحيم هذا الرب العظيم، لأنه لا يسمح بأي شر يكون في أعماله إلا إذا عَلِم بعلمه وسلطته أنه يمكنه أن يُخرج الخير من ذلك الشر.

ومن الضروري للحفاظ على الفضائل أن يكون موت شخص يؤدي للحفاظ على حياة شخص آخر. مثل الأسود التي تحيا بافتراس الحيوانات الأخرى.

السؤال ١٣. هنا سنجيب السؤال، عن أول إذنين إلهيين، الإذن بسقوط الشيطان وبخطيئة أبوينا.

هنا سنجيب السؤال، عن الإذنين الإلهيين الذين سمح بهما الرب بعدالته، تحديدًا، الإذن للشيطان صاحب الشر الأول أن يفعل الخطيئة، والثاني الإذن لآدم وحواء بالذنب ومن ثم السقوط.

السؤال هنا هو أن الرب بعدالته قد سمح لبعض الملائكة أن يُذنبوا وينقضوا العهد، الشيء الذي لم يكن سيسمح به إلا إذا كانوا هم أنفسهم قابلين للخطية، وأنه في المقابل حفظ بعض المخلوقات بنعمته، بدون أن يجعلهم يعانون من الإغواء، بينما سمح للإنسان أن تتم غوايته إلى الخطية. كل ها سيتم إيضاحه فيما يأتي. من العناية الإلهية أن كل شيء لا بد أن يتركه الرب ليتصرف حسب طبيعته الأصلية، ولا يكون عائقًا له لعمل أفعاله الطبيعية. لأن «ديونيسيوس» يقول في كتابه **De Diuin Nom**، العناية الإلهية ليست مدمرة ولكنها تحافظ على الطبيعة.

وهذا الكيان الشيطاني الأول، يظهر أن بدايته كانت كفردٍ طيب ومن الجنس الأعلى في خلقته وكان فردًا متميزًا. يقول (أرسطو، كتاب **Ethics**)، الخير في الكون تكون له الصدارة في حياة أي مخلوق. فإذا منعت الخاطئين من الذنب تمامًا، ستفقد بعض الدرجات من الكمال. لأن فكرة الطبيعة نفسها لن تكون موجودة وهي بفطرتها تجعل الإنسان يختار الخطية، فهي مَلكة طبيعية للإنسان الطبيعي.

كان ينبغي لـ «ساتان» أن يذنب، ليس بتأثير خارجي عليه، ولكن يبدو أن نفسه كانت ملائمة للخطية. ولقد فعل هذا عندما ابتغى أن يصير مساويًا للرب. ولقد أعلن هذا في سفر إشعياء الرابع عشر: **«سأصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي»**. هو يعلم أنه مخلوق بواسطة الرب، وبالتالي يعرف أنه من المستحيل له أن يتساوى مع خالقه. ولكنه سعى إلى المساواة مع الرب، ليس مطلقًا ولكن بتحفظ،

فطبيعة الرب لها خاصيتين، النعيم والخير، فكل النعيم والخير الذي في مخلوقاته إنما هو صادر منه. وبالتالي الملاك الشرير الأول، رأى أن عزة نفسه قد تجاوزت المخلوقات الأخرى، فتمنى أن يكون النعيم والخير في المخلوقات الأسفل منه مستمدًا منه هو. ولقد وثق أن هذا من حقه، حيث أنه كان أول من يوهَب في طبيعته هاتين الخاصيتين، النعيم والخير، وبالتالي المخلوقات الأخرى يجب أن تتلقى من هذا الشرف الذي في طبيعته. ولقد طَلبَ هذا من الرب، وكان مستعدًا أن يكون خاضعًا للرب لو أعطاه هذه المنحة. وبالتالي هو لم يتمنَ أن يكون مساويًا مع الرب بشكل مطلق، ولكن فقط بتحفظ.

سنذكر أيضًا أنه عندما رغب في تحويل طلبه إلى حالة التنفيذ، فجأة جعل طلبه معلومًا للآخرين، وفهم نفر من الملائكة طلبه ووافقوه عليه بنفوسهم المنحرفة. وبالتالي فخطيئة أول ملاك تجاوزت وفاقت خطايا الآخرين في حجم الذنب وسببه. انظر كتاب **Apocalypse** الثاني عشر. التنين يسقط من الجنة ويرسم معه الجزء الأخير من النجوم. ويعيش في هيئة «لوياثان»، ويكون ملكًا على كل الأطفال بالكبرياء. وطبقًا لأرسطو في كتاب **Metaph** الخامس، سمي بملك الأمراء، نظرًا لأنه حرك أولئك الخاضعين له وفقًا لرغبته وأمره. بالتالي خطيئته كانت أنه تسبب للآخرين بالخطية، لأنه هو الأول الذي لم يغويه شيء خارجي، بل كان هو الإغواء الخارجي للآخرين.

لقد كتبت هذا الأمر ببعض التطويل، لأنه لو فهمنا هذا الإذن الإلهي الهائل في حالة المخلوقات الأكثر نبلا فيما يتعلق بخطيئة الطموح، سيكون أسهل أن نعترف بالإذن الإلهي الآخر الخاص بأعمال الساحرات، واللاتي في بعض الأحيان تكون خطاياهن أعظم من خطايا الملاك وأعظم حتى من خطية آدم وحواء، كما سنوضح في الجزء الثاني.

العناية الإلهية سمحت لأول إنسان أن تتم غوايته ويذنب، وسنقول نفس ما قيل بخصوص مخالفة الملائكة. لأنه كل من الإنسان والملاك خُلقوا لنفس الغاية، وتركهم الرب لإرادتهم الحرة، حتى يمكنهم في النهاية أن يتلقوا الجزاء بالنعيم عن جدارة. بالتالي، كما أن الملاك لم يكن محفوظًا من سقوطه، كذلك الإنسان.

من أجل ذلك قال القديس «توماس» الرب معظم ومبجل حتى في الخطية، وذلك لأنه يعفو برحمة حين يعاقب بعدله، بالتالي يتعين عليه ألا يمنع الخطية. دعونا نعود إلى خلاصة مختصرة لمسألتنا، الرب سمح للإنسان بالخطية لعدة أسباب. الأول، أن قدرة الرب يمكنها أن تظهر، وهو وحده لا يتغير لكن المخلوقات تتغير.

ثانيًا، أن حكمة الرب يمكنها أن تُعلن، وهو الذي يأتي بالخير من الشر، وهذا لن يحصل إلا إذا سمح الرب للمخلوق أن يفعل الخطية.

ثالثًا، أن رحمة الرب يمكنها أن تظهر، حيث أن المسيح بموته حرر الإنسان الذي كان ضائعًا.

رابعًا، أن عدالة الرب يمكنها أن تظهر، وهي ليست فقط بمكافأة الخير ولكن أيضًا بعقاب الشر.

خامسًا، أن حالة الإنسان لن تكون أسوأ من بقية المخلوقات، كلهم يحكمهم الرب ويجعلهم يتصرفون وفقًا لطبيعتهم، لذا تعين عليه أن يترك الإنسان لقراره الخاص.

سادسًا، لأجل مجد الإنسان، مجد ذلك الإنسان الذي كان بإمكانه أن يرتكب الخطية لكنه لم يفعل.

وسابعًا، ليزين الكون، لأنه كما أن هناك ثلاثة أصناف من الشر في الخطية، الذنب والألم والضياع، فالكون يتزين بما يوجد فيه من ثلاثة أصناف من الخير، البر والسرور والمنفعة. البر مزين بالذنب، والسرور مزين بالألم، والمنفعة مزينة بالضياع. وبهذا تكون الإجابة على هذه الحجج.

حلول الحجج

بالنسبة للحجة الأولى، من الهرطقة أن تجزم أن الرب لا يسمح للإنسان بإرادته الحرة أن يفعل الخطية إذا أراد. الرب يسمح بكثير من الخطية، بمنطق قدرته على معاقبة الإنسان لأجل تزيين الكون. لأن القديس «أوجستين» قال» في كتابه **Book of Soliloques**: أنت يا سيدي قد أمرت وهو كذلك، أن عار الإثم لا يجب أن يمر منك بدون عِظم العذاب.

وليست صحيحة تلك الحجة التي تقال أن الحاكم الحكيم لا بد أن يبعد كل العيب والشر إلى أبعد ما يمكن. لأن الأمر مختلف مع الرب، فله عناية الكون كله، وهو ليس كالذي له عناية محددة. فالرب يمكنه أن يأتي بالخير من الشر.

وبالنسبة للحجة الثانية، من الواضح أن قدرة الرب وخيريته وعدالته واضحة في إذنه بالخطية. لذا عندما يُحتج بأن الرب إما أن يمكنه أو لا يمكنه أن يمنع الشر، الإجابة هي أنه نعم يمكنه أن يمنعه، ولكن للأسباب التي قدمناها لا يتعين عليه أن يفعل هذا.

وليس صحيحًا أن نحتج بأن الرب بالتالي يريد للشر أن يحدث، حيث كان بإمكانه منعه لكنه لم يفعل، لأنه كما وضحنا، الرب لا يمكن أن يتمنى للشر أن يحدث. لا هو يتمنى ولا هو لا يتمنى، هو فقط يسمح بالشر لأجل كمال الكون.

في الحجة الثالثة، القديس «أوجستين» وأرسطو يمكن أن نقتبس منهم في موضوع المعرفة الإنسانية، بالقول أنه من الأفضل للإنسان ألا تكون له معرفة بما هو شر ورذيلة لسببين، الأول أنه سيفقد فرصة التفكير في الشر. وثانيًا، لأن معرفة الشر في بعض الأحيان تنحرف بالمزاج ناحية الشر.

بالنسبة للحجة الرابعة: القديس «باول» يقول أن الرب لا يهتم بالثيران، ليوضح أن المخلوق العاقل لديه تحكم بأفعاله بما وهبه الرب من إرادة حرة. بالتالي الرب لديه عناية خاصة به، وبالتالي يمكن أن يتلقى إما العقاب أو المكافأة، وطبعًا الرب لا يعتني بالوحوش غير العاقلة بهذه الطريقة.

ولكن أن نقول أن أفراد الوحوش غير العاقلة ليست جزءًا من العناية الإلهية فهذا سيكون هرطقة، لأنه سنؤمن عندها أنه ليس كل شيء خاضع للعناية الإلهية، وسيكون هذا معارضًا للمدح الذي ذكر في الكتب المقدسة للحكمة الإلهية، والتي تمتد من أقصى الكون إلى أقصاه وتدبر كل شيء بإحسان، وهذا خطأ الحبر موسى كما بيناه سابقًا.

بالنسبة للحجة الخامسة، الإنسان لم يصنع الطبيعة، ولكنه يستعمل الطبيعة بأعظم قدر من الاستعمال الموافق لمهارته وقوته. وبالتالي فالعناية البشرية لا تمتد إلى الظواهر الطبيعية المحتومة، مثل أن الشمس ستشرق غدًا. ولكن العناية الإلهية تمتد إلى كل هذه الأشياء، حيث أن الرب نفسه هو مصمم الطبيعة. من أجل

ذلك فالعيوب في الطبيعة، حتى إن برزت من أسباب طبيعية، فهي خاضعة للعناية الإلهية. وبالتالي «ديموكريتوس» وفلاسفة طبيعيين آخرين كانوا مخطئين عندما نسبوا أي شيء يحدث للمخلوقات إلى الصدفة.

بالنسبة للحجة الأخيرة، رغم أن كل عقاب هو من عند الرب بسبب الخطية، فأعظم المذنبين ليسوا دائمًا مصابين ببلوى السحر. وهذا ربما يكون بسبب أن الشياطين لا تتمنى أن يصيبوا ويغووا تابعيهم، أو بسبب أن الشيطان لا يتمنى لهم أن يعودوا إلى الرب. كما قيل: بلاؤهم قد تضاعف، وهذا أرجعهم إلى الرب، إلخ. وكل العقوبات التي هي من عند الرب للخطيئة تُفهم وفقا لقول القديس «جيروم»، مهما كان ما نعانيه، فإنا نستحقه على خطايانا.

لقد تم إعلان أن خطايا الساحرات هي أخطر من خطايا ملائكة الشر وخطايا آدم وحواء. من أجل ذلك، فكما يعاقَب البريء على خطايا أبويه آدم وحواء، كذلك كثير من الناس غير الملومين يتم لعنهم وسحرهم بسبب خطايا الساحرات.

السؤال ١٤. هل ينبغي بسبب شناعة الساحرات، أن يُعلن أمرهن بوضوح؟

بالنسبة إلى شناعة الجرائم، يأتي السؤال، هل جرائم الساحرات تتجاوز في الذنب والألم والضياع، كل الشرور التي سمح بها الرب منذ بداية العالم وحتى الآن. ويبدو أنها حقًا تتجاوز، خصوصًا في الذنب. لأن الخطية التي يفعلها الإنسان وكان بإمكانه أن يتفاداها بسهولة هي أكبر من خطية إنسان آخر فعلها ولم يكن بإمكانه أن يتفاداها بسهولة. هذا يتضح من كلام القديس «أوجستين» في كتاب **de Ciuit Dei**: هناك كثير من الشر في الخطية عندما يكون من السهل ألا تخطئها. ولكن آدم، وآخرين أخطئوا وهم في حالة من الكمال والنعمة، وكان بإمكانهم بسبب النعمة أن يتفادوا خطياتهم تلك، خاصةً آدم الذي تم خلقه في النعمة. فهو أخطر من الساحرات اللاتي لم تكن لديهم هذه النعمة. وبالتالي فخطية آدم أعظم من كل الجرائم التي فعلتها الساحرات.

وأيضًا فيما يتعلق بالعقاب: أعظم عقاب هو الذي يكون لأعظم لوم. وخطية آدم كانت أكثر شيء عقابًا، والحقيقة أن خطيته عانى منها كل نسله بوراثة الخطية الأصلية. وبالتالي خطيئته أعظم من كل الخطايا الأخرى.

وأيضًا، نفس الشيء يحتج به فيما يتعلق بالضياع. لأنه طبقًا للقديس «أوجستين»: الشيء الشرير يكمن شرّه في أنه يُبعد الإنسان عن الخير: بالتالي عندما يضيع خير أكثر، يكون الشر أعظم. ولكن خطية أبوينا قد جلبت أعظم ضياع للنعمة وللطبيعة، لأنها سلبتنا من براءتنا وخلودنا، ولا توجد خطية قد جلبت لنا الضياع أكثر منها.

ولكن على الجانب الآخر، يقال أن الشيء الذي فيه أكثر أسباب الشر هو الشر الأعظم، مثل خطايا الساحرات. لأنهن يستطعن بإذن الرب، أن يجلبن كل شر على أي شيء فيه خير، كما تم إعلانه في الأمر السيادي البابوي. أيضًا، آدم أذنب فقط في أنه فعل الشيء الذي كان خاطئًا لأنه كان ممنوعا، ولكن فعله لم يكن خاطئًا

بذاته. أما الساحرات وبقية المذنبين، يذنبون بعمل الشيء الذي هو خطأ لأنه خاطئ بذاته، وممنوع. مثل القتل وكل الأشياء الممنوعة الأخرى. وبالتالي خطاياهم أثقل من خطية آدم.

أيضًا، الخطية التي تأتي بسبب الحقد أثقل من الخطية التي تأتي بسبب الجهل. والساحرات، بكثير من الحقد، يحتقرن الإيمان والأسرار المقدسة للإيمان، كما اعترفت كثير منهن.

الإجابة. الشرور التي تُرتكب من ساحرات هذه الأيام تتجاوز كل الخطايا الأخرى التي أذن بها الرب أن تحصل يومًا، كما قيل في عنوان السؤال. وهذا يمكن توضيحه بثلاث طرق، أولًا بشكل عام، بمقارنة أعمالهن بدون تحيز مع أي جرائم عالمية أخرى. ثانيًا، بشكل محدد، بالنظر إلى أي ميثاق وعهد قد دخلوه مع الشيطان. وثالثًا، بمقارنة خطاياهم مع خطايا ملائكة الشر ومع خطية أبوينا آدم وحواء.

جملة أن أعمال الساحرات تتجاوز كل الخطايا الأخرى تتضح بهذه الطريقة، أنه وفقًا لتعاليم القديس «توماس»، أشياء كثيرة تدخل في وزن الخطية من حيث ثقلها وخفتها، فنفس الخطية يمكن أن تعتبر ثقيلة بالنسبة لشخص وخفيفة بالنسبة لآخر. كمثال، يمكننا أن نقول عن الشاب الذي ارتكب الزنا أنه مذنب، لكن العجوز إذا فعله سنسميه مسعورًا. الخطايا الأثقل هي التي تحدث في أكثر الظروف سعة، هذه تكون في طبيعتها ومقدارها أكثر خطورة نوعًا ما.

ويمكننا أن نقول أنه رغم أن خطية آدم إلى حد ما أثقل من كل الخطايا الأخرى، نظرًا لأنه سقط بسبب تحريض بسيط وإغواء، حيث أنه كان بإمكانه أن يقاوم على الأقل بفعل العدالة الأصلية التي خلق بها، ومع ذلك تفاقمت خطيته لأنها تسببت في خطايا أثقل، لكن خطايا الساحرات تتجاوز رغم ذلك كل الخطايا الأخرى. وهذا سيتضح بطريقتين.

لأن الخطيئة الواحدة يمكن يقال أنها أكبر من الأخرى عن طريق واحدة من هذه الاعتبارات، في سببها: كما في خطيئة «لوسيفر» وآدم. في قبحها: كما كانت خطية يهوذا. في صعوبة غفرانها: كما هي الخطيئة ضد الروح القدس. في خطرها:

كما هي خطيئة الطمع. في الميل: كما هي خطيئة التحريض.

في الإساءة لجلالة الرب: كما هي خطيئة الوثنية والكفر. في صعوبة مكافحتها: كما هي خطيئة الكبر. في عمى العقل: كما هي خطيئة الغضب. ومن ثم، فإنه بعد خطيئة لوسيفر، أعمال الساحرات تجاوزت كل الخطايا الأخرى، في البشاعة، لأنهن يُنكرن صلب المسيح. وفي الميل، حيث يفعلن السوء بأجسادهن مع الشياطين. وفي العمى، حيث أرواحهن حقودة وغضبى ويجلبن كل أذى على أرواح وأجساد البشر والوحوش.

وهذا أكد عليه القديس «إيزيدور» بقوله: لأنهن يُدعَون ساحرات «باللاتينية **maleficae** وتعني المؤذية» بسبب بشاعة جرائمهن.

هناك تدرجان في الخطيئة، الصد، وتغير القلب. يقول القديس «أوجستين»: الخطية هي أن ترفض الخير الراسخ، وتتعلق بالأشياء المتقلبة. بالتالي، كلما ازداد الإنسان بها بعدًا عن الرب، كلما كانت الخطية أثقل. وبما أن الكفر هو السبب الرئيسي لابتعاد الإنسان عن الرب، فإن كفر الساحرات يعتبر هو الخطية الأعظم. ولقد أعطي لكفرهن اسم الهرطقة، التي تعني الردة عن الإيمان.

خطية الكفر تتكون من معارضة الإيمان، وهذه المعارضة يمكن أن تأتي من طريقين، بمعارضة الإيمان الذي لم يتم تلقيه بعد، أو معارضة الإيمان الذي تم تلقيه. الأولى هي طريقة كفر الوثنيين والمشركين. والثانية، يتم فيها إنكار الإيمان المسيحي بطريقتين، إما بإنكار النبوءات التي فيه، أو بإنكار التجلي الفعلي لحقيقته. الأولى هي كفر اليهود، والثانية هي كفر الهراطقة.

من الواضح من هذا أن هرطقة الساحرات هي الأكثر شناعة من الدرجات الثلاثة من الكفر، وهذه الحقيقة مثبتة بالمنطق والشريعة. لأنه قيل في رسالة بطرس الثانية «**لأنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوا يرتدّون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم**» ومن المنطقي أن نقول أن خطيئة الذي وعد ولم يوف بوعده أكبر من خطيئة الذي لم يوف بما لم يعد به أصلًا. والمهرطق هو الذي يعلن إيمانه بالأناجيل ثم تجده يكافح ضدها بتشويهها، وخطيته أكبر من خطية اليهود والوثنيين.

وأيضًا، اليهود يذنبون بشكل أكبر من الوثنيين، لأنهم قد تلقوا نبوءة الإيمان

المسيحي في العهد القديم، ثم أفسدوها بسوء ترجمتها، وهو ليس الحال بالنسبة للوثنيين. بالتالي كفر اليهود خطيئة أكبر من خطيئة الوثنيين، الذين لم يتلقوا الإيمان بالأناجيل. وبخصوص الردة، يقول القديس توماس في كتاب **Second of the Second**، الردة تعني الانصراف بعيدا عن الرب والدين.

القديس «رايموند» و«هوستينسيس» يقولان أن الردة هي رحيل متهور من حالة الإيمان أو الطاعة أو الدين. والردة بعد الإيمان أكبر خطيئة من أي من النوعين الآخرين للكفر، لأنه في نوعها يتم حذف الدين السابق كله.

ولكن وفقًا للقديس «رايموند» الإنسان لا يُحكم عليه بالردة مهما كان ابتعاده وطول ضلاله، إلا إذا أبان فيما يأتي من حياته أنه لم يفكر في الرجوع إلى الإيمان مطلقًا. وهذا يتضح في حالة رجل الدين إذا أراد أن يتزوج مثلًا، أو أن يرتكب جريمة مماثلة. فهي ردة من الطاعة يرفض فيها الشخص متعمدًا تعاليم الكنيسة والأساقفة. ورجل كهذا لا بد أن يحكم عليه بالخزي ويتم نفيه.

عندما نتحدث عن ردة الساحرات، فنحن نعني الردة الخائنة، وهذه أشد بشاعة، في أنها تنبت من عهد تم عمله مع الشيطان عدو الإيمان وعدو الخلاص. لأن الساحرات ترتبطن بأداء هذا العهد، الذي فرضه هذا العدو إما جزئيًا أو كليًا. لأننا نحن المفتشين قد وجدنا بعض الساحرات اللاتي أنكرن كل مقالات الإيمان، وأخريات أنكرن فقط بعضًا منها، ولكن كلهن مرتبطات بإنكار سر الاعتراف في الكنيسة. وبالتالي، حتى ردة «جوليان» لا تبدو كبيرة جدًا بالنسبة لهم، رغم أنه في اعتبارات أخرى، هو قد تسبب بضرر أكبر للكنيسة، ولكن لا يمكننا الحديث عن هذا هنا.

ولكن يمكن أن يتم الاعتراض على أنه من الممكن أنهن محتفظات بالإيمان في أفكار قلوبهن، التي يراها الرب فقط، بينما يؤدين تبجيل وطاعة الشيطان في الظاهر فقط. لإجابة هذا نقول، يبدو أن هناك درجتين من درجات الردة الخائنة. إحداهما تتكون من فعل ظاهري بالكفر، بدون عمل أي عهد مع الشيطان، مثل شخص يعيش على أراضي الكفار ويجعل حياته مطابقة لحياة المحمديين المسلمين. الدرجة الأخرى فيها عهد مع الشيطان عمله شخص يعيش على الأراضي المسيحية. الحالة الأولى، هم الذين يبقون الإيمان في قلوبهم ويرفضونه بأفعالهم الظاهرية،

وهم ليسوا مرتدين وليسوا هراطقة، إلا أنهم مذنبون بذنب مميت. لأنه بهذه الطريقة، أظهر سليمان التبجيل لآلهة زوجاته. ولا أحد يمكن أن يلتمس له العذر بأنه عمل هذا بدافع الخوف. لأن القديس «أوجستين» يقول: من الأفضل أن تموت من الجوع عن أن يطعمك الوثنيون. ولكن مع ذلك ساحرات كثيرات ربما يُبقين الإيمان في قلوبهن بينما يرفضنه بشفاههن، ولكن سيظل الحكم عليهن أنهن مرتدات، لأنهن قد عملن معاهدة مع الموت وميثاقًا مع الجحيم. لأجل هذا يقول القديس «توماس»، بالحديث عن الأعمال السحرية، وعن هؤلاء الذين يطلبون العون من الشياطين، فكلهم مرتدون عن الإيمان، بسبب العهد الذي عملوه مع الشيطان، إما بالكلمة، حيث استخدموا تضرعات وابتهالات معينة، أو عملوا بعض الأفعال، حتى وإن لم يكن فيها تضحية حقيقية، لأنه لا أحد يخدم سيدين.

عن نفس التأثير يكتب «ألبيرتوس ماجنوس» المبارك، ويسأل إن كان السحرة والمنجمون مرتدين عن الإيمان. ويجيب، هناك دائمًا ردة بالكلمة أو بالفعل. إذا كانت هناك تضرعات وابتهالات تقال، فهناك عهد مفتوح قد تم عمله مع الشيطان وهذه ردة واضحة بالكلمة. ولكن إذا كان سحرهم هو عبارة عن فعل معين، فستكون هذه ردة بالأفعال. وبما أنه في كل هذه الطرق هناك إفساد للإيمان، لأنهم ينتظرون من الشيطان ما كان يجب أن يُنتظر من الرب. بالتالي، لا بد أن يحكم عليهم بالردة دائمًا. انظر كيف بتبيان درجتي الردة، نفهم الدرجة الثالثة، وهي ردة الفكر. فحتى لو كانت هذه الأخيرة مفقودة، مع ذلك يحكم على الساحرات أنهن مرتدات بالكلمة وبالأفعال. وبالتالي كما سنوضح، لا بد أن تتم معاقبتهن بالهرطقة والردة.

ولقد ارتكبن جريمة شنيعة ثالثة، تتجاوز كل الهرطقات الأخرى، وهي الكفر، فالقديس «أوجستين» يخبرنا أن كل حياة الكفار خطية، وتفسير رسالة رومية يقول أن أي شيء لا يأتي من إيمان فهو خطية. ماذا إذن عن حياة الساحرات وجميع أفعالهن التي تبدو جيدة ولا تعجب الشيطان مثل الصيام أو زيارة الكنيسة والأشياء الخيرة أخرى؟ هن في كل هذه الأشياء يرتكبن خطيئة مميتة، نشرحها كالتالي.

هن سقطن في الخطية ولكن لم يخسرن فرصة التعديل من أنفسهن (لأن الخطية لم تخرب كل الطبيعة الخيرية فيهم، وهناك نور طبيعي يظل موجودًا) لكن بسبب بيعتهن للشيطان - إلى أن يتحررن منها - فكل أعمالهن، التي تظهر أنها

جيدة، هي أعمال ذات طبيعة شريرة وليس هذا هو الحال بالنسبة للكفار الآخرين.

وفقا لقول القديس «توماس» في كتاب **Second of the Second** السؤال العاشر، أن أفعال غير المؤمنين التي تكون جيدة في طبيعتها، مثل الصيام، الصدقة وكل الأفعال من هذا النوع ليست نافعة لهم. وهذا بسبب كفرهم الذي هو خطيئة أكبر من كل ما عملوا. فالخطية لا تفسد كل الطبيعة الخيرية في الإنسان العادي، وسيظل هناك نور طبيعي باق فيه، إلا الكفر. كمثال، المُسلم يصوم، عملًا بشريعة محمد، واليهودي أيضًا لديه أيام صيام، ولكن حتى في عمله هذه الأعمال الجيدة فهو مذنب بخطيئة مهلكة. وبهذا يمكن فهم الاقتباس السابق للقديس «أوجستين»، أن كل حياة الكفار هي خطية.

الساحرات يستحققن أشد عقاب ممكن، أشد من عقاب جميع المجرمين في العالم.

جرائم الساحرات بالتالي تتخطى كل خطايا الآخرين، ونحن الآن سنعلن عن العقاب الذي يستحققنه، سواء كمهرطقات أو كافرات. المهرطق وفقا للقديس «رايموند» يُعاقب بطرق عديدة، مثل العزل، النفي، مصادرة ممتلكاته، والموت. والقارئ يمكنه أن يعرف أكثر باستشارة القانون المتعلق بحكم العزل. وحتى أتباع المهرطقين، ومن يحمونهم، وأنصارهم والمدافعين عنهم سيتحملون أشد عقوبة.

لأنه، فضلًا عن عقوبة العزل، فالمهرطقون وأتباعهم ومن يحمونهم وأنصارهم والمدافعين عنهم وحتى أطفالهم إلى الجيل الثاني من ناحية الأب، وإلى الدرجة الأولى من ناحية الأم، سيُحرمون جميعًا الانتفاع من الكنيسة. وإذا كان المهرطق لديه أطفال كاثوليكيون، فلأجل بشاعة جريمته، سيتم حرمانهم من وراثة الأب.

وإذا تمت إدانة المهرطق ورفض أن يتوب ويتخلى عن هرطقته، فلابد أن يتم حرقه بالكامل، لأن الذين يزيفون النقود تكون عقوبتهم الموت الفوري، فما بالك بمن يزيف الإيمان؟ ولكن إذا كان المهرطق رجل دين، فبعد الإهانة الرسمية له يتم تسليمه إلى المحكمة العلمانية ليُحكم عليه بالموت. ولكن إذا عادوا إلى الإيمان، يتم سجنهم مدى الحياة. ولكن في التطبيق الفعلي يتم التعامل مع رجال الدين بتساهل أكثر بعد التوبة، ليس التعامل المفترض طبقًا لحكم الأساقفة والمفتشين، كما سيتضح في الجزء الثالث، عندما نتحدث عن أساليب الحكم المختلفة على

الذين يُقبض عليهم ويحكم عليهم ويتوبون عن خطياتهم.

ولكن معاقبة الساحرات بهذه الطريقة لا تبدو كافية، لأن فعلهن ليس هرطقة عادية ولكن كفر. والأشد من هذا أنهن لا يخفين كفرهن خوفًا من الناس مثلًا، لكنهن يقدمن البيعة للشياطين ويهبن أجسادهن وأرواحهن لهم. يتضح من هذا بشكل كاف، أنه حتى لو تابت الواحدة منهن وعادت إلى الإيمان، فلابد أن تتم معاقبتها كبقية المهرطقين بالسجن مدى الحياة، ولكن أيضًا لا بد أن نطبق عليها أقصى عقوبة بسبب الضرر الذي يفعلنه في البشر والحيوانات بطرق عديدة. وإن تَعلُّم هذا الإثم وتَعَلُّم طرقه له نفس درجة الذنب، هكذا تقول الشريعة بخصوص العرافين.

وما الذي يمكن أن يقال أشد من هذا بالنسبة للساحرات، عندما تقول الشريعة أن العقوبة الواقعة عليهن هي مصادرة أملاكهن وقطع رؤوسهن. الشريعة أيضًا تقول الكثير بخصوص الذين يستفزون النساء بواسطة السحر للوقوع في الشهوة.

السؤال ١٥. لماذا يُعتبرُ أن ما هو أشد من خطايا الساحرات، أن البريء غالبًا يعاقب بسبب سحرهن؟

الحقيقة أنه بإذن الرب، كثير من البريئين يَضيعون وتتم معاقبتهم بالبلاءات، ليس بسبب خطاياهم الخاصة، ولكن بسبب خطايا الساحرات. وهذا قد يُعتبر مناقضًا للمنطق بالنسبة للبعض، يوضح القديس «توماس» في كتاب **Second of the Second** السؤال الثامن، أن هذا يحدث فقط عند الرب. فهو يقسم العقوبات في هذه الحياة إلى ثلاث درجات. الدرجة الأولى، إنسان يتبع إنسانًا، بالتالي إذا عوقب الإنسان المتبوع على عمله، فقد يعاني الإنسان التابع جراء هذه العقوبة. وكمثال واقع، الأبناء ملكية لأبوهم، والحيوانات والعبيد ملكية لأسيادهم، فالأبناء في بعض الأحيان يُعاقبون بسبب خطايا آبائهم. فابن داوود من الزنا مثلًا مات بسرعة، وحيوانات العماليق تم قتلهم. وحتى الآن سبب هذا لا يزال غامضًا.

الدرجة الثانية من العقوبة، أن خطيئة شخص يمكن أن يتحملها شخص آخر، وهذا بطريقتين، بالتقليد، فالأطفال يقلدون خطايا والديهم والعبيد والتوابع يقلدون خطايا أسيادهم. بهذه الطريقة يرث الأبناء خطايا ليست لهم، والعبيد يشاركون في سرقات وعداوات ربما يموتون بسببها. هناك أيضًا المتحملون لخطايا الحكام، فعندما يُخطئ حكامهم بوقاحة، ورغم أنهم لا يخطئون مثلهم، إلا أنهم يُعاقبون بالمثل.

يمكن أن يتحمل شخص خطية شخص آخر بسبب أنه يستحق هذا، مثل أن الابتلاء بالأمور الخبيثة يعاني منه الحاكم الخبيث، أو أن ذلك الشعب الخبيث يستحق حاكمًا خبيثًا. انظر سفر أيوب، إنه يجعل المنافقين يسودون بسبب خطايا الناس.

الخطية، والعقاب التابع لها، يمكن أن يتحملهما أحد بسبب السكوت. مثلا عندما يتجاهل الحكام استنكار خطية، عندها غالبًا سيعاقَب بها الصالحين مع

الفاسدين كما يقول القديس «أوجستين» في كتابه الأول de Ciutate Dei. هناك مثال عايشناه كمفتشين. قرية كانت خالية تقريبًا بسبب الموت المستمر لمواطنيها بسبب الطاعون. وظهرت فيها إشاعة أن هناك امرأة مدفونة تأكل كفنها تدريجيًّا، وأن الطاعون لن يُرفع إلا عندما تأكل الكفن كله وتبتلعه في معدتها. تم عقد مجلس، وأمر الحاكم أن يتم نبش القبر، ووجدوا نصف الكفن قد تم ابتلاعه بفمها وحلقها إلى معدتها. وبالارتعاب من المشهد، سلَّ البوديستا سيفه وقطع رأسها ورماه خارج القبر، وعلى الفور توقف الطاعون. خطايا هذه المرأة العجوز كانت بإذن الرب محملة على قومها البريئين بسبب سكوتهم عما فعلته من قبل. فعندما تم التفتيش وجدوا أنه ولمدة طويلة من حياتها كانت ساحرة ومشعوذة.

الدرجة الثالثة من العقوبة، أن يتحمل الخطية بإذن الرب مجتمع كامل، فالمواطن هنا ينبغي أن يعتني بالمواطن الآخر بمنعه عن الخطية، لأن الخطية شيء كريه، ولأن خطية الواحد يمكن أن تصيب الجميع، كما لو كان الكل جسدًا واحدًا. كمثال، خطية عخان في سفر يشوع السابع.

يمكن أن نضيف طريقتين، أن الخبيث يعاقَب في بعض الأحيان بسبب الطيب، وفي بعض الأحيان يعاقَب بالخبثاء الآخرين. لأنه كما قال «جراتيانوس»، في بعض الأحيان يعاقب الرب بواسطة الذين يمارسون سلطتهم الشرعية بأمره، وهذا يكون بطريقتين، بإعطاء ميزة للمعاقبين، كما عاقب الرب خطية الكنعانيين بواسطة شعبه، وفي بعض الأحيان لا تكون هناك ميزة للمعاقبين، مثلما عاقب قافلة بنيامين ودمرها بسبب رجال قليلين. وفي بعض الأحيان يعاقب الرب أمته، بواسطة أشخاص لا يؤمنون بالرب، ملعونين يطمعون في مكاسب خاصة، كما عاقب الرب شعبه بواسطة الأتراك، وعمل هذا كثيرًا في العهد القديم.

لكن ينبغي أن نذكر أنه مهما كان السبب الذي يعاقَب بسببه الإنسان، فإذا لم يصبر على آلامه، فستصبح العقوبة بالنسبة له مصيبة وليست تصحيحًا، انظر سفر التثنية الثاني والثلاثين: «**إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى**». ولكن إذا تحمل الإنسان مصائبه بصبر، عندها يكون العقاب تصحيحًا، كما قال القديس «توماس» في كتابه الرابع. وهذا حقيقي حتى بالنسبة للمعاقَب بسبب ارتكاب السحر، لدرجة أكبر أو أقل وفقًا لإخلاص الذي يعاني وشدة جريمته.

ولكن عقوبة الموت، كونها هي التخوف الأكبر لأي شخص، فهي ليست تصحيحا، ومع ذلك، وفقًا لـ «سكوتوس»، عندما ينتظر الإنسان المعاقب بالموت باستسلام وإخلاص، ويمنح أوجاعه لأجل الرب، يمكن أن يصبح عقابه بطريقة ما تصحيحًا.

ومع ذلك، لغرض التبشير للعامة يجب أن نذكر أنه، على الرغم من العقوبات المذكورة آنفًا والتي يصيب الرب بها الناس بسبب خطاياهم وخطايا الآخرين، لا بد للمبشر أن يحفظ هذا الحكم الشرعي كمبدأ أساسي له وللناس، لا أحد يجب أن يعاقَب بدون ذنب، إلا إذا كان هناك سبب لفعل هذا. وهذا الحُكم معمول به جيّدًا في محكمة السماوات، وهناك يفعل الرب كما يفعل في محكمة الناس بعدالته، سواء كانت محكمة الناس علمانية أو كنسية.

المبشر لا بد أن يتوقع هذا من محكمة السماوات. لأن عقوبة الرب نوعان، روحية ومؤقتة. في العقوبة الروحية، لا تكون العقوبة بدون ذنب. وفي العقوبة المؤقتة ربما يحدث هذا بدون ذنب ولكن ليس بلا سبب. العقوبة الروحية ثلاثة أنواع، النوع الأول خسران النعمة ويحدث تصلب أكثر للخطية في القلب، وهذه لا يصاب بها إلا المعاقَب بذنبه الخاص. النوع الثاني الضياع، الذي هو الحرمان من المجد، وهذه لا يصاب بها إلا البالغ الذي له ذنب خاص، أو الطفل المتحمل لخطية والديه. النوع الثالث الإيلام، وهذا مثل التعذيب بنار الجحيم، وواضح أنه يحصل بسبب الخطية الشخصية. لأجل ذلك قيل في سفر الخروج العشرين: «**لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ**» وهذا مفهوم لما تحدثنا عن المقلدين لجرائم آبائهم، كما وضح «جراتيان» في الكتاب الأول السؤال الرابع، حيث قدم شرحًا أكثر.

بالنسبة للعقوبة المؤقتة، فهي يمكن أن تكون عقوبة بسبب خطية الآخرين، ويمكن أن تكون بسبب خطية شخصية. ولكن إذا أردت أن تعرف الأسباب التي يعاقِب الرب بها بدون ذنب شخصي أو ذنب شخص آخر، يمكن أن ترجع إلى الخمس طرق التي شرحهم الماستر في الكتاب الرابع، ولا بد أن تأخذ الأسباب الثلاثة الأولى لأن السببين الأخيرين يتعلقان بالذنب الشخصي.

هو يقول عن الأسباب الخمسة، السبب الأول، أن يُعظم الرب، وهذا عندما تُرفع عقوبة أو مصيبة بطريقة إعجازية، كما في حالة الرجل الذي وُلد أعمى (رؤيا يوحنا

التاسع)، أو في تربية «لازاروس» (رؤيا يوحنا الحادي عشر).

السبب الثاني، إذا كان السبب الأول غائبا، يرسل الرب عقوبة لتحصل للمصاب بها فضيلة ممارسة الصبر، وأيضًا حتى تُظهر للناس الفضائل الداخلية التي فيهم. الأمثلة في سفر أيوب الأول وسفر طوبيا الثاني.

السبب الثالث، أن الفضيلة يمكن أن تظهر من ذل الإهانة. القديس «باول» هو مثال، حيث يقول على نفسه في رسالة كورنثوس الثانية ١٢: «**ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات، أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع**». ووفقًا لـ «ريميجيوس» هذه الشوكة كانت هي عجز الرغبة الجسدية. هذه الحالة يكون المعاقَب فيها بلا ذنب.

السبب الرابع، أن العذاب الأبدي بعد الموت لا بد أن تبدأ بذرته في هذه الحياة، فهو بطريقة ما يبين للإنسان ما الذي يمكن أن يعانيه في الجحيم. الأمثلة هي «هيرود» (سفر أعمال الرسل الثاني عشر) و«أنتيوكوس» (سفر المكابيين الثاني ٩)

السبب الخامس، أن الإنسان يتطهر بالمصيبة، بإخراج الذنب من قلبه ومحو الذنب. الأمثلة تؤخذ من «مريم» أخت هارون، التي أصيبت بالجذام، وبني إسرائيل لما تاهوا في الربية، هذا وفقًا للقديس «جيروم». أو يمكن أن تكون المصيبة لأجل تصحيح الخطية. كما هو مثال داوود، الذي بعد أن تم الصفح عنه بعد الزنا الذي ارتكبه، تم إخراجه من مملكته كما في سفر الملوك الثاني، وتم التعليق على هذا بوساطة القديس «جريجوري» في حديثه عن الخطية. يمكن في الحقيقة أن يقال أن كل عقاب نعاني منه يأتي من خطية شخصية فعلناها، أو على الأقل يأتي من الخطية الأصلية التي وُلدنا بها، والتي هي نفسها سبب كل الأسباب.

ولكن بالنسبة لعقاب الضياع، أي اللعن الأبدي الذي سيعانون منه في المستقبل، فلا أحد يشك أن كل الملعونين سيتم تعذيبهم عذابًا أليمًا. لأنه مثل أن النعمة تتبعها رؤية مباركة لملكة السماوات، كذلك الخطية مهلكة يتبعها عذاب في الجحيم. وكما أن درجات النعيم في الجنة تُقاس وفقًا لدرجات الصدقة والنعمة في الحياة، أيضًا درجات العذاب في الجحيم ستكون تبعا لدرجات الخطية. وهذا أيضًا في كل الخطايا الأخرى، ولكنه ينطبق خاصة على الساحرات. انظر رسالة بولس للعبرانيين ١٠: «**فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقًا من داس ابن الله، وحسب دم العهد**

الذي قدس به دنسًا، وازدرى بروح النعمة»

وهذه هي خطايا الساحرات الرافضات للإيمان، اللاتي يعملن أسحارهن الشريرة في أقدس قدّاس، كما سنوضح في الجزء الثاني.

السؤال ١٦. هل يمكن مقارنة خطورة أعمال الساحرات بالخرافات البالية الأخرى؟

جرائم الساحرات هي أشنع من الممارسات الأخرى للعرافين والمشعوذين. هناك أربع عشرة فصيلة من فصائل السحر، ينبثقون من ثلاثة أنواع من العِرافة. أول الأنواع الثلاثة هو التضرع المفتوح للشياطين، والنوع الثاني هو النظر بصمت إلى حركة بعض الأشياء مثل النجوم أو الأيام أو الساعات وهذه الأشياء، النوع الثالث هو النظر في بعض الأفعال البشرية لغرض البحث عن شيء ضائع، وهذا يدعى سحر السورتيليس.

والفصائل التي تحت النوع الأول من أنواع العِرافة (التضرع المفتوح للشياطين) هي ما يأتي، السحر، تفسير الأحلام، تحضير الأرواح، التنبؤات، سحر الرمال، سحر الماء، سحر النار، قراءة الطالع، انظر كتاب **Second of the Second** للقديس «توماس». الفصائل التي تحت النوع الثاني من أنواع العِرافة هي علم الأبراج، قراءة أحشاء الحيوان، التبشير أو الإنذار، مراقبة الأشياء التي تجلب النحس أو الحظ، قراءة الكف، قراءة العظام.

الفصائل التي تحت النوع الثالث من أنواع العِرافة (سحر السورتيليس أو إيجاد الشيء الضائع) هي مثل ملاحظة الدبابيس والقشات، والتماثيل من الرصاص المنصهر. وتحدث القديس «توماس» أيضًا عن هذا في المرجع السابق الاقتباس منه.

دعونا ننظر إلى الفصائل التي تحت النوع الأول، هؤلاء الماهرين في السحر والإغراء يخدعون حواس الإنسان ببعض الخيالات، حيث تبدو المادة الجسدية مختلفة للنظر واللمس، كما تحدثنا من قبل في طرق خلق الأوهام. الساحرات لا يرضين بمجرد عمل وهم أن العضو الذكري اختفى، ولكنهن عادة ما يُخربن القدرة الجنسية نفسها، حتى لا يقدر الرجل أن يعمل الفعل وإن كان لا زال محتفظا بعضوه

الذكري. وبدون أي وهم، تُسبب الشياطين الإجهاض الذي يكون مصحوبًا بعدة أمراض. ويمكن للشياطين أن تظهر في عدة أشكال وحوش كما قلنا سابقًا.

استحضار الأرواح هو استدعاء الأموات والتكلم معهم، كما هو واضح من الاسم، لأنه مأخوذ من الكلمة اليونانية **Nekros** وتعني الجثة، و**Manteia** وتعني الكهانة. وهم يفعلون هذا بعمل بعض التعاويذ على دماء الإنسان أو الحيوان، عالمين أن الشيطان يبتهج بمثل هذه الخطية، فهو يحب الدم وسكب الدم.

ورغم ظنهم أنهم يتصلون بالأموات من الجحيم لإجابة أسئلتهم، لكن في الحقيقة ما يظهر لهم هي الشياطين متمثلين بهيئة الأموات ويجيبون الأسئلة. وعلى هذا النحو كان فن الكاهنة التي تحدث عنها سفر الملوك الأول ٢٨، حيث ظهر «ساموييل» على هيئة «شاول».

لكن لا يجب على أحد أن يظن أن هذه الممارسات شرعية لأنه قرأ في الكتب المقدسة ما يقول أن روح النبي الحكيم تم استدعاؤها من «هيدس» للتنبؤ بحرب شاول القادمة، والتي ظهرت من خلال ساحرة. لأن القديس «أوجستين» يقول للأسقف «سيمليكانوس» إنه من السخف أن نصدق أن هذا مسموح بواسطة أي علم، ليس هذا بمقدور أي فن سحري، ولكن بواسطة علم غير معلوم للكاهنة وغير معلوم لشاول، فروح هذا الرجل الحكيم ظهرت أمام عين الملك، لتوَصل له حكمًا إلهيًا ضده. ولم تكن هذه روح ساموييل حقًا التي ثارت من رقدتها، لكن صورة الأشياء أحيانًا تسمى بأسماء الأشياء التي تتمثل بها. يقول القديس «أوجستين» أن هذه هي إجابة سؤال هل العِرافة العادية التي تتضمن تضرعًا للشياطين شرعية. في نفس الكتاب **Summa** سيجد القارئ الإجابة على سؤال هل هناك درجات من النبوءات بين المباركين، ويمكن أن يرجع إلى كلام القديس «أوجستين» ولكن هذا ليس له علاقة بحسنات الساحرات،والتي لا تُبقي أثرًا من التقوى فيهن، كما هو واضح من ملاحظة أعمالهن، لأنهن لا يتورعن عن سفك الدماء البريئة، وإحضار الأشياء المخفية للنور بتوجيه من الشياطين، وهن يُدمرن الروح مع الجسد ولا يدخرن في هذا حيًا أو ميتًا.

تفسير الأحلام يمكن أن يُعمل بطريقتين. الأولى هي عندما يستخدم الشخص الأحلام لينغمس في مسائل السحر والتنجيم بمساعدة كشف الشياطين التي يتوسل

بهم، والذين يكون قد دخل معهم في عهد مفتوح. الثانية هي عندما يستخدم الإنسان الأحلام ليعرف المستقبل، يوجد نوع من الفضيلة في الأحلام التي تأتي من الكشف الإلهي، ولكن إذا كان هذا الكشف ليس مخالفًا للشريعة. هكذا يقول القديس «توماس».

لا بد أن نتحدث عن الملائكة أولًا، الملاك يمتلك قدرة محدودة، ويمكنه أن يكشف المستقبل عندما يكون العقل مهيئًا لمثل هذه الكشوفات أكثر منه إذا لم يكن العقل كذلك. العقل بشكل رئيسي يتهيأ باسترخاء الحركات الداخلية والخارجية، مثل عندما تكون الليالي ساكنة وأبخرة الحركة ساكتة، وهذه الظروف تتحقق تقريبًا قرب الفجر، عندما يكتمل الهضم.

وأنا أقول عنا نحن الخاطئين، الذين تَكشِف لهم الملائكة المتقين الربانيين بعض الكشوفات بأوامر من مراكزها، لذا عندما ندرس في وقت الفجر، نُعطَى فهما لبعض الأسرار في الكتب المقدسة. لأن ملاك الخير يتحكم في الفهم، كما يتحكم الرب في رغباتنا، وتتحكم النجوم بأجسامنا. ولكن بالنسبة لبعض البشر الكاملين، يمكن للملاك أن يَكشِف لهم في أي وقت، سواء كانوا مستيقظين أم نائمين. ومع ذلك، وفقًا لأرسطو في كتاب **de Somno et Uigilia**، هؤلاء البشر الكاملين عرضة أكثر لاستقبال الكشوفات في وقت معين دون آخر، وهذه الحالة تنطبق أيضًا على كل أمور السحر.

الطريقة الثانية التي يعمل بها تفسير الأحلام، لا بد أن نذكر أنه أثناء عناية الطبيعة وتنظيمها للجسد، بعض الأحداث المستقبلية في أحلام الإنسان يكون لها سبب طبيعي، لكنها تكون علامة على ما سيأتي للشخص في المستقبل، مثل الصحة أو المرض أو الخطر. وهذا هو رأي أرسطو. لأن الأحلام التي لها طبيعة روحية تعكس استعدادات القلب لإتيان مرض أو أي شيء آخر سيأتي للإنسان في المستقبل. فعندما يحلم الإنسان بنيران، فهي علامة على مرض ما، وإذا حلم بالطيران أو شيء كهذا، فهي علامة على التفاؤل، وإذا حلم بالماء أو شيء سائل، فهي علامة على البرد، وإذا حلم بمادة أرضية، فهي علامة على الحزن. وبالتالي تكون الأحلام مساعدة للأطباء في تشخيصهم كما يقول أرسطو في نفس الكتاب.

ولكن هذه أمور قليلة مقارنة بالأحلام الشريرة للساحرات. لأنه عندما لا يرغبن في أن ينتقلن بأنفسهن إلى مكان، ولكن يرغبن في أن يرين ماذا تفعل زميلاتهن من الساحرات، فمن ممارساتهن أنهن يستلقين على جانبهم الأيسر ويتضرعن باسم شيطانهم الخاص، ثم تنكشف هذه الأشياء لبصرهم على هيئة صور. وإذا أردن أن يعرفن سرًّا معينًا، إما لأنفسهن أو للآخرين، فهن يعرفنه من الشيطان الذي يزورهن في أحلامهن، بسبب العهد المفتوح غير المخفي الذي دخلنه معه. وهذا العهد، أيضًا ليس رمزيًا من النوع الذي يتحقق بذبح حيوان ما أو فعل تدنيس معين للمقدسات أو الدخول في عبادة شيء مريب، لكنه وهبٌ حقيقي لأنفسهن جسدًا وروحًا للشيطان، بتدنيس المقدسات بألسنتهن والإنكار القلبي لكل نُسُك الإيمان. ولا يرضين بهذا فقط، لكنهن يقتلن، أو يهبن للشيطان، أطفالهن وأطفال الآخرين.

فصائل أخرى من العرافة تتم ممارستها من الفايتونيين، الذين سُموا كذلك نسبة إلى «فايتون أبولو»،الذي يقال أنه مصدر هذا النوع من العِرافة وفقًا لكلام القديس «إيزيدور». هذا النوع لا يختص بالأحلام أو بالحديث مع الأموات، ولكن له علاقة بالأحياء، مثل حالة أولئك الذين وصلوا إلى الجنون بواسطة الشيطان، إما بقصد أو بدون قصد، فعلوا ذلك فقط لغرض التنبؤ بالمستقبل، وليس لأجل ارتكاب أي سوء آخر. من هذا النوع كانت فتاة ذُكرت في سفر أعمال الرسل السادس عشر، تلك التي كانت تصرخ دائمًا بأن الحواريين هم خدام الرب الحقيقي، والقديس «باول» ضجر منها بسبب هذا وأمر روح العرافة أن تخرج منها. ولكن من الواضح أنه لا توجد مقارنة بين هذه الأشياء وبين أعمال الساحرات، اللاتي وفقًا لكلام القديس «إيزيدور»، سُمين كذلك أصلًا لعِظَم مقدار خطاياهن وشناعة جرائمهن.

لأجل الإيجاز، لا حاجة لإكمال هذه الجدلية بخصوص الأشكال الصغرى من العِرافة، لأنه قد تم إثباتها بالنظر إلى الأشكال الكبرى. لأن المبشر يمكنه أن يطبق هذه الجدليات إذا أراد على أشكال أخرى من العرافة: مثلا على سحر الرمال، الذي يتضمن المواد الأرضية، مثل الحديد أو الحجر المصقول. وسحر الماء، الذي يتضمن الماء والكريستالات، وسحر الهواء، الذي يتضمن الهواء، وسحر النار الذي يتضمن النار. وقراءة الطالع، الذي يضمن أمعاء الحيوانات المضحى بها على ضريح الشيطان. لأنه رغم أن كل هذه تُعمل بتضرعات مفتوحة للشياطين، لا يمكن أن تقارن بجرائم الساحرات، لأنها ليست موجهة لغرض الأذية لأي إنسان أو حيوان

أو نبات على الأرض، ولكنها تُعمل لأجل معرفة المستقبل. الفصائل الأخرى من العرافة، التي تؤدى فيها التضرعات للشيطان بشكل خفي وليس بشكل مفتوح، هي مثل علم الأبراج، أو التنجيم، والذي سُمي بهذا الاسم بسبب مراقبة النجوم عند ولادة أحدهم، أو قراءة أمعاء الحيوان الذي يتضمن النظر في الأيام والساعات، والإنذار الذي يتضمن مراقبة تصرفات وصرخات الطيور، والتبشير الذي يتضمن مراقبة كلمات الإنسان، وقراءة الكف الذي يتضمن مراقبة الخطوط في الكف أو كفوف الحيوانات. ومن يرغب بأن يستزيد، يمكنه أن يرجع إلى تعاليم «نيدار» وسيجد الكثير عما إذا كانت هذه الأشياء شرعية أم غير شرعية. ولكن أعمال الساحرات طبعًا ليست شرعية.

السؤال ١٧. كيف نقارن بين جرائم الأربع عشرة فصيلة وبين جميع خطايا الشياطين؟

بشعة جدًّا هي جرائم الساحرات حتى أنها تتجاوز خطايا ملائكة الشر الساقطة، وإذا كان هذا صحيحًا على جرائمهن، كيف لا يكون صحيحًا على معاقبتهن في الجحيم؟ وليس من الصعب أن نثبت هذا بحجج عديدة تتعلق بجرائمهن. أولًا، رغم أن خطية «ساتان» لا يمكن الصفح عنها، فبالنظر بعين الاعتبار لطبيعة الملائكة، وبانتباه لرأي من يقول أن الملائكة خُلقت على الفطرة، ولم تخلق في النعمة. وبما أن الخير في النعمة يتجاوز الخير في الفطرة، بالتالي فخطايا أولئك الذين يسقطون من حالة النعمة مثل الساحرات لما رفضن الإيمان الذي تلقوه في التعميد، تتجاوز خطايا الملائكة. وحتى لو قلنا أن الملائكة خُلقت في النعمة، فأيضًا الساحرات رغم أنهن لم يخلقن في النعمة، إلا أنهن قد سقطن برغبتهن من النعمة، مثلما أذنب «ساتان» برغبته.

ثانيًا، من المضمون أن خطية «ساتان» لا يمكن الصفح عنها لأسباب عديدة. لأن القديس «أوجستين» يقول أنه قد أذنب بلا تحريض من أحد، وبالتالي فخطيته لا يمكن إصلاحها بشيء. والقديس «جون داماسين» يقول أن ذنبه هو أن لديه مشكلة ضد ذات الرب. وبما أن «ساتان» غير قابل للتوبة، بالتالي غير قابل لأن يُغفر له، وهذا يرجع إلى طبيعته، التي كونها روحية، يمكنها فقط أن تتغير مرة واحدة، فعندما تغيرت صار هذا أبديا، ولكن هذا ليس في الإنسان، حيث اللحم دائمًا يكافح الروح. أو ربما هو غير قابل لأن يُغفر له بسبب أنه أذنب في أماكن عالية من السماوات، بينما الإنسان أذنب على الأرض.

وعلى الرغم من ذلك، فخطيئته من جوانب كثيرة صغيرة بالمقارنة مع خطايا الساحرات. أولًا، كما وضح القديس «أنسليم» في أحد كتب الـ **Sermons**، أنه

أذنب في كبريائه عندما لم تكن هناك عقوبة للذنب. ولكن الساحرات استمررن في عمل الذنوب رغم أن هناك كثيرًا من العقوبات نزلت على الساحرات الأخريات، فاستخففن بكل هذا، وعجلن بارتكاب الجريمة، ولم يعملن الجريمة الأقل خطرًا مثلًا كباقي الخاطئين، ولكن عملن الجريمة الأكثر ترويعًا من أعماق قلوبهن.

ثانيًا، رغم أن ملاك الشر قد سقط من البراءة إلى الذنب، وبالتالي إلى التعاسة والعقاب، إلا أنه سقط من البراءة مرة واحدة فقط، بطريقة لا يمكن له فيها الرجوع. لكن المذنب يعود إلى البراءة بالتعميد، ويرجع ويسقط منها سقوطًا عميقًا. وهذا هو الحال خاصة في الساحرات الحقيقيات، كما أثبتت جرائمهن.

ثالثًا، هو أذنب ضد الخالق، ولكن الساحرات أذنبن ضد الخالق والمخلص يسوع.

رابعًا، هو هجر الرب الذي سمح له بالخطية ولم يعطه أي شفقة، ولكن الساحرات أبعدن أنفسهن من الرب بخطاياهن، فرغم سماحه لأي إنسان بالخطية إلا أنه لا زال يشفق عليه ويمنعه من ذلك بنعمته.

خامسًا، هو عندما أذنب، رفضه الرب بدون أن يريه أي نعمة أو أمل، ولكن الساحرات يذنبن رغم أن الرب ينادي بالرجوع إليه دائمًا.

سادسًا، كلا الخطيتين ضد الرب، ولكن «ساتان» كان ضد الرب الآمر، بينما كان الإنسان ضد المخلص الذي مات من أجلنا، فكما قلنا، الساحرات الخبيثات خطيئاتهن فوق الكل.

الحلول للجدليات لتوضيح الحقيقة بالمقارنة

بالنسبة للجدليات. إجابة الجدلية الأولى واضحة مما قلناه في بداية هذا السؤال. لما قلنا أن خطية واحدة وجب أن تكون أثقل من الأخرى، وأن خطايا الساحرات أثقل من الكل بالنسبة للذنب، ولكن ليس بالنسبة للعقوبة المستحقة. هنا لا بد أن نقول أن معاقبة آدم، بعد أن أذنب، يمكن أن نفكر فيها بطريقتين، إما بالتفكير به شخصيًا، أو بالتفكير في النسل كله، يعني الذرية التي أتت من بعده. بالنسبة للطريقة الأولى، الخطايا الأكبر تم ارتكابها بعد آدم، لأنه أذنب فقط بعمل

الشر الذي ليس شرًّا في طبيعته، ولكن كان ممنوعًا. وبالتالي خطايا الساحرات تستحق العقاب الأكبر.

بالنسبة للطريقة الثانية، صحيح أن العقوبة الأكبر تنتج من الخطية الأصلية الأولى، ولكن هذا صحيح بشكل غير مباشر، لأنه بواسطة آدم، كل الذرية أصيبت بالخطية الأصلية، وهو كان الأب الأول لكل هؤلاء الذين تمكن ابن الرب الوحيد من التكفير عن خطاياهم. أيضًا، آدم في شخصه، بوساطة النعمة الإلهية، تاب، ونجا بتضحية المسيح. ولكن خطايا الساحرات أعظم من هذا بلا مقارنة، لأنهن لم يرضين فقط بخطاياهن وهلاكهن، بل أسقطن وراءهن كثيرًا من توابعهن.

وثالثًا، يتبع لما قيل، بالصدفة فقط خطية آدم نتج عنها أكبر أذى. لأن آدم وجد الطبيعة غير الفاسدة وكان الأمر محتومًا بالنسبة له أن يجعلها دنسة، رغمًا عنه، فلا يتبع هذا أن خطيته كانت في جوهرها أعظم من الخطايا الأخرى. وأيضًا، الذرية كانت ستعمل نفس الخطية إذا وجدوا طبيعة فيها نفس الحالة. كذلك، الذي لم يجد النعمة لا يرتكب خطية مميتة كهذه، لكن الذي وجد النعمة وأضاعها هو الذي يرتكب. هذا حل القديس «توماس» للجدلية الثانية. وإذا أراد أي أحد أن يفهم الحل بشكل كامل، لا بد أن يضع في اعتباره أنه حتى آدم احتفظ ببراءته الأصلية، ولم يمررها إلى ذريته كلها، لأن القديس «أنسليم» يقول»، أي أحد سيأتي بعده سيظل يذنب. انظر أيضًا كلام القديس «توماس» حيث تحدث عن إذا كان الطفل المولود حديثًا سيولد قديسًا، وإذا كان البشر الذين قد حُفظوا الآن كانوا سيُحفظون لو أن آدم لم يُخطئ؟

السؤال ١٨. كيف تكون طريقة التبشير ضد حجج «لايمان» و«ليود فولك»؟

هذه طريقة التبشير ضد حجج «لايمان» و«ليود فولك» التي تبدو مثبتة بواسطة الكثيرين، عن أنَّ الرب لا يسمح بقدرة كبيرة للشيطان والساحرات.

أخيرًا، فإن على المبشر أن يكون مسلحًا ضد حجج «لايمان»، وحتى ضد بعض الرجال المتعلمين الذين يرفضون لدرجة ما أن هناك ساحرات أصلًا. فرغم أنهم اعترفوا بخبث وقوة الشيطان الذي يعمل هذه الشرور برغبته، لكنهم يرفضون أن هناك إذنًا إلهيًّا معطى له، ولم يعترفوا بأن الرب يسمح بمثل هذه الأشياء أن تكون. ورغم أنه ليست لديهم طريقة في حجتهم، وأنهم يتلمسون طريقهم عميانًا، فمن الضروري أن نقلل من يقينهم بالحجج الخمسة التي تنبع منها كافة اعتراضاتهم المزعجة. الحجة الأولى هي أن الرب لا يسمح للشيطان أن يهاجم الإنسان بهذه القوة الكبيرة.

السؤال المطروح هو، هل الإذن الإلهي لا بد أن يكون موجودًا دائمًا في الإصابة بالشيطان من خلال ساحرة. ويعطي المعترض حججًا لإثبات أن الرب لا يسمح بهذا، وأنه بالتالي لا يوجد سحر في هذا العالم. الحجة الأولى هي عن الرب، والثانية عن الشيطان، والثالثة عن الساحرة، والرابعة عن الضرر الحاصل بسبب السحر، والخامسة عن المبشرين والقضاة، بافتراض أنهم بشروا ضد الساحرات وعاقبوهن.

الحجة الأولى كالتالي: الرب يمكن أن يعاقب البشر على خطاياهم، وهو يعاقب إما بالسيف، أو المجاعة أو الطاعون، أو ببلايا كثيرة أخرى يتعرض لها البشر. بالتالي، لا حاجة عنده في أن يضيف عقوبات جديدة، فبالتالي هو لا يسمح بالسحر.

الحجة الثانية، إذا كان ما قيل عن الشيطان صحيحًا، تحديدًا أنه يمكنه تعطيل

الإنجاب فلا تستطيع المرأة أن تحمل أو إذا حملت، يمكنه أن يجعلها تجهض،أو إذا لم يكن هناك إجهاض، يمكنه أن يقتل الطفل بعد الولادة، وفي هذه الحالة سيكون قادرًا على تدمير العالم كله، ويمكن أن يقال أيضًا أن أعمال الشيطان أقوى من عمل الرب، لأن النكاح المقدس هو من عمل الرب.

الحجة الثالثة، يحتجون عن الإنسان نفسه، أنه إن كان هناك أي سحر في هذا العالم، فإن أشخاصًا معينين سيكونون أكثر تعرضًا له من غيرهم، وأنها حجة خاطئة أن يقال أن الإنسان يُسحر كعقاب على خطيته، وبالتالي من الخطأ أن نؤمن أن هناك سحرًا في هذا العالم. وهم يثبتون أنه من الخطأ أن نحتج بأنه إن كان هذا صحيحًا، فالمذنبين الأعظم سيتلقون العقاب الأكبر، ولكن هذه ليست الحقيقة، لأن المذنبين هم أخف الناس عقابًا أحيانًا، كما رأينا في قضية الأطفال البريئين الذين تم ادعاء أنهم سحرة.

الحجة الرابعة، أن الشيء الذي يمكن للإنسان أن يمنعه ويمكنه ألا يمنعه لكنه يسمح له أن يحصل، يمكن أن نقول أنه حاصل بإرادته. ولكن بما أن الرب الذي كله خير، لا يمكنه أن يتمنى حدوث الشر، بالتالي لا يمكن أن يسمح بالشر أن يحصل وهو قادر على منعه.

وحجتهم هذه فيها كلام على البلاء الذي يقال أنه بسبب السحر، يقولون أنه بلاء مماثل للأمراض الطبيعية والعلل العادية، وبالتالي يمكن أن يكون سببه طبيعيًا. لأنه من الممكن أنه بفعل الخلل الطبيعي، يصبح الإنسان أعمى أو يفقد العقل أو يموت، بالتالي أشياء كهذه لا يمكن أن ننسبها بهذه الثقة إلى الساحرات.

أخيرًا، يحتجون أن المبشرين والقضاة قد بشروا ومارسوا أفعالًا ضد الساحرات تجعل أنه إذا كان هناك ساحرات فعلًا، فإن حياة المبشرين لن تكون أبدًا آمنة بسبب كره الساحرات العظيم لهم.

ولكن الرد على هذه الحجج يمكن أن يؤخذ من السؤال الأول، الذي يتعامل مع المسلمة الثالثة للجزء الأول، وهذه النقاط يمكن أن تُعرَض فقط للناس المناسبين. كيف يسمح الرب للشر أن يكون، رغم أنه لا يتمناه أن يحدث، ولكنه يسمح به لأجل كمال العالم، وحقيقية أن الأشياء الجيدة تحصل على ثناء عال، وتكون محبوبة أكثر إذا قارناها بالأشياء السيئة، والشريعة يمكن أن نقتبس منها ما يدعم هذا.

وأيضًا في أعماق الحكمة الإلهية، لا بد أن يظهر الخير، وإلا سيبقى مخفيًا للأبد.

لأجل تسوية موجزة لهذا السؤال هناك عدة مقالات متوفرة عن الموضوع لأجل مزيد من المعلومات للناس، بالنسبة للتأثير، الرب سمح بسقوطين، سقوط الملائكة وسقوط أبوينا آدم وحواء، وبما أن هذين كانا أعظم السقوطات، فلا حاجة لنتساءل هل بقية السقوطات مسموح بها أم لا. ولكن هما كانا الأعظم بين السقوطات في نتيجتهما وليس في ظروفهما، كما وضحنا في السؤال الأخير. في نفس المكان تم توضيح كيف أن الرب سمح بهذين السقوطين وكان عادلًا، ولأي شخص الحرية أن يقول ما يحلو له.

ولكن لا بد أن نجيب على هذه الحجج. بالنسبة للحجة الأولى، أن الرب يعاقب بشكل كاف بالأمراض الطبيعية وبالسيف والمجاعة. سنضع لها إجابة ثلاثية أولًا الرب لم يحدد قدرته بأن تكون مقتصرة على عمليات الطبيعة، أو حتى على تأثير النجوم، بطريقة لا يستطيع بها أن يتجاوز هذه الحدود، لأنه غالبًا ما يتجاوزها في معاقبته للخطايا، وبإرساله للوباءات ومصائب أخرى بعيدة عن تأثير جميع النجوم، مثلما عاقب كبرياء داوود عندما عد الناس بإرسال طاعون على الناس.

ثانيًا، مما يتوافق مع الحكمة الإلهية أن الرب لا بد أن يكون حاكمًا على كل شيء يسمح بوجوده، وأن الأشياء تفعل الفعل بتحريض داخلي من ذاتها. بناء على هذا، ليس غرض الرب أن يمنع جميع أحقاد الشيطان، ولكن بالأحرى أن يسمح بها إلى الحد الذي يراه صالحًا للكون، وبالرغم من أن الشيطان مُقيد من قبل ملائكة الخير، فلا يستطيع أن يعمل كل الأذى الذي يتمناه. كذلك، الرب لا يهدف إلى كتم خطايا الإنسان التي يعملها بإرادته الحرة مثل رفض الإيمان أو أن يُخلص نفسه للشيطان، وهي أشياء في مستوى رغبة الإنسان. من هذين المدخلين نستنتج أن الرب سمح بعدله لهؤلاء الشياطين الذين يرفضون الإيمان بقدرات معينة، وهي قدرتهم على إيذاء الإنسان والحيوان والأشجار على الأرض.

ثالثًا، الرب يسمح بعدالته لهذه الشرور، وهي بعكس المتوقع، تسبب اضطرابًا عظيمًا غير مباشر للشياطين وتعذيبًا لهم. لأن الشيطان يتعذب جدًّا بشكل غير مباشر عندما يرى أن ما يحدث في النهاية هو ضد رغبته، فالرب يستخدم كل الشر لتمجيد اسمه ولتفضيل الإيمان، وتطهير المختارين، ولتعليم فضيلة الصبر. ومن

المؤكد أنه لا شيء يمكن أن يكون أكثر إزعاجًا لكبرياء الشيطان من هذه الأشياء (كما قيل: كبرياؤهم التي تكرهك تزيد باستمرار)، لأن الرب يُحول مكر الشر إلى أن يكون مجدًا له. وبالتالي فالرب يسمح بكل هذه الأشياء بعدالته.

حجتهم الثانية تمت الإجابة عليها من قبل، ولكن هناك نقطتان لا بد من الإجابة عنهما بالتفصيل. في المقام الأول، بعيدًا عن مقولة أن الشيطان أو أعمال الشيطان أقوى من الرب، فمن الواضح أن قدرته ضعيفة، وأنه لا يستطيع أن يعمل شيئًا دون إذن الرب. بالتالي يمكن أن يقال أن قدرة الشيطان صغيرة مقارنة بإذن الرب، رغم أنها عظيمة جدًا مقارنة بقوى الأرض الأخرى، كما اتضح في النص المقتبس بكثرة من سفر أيوب الحادي عشر: «**ليس له في الأرض نظير، صُنع لعدم الخوف**».

في المقام الثاني، لا بد أن نجيب عن سؤال هل الرب يسمح للسحر بأن يؤثر على القدرة الجنسية أكثر من تأثيره على أي قدرة أخرى. ولقد أجبنا عن هذا سابقًا، ويجب أن نضع في اعتبارنا العار الملحق بالتأثير على القدرة الجنسية للرجل، وأن الخطيئة الأصلية جاءتنا بسبب ذنب أبوينا وتم توريثها بطريقة التناسل. وفي قصة آدم نجد الحية وكأنها ترمز إلى أول أداة للشر.

بالنسبة لنقطتهم الثالثة، نحن نجيب بأن الشيطان لديه نية ورغبة أكبر لإغواء الصالحين أكثر من رغبته في إغواء الخبثاء، رغم أنه في الواقع يغوي الخبثاء أكثر من الصالحين، لأن الخبثاء لديهم قابلية أكبر للاستجابة لإغوائه. بنفس الطريقة، الشيطان يكون حريصًا أكثر على أذية الصالح أكثر من الشرير، ولكنه يجد أنه من الأسهل أن يؤذي الخبيث.

وسبب هذا وفقًا لكلام القديس «جريجوري» أنه كلما أعطى الإنسان مجالاً للشيطان، كلما كانت مقاومته للشيطان أصعب. ولكن بما أن الشخص الخبيث هو الذي غالبًا ما يعطي المجال للشيطان، فإغواؤه يكون هو الأسهل والأكثر تكرارًا، لأنه ليس لديه درع من الإيمان يحمي به نفسه. بالنسبة لهذا الدرع فالقديس «بولس» يتحدث في رسالته لأهل افسس، «**حاملين فوق الكل ترس الإيمان، الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة**». ولكن على الجانب الآخر، فالشيطان يُهاجم الصالحين بعنف أكثر من الخبثاء. وسبب هذا الهجوم هو أنه قد

سيطر بالفعل على الخبثاء، وبقي الصالحون، وبالتالي فهو يحاول بشدة أن يشحذ كامل قوته لفتنة الصالح، الذي لم يملكه بعد، الذي هو أهم عنده من الخبيث الذي يملكه بالفعل. بنفس الطريقة، الأمير على الأرض يؤدب بشدة هؤلاء الذين لا يتبعون أوامره، أو يشكلون خطرًا على مملكته، عن أولئك الذين لا يعارضونه في شيء.

كإجابة للحجة الرابعة، إضافة إلى ما كتبناه عن هذه المسألة، المبشر لا بد أن يشرح حقيقة أن الرب يسمح بالشر أن يحدث، ولكنه لا يتمناه أن يحدث، وهناك علامات خمسة للرغبة الإلهية، وهي الأمر، المنع، النصيحة، الفعل، والإذن. انظر كلام القديس «توماس» خصوصًا في الجزء الأول، السؤال ١٩، المقال ١٢، حيث وضحه بشكل تام. فرغم أن هناك رغبة واحدة للرب، والتي هي الرب نفسه، لأن جوهره واحد، إلا أنه بالنظر إلى تحقيق هذه الرغبة، فرغبته تتوضح ونستدل عليها بطرق عديدة، كما في سفر المزامير. الأعمال القديرة للرب متحققة في رغباته. لذلك هناك فرق بين الرغبة الأساسية الفعلية للرب والتعبير المرئي عن هذه الرغبة، فلو أن الرغبة هي رغبة إمتاع رجل، فبتحوير المعنى، سيتم التعبير عنها بعلامات خارجية مناسبة. لأنه بالعلامات والتحورات يتم إعلامنا أن الرب يريد لكذا وكذا أن يحصل.

يمكننا أن نأخذ مثالًا على أب، بينما لديه رغبة واحدة في نفسه، فهو يعبر عن هذه الرغبة بخمسة طرق، إما بنفسه، أو عن طريق شخص آخر. التعبير بنفسه يكون بطريقتين، إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. مباشرة عندما يفعل الشيء بنفسه، وهذا يسمى «الفعل». وغير مباشرة عندما لا يمنع أحدا آخر أن يعمل الفعل (انظر كتاب أرسطو **Physics** الرابع: المنع هو طريقة غير مباشرة)، وهذا ما يدعى علامة «الإذن». والأب يعبر عن رغبته عبر شخص آخر بثلاث طرق. إما أن يأمر الشخص ليعمل شيئا أو يمنع شيئًا - وهذه هي علامة «الأمر» أو علامة «المنع». أو هو يحث وينصح أحدًا ليعمل شيئًا وهذه هي علامة «النصيحة». وكما أن رغبة الإنسان تتضح بالخمسة طرق، كذلك رغبة الرب تتضح بهذه الطرق، وهذا يتضح في حديث القديس «ماثيو»: سيفعل في الأرض مثلما يفعل في السماوات، أو كما نقول، حتى نحقق في الأرض ما أمر، ونمتنع عن ما منع، ونتبع ما نصح. وبنفس الطريقة، القديس «أوجستين» يوضح أن الإذن والفعل هما علامتين من علامات رغبة الرب.

حيث يقول في كتاب **Enchiridion**: لا شيء يحصل إلا إذا رغب الرب العظيم له أن يحصل، إما بأن يسمح له بالحصول أو أن يفعله بنفسه.

نعود للحجة، من الصحيح أن نقول أنه عندما يمكن للإنسان أن يمنع شيئًا ولا يمنعه، فقد يقال أن هذا الشيء جاء برغبة الإنسان. ومقولة أن الرب هو الخير كله ولا يمكن أن يتمنى حدوث الشر، هي مقولة صحيحة أيضًا بالنظر إلى رغبة الرب، أو إلى الأربعة علامات لرغبته، لأنه لا نحتاج أن نقول أنه لا يمكن أن يريد الرب أن يفعل الشر، أو يأمر بالشر، أو يعجز عن مواجهة الشر، أو ينصح بالشر، ولكنه يستطيع أن يسمح للشر أن يحصل.

وإذا جاء سؤال كيف من الممكن أن نميز بين إذا كان هذا المرض قد حدث بواسطة السحر أو بواسطة سبب طبيعي وخلل عادي، سنجيب بأنه هناك طرق عديدة. الأول هو عبر رأي الأطباء. انظر كلمات القديس «أوجستين» في كتاب **On Christian Doctrine**: هناك خرافات تندرج تحتها بعض التعاويذ والتمائم المشاعة حول شخص، وهذه الخرافات تحتقرها علوم الطب. ولكن، الأطباء يمكن أن يفهموا من الظروف، مثل عمر المريض، صحة بشرته، وتعابير عينيه، أن مرضه هذا ليس ناتجًا من أي خلل في الدم أو المعدة، أو من أي عضو آخر، وبالتالي يحكمون أن هذا ليس بسبب أي شيء طبيعي، وإنما بسبب خارجي. ولأن السبب الخارجي لا يمكن أن يكون تسممًا، لأن التسمم سيكون فيه أخلاط مريضة في الدم والمعدة، فسيكون لديهم سبب كاف حتى يحكموا بأن هذا حاصل بسبب السحر.

وثانيًا، عندما يكون المرض غير قابل للعلاج، وليست هناك عقاقير تؤثر على المريض بل إن العقاقير تزيد الحالة.

ثالثًا، الشر يمكن أن يأتي بطريقة مفاجئة جدًّا على رجُل بحيث لا يمكن أن يكون قد حدث له هذا إلا بفعل السحر. مثل الذي حدث لرجُل نعرفه. كان من مواطني «سبايرز» ولديه زوجة عنيدة جدًّا، ورغم أنه حاول أن يرضيها بكل طريقة، إلا أنها تقريبًا كانت ترفض كل طريقة للاستجابة لرغبته، وترميه كثيرًا بسخريتها البذيئة. ولقد حصل أنه بينما هو ذاهب إلى بيته ذات يوم، وجد زوجته تلومه كالعادة بكلمات احتقار، كان يريد الخروج من المنزل ليهرب من الشجار. لكنها ركضت بسرعة أمامه وأغلقت الباب الذي أراد أن يخرج منه، وحلفت بصوت عال

أنه إذا لم يضربها، فليست عنده أمانة ولا رجولة. وبهذه الكلمات الثقيلة، مد يده غير عازم على إيذائها، وضربها ضربة خفيفة بكفه المفتوح على مؤخرتها، عندها سقط على الأرض فجأة وفقد الشعور بحواسه، وبعدها رقد على السرير لأسابيع عديدة وأصيب بأسوأ الأمراض. ومن الواضح أنه لم يكن مرضًا طبيعيًّا، ولكنه حادث بسبب نوع من سحر فعلته هذه المرأة. وحالات عديدة مثل هذه قد حصلت، وعرفها الكثيرين.

هناك البعض ممن يميزون هذه الأمراض بواسطة بعض الطرق. مثلا يمسكون برصاص مصهور فوق الرجل المريض، ويصبونه في إناء من الماء. فإذا تكثف الرصاص وصنع صورة ما، يحكمون بأن هذا المرض بسبب السحر. وعندما يَسأل الرجل هل كانت الصورة المتكونة هي بفعل الشياطين أم أنها طبيعية، الإجابة تكون أنها بفعل تأثير كوكب زحل على الرصاص، تأثير ذلك الكوكب يعتبر نوعًا من الشر، والشمس لها تأثير مماثل على الذهب. ولكن ما يجب أن نفكر به حيال هذه الطرق، أنه هل هي شرعية أم لا، وهذا ستتم مناقشته في الجزء الثاني من هذا البحث. لأن علماء الشريعة يقولون أنه شرعي أن تواجه الشر بالشر، ولكن اللاهوتيون يؤمنون برؤية معارضة لهذا، فيقولون أنه ليس من الصحيح أن نعمل الشر لأجل غرض خير.

في حجتهم الأخيرة، يقدمون عددًا من الاعتراضات. الأول، لماذا لا تصبح الساحرات غنيات؟ ثانيًا، لماذا لا تتعاون الساحرات مع الأمراء ويدمرن جميع أعداء الدولة؟ ثالثًا، لماذا هن غير قادرات على أذية المبشرين والآخرين الذين يلاحقونهن؟

بالنسبة للاعتراض الأول، سنقول أن الساحرات ليسوا أغنياء بسبب أن الشياطين يحبون أن يُظهروا احتقارهم للخالق بشرائهم الساحرات بأبخس الأثمان الممكنة. وأيضًا، الساحرات لا يردن أن يصبحن ظاهرات بسبب ثرائهن.

ثانيًا، لماذا لا تؤذي الساحرات الأمراء، لأنهن يردن الاحتفاظ بصداقتهم بقدر الاستطاعة. وإذا سأل أحد لماذا لا تؤذي الساحرات أعداء الدولة؟ سنجيب بأن ملاك الخير الذي يعمل في الناحية الأخرى، يمنع هذا السحر. انظر المقطع في سفر دانيال: «**ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحدًا وعشرين يومًا، وهو ذا**

ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي». انظر كلام القديس «توماس» في الكتاب الثاني من **Sentences**، حيث ناقش إذا كان هناك أي منافسة بين ملائكة الخير في هذه الأمور.

ثالثًا، يقال أنه لا يمكنهن أن يؤذوا المفتشين ومن يلاحقهن، لأنهم ينفذون العدالة، أمثلة كثيرة يمكن أن تضاف لإثبات هذا، ولكن الوقت لا يسعف لذكرها.

الجزء الثاني

السؤال ١. لأجل المعارضين لفكرة أن قوة الساحرات مؤذية دائمًا وغير نافعة أبدًا

الجزء الثاني من هذا العمل يتعامل مع الطريقة التي تتخذها الساحرات لأداء السحر، وهذه ستوضع تحت ثمانية عشر عنوانًا، بداية من موضوعين رئيسيين. أول هذين الموضوعين هو عن العلاجات الوقائية، والتي بها يكون الإنسان محصنًا ضد السحر، الموضوع الثاني عن العلاجات المعالِجة، والتي يعالَج بها من يتم سحره. لأن أرسطو يقول في كتابه **Physics** الرابع، الوقاية والعلاج متعلقان ببعضهما. بهذه الطريقة يمكن لكل الأساليب المروعة لهذه الهرطقة أن تتضح.

سيتم التركيز على النقاط التالية، أولًا، طقوس الساحرات وممارستهن لتدنيس المقدسات. ثانيًا، تطور طرق عملهن وطرق شعائرهن. ثالثًا، الوقايات المانعة ضد أسحارهن. ولأننا الآن نتعامل مع الأمور المتعلقة بالأخلاق والتصرفات، ولا توجد حاجة لسرد الحجج والمجادلات والبحوث، حيث أن هذه الأمور تمت معالجتها في المقالات السابقة، بالتالي نحن نُصلي للرب ألا يُصر القارئ على برهان كل قضية، لأنه من الكافي أن نضيف أمثلة رأيناها بأعيننا أو سمعناها من شاهد موثوق.

بالنسبة لأول نقطة، طقوس الساحرات، شيئان لا بد من اختبارهما، أولًا الطرق العديدة للإغواء التي يستخدمها الشيطان نفسه، وثانيًا الطرق العديدة التي تمارس بها الساحرات هرطقتهن. وبالنسبة لثاني نقطة، تطور طرق عملهن وطرق شعائرهن، ستة أشياء لا بد أن نختبرها بالترتيب تتعلق كلها بطريقة السحر وعلاجه. أولًا، ممارسات الساحرات التي تتعلق بهن شخصيًا وأجسادهن. ثانيًا، ممارساتهن التي تتعلق بالرجال. ثالثًا، الممارسات المتعلقة بالحيوانات المتوحشة. رابعًا، الأذى المتعمد الذي يفعلنه في ثمار الأرض. خامسًا، الأنواع من السحر التي تمارَس بواسطة رجال فقط وليس بواسطة نساء. سادسًا، السؤال عن إزالة السحر، وكيف تتم معالجة المسحور.

هناك سؤال يتعلق بإذا كان الإنسان يمكن أن تتم مباركته بواسطة ملائكة الخير فلا يمكن سحره بواسطة الساحرات بأي طريقة. ويبدو أنه لا يمكن ذلك، لأنه قد تم إثبات أنه حتى البريئين والطاهرين يتأثرون مثل الآخرين بالشياطين، مثل أيوب، وعديد من الأطفال الأبرياء، وكثير من الناس الذين تم سحرهم، لكن هؤلاء لا يكون سحرهم بقوة سحر الخبيثين، لأنهم لا يصابوا بالهلاك في أرواحهم، ولكن فقط في أشيائهم الدنيوية وأجسادهم. ولكن هذا الكلام سمعنا عكسه في اعتراف الساحرات، أنه بإمكانهن أذية كل أحد، ولكن الذين علمتهم الساحرة المعلومات التي استقتها من الشياطين، سيُحرَمُون من المساعدة الإلهية.

الإجابة. هناك ثلاثة فئات مباركين من قبل الرب، ولا يستطيع هذا الجنس المكروه إيذاءهم بالسحر. الفئة الأولى هم الذين ينفذون العدالة ضد الساحرات، أو يحاكموهن في العلن بشكل رسمي. الفئة الثانية أولئك الذين وفقًا لتقاليد وطقوس الكنيسة، لديهم استفادة مشروعة من السلطة فيستخدمون الأشياء المقدسة الطاردة للأرواح الشريرة والتي تضعها الكنيسة في الماء المقدس مثلًا، أو يتناولون ملح التكريس، أو يحملون الشموع المقدسة في يوم تطهير سيدتنا على أوراق النخيل في يوم أحد الشعانين المقدس، والرجال الذين يحصنون أنفسهم بهذه الأشياء فهي تزيل عنهم جميع قوى الشيطان، وسنتحدث عن مثل هذا لاحقًا. الفئة الثالثة هم الذين بطرق عديدة ولا نهائية، يبارَكون بواسطة الملائكة المقدسة.

سبب عدم تأثر الفئة الأولى بالسحر سيُشرح ونثبته بأمثلة. لأن القديس «بولس» يقول، كل القوة إذا جاءت من الرب، ستكون سيفًا للثأر من الخبيثين ومكافأة للخيرين، ولا عجب أن الشياطين تختبئ في جحورها عندما يتم تنفيذ العدالة للثأر من الجرائم المريعة.

نفس الشيء تكلم عنه العلماء وذكروا خمس طرق يمكن لقوة الشيطان أن تتعطل بها، إما بشكل كامل أو جزئي. أولًا، تقييد يتنزل من عند الرب لقدرة الشيطان، كما نرى في سفر أيوب الأول والثاني. مثال آخر هي حالة الرجل الذي قرأنا عنه في كتاب **Formicarius** لـ «نايدر»، الذي اعترف للقاضي أنه توسل بالشيطان حتى يمكنه أن يقتل أحد أعدائه، أو يضره جسديًا، أو يضرب رأسه بصاعقة. ولقد قال **«عندما توسلت بالشيطان حتى أعمل عملًا جيدًا بمساعدته، أجابني بأنه لا**

يقدر أن يفعل أيًا من هذه الأشياء، لأن الرجل لديه إيمان قوي ويحمي نفسه بعلامة الصليب، وبالتالي لا يمكن للشيطان أن يؤذي جسده، ولكن أقصى ما يمكنه أن يفعله هو أن يدمر جزءًا من أحد عشر جزءًا من ثمار أرضه».

ثانيًا، يمكن تعطيل قوة الشيطان باستعمال قوة خارجية، كما في حالة حمار بلعام، في سفر العدد الثاني والعشرين. ثالثًا، يمكن تعطيل قوة الشيطان بواسطة معجزة خارجية يتم أداؤها. وهناك البعض ممن بوركوا بهذه الفضيلة، كما سنذكر لاحقًا في الفئة الثالثة عن الرجال الذين لا يمكن أن يتأثروا بالسحر. رابعًا، يمكن أن تتعطل قوة الشيطان بعناية الرب الذي يرتب كل شيء ويجعل ملاكًا من ملائكة الخير يقف في طريق الشيطان، مثلما قتل «أسموديوس» الأزواج السبعة لسارة العذراء، ولكنه لم يقتل توبياس.

خامسًا، يمكن أن تتعطل قوة الشيطان في بعض الأحيان بسبب حذر الشيطان نفسه، لأنه تأتي أوقات هو لا يريد أن يعمل هذا الأذى المعين، بسبب السوء الذي يمكن أن ينتج عنه من وجهة نظره. كمثال، عندما يمكنه أن يعتدي على المعزولين لكنه لا يفعل، كما في حالة المعزولين في كورونثوس (رسالة كورونثوس الأولى ٥) فهو يريد أن يُضعف قوة الكنيسة بفعل هذا العزل. بالتالي، يمكن أن نقول أنه حتى منفذي العدالة الرسمية لم يكونوا محفوظين بالقدرة الإلهية، إلا أن الشياطين غالبًا باتفاقهم يسحبون الدعم والحراسة من الساحرات عندما يقبض عليهن، إما بسبب الخوف من المواجهة، أو بسبب أنهم يريدون أن يعجلوا بهلاك الساحرات.

هذه الحقيقة تم إثباتها بالخبرة الفعلية، لأن العالم المذكور آنفًا، أكد أن الساحرات شهدن أن هذه حقيقة من واقع تجربتهن، أنه بمجرد أن يتم أخذهن بواسطة منفذي العدالة رسميا، فهن يفقدن بسرعة جميع قوى السحر التي كانت لديهم. كمثال، قاض اسمه بيتر، وقد ذكرناه من قبل، أراد من ضباطه أن يقبضوا على ساحرة اسمها «ستادلين»، ولكن أياديهم أصابها ارتعاش عظيم، وغلبت على أنوفهم رائحة منتنة، ففقدوا الأمل بأن يلمسوا الساحرة. وأمرهم القاضي قائلًا **«يمكنكم أن تقبضوا على الساحرة بأمان، لأنه عندما تلمسوها بأيدي العدالة، ستخسر كل القوى الشريرة التي تخدمها»** وبالتالي تم إثبات الواقعة، لأنه تم أخذ

الساحرة وحرقها بسبب كثير من السحر الذي عملته، والذي سنذكره في الآن وفيما بعد في هذا البحث في المواضع المناسبة.

وكثير من مثل هذه التجارب قد حدثت لنا نحن المفتشين أثناء عملنا في مكتب التفتيش، مما يجعل عقل القارئ يتساءل إذا كان من المناسب ذكرها أيضًا. ولكن بما أن مدح الذات شيء دنيء ولئيم، فمن الأفضل أن نتجاوزها بصمت، هذا أفضل من أن نتحمل ذنب التفاخر والغرور. ولكن لا بد أن نستثني هؤلاء الذين أصبحوا معروفين جدًّا فلا يمكن أن يُخفوا شيئًا.

ليس من فترة طويلة في قرية «راتيسبون»، حكَم القاضي على ساحرة بالحرق، وسأل القاضي المفتشين نفس السؤال، لماذا المفتشين لا يتأثرون مثل بقية الرجال بالسحر. وأجابوا عليه بأن الساحرات حاولن كثيرًا أذيتهم، ولكنهن لم يستطعن. وسأل عن السبب، فأجابوا أنهم لا يعرفون، إلا إذا كان بسبب أن الشياطين حذرتهن من أن يعملن هذا. لأنه كما قالوا، يبدو من المستحيل أن نُخبر كم مرة أزعجتنا الساحرات ليلًا ونهارًا، يرسلن علينا شياطين في هيئات قرود، ليس بهيئات كلاب أو ماعز، يقلقوننا بصياحهم وشتائمهم، ويأخذوننا عن أرائكنا بصلواتهم الكفرية، حتى نقف خارج نافذة سجنهن، الذي كان عاليًا جدًّا حتى لا يصل لهن أحد بدون أن يُحضر أطول سلم، وبعدها بدا لنا أنهن يغرزن دبابيس غطاء الشعر بقوة في رؤوسهم. ولكن الحمد للرب العظيم، الذي برحمته، وبلا فضل منا، حفظنا كما يحفظ خدام عدالته وإيمانه.

السبب في حالة الفئة الثانية من الرجال هو بديهي. لأن طرد الكنيسة للشياطين معمول لأجل هذا الغرض، وهو علاج فعال لحفظ الشخص من أذية الساحرات.

ولكن إذا جاء سؤال في أي حالة يجب أن يستخدم الشخص هذه الحماية، فلا بد أن نتحدث أولًا عن هؤلاء الذين عملوا هذا بدون التلفظ بأي كلمات مقدسة، ثم عن أولئك الذين تلفظوا بالابتهالات المقدسة. لأنه في المقام الأول، من المشروع في أي منزل لائق لإنسان أو حيوان، أن يتم نثر الماء المقدس لأجل تأمين هذا الإنسان والحيوان، بالتضرع إلى الثالوث المقدس وباستخدام المسبحة. لأنه قيل في مكتب طرد الأرواح الشريرة، أنه أينما تم نثر هذا الماء المقدس، كل النجاسة ستتطهر،

وكل الأذى سيُطرد، ولن تقدر أي أرواح مهلكة أن تقيم هناك، إلخ. لأن الرب يحفظ الإنسان والحيوان، وفقًا للنبي، كل على حسب درجته.

ثانيًا، الشموع المقدسة، رغم أنه من المناسب أكثر أن نُشعلها، لأن الشمع الذي فيها يمكن أن يُنثر في البيوت. وثالثًا، من المسجل أن هناك أعشابا مقدسة تُحرق أو توضع في هذه الغرف حيث يمكن أن تكون فائدتها أكبر لحماية المكان.

وقد حدث لمدينة «سبايرز» في نفس سنة كتابة هذا الكتاب، أن امرأة متدينة كانت تتحدث مع امرأة يُشتبه فيها أنها ساحرة، ثم رمت المرأتين على بعضهن كلمات بذيئة. ثم في نفس الليلة أرادت المرأة المتدينة أن تضع طفلها الرضيع في مهده، وتذكرت مواجهتها هذا اليوم مع تلك المرأة المشتبه أنها ساحرة. فخافت على طفلها، ووضعت أعشابًا مكرسة مقدسة أسفل منه، ورشته بالماء المقدس، ووضعت الملح المقدس على شفتيه، وعلمته بعلامة الصليب، وبهذا أمنت المهد تمامًا. وفي منتصف الليل سمعت الطفل يبكي، وهرعت تريد أن تحتضن الطفل، وتحمل مهده إلى سريرها. فرفعت الشمعة، ولكنها لم تستطع أن تحتضن الطفل، لأن الطفل لم يكن هناك. المرأة المسكينة برعب ومرارة بكت على فقدان طفلها، وأضاءت الضوء، فإذا بالطفل في أحد زوايا الغرفة تحت الكرسي، يبكي ولكنه سليم تمامًا.

في هذا يمكن أن نَرى فضل الكنيسة في طرد الأرواح الشريرة. هذا يوضح أيضًا أن الرب العظيم برحمته وحكمته التي تمتد من الطرف إلى الطرف، يراقب أعمال الخبثاء، ويوجه سحر الشياطين، حتى أنهم لما يحاولوا أن يُضعفوا الإيمان، يجدوا أن العكس قد حدث واشتد الإيمان وتصلب بجذوره في قلوب الكثيرين. لأن الشخص المخلِص يمكن أن يتحصل على الكثير من النفع من هذه الشرور، فبسبب أعمال الشياطين، يصبح الإيمان قويًا، ورحمة الرب يمكن أن تُرى، وقدرته تتضح، ويقود البشر إلى حفظه وإلى توقير آلام المسيح، ويتنورون باحتفالات الكنيسة.

كان هناك مأمور يعيش في قرية «وايسينثال»، تم سحره فأصيب بأكثر الآلام شدة فكان جسده يتلوى، واكتشف - ليس من ساحرات أخريات ولكن من تجربته الخاصة - كيف تمت ممارسة السحر عليه. قال أنه كانت لديه عادة أن يُحصن نفسه كل يوم من أيام الأحد بالملح المقدس والماء المقدس، ولكنه تجاهل فعل هذا

في أحد المرات لأنه كان ذاهبًا للاحتفال بزواج شخص ما، وفي نفس هذا اليوم تم سحره.

في «راتيسبون» تم إغواء رجل بواسطة الشيطان، ظهر له في هيئة امرأة حتى يضاجعها، وأصبح منزعجا جدًّا عندما لم يكف الشيطان عنه. ولكن أتى إلى عقل هذا الرجل الفقير أنه يجب أن يدافع عن نفسه بتناول الملح المقدس، كما سمع في الخطبة. وبذلك، أخذ بعض الملح المقدس عند دخوله إلى الحمام، ونظرت المرأة له بشكل عنيف جدًّا، ولعنت الشيطان الذي علمه أن يفعل هذا، ثم اختفت فجأة. لأن الشيطان يستطيع، بإذن الرب، أن يقدم نفسه إما بهيئة ساحرة أو يتلبس في جسد ساحرة حقيقية.

كان هناك أيضًا ثلاث رفاق يمشون في الطريق، اثنان منهم ضُربوا بالرعد. والثالث خاف عندما سمع أصواتًا تتحدث في الهواء «**دعنا نضربه هو الآخر**». ولكن صوتًا آخر أجاب «**لا نستطيع، لأنه حتى هذا اليوم يسمع الكلمة، والكلمة صارت جسدًا**». عندها فهم الرجل أنه تم حفظه لأنه في ذلك اليوم حضر القداس إلى نهاية القداس، إنجيل يوحنا: في البدء كانت الكلمة، إلخ.

أيضًا الكلمات المقدسة تربط الجسد وتكون حفظًا له، إذا طُبقت سبعة شروط لاستخدامها. ولكن هذه سيتم ذكرها في السؤال الأخير في هذا الجزء الثاني، عندما نتحدث عن العلاجات، لأننا هنا نتحدث عن الوقاية. وهذه الكلمات المقدسة لا تنفع فقط في الحفظ، ولكن أيضًا في علاج المسحور.

ولكن الحماية الأكثر تأكيدًا للأماكن والأشخاص والحيوانات هي كلمات النصر لمخلصنا، إذا تمت كتابتها في أربعة أماكن على شكل صليب: (يسوع، الناصري، ملك، اليهود). ويمكن أن يضاف أيضًا اسم «ماري» والإنجيليين، أو كلمات القديس يوحنا «**الكلمة صار جسدًا**»

ولكن الفئة الثالثة من الناس الذين لا يقدر السحر على أذيتهم هم الجديرين بالملاحظة، لأنهم محفوظين بملائكة خاصين للحراسة، سواء داخليين أو خارجيين، داخليين يصبون النعمة عليهم وخارجيين بقوة النجوم أو بالقوة الحافظة التي تحرك النجوم. وهذه الفئة مقسمة إلى قسمين، بعضهم محفوظين من كل نوع من أنواع السحر، وبالتالي لا يمكن إيذاؤهم به أبدًا، والبعض الآخر يتم حفظهم

من قبل ملائكة الخير حفظًا يتعلق بالوظائف التناسلية، كما أن الأرواح الشريرة بسحرها تُشعل شهوة بعض الرجال الفاسدين ناحية امرأة واحدة، بينما تجعلهم باردين ناحية امرأة أخرى.

والحماية الداخلية والخارجية بالنعمة وبتأثير النجوم، يتم تفسيرها كالتالي، أنه رغم أن الرب نفسه هو الذي يصب النعمة في الأرواح، ولا يوجد مخلوق آخر له القدرة على فعل هذا (ولقد قيل: الرب سيعطي النعمة والمجد)، إلا أنه عندما يريد الرب أن يمنح نعمة خاصة، فهو يفعل هذا عن طريق ملاك من ملائكة الخير، مثلما يُعلمنا القديس «توماس» في الكتاب الثالث من **Sentences**.

الفصل ١. عن الطرق المتعددة التي يغوِي الشيطان بها الإنسان عن طريق الساحرات

هناك ثلاث طرق يغوِي الشيطان بها الإنسان عن طريق الساحرات، طرق تُدمر البراءة، وتزيد روح الغدر في الإنسان باستمرار. الطريقة الأولى هي طريقة الضجَر، عبر الإصابة بفقد الممتلكات المؤقتة. فكما يقول القديس «جريجوري»، الشيطان غالبًا ما يغوينا بإفساح المجال للضجر الشديد. ولا بد أن الرب يسمح بهذا ليحذرنا بألا نُفسِح المجال للكسل. وبهذا المعنى يمكن أن نفهم سفر القضاة الثاني، حيث قال أن الرب لم يدمر تلك الأمم، فمن خلالها يمكن أن يُثَبت شعب إسرائيل، وهو هنا يتحدث عن الأمم المجاورة كالكنعانيين واليبوسيين وغيرهم. وفي زمننا، مسموح للمرأة الفاجرة والهرطقات الأخرى أن تتواجد، فلا يمكن تدميرهم. الشياطين بالتالي، بواسطة الساحرات يصيبون جيرانهن البريئين ببعض الفقد المؤقت لأغراضهم، حتى يتوسلوا للساحرات، ومع الوقت يأتون بأنفسهم لاستشارة الساحرات، كما علمتنا التجارب العديدة.

نحن نعلم غريبًا في أبرشية «أوجسبورج»، قبل أن يصل إلى الأربعين خسر كل أحصنته بالتتابع بسبب السحر. زوجته أصيبت بالضجر بسبب هذا، فاستشارت الساحرات، وبعد أن اتبعت استشارتهن، بكل الأذية التي فيهن، كل الأحصنة التي اشتراها الرجل بعد ذلك (لأنه كان ناقلًا) حُفظت من السحر.

ونساء كثيرات اشتكين لنا خلال عملنا كمفتشين، أنه عندما تؤذى أبقارهن بتجريدهم من ألبانهم، أو بأي طريقة أخرى، يستشيرون من يُشتبه بأنهن ساحرات، ويعطونهن علاجات، بشرط أن يعطوا وعدًا معينًا لروح معينة، وعندما يسألن ما الذي يجب أن يعدوا به، تجيب الساحرة أنه فقط شيء صغير، يجب عليهن فقط أن يوافقن على تنفيذ تعليمات ذلك السيد بما يتعلق ببعض الأيام المقدسة في المكاتب المقدسة للكنيسة، أو أن يراقبوا بعض الذين يُدلون باعترافهم

إلى الكهان في الكنيسة.

هنا لا بد أن نذكر، كما ألمحنا من قبل، الإثم الكبير تكون له بدايات صغيرة يُستهان بها، كما أنه في ذلك الوقت عند رفع جسد المسيح بصق البعض على الأرض. نحن نعرف امرأة لا زالت حية، محفوظة بالقانون العلماني، هذه المرأة عندما كان الكاهن في احتفال القداس يبارك الناس، كانت تقول الرب معك، ثم تضيف هذه الكلمات بلسان مبتذل «سأدس لساني في مؤخرتي». ولقد أخبرن بأشياء مماثلة بعد أن حصلوا على البراءة، وقد لا يعترفن بكل شيء، خاصة الخطايا الأخلاقية، وبذلك وبدرجات بطيئة يتم اقتيادهن إلى نُكران الإيمان وإلى العمل البغيض بتدنيس المقدسات.

هذا أو شيء مثل هذا، هي الطريقة التي تستخدمها الساحرة تجاه النساء العاملات اللاتي لا يُفكرن في الرذائل الجسدية ولكن يعتنين فقط بكسب قوتهن. ولكن الفتيات الصغيرات، الذين يستجبن أكثر لشهوات الجسد والمتعة، تَستخدِم لأجلهن الساحرات طريقة مختلفة، تعمل من خلال رغبات ومُتع الجسد.

هنا يجب أن نذكر أن الشيطان أكثر حرصًا وحماسة لإغواء الصالح أكثر من الخبيث، رغم أنه في التطبيق الفعلي هو يغوي الخبيثين أكثر من الصالحين، بسبب استعدادهم أكثر أن يتم إغواؤهم. بالتالي الشيطان يحاول بشدة أن يُغري كل العذراوات الطاهرات، وهناك أمثلة كثيرة.

وهنا مثال، ساحرتان قد أُحرقتا في «راتسبون»، كما سنخبر لاحقًا عندما نتحدث عن طريقتهن في إثارة الزوابع. واحدة منهن كانت امرأة تعمل في حمّام، اعترفت بأشياء، أنها عانت من الأذى الكبير من الشيطان. هناك عذراء متدينة، ابنة رجل غني جدًّا لا حاجة لذكر اسمه، قررت إحدى الساحرات بأن تغوي هذه الفتاة عن طريق دعوتها لزيارتها في أحد أيام الأعياد، من أجل أن الشيطان نفسه في هيئة شاب، أحب أن يتحدث معها. ورغم أن الساحرة حاولت كثيرًا أن تحقق هذا، إلا أنه كلما تكلمت مع الفتاة الشابة، حَمَت الفتاة نفسها بعلامة الصليب. ولا أحد يشك أنها فعلت هذا بإيحاء من الملاك المقدس، ليطرد عنها أعمال الشيطان.

فتاة عذراء أخرى كانت تعيش في أبرشية «ستاسبورج» اعترفت لواحد منا أنها كانت وحدها في أحد أيام الأحد في بيت والدها، عندما جاءت لزيارتها امرأة عجوز من القرية، وقالت الكثير من الكلمات البذيئة، ثم قدمت لها الاقتراح التالي، أنها إذا أرادت، يمكن أن تأخذها العجوز إلى مكان فيه شباب غير معروفين لأي من سكان القرية. تقول العذراء أنه عندما قبلت، وتبعتها إلى بيتها، قالت العجوز «**انظري، سنصعد للطابق العلوي إلى غرفة بالأعلى حيث الشباب، لكن احذري أن تعملي علامة الصليب**» وأعطيتها وعدي ألا أفعل، عندها هي صعِدَت قبلي وصعدتُ وراءها، ولكنني عملت علامة الصليب بشكل سري. وفي نهاية السلم، عندما كنا نقف خارج الغرفة، استدارت العجوز إلى بغضب وبملامح مريعة وقالت لي «**اللعنة عليك! لماذا عملت علامة الصليب على نفسك؟ اخرجي من هنا. ارحلي باسم الشيطان**»، فعدت سليمة إلى بيتي.

يمكن أن نرى من هذا تمامًا أن الشيطان العدو القديم ينشط في إغواء الأرواح. لأنه بهذه الطريقة أيضًا اعترفت المرأة التي كانت تعمل في حمام بأنه تم إغواؤها بواسطة امرأة عجوز. لكن الساحرة التي أغوتها استخدمت طريقة أخرى، حيث قابلت هذه المرأة الشيطان في هيئة بشرية على الطريق عندما كانت ذاهبة لزيارة عشيقها لغرض الزنا. وعندما رآها الشيطان الجاثوم، سألها إذا كانت تعرفه، قالت أنها لا تعرفه، أجابها «**أنا الشيطان، وإذا أردت سأكون مستعدًا دومًا لإمتاعك، ولن أخذلك في أي احتياج**» وعندما قبلت، بقيت معه ثماني عشرة سنة، حتى نهاية حياتها، تمارس البذاءة الشيطانية معه، مع كامل نكرانها للإيمان كشرط أساسي.

هناك أيضًا طريقة ثالثة من الإغواء هي طريقة الحزن والفقر. لأنه عندما تفسد الفتيات، ويتم ازدراؤهن بواسطة عشاقهن بعد أن يضاجعوهن بوعد أن يتزوجوهن، ويجدن أنفسهن محبطات في آمالهن ومزدريات في كل مكان، يتحولن إلى مساعدة وحماية الشيطان، إما لأجل الانتقام بأن يَسحروا عشاقهن أو يسحروا الزوجات اللاتي تزوجوهن، أو لأجل تسليم أنفسهن لكل نوع ممكن من أنواع الفسق. وآسفاه! التجارب تقول لنا أن الفتيات من هذا النوع كثيرات جدًّا، وبالتالي فالساحرات التي يخرجن من هذه الطبقة لا يُعدون ولا يُحصون. ودعونا نعطي أمثلة.

في أبرشية «بريكسين»، شهد رجل على هذه الحقائق عن سحر زوجته،

«في زمن شبابي أحببت فتاة أغرتني بأن أتزوجها، ولكنني رفضتها وتزوجت فتاة أخرى من مدينة أخرى. ولكن رغبة في إرضائها لأجل الصداقة دعوتها إلى حفل الزواج. وقد أتت، وبينما كانت النساء الصالحات الأخريات تتمنى لنا الحظ السعيد وتعطيننا الهدايا، رفعت هي يدها، في مسمع من كل النساء الواقفات وقالت لعروسي، ستحصلين على أيام قليلة من الصحة بعد هذا اليوم، وخافت عروسي لأنها لم تكن تعرفها (لأنني كما قلت تزوجت من مدينة أخرى)، وسألت عروسي الواقفين، من هي هذه التي أخافتني بهذه الطريقة؟ فقالوا لها أنها امرأة سائبة زانية. ومع ذلك، حدث بالضبط كما قالت، بعد أيام قليلة، سُحرت زوجتي وخسرت قدرتها على تحريك أطرافها، وحتى الآن بعد عشر سنوات، تأثير السحر يُمكن أن يرى على جسدها»

إذا أردنا الآن أن نجمع الحكايات المشابهة التي حصلت في قرية واحدة في هذه الأبرشية، سيحتاج هذا إلى كتاب كامل، ولكنها مكتوبة ومحفوظة في بيت أسقف «بريكسين» الذي لا يزال حيًّا ليشهد بالحقيقة المذهلة وغير المسموعة من قبل.

ولكن لا يجب أن نتجاوز بصمت هذه الحكاية الغير مسموعة، عن كونت نبيل في حي «ويستريش»، في أبرشية «ستراسبورج»، تزوج فتاة نبيلة من نفس سنه، وبعد أن احتفلا بالزواج. بقي لمدة ثلاث سنوات غير قادر على الجماع معها، بسبب تعويذة معينة كانت تمنعه. وشعر بقلق عظيم، ولم يكن يعلم ماذا يفعل، فنادى بصوت عال على أولياء الرب.

وقد حدث أنه ذهب إلى ولاية «ميتز» ليتفق على بعض الأعمال، وبينما كان يتكلم عن الشوارع والميادين التي في المدينة، قابل امرأة كانت من قبل عشيقته. وبرؤيتها، وبدون أن يفكر أصلًا بالتعويذة التي كانت عليه، خاطبها بود لأجل صداقتهما القديمة، سألها كيف حالها، وهل هي بخير. ولما رأت نُبل الكونت، اندهشت وصمتت قليلًا. والكونت لما رآها مندهشة، تحدث إليها بود مرة أخرى، داعيًا إياها للتحدث معه، فسألته عن زوجته، فقال لها، أنها بخير. وعندما سألته إن كان لديهم أطفال، كذب الكونت عليها وقال أن لديه ثلاثة أطفال، واحد يولد في كل سنة. وعند ذلك اندهشت أكثر، وصمتت لفترة.

وسألها الكونت، لماذا يا عزيزتي تسألين بهذا الحرص؟ أنا متأكد أنك تريدين

البركة والسعادة لي. فأجابت، بالطبع أنا أبارك لك، ولكن اللعنة على تلك المرأة العجوز التي قالت أنها ستسحر جسدك حتى لا تقدر أن تعمل أي شيء مع زوجتك! وكإثبات لهذا، هناك صندوق في البئر في منتصف فنائك فيه بعض الأشياء المسحورة، ولقد وضعته الساحرة هناك لأجل هذا، والمفترض أن طوال مدة بقاء محتوياته سليمة، لن تكون قادرًا على الجماع. ولكن انظر! كل هذا تبين أنه هراء، وأنا سعيدة، إلخ. ولما عاد إلى منزله، لم يلبث الكونت أن عاين البئر ووجد الصندوق، وأحرق محتوياته كلها، وبعدها وعلى الفور استعاد فحولته التي خسرها. فدعت الكونتيسة زوجته جميع النبلاء إلى حفل زواج جديد، قائلة بأنها الآن سيدة القلعة والولاية بعد أن ظلت لوقت طويل عذراء. ولأجل سمعة الكونت لم نذكر اسم القلعة ولا الولاية، ولكننا ذكرنا هذه القصة حتى تُعرف الحقيقة في هذا الأمر وحتى نكشف جريمة مقيتة حصلت.

من هذا يتضح أن الساحرات يستخدمن طرقًا عديدة لزيادة أعدادهن.

فالمرأة المذكورة أعلاه، لأن الكونت استبدلها بامرأة أخرى تزوجها، رمت تعويذة عليه بمساعدة الساحرات، وهكذا يسحب السحر الواحد عددًا لا يعد ولا يحصى من الأسحار في قطاره.



الفصل ٢. عن الطريقة التي يتم بها العهد الرسمي مع الشيطان

الطريقة التي يعملن بها تدنيس المقدسات تبدأ بعهد مفتوح بالإخلاص للشيطان، تتبعه عدة ممارسات تؤديها الساحرات. وحتى نفهم هذا لا بد أن نشير في البداية أن هناك، كما وضحنا في الجزء الأول، ثلاثة أنواع من الساحرات، هؤلاء اللاتي يؤذين ولا يعالجن، وهؤلاء اللاتي يعالجن ولكن بعهد غريب عملنه مع الشيطان لا يقدرن على الإيذاء، وهؤلاء اللاتي يؤذين ويعالجن. ومن ضمن هؤلاء اللواتي يؤذين، هناك طبقة واحدة تحديدًا هي الأقوى، يمكنهن أن يعملن كل نوع من السحر والتعاويذ، ويعرفن كل الذي تعملنه الأخريات. لذلك، إذا وصفنا طريقة العمل في حالتهن، سيتضمن هذا كل الأنواع الأخرى. وهذه الطبقة تضم كل اللواتي يمتلكن قلوبًا تخالف كل غريزة للإنسان أو للحيوان، فهن المعتادات على أكل والتهام الأطفال.

وهذه أقوى طبقة من الساحرات، واللاتي يعملن أضرارًا لا حد لها. لأنهن يُثرن العواصف الباردة والزوابع المؤذية والصواعق، ولأنهن يسببن العقم للإنسان والحيوان، ويقدمن الأطفال للشيطان ويقتلنهم حينما لا يمكنهن التهامهم. والأطفال المعرضون لهذا هم الأطفال الذين لم يتم تعميدهم، لأنهن لا يستطعن التهام الأطفال الذين يتم تعميدهم، ليس بدون إذن الرب. يمكنهن أيضًا أن يفعلن هذا أمام أعين والديهم أو في الخفاء حينما لا يراهن أحد، وأن يرمين الأطفال الماشين بجوار النهر في النهر، ويجعلن الأحصنة مهتاجة أسفل راكبيها، وينقلن أنفسهن من مكان إلى مكان عبر الهواء، إما بالجسد أو بالخيال، ويسحرن القضاة والحكام حتى لا يؤذوهن، ويُجبرن أنفسهن وغيرهن بالسحر على السكوت تحت التعذيب، ويُحدثن ارتعاشًا في الأيدي وارتعابًا في عقول هؤلاء الذين يقبضون عليهن،

ويُرين الآخرين أشياء غامضة وبعض الحوادث المستقبلية، بمعلومات يستقونها من الشيطان، رغم أن هذا أحيانًا يكون له سبب طبيعي (انظر السؤال، هل يمكن للشياطين أن يروا المستقبل، في الكتاب الثاني من **Sentences**)، ويبصرن الأشياء المفقودة كما لو كانت موجودة، ويجعلن عقول الرجال تحب وتكره، ويمكنهن في بعض الأوقات أن يَضربن من يردن بصاعقة، وأن يقتلن المواليد في أرحام الأمهات فقط بلمسة خارجية، ويمكنهن في بعض الأوقات أن يسحرن البشر والحيوانات فقط بنظرة، بدون لمسهم، ويسببن لهم الموت، ويهبن أطفالهن إلى الشيطان، واختصارًا، كما قيل من قبل، يمكنهن أن يعملن كل أنواع الأوبئة التي تقدر الساحرات الأخريات على عملها جزئيًّا، عندما تسمح إرادة الرب بعدالته لهذه الأمور أن تحدث. كل هذه الأشياء يمكن أن تعملها الساحرة التي في الطبقة العليا ولكن لا يمكنها أن تعالجها.

وأصبح عاديًّا بالنسبة لهن أن يمارسن الجماع مع الشياطين، وإذا وضحنا الطريقة المستخدمة في هذه الطبقة في أداء تدنيس المقدسات، أي أحد يمكن أن يفهم الطريقة التي تعمل بها الطبقات الأخرى.

كانت هناك ساحرات من هذه الطبقة مؤخرًا، منذ ثلاثين سنة، في مقاطعة «سافوي» ناحية ولاية «بيرن»، كما يقول «نايدر» في كتابه **Formicarius**. وهناك البعض منهن الآن في دولة «لومباردي»، في نطاق دوق المجر، حيث أحد المفتشين من «كومو»، كما قلنا في الجزء السابق، حرق إحدى وأربعين ساحرة في سنة واحدة، وكان عمره خمسة وخمسين عامًا، وظل يعمل بعدها في حملة التفتيش.

أداء هذا العهد يتم بطريقتين. واحدة هي في احتفال مهيب مثل النذر الرسمي. والثانية خاصة يمكن أن تُعمل مع الشيطان في أي ساعة عندما تكون الساحرة وحدها. الطريقة الأولى هي عندما تجتمع الساحرات معا في اجتماع سري في يوم محدد، ويظهر لهن الشيطان في هيئة رجل، ويحثهن على أن يبقين على الإيمان به، ويعدهن بزهو الحياة وطول العمر، ثم يوصون الساحرة المبتدئة أن تقبل هذا العهد. ويسألها الشيطان إذا كانت ستُنكر الإيمان، وتهجر الدين المسيحي المقدس والمرأة الشاذة (كما يقولون عن العذراء المباركة ماري)، ولا تبجل الأسرار المقدسة، فإذا

وَجَد الساحرة المبتدئة أو المريدة راغبة في إتمام العهد، فسيمد الشيطان يده وتمد يدها، وتُقسم بيدها مرفوعة أن تحفظ العهد.

وعندما يحصل هذا، يقول الشيطان بأن هذا لا يكفي، وعندما تسأل المريدة عما يجب أن تعمله أكثر، يطلب الشيطان البيعة له، بأن تهب نفسها له بالكامل، جسدًا وروحًا، إلى الأبد، وأن تبذل قُصارى جهدها لتُحضِر الآخرين من الجنسين إليه. ويضيف أخيرًا، أنه يجب أن تعمل بعض المستحضَرات من عظام وأطراف الأطفال، خاصة أولئك الأطفال الذين تم تعميدهم، وعندها ستتمكن من تنفيذ كل رغباتها بمساعدته.

نحن المفتشين كانت لنا تجربة موثقة بشأن هذه الطريقة من السحر في قرية «بريساخ» في أبرشية «بازل»، حيث تلقينا معلومات كاملة من فتاة شابة تحولت إلى المسيحية، وكانت عمتها قد أُحرقت في أبرشية «ستراسبورج». وقالت أنها أصبحت ساحرة بسبب أن عمتها أغرتها.

لأنه في أحد الأيام أمرتها عمتها أن تصعد للدور العلوي معها، وأن تذهب إلى غرفة حيث وجدت خمسة عشر شابًا يرتدون ملابس خضراء تشبه زي الفرسان الألمان. وقالت لها عمتها: اختاري من تشائين منهم، وسيتزوجك. قالت أنها لا تريد أحدًا منهم، فضربتها بعنف حتى وافقت، وتم اعتمادها كساحرة في احتفال مثل الذي ذكرناه. وقالت أيضًا أنها كانت غالبًا ما تنتقل في الليل مع عمتها إلى مسافات بعيدة، حتى من «ستراسبورج» إلى «كولون».

هذه هي التي كانت في سؤالنا في الجزء الأول عندما سألنا إذا كانت الساحرات قادرات على الانتقال بواسطة الشياطين من مكان إلى مكان، والشك في هذا الأمر كان بسبب كلمات في الشريعة في كتاب **Episcopi** تُلمح بأن هذا يحدث فقط في الخيال، لكن الحقيقة أن هناك أوقاتًا تنتقل الساحرات فيها فعلا بأجسادهن.

لأنه عندما سُئلت هذه الفتاة إذا كان هذا الركوب والانتقال في الخيال فقط بأوهام من الشياطين أم هو في الواقع، أجابت بأنهن يفعلن هذا الانتقال بكلا الطريقتين. أخبرت الفتاة أيضًا عن الأذية العُظمى التي تعملها المولدات العاملات بالتوليد، لأنهن مُلتزمات بالقتل ليهبن للشيطان أكثر عدد ممكن من الأطفال، وأنه تم ضربها بعنف بواسطة عمتها لأنها فتحت ذات مرة صندوقًا سريًا ووجدت فيه

رؤوس أطفال كثيرين. وأشياء كثيرة قالتها لنا، وهي في البداية أقسمت على أن تقول الحقيقة.

وكلامها عن طريقة اعتناق الإيمان الشيطاني يتوافق بلا شك مع الكلام الذي كتبه العالم الأكثر بروزا، «جون نيدار» والذي حتى في وقتنا هذا يكتب بتنوير شديد، وخاصة أنه يتكلم من واقع عمله السابق في حملة التفتيش في أبرشية «إيدوا»، التي عقدت عدة حملات على الساحرات، وأحرقت الكثيرات منهن.

قال «نيدار» أن مفتشًا قال له ذات مرة، أنه في دوقية «لاوزان»، بعض الساحرات طَبَخن وأكلن أطفالهن، وأنهن أصبحن مُعتَمدات رسميًا كساحرات بعد هذه الممارسة. حيث اجتمعت الساحرات معًا، وبفنونهن، استدعين الشيطان في هيئة رجل، وإليه أُجبرت المبتدئة أن تقسم بإنكار الدين المسيحي، وألا تحُب سر الأفخارستيا المقدس، وأن تدوس الصليب تحت قدمها خفية كلما استطاعت أن تفعل.

لدينا مثال آخر من هذا المصدر. كان هناك مؤخرًا تقرير تم إحضاره إلى «بيتر» القاضي في «بولتينجن»، أن ثلاثة عشر مولودًا قد تم التهامهم في ولاية «بيرن»، وأن العدالة هناك قد نفذت الانتقام الكامل من القاتلين. وعندما سأل القاضي «بيتر» واحدة من الساحرات عن الطريقة التي أكلت بها الأطفال، أجابت **«هذه هي الطريقة، نحن ننصب الكمائن بشكل رئيسي للأطفال الذين لم يتم تعميدهم، وحتى لأولئك الذين تم تعميدهم، خاصة إذا لم يكونوا محميين بعلامة الصليب والصلوات»** (لابد أن يلاحظ القارئ أنهن بأمر الشيطان، يأخذن غير المُعمدين بشكل رئيسي حتى لا يتم تعميدهم).

«وبتعويذاتنا نحن نقتلهم في مهدهم أو حتى أثناء نومهم بجوار والديهم، بطريقة يظن بها الوالدين أن الموت حصل بطريقة طبيعية. ثم نأخذهم خِفية من قبورهم، ونطبخهم في مرجل، حتى يخرج كل اللحم من العظم ويصنع حساء يمكننا شربه بسهولة. ومن المادة الأكثر صلابة من جثثهم نصنع المستحضرات التي تساعدنا في قدراتنا وفي فنوننا وانتقالنا من مكان إلى مكان، وبسوائل الجثة نملأ قارورة من الجلد، ومن يشرب منها خلال بعض الاحتفالات، يحصل عاجلًا على معرفة عظيمة ويصبح قائدًا في طائفتنا»

وهناك مثال واضح جدًا ومحدد، شاب وزوجته، كلاهما ساحر، تم سجنهما في «بيرن»، والرجل سجن بعيدا عنها في برج منفصل، قال «**إذا كان بإمكاني أن أحصل على غُفران لخطاياي، سأعلن عن كل ما أعرفه عن السحر، لأنني أرى أنه يجب أن أموت**» وعندما أخبر بواسطة رجال الدين المتعلمين هناك أنه بإمكانه أن يحصل على غُفران كامل إذا تاب بحق، استسلم بسعادة للموت، وكشف عن الطريقة التي أصيب بها بهذه الهرطقة لأول مرة حيث قال «**هذه هي الطريقة التي تم بها إغرائي، أولًا كان من الضروري يوم الأحد قبل تكريس الماء المقدس، أن يدخل المبتدئ الكنيسة مع السيد، وهناك في وجودهم يُنكر المسيح، وينكر إيمانه وينكر التعميد، وينكر الكنيسة كلها. وبعدها لا بد أن يبايع السيد الصغير، هكذا يلقبونه السيد وليس الشيطان**».

هنا لا بد أن نذكر أن هذه الطريقة تتوافق مع ما تم سرده سابقًا، لأنه لا يهم إن كان الشيطان نفسه حاضرًا أم لا عندما تُعطى البيعة له. لأنه بمكر يلاحظ مزاج المبتدئ، الذي يمكن أن يخاف من الوجود الفعلي للشيطان عندما يقدم له نذره، ولأنه يمكن أن يتم إقناعه بشكل أسهل بواسطة أولئك الأقرب له. وبالتالي يقولون عليه السيد الصغير عندما يكون غائبًا، فعندما يتم إنقاص درجة السيد أمامه، لا يشعر المبتدئ بخوف كبير.

«**ومن ثم يشرب من الجلدة، وعاجلا يشعر في نفسه بأنه يعرف كل فنون السحر ويفهم كل طقوسنا واحتفالاتنا. وبهذه الطريقة تم إغوائي. ولكنني أؤمن أن زوجتي عنيدة جدًا حتى أنها تُفضل أن تذهب مباشرة إلى النار على أن تعترف بجزء صغير من الحقيقة، ولكن وآسفاه! نحن كلانا مذنب**» وكما قال الشاب، حدث ما قال. فالشاب اعترف وشوهد وهو يموت نادمًا، بينما زوجته رغم أنها مدانة بواسطة شهود، لم تعترف بأي حقيقة، سواء تحت التعذيب أو بالموت نفسه، ولكن عندما تم تحضير النار لها بواسطة السجان، لعنته بأبشع الألفاظ، ثم أحرقت. ومن هذه الأمثلة تظهر طريقة اعتمادهن كساحرات في الاجتماع السري الخاص.

الطريقة الخاصة الأخرى تكون بطرق عديدة، لأنه في بعض الأحيان عندما يجتمع الرجال والنساء في مصيبة جسدية أو مؤقتة، يأتيهم الشيطان ويتحدث

إليهم شخصيًّا، وفي أوقات يتحدث إليهم عبر فم شخص آخر، وهو يعدهم بأنه إذا وافقوا على مشورته، سيفعل لهم كل ما يريدون. ولكنه يبدأ من أشياء صغيرة، كما قلنا في الفصل الأول، ثم تؤدي تدريجيًّا إلى أشياء أكبر. ويمكننا أن نذكر عدة أمثلة عرفناها في حملة التفتيش، ولكن لأنه ليس في هذا الأمر صعوبة في الفهم، يمكن أن نكتفي بما تم ذكره.

بعض النقاط التي ينبغي معرفتها في تفسير قَسَم الساحرات بالبيعة للشيطان:

هناك بعض النقاط لا بد أن تُذكر بخصوص البيعة التي تُعطى للشيطان، تحديدًا ما هو السبب وما هي الطرق التي يُفعل بها هذا. من الواضح أن دافع الشيطان الأساسي هو المزيد من الإساءة للذات الإلهية بأن يأخذ لنفسه أحد المخلوقات المكرسين إلى الرب، وبالتالي يتأكد من أن مريده سيتم لعنه للأبد وهذا هو الهدف الأساسي. ومع ذلك، يحدث أن نجد الشيطان قد حصل على البيعة من الإنسان لمدة معينة من الزمن ويُدخله في العهد، وبعض الأحيان يُدخله في العهد ويؤجل البيعة لاحقا.

ودعونا نقول أن العهد يكون جهرا إمَّا بالإنكار الكامل أو الجزئي للإيمان، الإنكار الكامل هو كما قلنا من قبل، عندما ينكِر الشخص الإيمان بالكلية، والجزئي هو عندما يتعين على الساحرة أن تُراقب بعض الاحتفالات وتعمل أعمالًا مخالفة للكنسية، مثل الصيام يوم الأحد، أو أكل اللحم في يوم الجمعة، أو كتم بعض الجرائم أثناء الاعتراف، أو عمل بعض الدناءات الأخرى. ولكن دعونا نقل أن البيعة يلزم فيها استسلام الجسد والروح.

ويمكننا أن نذكر أربعة أمور تختص بممارسة هذه الأشياء. أولًا، قلنا في الجزء الأول من هذا البحث عندما اختبرنا هل الشياطين يمكن هل يمكن للشياطين دخول الأفكار الداخلية للقلوب، وقلنا أن هذا يختص بالرب وحده. ولكن الشياطين يمكنهم أن يصلوا إلى معرفة أفكار الشخص بالحدس، كما سنبين لاحقًا. بالتالي، إذا رأى هذا الشيطان الماكر أن المبتدئة صعبة الإقناع، فهو يتقرب منها بلطف، ويطلب منها عمل أمور صغيرة، تؤدي في تدرجها إلى أمور أكبر.

ثانيًا، لا بد أن نؤمن أن هناك نوعا من التنوع بين هؤلاء الذين يُنكرون الإيمان، لأن بعضهم يفعلون ذلك بأفواههم ولكن ليس بقلوبهم، والبعض يفعلون ذلك بأفواههم وقلوبهم. وبالتالي الشيطان، لأنه يريد أن يعرف هل ما يفعلونه هو من القلب مثلما هو بالقول، يُعطي وقتًا زمنيًّا معينًا في البيعة، حتى يمكنه أن يفهم عقولهم من أعمالهم وتصرفاتهم.

ثالثًا، إذا وَجَد بعد مرور الوقت المحدد أن المبتدئة أقل رغبة في عمل بعض الممارسات، وأنها كانت مرتبطة معه فقط بالكلمة وليس بالقلب، فإنه يفترض أن الرحمة الإلهية قد منحتها حراسة من ملائكة الخير، والذين يعلم مدى قوتهم. عندها، يحاول الشيطان أن يوقعها في مصائب مؤقتة، حتى يحصل على بعض الفائدة من يأسها.

الفصل ٣. كيف ينتقلون من مكان إلى مكان

من ضمن أعمالهن الرئيسية هو الانتقال من مكان إلى مكان، حتى يعملن العلاقة الجسدية مع شياطين الجاثوم، والتي سنتحدث عنها بشكل منفصل، بداية من أشكال أجسادهم. ولكن هنا لا بد أن نذكر أن هذا الانتقال البعيد تم الاعتراض عليه من بعض العلماء، قالوا: إنه لا يمكن الاعتراف أن هناك بعض النسوة الخبيثات اللاتي أغواهن الشيطان وأوهمهن بخيالاته، بإمكانهن أن يذهبن في رحلة في الليل على ظهر وحش مع «ديانا» إلهة الوثنيين، أو «هيروديناس» وعدد لا يُعد من النساء، وأنهن في صمت الليل يقطعن مسافات بعيدة من الأرض، وأنهن يُطعن أسيادهن في كل شيء، إلخ.

لذلك أقسمنا على أن نبشر للناس أن هذا خطأ، وأن هذه الخيالات غير مرسلة لهؤلاء الرجال من قبل الرب، ولكن بواسطة روح شريرة تضلل عقول المؤمنين. لأن «ساتان» نفسه يحول نفسه إلى أشكال عديدة وهيئات، ويوهم العقل في الأحلام ويأسره، ويقوده بطرق عديدة.

وهناك آخرون مثلهم يأخذون كلام القديس «جيرماين» ويقولون أن هذا من الطيش المنسوب إلى الساحرات وأعمالهن مثل الطفو في الهواء والأذية التي يعملنها للإنسان والحيوان والأشجار على الأرض، ويقولون أن من يؤمنون بهذا هم ضحايا للخيال الطائر ومخدوعون أيضًا في موضوع الأذية التي تعملها الساحرات للمخلوقات الحية.

ولكن هذا الرأي تم اعتباره هرطقة في السؤال الأول، لأنه يُبعد تمامًا فكرة الإذن الإلهي لقدرة الشياطين، والتي تتجاوز حتى إلى أشياء أكبر من هذا، ويُعارض معنى الكتب المقدسة، ويسبب ضررا لا يطاق للكنيسة المقدسة. لأنه ولسنين طويلة، بسبب هذه العقيدة الخبيثة الخطيرة، بقيت الساحرات بلا عقاب، وفقدت المحاكم

العلمانية قدرتها على عقابهن.

لقد تم التوضيح بطرق عديدة أنه يمكنهن الانتقال جسديًا، أولًا، لأنه إن كانوا لا يستطيعون الانتقال، سيكون هذا إمَّا لأنَّ الربَّ لا يسمح بهذا، أو بسبب أن الشيطان لا يمكنه أن يفعل هذا لأنه معارض الطبيعة. وليس السبب الأول صحيحًا، لأن هناك أشياء أكبر من هذا يسمح بها الرب، وهذه الأشياء الأكبر غالبًا ما يتم عملها على الأطفال والرجال، أو الرجال المقدسين.

ويأتي سؤال آخر هل تبديل الأطفال يمكن أن يتم بواسطة الشياطين، وهل يمكن للشيطان أن يحمل إنسانًا من مكان إلى مكان حتى بدون رغبته، بالنسبة للسؤال الأول فالإجابة هي نعم. لأن «ويليام أوف باريس» قال في الجزء الأخير من كتابه **De Uniuerso: Substitutions** أن تبديل الأطفال بإذن الرب ممكن.

فيمكن للشيطان أن يقوم بتغيير الطفل أو حتى نقله. لأن هؤلاء الأطفال دائمًا ما يكون ويبدون في معاناة، ورغم أن أربعة أو خمسة أمهات يوفرن الحليب لهم، فهم لا يسمنون أبدًا ، إلا أنهم ثقيلون فوق المعتاد. ولكن هذا لا يجب أن يتم تأكيده ولا نفيه للنساء، حتى لا يسبب هذا ارتعابًا لديهن، ولكن يجب أن يقال لهن أن يطلبن رأي الرجال المتعلمين في هذه المسألة.

لأن الرب يسمح بهذا بسبب خطايا الوالدين، ففي بعض الأحيان يلعن الرجل زوجته الحامل بقوله، ربما أنت تحملين بالشيطان! أو قول مثل كهذا. بنفس الطريقة، المرأة غير الصبور عادة تقول أشياء من هذا النوع. وعديد من الأمثلة قد حدثت لرجال كثيرين، بعضهم رجال صالحين.

لأن «فينسينت أوف بياوفايس» ذكر قصة متعلقة بهذا أخبره بها القديس «بيتر داميان» عن طفل في الخامسة من عمره ابن أحد النبلاء، والذي كان في ذلك الوقت يعيش في دير، وفي أحد الأيام تم نقل الطفل من الدير إلى طاحونة مغلقة، وتم إيجاده فيها في الصباح. وعندما سألوه، قال أنه تم حمله بواسطة بعض الرجال لأجل عيد ما وصلاة ما، وبعد هذا وضعوه في الطاحونة من سطحها.

وماذا عن أولئك السحرة الذين نسميهم النكرومانسرز أو مستحضري الأرواح،

والذين غالبًا ما يتم حملهم في الهواء بواسطة الشياطين لمسافات بعيدة؟ وفي بعض الأحيان يُقنعون الآخرين أن يذهبوا معهم على حصان، وهو ليس حصانًا في الواقع ولكنه شيطان في هيئة حصان وهم دائمًا يُحذرون رفاقهم من أن يعملوا علامة الصليب.

ورغم أننا اثنان الذين كتبنا هذا الكتاب، فواحد منا قد رأى وعرف رجالًا مثل هؤلاء. لأن هناك رجلًا كان عالمًا والآن يُعتقد أنه كاهن في أبرشية «فريسينج»، كان يقول أنه في أحد الأوقات تم نقله عبر الهواء بواسطة الشيطان، وأُخذ إلى مكان بعيد جدًّا.

في ذلك المكان البعيد جدًّا كان يعيش كاهن آخر، تحديدًا في «أوبيردوف»، قرية بجوار «لاندشوت»، وهذا الكاهن الآخر كان وقتها صديقًا لواحد منا، وقد رأى بعينيه هذا الانتقال، وأخبر كيف أن الرجل كان محمولًا عاليًا ويداه مبسوطتان، وكان يصرخ بدون تذمر. ويحكي قصة أخرى فيقول، أن عددًا من العلماء اجتمعوا معًا ليشربوا الجعة، وقد توافقوا كلهم أن الذي سيأتي بالجعة لن يدفع شيئًا.

وأحدهم كان ذاهبًا لإحضار الجعة وعندما فَتح الباب رأى سحابة سميكة فرجع خائفًا وأخبر أصحابه لماذا لم يذهب ليحضر الجعة. فثار واحد منهم وقال بغضب «**حتى لو كان الشيطان هناك، أنا سأحضر الشراب**» وخرج، فتم حمله في الهواء أمام أعينهم جميعًا.

ولا بد أن نقول أن هذه الأشياء لا تحدث فقط للمستيقظين، ولكن للنائمين أيضًا، نعم يمكن أن يتم نقلهم في الهواء بينما هم نائمين.

هذا واضح في حالة بعض الرجال الذين يمشون أثناء نومهم على أسطح البيوت وفوق أعالي المباني، ولا أحد يمكنه أن يعترض تقدمهم سواء كان عاليًا أو منخفضًا. وإذا ناديت بأسمائهم وأنت بجوارهم سيسقطون سريعًا على الأرض وتنكسر أضلاعهم.

العديد يظنون، وليس بدون سبب، أن هذا من عمل الشيطان. لأن الشياطين

أنواع مختلفة جدًّا، بعضهم يكونون قد سقطوا من الجوقة السفلى من الملائكة، وهؤلاء لا يمكنهم أن يؤذوا أي أحد، على الأقل ليس بشكل خطير، وفي معظم الوقت يعملون أشياء هينة. وبعضهم نوع آخر من الشياطين يدعى الجاثوم أو السعلاة، وهؤلاء يعاقِبون الرجال في الليل، ويلوثونهم بخطيئة الفسق، وليس يبدو مناسبًا أنه يتم استعمالهم في لعبة الحصان المتنقل هذه.

الحقيقة يمكن أن تُستخلص من كلمات «كاسيان» عندما قال أنه لا شك في أن هناك أنواعًا من الأرواح النجسة بمثل ما أن هناك أنواعًا في رغبات الإنسان. لأنه واضح أن بعضهم، الذين يسميهم الناس «فون»، ونحن نسميهم «ترولز» أو المتصيدون، والذين تزخر بهم النرويج، هم مجرد مهرجين وتافهين، يسكنون بعض الأماكن والطرق ولا يكونون قادرين على عمل أي أذى للمارين في المكان، لكنهم يرتاحون لما يُقلدون المارين باستهزاء ويضللوهم، ويحاولون أن يتعبوهم ليس أن يؤذوهم.

وبعضهم فقط يزور الرجال في كوابيس ليست مؤذية. ولكن هناك آخرين عدوانيين لا يرضون فقط بالتمدد الفظيع الذي يُحدثونه في أجساد من ينفخوا فيهم، ولكنهم ينزلون من أقصى علو وبسرعة ليضربوهم بأكبر عاصفة وحشية ممكنة. والمؤلف لا يعني أنهم يتلبسون بالناس ولكنهم فقط يعذبونهم، كما كان يفعل أولئك المذكورين في إنجيل متى الثامن.

من هذا يمكن أن نستنتج، أولًا أنه لا يجب أن نقول أن الساحرات غير قادرات على الانتقال لأن الرب لا يسمح بهذا. لأنه إذا كان يسمح به في حالة البريئين، كيف يمكن ألا يسمح في حالة أولئك الذين قد وهبوا أنفسهم للشيطان؟ ونحن نقول بكل احترام: ألم يأخذ الشيطان مُخلصنا وحَمَله إلى مكان عال، كما يقول الإنجيل؟

والحجة الثانية من حجج خصومنا لا يمكن أن تُقبل أيضًا، لأنه قد أوضحنا من قبل أن الشيطان لديه قدرة طبيعية عظيمة، تتجاوز كل الإمكانات الجسدية، ولا توجد قوة على الأرض يمكن أن تقارن بقوته، كما ذُكر في الكتاب المقدس **«ليس له**

في **الأرض نظير**» وطبعًا القدرة الطبيعية لـ «لوسيفر» عظيمة جدًّا حتى أنه لا يماثلها شيء في عظمتها في ملائكة الخير في السماوات. لأنه تفوق على كل الملائكة الذين من نفس طبيعته، ولكنه ضعُف بعد سقوطه، فالطبيعة الملائكية لا زالت موجودة فيه لكنها أظلمت وتقيدت. لذلك، التفسير لجملة «**ليس له في الأرض نظير**»، هو أنه رغم أنه يتفوق على كل الأشياء، إلا أنه خاضع لقدرات القديسين.

يمكن أن يذكر أحدهم اعتراضين، الأول أن روح الإنسان لا بد أنها تقاوم الشيطان، وأن هذا النص المذكور يبدو أنه يتحدث عن شيطان واحد بعينه، تحديدًا «لوسيفر». فهو الذي أغوى المسيح في البرية، وأغوى أول رجل، والآن هو مقيد بسلاسل. والملائكة الآخرين ليسوا أقوياء جدًّا، بما أنه تفوق عليهم جميعًا. بالتالي فالأرواح الأخرى غير لوسيفر ليست مثله ولا يمكنها أن تنقل الفاسدين من مكان إلى مكان.

هذه الاعتراضات ليست لديها أي قوة. لأنه إذا تكلمنا عن الملائكة أولًا، فأضعف ملاك قوته أعلى بكثير ولا تُقارن مع أي قوة بشرية، وهذا مُثبت بطرق كثيرة.

أولًا، لأن القوة الروحية أعلى من القوة الجسدية، ولذلك فقوة الملاك، أو حتى قوة الروح العادية، أعظم من قوة أي جسد. ثانيًا، بالنسبة للروح، في حالة الإنسان، الروح هي التي تقوده، فهذه الأشكال الروحية غير المادية هي كيانات في غاية الذكاء، وبالتالي لديها قوة مطلقة وكونية أكبر من الأجسام. لهذا السبب، عندما تُجمع الروح إلى جسد معين، لا يمكنها في هذا الوضع أن تنقل هذا الجسد محليا فجأة أو ترفعه في الهواء، رغم أنه يمكنها هي أن تفعل هذا بسهولة في نفسها. ولكن من الممكن لشكل غير مادي غير الروح، مثل ملاك الخير أو ملاك الشر أن ينقل الجسد، لأن ملاك الخير نقل «هاباكوك» في لحظة من «هوديا» إلى «شالدايا». ولهذا السبب نستنتج أن هؤلاء الذين يمشون في الليل أثناء نومهم فوق المباني العالية لا يُحملون بواسطة أرواحهم الخاصة، ولا بتأثير النجوم، ولكن بشيء آخر ذي قوة استثنائية، ملاك.

ثالثًا، الجسد هو الذي سيتحرك إلى ذلك المكان، عن طريق القوة الروحية

للملاك، وكما يقول أرسطو في كتابه **Physics** الثامن، الحركة الموضعية هي أول الحركات الجسدية، والحركة الموضعية لم تكن في جوهرها موجودة في أي جسد مثل جسد الإنسان، ولكنها أتت إليه بسبب قوة خارجية.

بالتالي نستنتج أن الأجسام الأعلى، التي هي النجوم، يتم تحريكها بقوى جوهرية روحية، وبذكاءات منفصلة خيرة في طبيعتها ونيتها. لأننا نرى أن الروح هي السبب الأولى والرئيسي لحركة الأجسام.

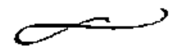
لا بد أن يقال أنه لا يمكن للجسم البشري أن يقاوم نقله فجأة من مكان إلى مكان، لا بقوته المادية ولا الروحية، والجوهر الروحي الذي ينقله هو ليس خيرًا في نيته. ومن يريد يمكن أن يرجع إلى كلام القديس «توماس» في سؤاله بخصوص الخطية، وفي الكتاب الثاني من **Sentences** الفصل السابع، عن قدرة الشياطين على الأجساد.

ما سيأتي هو عن طريقة الساحرات في الانتقال، أولًا هُن يعملن مستحضرًا، كما قلنا بتعليمات من الشيطان، يعملنه من أطراف الأطفال، تحديدًا من أولئك الأطفال الذين قتلنهم قبل التعميد، يدهن به عصا مكنسة أو كرسي، وعندها يرتفعن مباشرة في الهواء وينتقلن، إما في النهار أو في الليل، إما بشكل مرئي أو في الخفاء إذا أردن، لأن الشيطان لا يمكنه أن يُخفي الجسد بوضع شيء ما في مادته، كما وضحنا في الجزء الأول من البحث عندما تحدثنا عن الأوهام التي يعملها الشيطان. ورغم أن الشيطان في الجزء الأكبر يعمل هذا بسبب المستحضر، بهدف أن يحرم هؤلاء الأطفال من النعمة ومن الخلاص، إلا أنه غالبًا ما يعمل هذا الانتقال بدون حاجته إلى المستحضر. لأنه في مرات ينقل الساحرات على حيوانات، والتي هي ليست حيوانات حقيقية ولكنها شياطين على هيئة حيوانات، وفي بعض الأحيان حتى بدون أي مساعدة خارجية يمكن أن ينقلهن فقط بالقوة الشيطانية.

وهذه حادثة من النقل المرئي في النهار، في قرية «والدشوت» في «راين»، في أبرشية «كونستانس»، كانت هناك ساحرة مكروهة جدًّا من سكان القرية حتى أنه لم يكن يدعوها أحد إلى أي حفل زواج رغم وجود كل سكان القرية. وبسبب سخطها على هذا، ورغبتها في الثأر، استدعت شيطانًا وأخبرته عن سبب غيظها، وطلبت منه أن يُثير عاصفة باردة تُخرب الرقص على كل الحاضرين في حفل الزواج،

ووافق الشيطان، ورفعها إلى أعلى، وحملها في الهواء إلى تلة قريبة من القرية، أمام أعين بعض الرعاة.

وحيث أنه لم يكن لديها ماء تصبه في الحفرة - وسنتحدث عن موضوع صب الماء هذا لاحقًا لأنها الطريقة التي يُثرن بها العواصف الباردة - عملت حفرة صغيرة وملأتها ببولها بدلًا من الماء، وأثارتها بإصبعها، موجهة نيتها إلى سحر حفل الزواج، والشيطان واقف بجوارها. وفجأة رفع الشيطان هذا البول إلى أعلى وأرسل عاصفة باردة قوية وقعت فقط على الراقصين في الحفل. وعندما تفرقوا باتوا يتناقشون عن سبب هذه العاصفة، ودخلت الساحرة القرية بعد هذا بقليل، وهذا أثار شكوكهم. ولكن عندما حكى الرعاة ما رأوه، أصبحت شكوكهم يقينًا. فتم القبض عليها، واعترفت بأنها عملت هذا الشيء لأنه لم يكن أحد يدعوها إلى أي حفل زواج، ولأجل هذا وبسبب كثير من السحر الذي عملته، تم حرقها.



الفصل ٤. هنا نتتبع الطريقة التي تتضاجع بها الساحرات مع الشياطين المعروفين بالجاثوم.

في كلامنا عن الطريقة التي تتضاجع بها الساحرات مع شياطين الجاثوم، ست نقاط لا بد أن نذكرها. أولًا، عن الشيطان والجسم الذي يتخذه للمضاجعة، ما هي المادة التي هو مصنوع منها؟ ثانيًا، عن الفعل نفسه، هل سيكون هناك حقن للمني الذي حصل عليه الشيطان من رجل آخر؟ ثالثًا، عن الزمان والمكان، هل هناك وقت معين مفضل على وقت آخر لهذه الممارسة؟ رابعًا، هل يكون هذا الفعل مرئيًا للمرأة؟ وهل أولئك الذين وُلدوا بهذه الطريقة هم الذين يزورهم الشيطان غالبًا؟ خامسًا، هل هذا يحدث فقط لأولئك الذين تم وهبهن للشيطان عند الولادة بواسطة المولدات؟ سادسًا، هل المتعة الجنسية أكبر أو أقل في هذا الفعل؟ وسنتحدث أولًا على المادة ونوعية الجسد الذي يتخذه الشيطان.

لا بد أن نقول أنه يتخذ جسمًا هوائيًّا، وأنه نوعًا ما جسمٌ دنيوي، وإلى حد ما له صفة أرضية بواسطة التكثف، وهذا يُفسر كالتالي. الهواء لا يمكنه بنفسه أن يتخذ شكلًا، لكنه يتخذ شكل جسم آخر يتموضع فيه. وفي هذه الحالة لا يكون حرًّا في قدراته، ولكن يكون مربوطًا بقدرات ذلك الجسم الآخر. بالتالي لا يمكن للشيطان أن يتخذ جسمًا هوائيًّا مثل هذا.

وبمعرفة أن الهواء متغير بكل طريقة وأنه مائع، وأن علامة هذا هي أنه عندما يحاول أحد أن يقطع جسمًا اتخذه الشيطان بالسيف، لا يقدر على فعل هذا، لأن أجزاء الهواء تتجمع مع بعضها مرة أخرى. من هذا يتضح أن الهواء في ذاته هو مادة مناسبة جدًّا لهذا، ولكن بسبب أنه لا يمكن أن يتخذ شكلًا إلا إذا كان هناك جسم أرضي يجتمع معه، بالتالي من الضروري للهواء الذي يتشكل فيه الشيطان أن يتكثف، ويقترب من الصفة الأرضية، وفي نفس الوقت يُبقي على خواصه الهوائية. والشياطين والأرواح التي بلا جسد يمكن أن تعمل هذا التكثيف بتجفيف الأبخرة

الصاعدة من الأرض، وتجمعها معا في الأشكال التي يتخذونها، فتعطي ذلك الجسم الهيئة المعروفة للحياة، وبنفس الطريقة التي تتحكم بها الروح في الجسم التي تسكن فيه، كذلك هم في الأشكال التي يتخذونها، يكونون مثل البحّار في السفينة التي تحركها الرياح.

لذا عندما يسأل أحد ما هو نوع الجسم الذي يتخذه الشيطان، يجب أن نقول له أنه بالنسبة لمادته، فهي هواء متكثف، يشترك في بعض صفاته مع الصفات الأرضية. وفي كل هذا فالشيطان، بإذن الرب، يمكن أن يعمل هذا في طبيعته، لأن الطبيعة الروحية أعلى من الطبيعة الجسدية. بالتالي الطبيعة الجسدية لا بد أن تطيع الشيطان فيما يتعلق بالحركة الموضعية. ولا يوجد شكل هو أكبر من قدرتهم، لذلك يحركونه كما يريدون، بالطريقة التي يرغبون فيها.

من هذا يمكن أن يخرج سؤال، ماذا عن الحالات التي يؤدي فيها ملاك الخير أو ملاك الشر بعض وظائف الحياة باستخدام أجسام حية، وليس بأجسام هوائية، كما في حالة حمار بلعام، حين تحدّث الملاك، أو عندما يتلبس الشيطان في الأجسام. سنجيب بأن هذه الأجسام لا يقال عنها أنها مُتخذة من الشيطان ولكن يتلبس بها الشيطان. انظر كلام القديس «توماس» عن إذا كانت الملائكة يمكن تتخذ أجسادًا. ولكن دعونا نعد إلى موضوعنا.

بأي طريقة يمكن أن نفهم طريقة تحدُّث الشياطين مع الساحرات، ورؤيتهم، وسماعهم لهم، والأكل معهم، والمضاجعة بهم؟ وهذا هو الجزء الثاني من هذه الفقرة.

بالنسبة للتحدُّث، لا بد أن نقول أن هناك ثلاثة أشياء مطلوبة حتى يحدث حوار حقيقي، أولًا، رئتان، وهذا ليس فقط لغرض إخراج الصوت ولكن أيضًا لتبريد القلب، فحتى الأبكم لديه رئتان.

ثانيًا، من الضروري أن يكون هناك دق معين يتم عمله لجسم ما في الهواء، فيتكون صوت أكبر أو أقل، هذا مثل الصوت التي يتكون عند دق جرس. لأنه عندما تُضرب المادة المناسبة لعمل الصوت بأداة عاملة للصوت، فهي تُخرِج صوتًا يتوافق مع حجمها، حيث يتم استقبال هذا الصوت في الهواء ويتضاعف في أذن المستمع.

ثالثًا، الصوت اللفظي مطلوب، ويمكن أن نقول أن ما يسمى صوتًا في الجمادات فهو يسمى صوتًا لفظيًا لما تصدره الأجسام الحية. وهنا يَضرب اللسان مجاري التنفس كأداة طبيعية مخلوقة بواسطة الرب. وهذا ليس جرسا، فلا يسمى صوتًا، ولكنه صوت لفظي. ولقد ذكرت هذا حتى يمكن للمبشرين أن يُعلموه للناس.

ومن الضروري أن الذي يعمل الصوت اللفظي يقصد أن يُخرِج شيئًا مفهومًا لعقل المتلقي، ويجب أن يفهم هو نفسه ما الذي يقوله، وبالتالي يتحكم بصوته بضرب أسنانه بلسانه على التوالي في فمه، بفتح وإغلاق شفتيه، وبإرسال الهواء المضروب في فمه إلى الهواء الخارجي، هكذا بهذه الطريقة يخرج الصوت حتى تسمعه الأذن، وتفهم معناه.

ونعود إلى الموضوع، الشياطين ليست لديها رئة ولا لسان، رغم أنه يمكنهم أن يُظهروا لسانهم وأسنانهم وشفاههم بطريقة اصطناعية طبقًا لحالة الأجسام التي اتخذوها، وبالتالي هم لا يمكنهم أن يتكلموا بشكل حقيقي. ولكن لأن لديهم فِهما عقليًا، فعندما يريدون أن يُعبروا عن شيء يقصدونه، يُحدِثون بعض الاضطراب في الهواء الداخلي للجسد الذي يتخذونه، فيُنتجون صوتًا، ليس صوتًا لفظيًا، ولكنه صوت يحاكي الصوت اللفظي، ويُرسلونه ببلاغة خلال الهواء الخارجي إلى أذن المستمع. وهذا مثل الصوت الذي يمكن أن يُعمل بدون تنفس الهواء وهذا واضح في حالة الحيوانات التي لا تتنفس وتعمل صوتًا، كما أن هناك جمادات معينة تعمل هذا، كما يقول أرسطو، في كتاب **de Anima**. لأن بعض الأسماك عندما يتم صيدها، فجأة تُصدر صوتًا كالبكاء خارج الماء وتموت.

كل هذا سنستخدمه في فهم مع ما يلي من النقاط، حتى نصل للنقطة التي نتكلم فيها عن الاتصال الجنسي، وإذا أراد أي أحد أن يسأل أكثر في موضوع حديث الشياطين في الأجساد التي يتلبسون بها، يمكنه أن يرجع إلى كلام القديس «توماس» في الكتاب الثاني من **Sentences**، الفصل الثامن، المقال الخامس. لأنهم في هذه الحالة يستخدمون أعضاء الجسم الذي يتلبسون فيه، لأنهم يتلبسون بهذا الجسم ويتحددون بقدراته، وليس بقدراتهم هم، سواء الجسدية أو الروحية.

ولا بد أن نقول الآن كيف يمكن أن يروا ويسمعوا. البصر نوعان، روحي وجسدي، والروحي يتفوق على الجسدي، لأنه يمكنه أن يخترق الحواجز ولا يكون محدودًا

بالمسافات، بسبب خواص الضوء التي يستخدمها. بالتالي لا بد أن نقول أنه لا يمكن للملاك سواء كان ملاك خير أو ملاك شر، أن يرى بعين الجسد الذي اتخذه، ولا أن يستخدم أي من صفات هذا الجسد كما في صفة الكلام عندما استخدم الهواء واهتزاز الهواء ليُنتج صوتًا لفظيًا أمكن أن يتم سماعه بواسطة المستمع. لذلك عيونهم هي فقط عيون مرسومة. وهم يُظهرونها للإنسان بهذا الشكل حتى يُظهِروا له أن صفاتهم طبيعية ويتحدثون معه.

بهذه الطريقة ظهرت الملائكة المقدسة للآباء بأمر الرب وإذنه، وملائكة الشر أظهروا أنفسهم للفاسدين حتى يعرف الفاسدون صفاتهم وحتى يتعاملوا معهم في الخطية.

ولأن البصر الجسدي هي عملية حيوية تحدث في الجسم الحي، وتفتقدها الشياطين، بالتالي فهم يرسمونها في الأجساد التي يتخذونها.

ويمكن أن نتحدث بنفس الطريقة عن سماعهم، والذي هو أكثر دقة من سماع الجسد، لأنه يمكنهم أن يعرفوا أفكار العقل وحديث الروح بمهارة أكثر مما يمكن للإنسان بالعقل أن يفعله في بيئة الكلمات المسموعة. انظر كلام القديس «توماس» في الكتاب الثاني من **Sentences**، الفصل الثامن. لأنه إذا كانت الرغبات السرية للإنسان ظاهرة في وجهه، والأطباء يمكن أن يعرفوا منها أفكاره من خلال ضربات قلبه وحالة نبضه، فكل هذه الأشياء يمكن أن يعرفها الشيطان بشكل أفضل.

ويمكن أن نقول هذا عن الأكل، في الممارسة الكاملة للأكل هناك أربع عمليات، المضغ بالفم، البلع إلى المعدة، الهضم، ورابعًا الأيض للمواد الضرورية وإخراج الزائد. كل الملائكة يمكن أن تعمل أول عمليتين للأكل في الجسد الذي يتخذونه، ولكن ليس الثالثة والرابعة. فبدلًا من الهضم والإخراج لديهم قدرة أخرى يذوب فيها الطعام فجأة في المادة المحيطة به. ففي جسد المسيح كانت عملية الأكل كاملة بكل خطواتها، حيث كانت لديه القدرة على الأيض والتغذي، لكن ليس بالطريقة الطبيعية، لأنه هذه القدرات كانت في حالة جسم المسيح مفخمة، فالطعام كان يذوب في جسده فجأة، كما يرمي أحد بالماء على النار.

كيف يمكن للساحرات في هذا العصر أن يؤدين الاتصال الجسدي مع شياطين الجاثوم وكيف يتكاثرن بهذه الطريقة؟

لا توجد صعوبة في هذا إذا فهمنا ما سبق، فبالنظر إلى المبدأ الذي بدأنا به، فالفعل الجسدي الذي يعمله الشيطان الجاثوم مع الساحرات، إنما يعمله بجسده الذي اتخذه.

وقد يشك أحد ويقول هل الساحرات في هذا العصر يمكن أن يعملن هذا الاقتران البغيض؟ وهل الساحرات وُلدن بسبب هذه العملية المقيتة؟

في إجابة هذه الشكوك يمكن أن نقول، بالنسبة للشك الأول، بالنسبة لممارسات الساحرات اللاتي كُنَّ يَعشن في الأزمان القديمة، قبل حوالي ١٤٠٠ سنة قبل تجسد ربنا. فغير معلوم إذا كُنَّ قد أدمن على هذه الممارسات مثل ساحرات هذا العصر أم لا، لأنه بقدر معلوماتنا فالتاريخ لا يخبرنا بشيء عن هذا الموضوع. ولكن لا أحد ممن يقرأ التاريخ يشك أنه كانت هناك دائمًا ساحرات، وأنهن بأعمالهن الشيطانية تسببن بالأذى للبشر والحيوانات والأشجار على الأرض، وأن شياطين الجاثوم والسلعاة (أحيانًا تُكتب السعلاة كما تُكتب السلعاة) كانوا دائمًا موجودين، لأن تقاليد الشريعة والعلماء تركوا للأجيال القادمة معلومات عديدة بخصوص هذا قبل عدة مئات من السنين. إلا أن هناك اختلافًا واحدًا، أنه في الأزمان البعيدة في الماضي كانت شياطين الجاثوم تعمل هذا مع النساء بالإجبار ضد رغبتهن، كما هو واضح من كلام «نيدار» في كتابه **Formicarius** وكلام «توماس أوف باربانت» في كتابه **Universal Good** أو **Bees**.

ولكن نظرية أن ساحرات هذا العصر قد فسدوا بهذا النوع من البذاءة الشيطانية هي ليست مُثبتة فقط في رأينا، ولكن بشهادة الخبراء من الساحرات أنفسهن مما جعل كل شيء موثوقًا، واعترفن أنهن الآن ليس كما كُن في الماضي، حيث كان هذا بدون رغبة منهن، لكنهن الآن يفعلن هذا برغبتهن الخاصة ويؤدين للشياطين أكثر استعباد كريه وفاسد.

نساء كثيرات لا بد من معاقبتهن بالقانون العلماني في مختلف الأبرشيات، خاصة في «كونستانس» وقرية «راتيسبون»، حيث كُنّ لسنين عديدة مدمنات على هذا العمل البغيض، بعضهن منذ أن كانت أعمارهن في العشرين وبعضهن من

عمر الثانية عشرة والثالثة عشرة، ودائمًا ما يفعلن هذا مع إنكار كامل أو جزئي للإيمان، وكل سكان الأماكن الأخرى شهود على هذا. لأنه بدون حساب من تابت منهن ورجعت إلى الإيمان، فليس أقل من ثمانية وأربعين امرأة تم حرقها في خمسة سنوات. ولن نذكر الساحرات اللاتي أتين تحت ملاحظة زميلنا المفتش في «كومو» في مقاطعة «بوربيا»، والذي في سنة واحدة -وكانت سنة النعمة ١٤٨٥- تسبب في حرق إحدى وأربعين ساحرة، وكلهن تم إثبات حرقهن بشكل علني، لأنهن قد مارسن هذه الأعمال البغيضة مع الشياطين. بالتالي هذا الأمر تم إثباته بواسطة شهود عيان، وبالهرطقة، وبشهادة شهود موثوقين.

بالنسبة للشك الآخر، هل الساحرات كانت ولادتهن بسبب هذه الممارسة البغيضة، يمكن أن نقول مع القديس «أوجستين» أن هذا حقيقي، وأن كل الفنون الماورائية لها أصل مسموم أتى من علاقة الإنسان مع الشياطين. لأنه يقول في كتابه **On Christian Doctrine**: كل هذا النوع من الأعمال الماورائية، سواء كان تافهًا أو مؤذيًا، نبت من علاقة مسمومة بين الإنسان والشيطان، مثلما عُملت بعض العهود للكفار مع الماكرين من الخارج.

لاحظ هنا أنه رغم أن هناك عدة أنواع من الماورائيات وفنون السحر، وعدة مجتمعات من أولئك الذين يمارسونها، لكن من ضمن الأربعة عشر نوعًا من هذا الفن، فإن فصيلة الساحرات هي الأسوأ، لأنهن لا يُخفين هذا بل يُعلنون العهد مع الشيطان، وأكثر من هذا، يعملن نوعًا من عبادة الشيطان عبر إنكارهن للإيمان، وبالتالي فالساحرات يعملن أسوأ نوع من العلاقة مع الشياطين، وهذا متوقع من سلوك النساء، الذين يبتهجن دائمًا بالأشياء الفاسدة.

الفصل ٥. الساحرات عادة يعملن تعاويذهن باستخدام الأسرار المقدسة للكنيسة

الساحرات عادة يعملن تعاويذهن باستخدام الأسرار المقدسة للكنيسة، وبها يُفسدون القدرة الجنسية، وبها يُسببون الأمراض لكل المخلوقات التي خلقها الرب بكل أنواعهم.

ولكن هناك أشياء عديدة لا بد أن نذكرها بخصوص طرقهن في عمل الأذية للمخلوقات وعلى الأشجار في الأرض: أولًا ما يتعلق بالإنسان، ثم ما يتعلق بالحيوانات، وثالثًا ما يتعلق بالأشجار على الأرض. بالنسبة للإنسان، أولًا يمكنهن أن يعملن تعويذة حاجبة على قدرات الإنجاب، وتعويذة على القدرة الجنسية، فلا يمكن للمرأة أن تحمل، ولا يقدر الرجل على أداء الفعل.

ثانيًا، كيف لهذا الفعل أن يتعطل في بعض الأحيان ناحية امرأة معينة دون الأخرى؟

ثالثًا، كيف يأخذن الأعضاء الرجولية بعيدا فيظهر أنها قد ذهبت من الجسد؟

رابعًا، هل من الممكن أن نُميز إذا كان أي من هذه الأشياء المذكورة حصلت بفعل الشيطان بنفسه، أم أنها حصلت خلال توكيل أحد الساحرات؟

خامسًا، كيف للساحرات أن يُحوِّلن الرجال والنساء إلى حيوانات ببعض الإيهام؟

سادسًا،كيف يمكن للساحرات العاملات في التوليد بطرق عديدة أن يقتلن ما يتم حمله في أرحام النساء؟ وعندما لا يقدرن على فعل هذا، فكيف يهبن الأطفال للشيطان؟ بقراءة هذه الأشياء ستبدو وكأنها لا تصدق، ولكن كلها تم إثباتها في

الجزء الأول من هذا العمل بأسئلة وإجابات على الحجج، فيمكن للقارئ الذي لديه شكوك أن يعود إليها لغرض معرفة الحقيقة.

في الوقت الحالي موضوعنا فقط أن نضيف وقائع حقيقية وأمثلة وجدناها بأنفسنا، أو كتبها آخرون في التحذير من هذه الجرائم، فيتم تثبيت تلك الحجج السابقة إذا كانت صعبة الفهم على أي شخص، وبالتالي يمكن أن يعود الإيمان لهؤلاء الذين يظنون أنه لا توجد ساحرات، وأنه لا يوجد سحر في هذا العالم.

وبالنسبة للدرجة الأولى من الأذية التي يعملنها للجنس البشري، لا بد أن نذكر أنه بعيدًا عن الطرق التي يؤذون بها المخلوقات الأخرى، فإن لديهم ستة طرق لإيذاء البشر. الأولى هي تشجيع حب شرير في الرجل أو المرأة، أو في المرأة تجاه الرجل. الثانية هي زرع كره أو غيرة في أي شخص. الثالثة هي سحر الرجل فلا يستطيع أن يعمل العلاقة الجنسية مع المرأة، أو سحر المرأة فلا تستطيع أن تعمل علاقة مع الرجل، أو بعدة معان أخرى مثل عمل إجهاض كما قلنا من قبل. الرابعة هي عمل مرض في أي من أعضاء الجسم البشري. الخامسة هي أخذ الحياة من الشخص. السادسة هي أخذ المنطق من الشخص.

لا بد أن نقول أن الشياطين يمكنهم بقدراتهم الطبيعية بكل الطرق أن يعملوا العلل والأمراض، وهذا يعملونه بقدرتهم الروحية الطبيعية، والتي هي أعلى من أي قوة جسدية.

ولكن أولًا، قد يتساءل القارئ عن السبب الذي يجعلهم غير قادرين على التأثير في النجوم، سنقول أن هناك ثلاثة أسباب، الأول أن النجوم فوقهم، بينما هم في منطقة الضباب السفلي، وهذا بسبب المهام الموكلة إليهم، انظر الجزء الأول، السؤال ٢، عندما تحدثنا عن الجاثوم والسلعاة.

السبب الثاني هو أن النجوم محكومة بواسطة ملائكة الخير. انظر إلى الكتب العديدة التي تختص بالقوى التي تُحرك النجوم، وخصوصًا كلام القديس «توماس». وفي هذا الموضوع يتفق الفلاسفة مع اللاهوتيون.

ثالثًا، أنه بسبب النظام العام والصالح العام للكون. والذي سيعاني من ضرر بالغ إذا سُمح للأرواح الشريرة أن تعمل أي تغيير في تأثير النجوم. لذلك هذه

التغيرات التي حصلت بإعجاز في العهد القديم والجديد قد حدثت بفعل الرب من خلال ملائكة الخير. كمثال، لما توقفت الشمس من أجل «جوشوا»، أو عندما رجعَت إلى الخلف من أجل «حزقيا»، أو عندما أظلمت بشكل معجز أثناء آلام المسيح. ولكن في كل الأمور الأخرى غير النجوم، يمكنهم أن يعملوا تعاويذهم، سواء الشياطين أنفسهم أو الشياطين من خلال توكيل ساحرة.

ثانيًا، لا بد أن نذكر أنه في كل طرقهم لعمل الأذية، يوجهون ساحراتهم لعمل أدواتهن للسحر من الأسرار المقدسة للكنيسة، أو من بعض الأشياء المقدسة المكرسة للرب، مثل أنهن في بعض الأحيان يضعن صورة شمعية تحت قماشة من مذبح الكنيسة، أو يسحبون خيطًا ممزوجًا بزيت الميرون المقدس، أو يستخدمن الأشياء المكرسة بأي طريقة. وهن معتادات أن يُمارسن سحرهن في الأوقات المقدسة من السنة، خاصة في عيد مجيء المسيح، وفي الكريسماس.

وهناك ثلاثة أسباب لهذا، السبب الأول، أنهن بهذا المعنى لا يجعلن الإنسان فقط مذنبًا بالخيانة، ولكن بتدنيس المقدسات، بتلويث كل ما هو رباني، حتى يمكنهن الإساءة للرب خالقهم بشكل أكثر عمقًا، فتُلعن أرواحهم ويُسقِطون كثيرًا غيرهم في الخطية.

ثانيًا، أن الرب، كونه مستاء جدًّا من الإنسان، يمكن أن يعطي للشيطان قوة أكبر على تعذيبهم. لأجل هذا يقول القديس «جريجوري»، أن الرب في غضبه في بعض الأحيان يستجيب لدعوات الفاسدين التي يرفضها من الآخرين لأجل تعذيب بعض البشر. والسبب الثالث هو أنه بسبب وضوح الخير، يمكن للرب أن يضلل بعض الرجال الذين يظنون أنهم قد عملوا عملًا تقيا وحصلوا على النعمة من الرب، بينما هم في الواقع قد عملوا الخطية بشكل أثقل.

سبب رابع يمكن أن يضاف بخصوص المواسم المقدسة والسنة الجديدة. لأنه وفقًا للقديس «أوجستين»، هناك خطايا أخلاقية أخرى غير الزنا يمكن أن تعملها وتدنس بها الأعياد.

الماورائيات والسحر ينبثقان من العمليات الأكثر حقارة للشياطين وهي أمور مخالفة للاحترام الذي هو من عند الرب. بالتالي، كما قيل، الشيطان يجعل الإنسان يسقط أكثر، والخالق يستاء منه أكثر.

وبالنسبة لعيد السنة الجديدة يمكن أن نقول وفقا للقديس «إيزيدور»، أن «جانوس» الذي جاء منه اسم يناير، والذي يبدأ في يوم الختان المقدس، كان صنمًا ذا وجهين، واحد يعبر عن السنة القديمة والآخر يعبر عن بداية السنة الجديدة، وكأنه هو الحافظ والمبشر بالسنة الجديدة. وكتكريم له أو بالأحرى للشيطان الذي هو على شكل هذا الصنم، يعمل الوثنيون الاحتفالات الصاخبة، ويفرحون بأنفسهم، ويعملون كثيرًا من الرقصات والأعياد. والمبارك «أوجستين» يذكرهم في مواضع كثيرة، ويعطي وصفًا دقيقًا لهم في كتابه السادس والعشرين.

والآن المسيحيون الفاسدون يقلدون هذا الفساد الأخلاقي، ويحولونها إلى مجون عندما يأتي وقت المهرجان فيهرعون إليه بالأقنعة والأضحوكات والخرافات الأخرى. كذلك الساحرات يستخدمن احتفالاتهن بالشيطان لأجل مصلحتهن، ويعملن تعاويذهن في وقت السنة الجديدة لتتوافق مع أيام المقرات الربانية والعبادات، مثل يوم القديس «أندرو» والكريسماس.

والآن بالنسبة لكيفية عمل سحرهن، هُنّ يستخدمن شيئين، أولًا أسرار الكنسية المقدسة، وثانيًا لأشياء المكرسة المقدسة، سنشير إلى حقائق مكتشفة بواسطتنا في حملة التفتيش.

في قرية من الأفضل ألا نذكر اسمها، أثناء عمل سر الأفخارستيا المقدس حيث يؤكل الخبز تعبيرًا عن جسد المسيح، عندما استلمت ساحرة جسد ربنا ذات مرة، فجأة خفضت رأسها، وعملت تلك العادة الكريهة للنساء، بأن وضعت قماش ثوبها قرب فمها، وأخرجت جسد الرب خارج فمها خفية، وغلفته في منديل، وبعد ذلك، باقتراح من الشيطان، وضعته في صندوق صغير بداخله ضفدع، ودفنته تحت الأرض بجوار منزلها بجوار المخزن، إلى جوار أشياء كثيرة أخرى، لأجل أن تعمل به سحرها. ولكن بتدخل من رحمة الرب، تم اكتشاف هذه الجريمة ووضعها تحت الضوء.

لأنه في اليوم التالي، كان هناك رجل موظف ذاهب إلى عمله قرب ذلك المنزل، فسمع صوتًا كأنه طفل يبكي، وعندما أتى إلى الحجرة التي تحتها الصندوق المدفون، سمع الصوت بشكل أوضح، وظن بأن هناك طفلًا مدفونًا هاهنا، فذهب إلى العمدة أو الحاكم، وأخبره بما حصل معه، أو كما ظن، أخبره بأن هناك من قتل طفلًا وليدًا. وبسرعة أرسل العمدة خُدّامه فوجدوه كما قال. ولكنهم كرهوا أن يُخرجوا جثة الطفل، واجدين أنه من الأكثر حكمة أن يراقبوا وينتظروا إذا أتت امرأة إلى هذا المكان. لأنهم لم يكونوا يعرفون أن هذا هو جسد الرب المخبأ هنا. وحدث أن الساحرة قد أتت إلى المكان، واتجهت ناحية الصندوق الذي خبأته، وكان هذا أمام أعينهم. وعندما تم أخذها ومساءلتها، كشفت عن جريمتها، وقالت أن جسد الرب تم إخفاؤه في الصندوق مع ضفدعة، حتى تقدر بهذا أن تعمل أذى لبعض الأشخاص والمخلوقات الأخرى.

لا بد أن نذكر أيضًا أن الساحرات يعملن هذه العادة كلما استطعن بدون أن يُكتشف أمرهن، فهن يستلمن جسد الرب تحت لسانهن بدلًا من أعلاه. وبطريقة لا يمكن أن يُرى بها، والسبب هو أنهن لا يُردن الحصول على أي علاج يمكن أن يتعارض مع إنكارهن للإيمان، إما بالاعتراف أو بتقبل السر المقدس للأفخارستيا، وثانيًا، لأنه بهذه الطريقة من الأسهل عليهن أن يأخذن جسد الرب خارج أفواههن ليمكنهن وضعه بعيدًا لأجل استخداماتهن، لأجل الإساءة للخالق. لهذا السبب كل توجيهات الكنيسة لهؤلاء الذين يُحدِّثون الناس فيها أن يتخذوا كل الاحتياط عندما يتعاملون مع النساء أن تكون أفواههن مفتوحة وألسنتهن خارجة وظاهرة، وأن تكون ملابسهن سليمة ولا شيء مخبأ فيها. وكلما اتُّخذت احتياطات أكثر كلما انكشفت الساحرات أكثر.

خرافات أخرى كثيرة يعملنها في الأشياء المقدسة. في بعض الأحيان يضعن صورة شمعية أو مادة عطرية تحت قماشة من مذبح الكنيسة، كما قلنا من قبل، ثم يُخفونها تحت عتبة منزل، حيث يُسحر بها صاحب المنزل عندما يمر فوقها. أمثلة أخرى كثيرة جدًا يمكن أن نضعها، ولكن هذه الأنواع الصغيرة من التعاويذ سيتم فهمها بذكر الأكبر منها.

الفصل ٦. كيف تمنع وتعوق الساحرات القدرة على الإنجاب

بخصوص الطريقة التي تُعطل بها الساحرة القدرة الإنجابية في الإنسان والحيوان في كلا الجنسين، يمكن للقارئ أن يرجع إلى ما كُتب من قبل في السؤال، هل يمكن للساحرات أن يُحولن عقول الرجال للحب أو الكره. هناك، بعد حلول المجادلات، كان هناك توضيح عن الطريقة التي يمكن للساحرة بإذن الرب أن تُعطل القدرة الإنجابية.

ولكن لا بد أن نذكر أن هذا التعطيل يمكن أن يحصل داخليًا أو خارجيًا. داخليًا يفعلنه بطريقتين. أولًا، عندما يمنعن مباشرة انتصاب العضو الذكري. وهذا لا يبدو مستحيلًا عندما نضع في الحسبان أنهن يمكنهن أن يُبطلن استخدام أي عضو حي. ثانيًا، عندما يمنعن تدفق الجواهر الحيوية إلى الأعضاء التي تسبب القوة المحركة، مغلقين القناة المنوية حتى لا يصل المني إلى قنوات الإنجاب، أو حتى لا يمكنه أن يقذف، أو يقذف لكنه يكون غير مُثمر فيُراق بلا جدوى.

وخارجيًا بأنه يمكنهن تعطيل الإنجاب في أوقات باستخدام الصور، أو بأكل الأعشاب، أو بطرق أخرى.

ولكن يجب ألا نظن أنه بقدرة هذه الأشياء يحدث العقم للإنسان، ولكن بقدرة أوهام الشيطان السرية يمكن للساحرات أن يُحدثوا الوهم بالعقم، تحديدا هُنّ يجعلن الرجل غير قادر على المضاجعة، والمرأة غير قادرة على الحمل.

وسبب هذا أن الرب يسمح لهن بقدرة أكبر في هذا الفعل بالذات والذي جاءت به الخطية الأولى، أكثر من كل أفعال الإنسان الأخرى. بالمثل، لديهن قدرة أكبر على الحيّات، التي هي الحيوانات الأكثر استخدامًا في السحر، أكثر من كل الحيوانات

الأخرى. لذلك نجد الحيّات دائمًا في حملات التفتيش، وهن يسببن العقم بواسطة سحر الحيّات.

لأن هناك ساحرًا تم القبض عليه واعترف أنه ولسنوات طويلة جعل كثيرًا من الناس عقيمين والحيوانات أيضًا. و«نيدار» يخبرنا عن ساحر اسمه «ستادلين» تم أخذه في أبرشية «لاوزان»، واعترف أنه عمل سحرًا من أسحاره أحد البيوت حيث يعيش رجل وزوجته، فقتل بهذا السحر سبعة أطفال حملت بهم المرأة، ولذلك كانت المرأة لسنين طويلة تجهض. وقال أنه بنفس الطريقة جعل كل الماشية التي في البيت عقيمة طوال هذه السنين ولا تستطيع أن تلد أي شيء حي.

وعندما سألوه كيف فعل هذا، وما هو العقاب الذي يتخيره لنفسه، كشف جريمته قائلًا، لقد وضعت حيّة تحت عتبة الباب الخارجي للبيت، وإذا تمت إزالتها، ستعود الخصوبة لسكان البيت كلهم. وحصل كما قال، لكن الحية لم يُعثر عليها لأنها تحللت إلى تراب، فتمت إزالة هذه القطعة من الأرض التي عُمل فيها السحر، وفي نفس السنة عادت الخصوبة للزوجة ولكل الحيوانات.

حالة أخرى حدثت منذ أربع سنوات في «ريشوفين». كانت هناك ساحرة شهيرة، يمكنها بلمسة واحدة أن تسحر النساء وتسبب لهن إجهاضًا. وكانت هناك زوجة رجل نبيل في ذلك المكان وحملت وعيّنت أحد المولدات لتهتم بها، وحذرتها المولدة ألا تخرج من القلعة أبدًا وأن تَحذر أن تتحدث مع تلك الساحرة أي حديث كان. وبعد أسابيع قليلة، لم تهتم المرأة بهذا التحذير، فخرجت من القلعة لتزور إحدى النساء التي قابلتها ذات مرة في أحد الأعياد، وعندما جلست معها قليلًا، جاءت الساحرة، وكأنها أتت لتحيتها، فوضعت الساحرة يديها الاثنتين على معدة المرأة، وفجأة أحست المرأة بألم من حركة الطفل. وخافت من هذا وعادت إلى المنزل وأخبرت المُولدة بما حصل. فصرخت المُولدة فيها «**وآسفاه! لقد خسرت طفلك بالفعل**» وهذا ما حصل فعلًا عندما أتى وقت ولادتها، حيث ولدت أجزاء متناثرة من طفل، أجزاء من رأسه وأجزاء من يديه. وهذا السحر تم عمله لها للانتقام من زوجها، الذي كانت مهنته أن يأتي بالساحرات إلى العدالة ويثأر لأذيتهن للرب.

وكان هناك شاب في قرية «ميرسبورج» في أبرشية «كونستانس»، تم سحره بطريقة لا يمكنه معها أن يضاجع أي امرأة إلا واحدة. والكثيرون سمعوه وهو يقول

أنه كان يرغب في أن يرفض هذه المرأة، ويرحل إلى أرض أخرى، ولكنه حتى هذا اليوم مجبور بأن يستيقظ كل يوم في الليل ويضاجعها ويعود سريعًا جدًّا، وفي بعض الأحيان يقطع الأراضي البعيدة في عودته، وبعض الأحيان الأخرى يعود عبر الهواء كما لو كان يطير.

الفصل ٧. كيف يُجرِّدن الرجل من عضوه الذكري

لقد وضحنا أنه يمكنهن أن يأخذن العضو الذكري لشخص، ليس بشكل حقيقي ولكن بالطريقة الإيهامية التي أوضحناها. وهنا نحن سنضع بعض الأمثلة.

في قرية «راتيسبون» كان هناك شاب خدع فتاة، وكان راغبًا في تركها، هذا الشاب فجأة فقد عضوه الذكري، أو كما قلنا أصيب بوهم سحري تم رميه على العضو فاختفى فأصبح لا يمكنه أن يراه أو يلمسه، فقط يلمس جلد حوضه الناعم كأنه لا شيء هناك. وفي غمرة قلقه على هذا الأمر ذهب إلى الحانة ليشرب الخمر وبعد أن جلس لبعض الوقت تحدّث مع امرأة كانت هناك، وأخبرها بسبب حزنه، وشرح لها كل شيء، وأراها جسده.

وكانت المرأة ذكية، فسألته إذا كان يشك في أي شخص، وعندما ذكر اسمًا واحدًا، اسم امرأة ساحرة، تبين لها كل شيء فقالت له «**إذا كان الإقناع ليس كافيًا فيجب أن تستخدم العنف حتى تجعلها تُعيد لك صحتك**». وبذلك في المساء راقب الشاب الطريق الذي اعتادت الساحرة أن تمشي منه، ووجدها، واستحلفها بأن تعيد له صحته. وعندما أصرت أنها بريئة ولا تعرف عما يتكلم، هجم عليها ولف منشفة حول رقبتها، وخنقها وهو يقول «**إن لم تعيدي لي صحتي، ستموتين بين يدي**»، ولم تستطع حتى أن تُخرج كلمة، وبدأ لونها يزداد سوادًا وقالت «**دعني وسأشفيك**». خفف الشاب الضغط على المنشفة ولمسته الساحرة بيدها بين الفخذين وقالت «**الآن عاد لك ما تريده**» والشاب كما يقول بعد ذلك، شعر بوضوح بعودة العضو، قبل حتى أن ينظر أو يلمسه، كان عضوه قد عاد إليه فقط بلمسة من الساحرة.

تجربة مماثلة حكاها أب موقر من البيت الدومينيكي في «سبايرز»، معروف في التنظيم بصدقه في حياته وبتعلمه، قال «في أحد الأيام، بينما كنت أستمع إلى الاعترافات، أتى إليّ شاب وفي وسط اعترافه، قال بطريقة يُرثى لها أنه فقد عضوه.

اندهشت جدًّا وما كنت لأصدق بسهولة، لأن ذا القلب الخفيف هو الذي يصدق بسهولة، ولكنني رأيت الدليل لما رفع الفتى رداءه، رأيت أنه ليس لديه عضو هنالك في المكان. ثم وبأكثر مشورة حكيمة استطعت أن أقولها، سألته إذا كان يشك في أن أحدًا قد سحره. قال الشاب أنه شك في إحداهن، لكنها كانت بعيدة تعيش في «وورمز». قلت له «**أنا أنصحك أن تذهب إليها في أسرع وقت وأن تحاول قصارى جهدك أن تُلين قلبها بالكلمات المؤدبة والوعود**» ولقد فعل هذا. ثم إنه قد جاء إلي بعد أيام وشكرني، وقال أنه الآن بخير وأنه قد استعاد كل شيء. ورغم أنني صدقت كلامه، إلا أنني تأكدت بعيني من الدليل»

ولكن هناك بعض النقاط يجب أن نذكرها من أجل فهم أوضح لما قيل في هذا الأمر. أولًا، لا يجب أن نصدق أبدًا أن العضو الذكري يؤخذ بحق من الجسد، ولكن في الحقيقة هو يتم إخفاؤه بواسطة بعض الفن السحري فلا يُرى أو يُحس. وهذا مثبت بالشرائع والحجج، وسنذكر مرة أخرى مقولة «ألكسندر أوف هيلز» أن الهيبة، بفهمها الصحيح، هي وهم من الشيطان، لأنه لا يحدث فيها أي تغيير في المادة، ولكنه تغيير فقط في عقل الموهوم، إما في حواسه الخارجية أو الداخلية.

بالرجوع إلى هذه الكلمات لا بد أن نذكر، أنه إذا تكلمنا عن حاستين من الحواس، تحديدًا، البصر واللمس، وقلنا أنه قد تم خداعهما. فهذه الحواس لا تنفعل في حالة إخفاء شيء، بل تنفعل في حالة ظهور شيء ما للشخص.

لأن الشخص الواعي يرى أشياء تختلف عن حقيقتها، مثل أن يرى شخصًا يلتهم حصانًا، أو يظن أنه يرى رجلًا يتحول إلى وحش، أو يرى أنه هو نفسه وحش. فهذا عنده الحواس الخارجية تكون مخدوعة وموظفة بواسطة الحواس الداخلية.

لأنه بقدرة الشياطين، وبإذن الرب، تبقى الصور العقلية في الكنز الخاص بها، الذي هو الذاكرة، ثم يتم سحبها، ليس من الفهم الفكري الذي تُخزن فيه الصور، ولكن من الذاكرة التي هي مستودع للصور العقلية، ومكانها في مؤخرة الرأس، ثم يتم تقديم الصور لَمَلَكَة الخيال. وهذه المَلَكَة تدفع الرجل لأن يتخيل حصانًا أو وحشًا، يعني يسحب الشيطان من الذاكرة صورة لحصان أو وحش، ثم يُجبَر الشخص على التوهم أنه يرى هذه الصورة بعينه الخارجية وكأنها وحش، ولكن في

الحقيقة لا يوجد وحش حقيقي، ولكن الوحش يبدو للشخص أنه موجود بسبب القوة الخادعة الشيطانية التي تعمل باستخدام هذه الصور العقلية.

وليس أمرًا مذهلًا أن الشياطين يمكن أن تفعل هذا، لأنه حتى الخلل الطبيعي يمكن أن يُحدث نفس التأثير، كما نرى في حالة الرجال المحزونين أو المسعورين، وفي المجانين وبعض المخمورين، الذين لا يقدرون على التمييز. لأنَّ المحزونين من الرجال يظنون أنهم يرون أشياء عجيبة، مثل الوحوش وبعض الأمور المرعبة، رغم أنه في الحقيقة الواقعة هذا غير موجود. انظر أعلاه، في السؤال، هل يمكن للساحرات أن يُغيرن عقول الرجال إلى الحب أو الكره.

وأخيرًا، الشيطان له قدرة على الأشياء السفلى كلها، إلا الروح، بالتالي هو يستطيع أن يعمل بعض التغييرات في هذه الأشياء كلها، فتظهر بصورة غير حقيقتها. وهو يفعل هذا إما بتضليل وخداع البصر حيث أن الشيء الواضح يظهر بشكل مشوش، كأنما ترى الشيء بعد البكاء، فيأتي الشيطان بالأخلاط التي جمعها، والتي تجعل الضوء يبدو مختلفًا عما كان من قبل. أو يفعل هذا بالعمل على مَلَكَة الخيال بتحويل الصور العقلية، فتظهر المادة الأرضية الجافة على أنها نارية أو مائية.

يمكن أن يسأل أحد، بالرجوع إلى طريقة الشيطان الإيهامية أعلاه، هل هذا النوع من الوهم يمكن أن يحدث للصالح والفاسد بلا فرق؟ مثلما يمكن لأي مرض أن يحدث لأي أحد بلا فرق؟ ودعونا نقرأ كلمات «كاسيان» في كتاب **Second Collation of the Abbot Sirenus**، ومنه نفهم أن كل المخدوعين بهذه الطريقة لا بد أنهم واقعون في خطية مميتة. لأنه يقول، كما هو واضح من كلمات القديس «أنتوني»: الشيطان لا يمكن أن يدخل عقل أو جسد أي شخص، وليس لديه القدرة على اختراق أفكار أي شخص، إلا إذا كان الشخص فقيرًا في الأفكار المقدسة.

أيضًا «كاسيان» يقول في نفس الكتاب عن ساحرتين وثنيتين، كل واحدة خبيثة بطريقتها، واللتان بسحرهن أرسلن عددًا متتابعًا من الشياطين إلى صومعة القديس «أنتوني» لغرض نقله من مكان إلى مكان، كونهن مصابات بالكره ناحية رجال الدين لأن الكثير من الناس كانوا يزورونه كل يوم. ورغم أن هذه الشياطين

هاجمته بعنف بوخزات في أفكاره، إلا أنه طردهم بعمل الصليب على نفسه على الرأس والصدر، وبالسجود بصلاة خاشعة.

بالتالي يمكن أن نقول أن هؤلاء الذين يخدعهم الشيطان، بدون حساب أي أمراض جسدية، يفتقدون هبة النعمة الإلهية المقدسة. كما قيل في سفر طوبيا السادس: الشيطان لديه قدرة على أولئك الذين يخضعون لشهواتهم.

هذا أيضًا مثبت بما قلناه في الجزء الأول من السؤال، هل يمكن للساحرات أن يُحولن الرجال بالسحر إلى وحوش. لأنه تم إخبارنا أن فتاة قد تحولت إلى مُهرة، هي نفسها اقتنعت أنها مُهرة، وجميع من حولها نظروا لها واقتنعوا أنها مُهرة باستثناء القديس «مكاريوس». فالشيطان لا يمكنه أن يخدع حواس الرجال المقدسين، وعندما تم إحضارها له ليعالجها، كان يراها امرأة حقيقية وليست حصانًا، بينما في الجانب الآخر كل شخص آخر كان يصرخ أنه يشاهدها حصانًا. والقديس، بصلواته، حررها وآخرين من هذا الوهم، قائلًا أن هذا قد حدث لها لأنها لم تكن تحضر المناسبات المقدسة بشكل كاف، وأنها لم تستخدم الاعتراف المقدس كما يجب ولا الأفخارستيا. ولهذا السبب أثر عليها الشيطان، رغم أنها كانت مخلصة ذات مرة ولم توافق على طلب مخز من أحد الشباب، وهذا الشاب هو الذي جعل يهوديًا ساحرًا يسحرها، ثم بقدرة الشيطان تحولت إلى مُهرة.

يمكن أن نُلخص استنتاجاتنا كالتالي: الشياطين يمكن لأجل انتفاعهم ولأجل الفتنة، أن يؤذوا الصالحين في نصيبهم من الدنيا، الذي هو الثروة والشهرة والصحة. هذا واضح من حالة أيوب المبارك، الذي أصابه الشيطان في هذه الأشياء. وهذه الأذية ليست بسبب الصالحين أنفسهم، لأنه لا يمكن أن ينقادوا إلى الخطية، مهما تمت غوايتهم داخليًا وخارجيًا. ورغم أن الشياطين يمكن أن يبتلوا الصالحين في نصيبهم الدنيوي، لكن لا يمكنهم أن يبتلوا الصالحين بسحر الأوهام، سواء بشكل إيجابي أو سلبي.

ليس بشكل إيجابي، مثل أن يخدعوا حواسهم بالوهم كما يفعلون للآخرين الذين ليسوا في حالة النعمة. وليس بشكل سلبي، مثل أن يأخذوا أعضاءهم الذكرية بعيدا ببعض الإيهام. لأنه في هذين الأمرين لم يمكنهم أبدًا أن يؤذوا أيوب، خاصة بما يتعلق بالفعل التناسلي، لأنه كان كابحًا لشهوته إلى درجة أنه قال، لقد نذرت

نذرًا أنني لا أفكر أبدًا بعذراء أو بزوجة رجل آخر. والشياطين يعلمون أن لديه قوة كبيرة على عدم الانجراف للخاطئين (انظر إنجيل لوقا ١١: «**حينما يحفظ القوي داره متسلحًا، تكون أمواله في أمان**»).

ولكن ربما يسأل أحدهم، بالنسبة للأوهام بخصوص العضو الذكري، الحجة هي: أن الإنسان الصالح في حالة النعمة لا يكون مخدوعًا، لأنه يرى عضوه الذكري في مكانه الصحيح، لكنه يمكن لهذا الصالح أن يرى أن عضو الفاسد قد فقد منه لو كان واقفًا بجوار الفاسد، ولكن إذا اعترفنا بهذا، سيكون هذا متعارضًا مع ما قيل عن الأوهام التي لا يتأثر بها الصالح. يمكن أن نقول أنه ليس هناك قوة كبيرة لسحر فقدان العضو للذي يحصل له الفقد ولكن القوة الكبيرة هي للذي يرى الفقد من الخارج، بالتالي، رغم أن الإنسان في حالة النعمة يمكن أن يرى فقد الآخرين، لكن لهذا الحد فقط يمكن للشيطان أن يخدع حواسه، فلا يمكنه أن يعاني من هذا الفقد في جسده هو، لأنه ليس خاضعًا لهذا الانحراف. بنفس الطريقة أيضًا العكس صحيح، حيث أن الملاك قال لطوبيا: هؤلاء الذين خضعوا للشهوة، فالشيطان له قدرة عليهم.

الساحرات في بعض الأحيان يجمعن الأعضاء الذكرية بعدد كبير، عشرون أو ثلاثون عضوًا معًا، ويضعونهم في عش طائر، أو يغلقون عليهم في صندوق، حيث يتحركون بذاتهم مثل الأعضاء الحية، ويطعمونهم الشوفان والذرة، كما رُؤي بواسطة الكثيرين وهو أمر عليه تقارير كثيرة متفقة، لا بد أن يقال أن هذا كله يحصل بعمل الشيطان والوهم، لأن حواس هؤلاء الذين يرون هذا قد خُدعت بالطريقة التي ذكرناها.

لأن هناك رجلًا معينًا أخبرنا، أنه عندما فقد عضوه الذكري، اقترب من ساحرة معروفة وسألها أن تعيده. فقالت للرجل المصاب أن يتسلق شجرة معينة، ويمكنه أن يأخذ ما يريد من عش فيه عدد من الأعضاء الذكرية، وعندما حاول أن يأخذ عضوًا ذكريًا كبيرًا، قالت الساحرة، لا يمكنك أن تأخذ هذا، لأنه يخص كاهن الأبرشية.

كل هذه الأشياء تحدث بسبب الشياطين من خلال الوهم والسحر، بالطريقة التي ذكرناها، بأن يُضللوا البصر بتحويل صور عقلية في مَلَكَة الخيال. ولا يجب أن

يقال أن هذه الأعضاء الذكرية التي عُرضت في العش هي شياطين في هيئة أعضاء، مثلما تظهر الشياطين لبعض الساحرات والرجال في هيئة أجساد مرئية ويتحدثون معهم. والسبب هو أن الشياطين يعملون هذا التضليل بالطريقة السهلة، تحديدًا بأن يسحبوا الصورة العقلية الداخلية من مستودع الذاكرة، ويطبعوها في الخيال.

وإذا أراد أي أحد أن يقول أنه يمكن أن يكون الشياطين يستخدمون هذا العمل الإيهامي عندما يتحدثون مع الساحرات والرجال في أجساد مرئية، يعني يمكنهم أن يسببوا هذه الخيالات للساحرات بتغيير الصورة العقلية في ملكة الخيال، فيظن الشخص أن الشيطان موجود في جسم متخذ أمامه، لكنه ليس إلا أوهام مصنوعة بالتغيير في الصورة العقلية التي في الإدراك الداخلي.

لا بد أن يقال، إذا كان الشيطان ليس له أي غرض غير أن يُظهر نفسه في هيئة بشرية، فلن تكون هناك حاجة له ليظهر في جسد متخذ، لأنه يمكن أن يعمل غرضه بشكل كاف جدًّا بالطريقة الإيهامية المذكورة. ولكن الأمر ليس كذلك، لأن لديه غرض آخر، تحديدًا، هو يريد أن يتحدث ويأكل مع الفاسدين، ويريد أن يرتكب أعمالًا بغيضة معهم. بالتالي من الضروري أن يكون موجودًا بنفسه، ويضع نفسه في جسد متخذ..

وإذا سأل أحدهم، هل يمكن للشيطان نفسه بدون أي ساحرة أن يأخذ عضو الشخص، أيا ما كانت طريقة الأخذ؟ نعم الشيطان يقدر بالفعل أن يأخذه بعيدًا، ثم يعيده عندما يجب أن يعيده. يأخذه بدون جروح وبدون ألم، ولا يفعل هذا أبدًا إلا كان مجبرًا من أحد ملائكة الخير، لأنه بفعل هذا هو يقطع مصدرًا كبيرًا للنفع له، لأن الشيطان يعرف أنه يقدر أن يعمل لهذا الإنسان سحرًا أكثر في هذا الفعل التناسلي أكثر من أي فعل آخر. فالرب يسمح له أن يعمل أذى أكثر في هذا الفعل أكثر من أي فعل آخر، كما قلنا من قبل.

وإذا سأل أحدهم، هل الشيطان عرضة أكثر أن يؤذي الإنسان بنفسه أكثر من أن يفعل هذا الأذى من خلال ساحرة، يمكن أن يقال أنه لا مقارنة بين الحالتين. لأن الشيطان عرضة أكثر بشكل كبير جدًّا ولا نهائي أن يعمل الضرر من خلال توكيل ساحرة. أولًا بسبب أنه بهذا هو يعمل إساءة أكبر للرب، حيث يغتصب ما هو للرب،

فالساحرة كبشرية هي مخلوق مكرس في الأصل لأجل الرب. ثانيًا، لأنه عندما يكون الرب مستاء أكثر، فالرب يسمح للشيطان بقدرة أكبر على إيذاء الإنسان. وثالثًا لأجل نفع الشيطان الشخصي، حيث يسبب هلاك الأرواح في الجحيم.

الفصل ٨. عن الطريقة التي تحول بها الساحرات الإنسان إلى حيوان

الساحرات، بقدرة الشياطين، يمكنهن تحويل الإنسان إلى حيوان، ورغم أنه قد أثبتنا بشكل كاف في الجزء الأول في السؤال ١٠، لكن لأن السؤال مع حججه وحلوله ربما يكون غامضًا للبعض، خاصة أنه لا توجد أمثلة واقعية ذكرناها لتأكيد هذا، وحتى الطريقة التي يحولن بها أنفسهن لحيوانات لم تفسر، وبالتالي لا بد أن نضيف التفسير التالي لإزالة عديد من الشكوك.

أولًا، الشريعة في كتاب **Episcopi** يمكن أن يُفهم منها أنهن لا يستطعن تحويل البشر لحيوانات، وحتى الرجال المتعلمين يمكن أن يفهموا هذا من النص (ولكن هل هم متعلمين بشكل جيد!) إنما هم مخدوعين، ولا يخافون أن يؤكدوا علانية بمواعظهم أن هذه التحولات لا يمكن أن تحصل حتى بقدرات الشياطين. ونحن غالبًا ما نقول أن هذه العقيدة هي في غاية الضرر على الإيمان، وأنها تُقوِّي موقف الساحرات، اللاتي يبتهجن كثيرًا من هذه المواعظ.

ولكن هؤلاء المبشرون، كما ذكرنا، يلمسون فقط السطح الخارجي للنص، ويفشلون في إيصال المعاني الداخلية لكلمات الشريعة. لأنه عندما تقول الشريعة: كل من يؤمن أن أي مخلوق يمكن أن يُصنع، أو يتحول إلى مخلوق أفضل أو أسوأ، أو يتحول إلى نوع آخر أو نوع مشابه، بدون تدخل من الخالق الذي خلق كل شيء، هو بدون شك كافر....

فالقارئ لا بد أن يلاحظ هنا أمرين أساسيين، الأول، بخصوص كلمة «أن يُصنع»، وثانيًا بخصوص الكلمات «يتحول إلى نوع مشابه». وعن الأمر الأول، سنجيب بأن كلمة «أن يُصنع» يمكن أن تُفهم بطريقتين، تحديدًا، بمعنى «أن يُخلق»

أو بمعنى الإنتاج الطبيعي لأي شيء. في المعنى الأول فهذا يعود فقط للخالق كما هو معروف، والذي بقدرته يمكن أن يخلق من العدم.

ولكن في المعنى الثاني هناك تمييز يجب أن يُرسم بين المخلوقات، لأن بعض المخلوقات كاملة، مثل الإنسان والحمار إلخ. والبعض الآخر غير كامل، مثل الثعابين والضفادع، إلخ. لأنه يمكنهم أن يولدوا من العفن في البيئة العفنة. الشريعة تتحدث بوضوح فقط عن النوع الأول وليس عن النوع الثاني، لأنه في حالة النوع الثاني يمكن أن نُثبت ما قاله «ألبيرت» المبارك في كتابه **On Animals** حيث سأل إذا كانت الشياطين قادرة على أن تعمل حيوانات حقيقية، وذكر أنه لا يمكنهم أن يعملوا هذا في لحظة مثلما يعمل الرب، ولكن بحركة معينة، ربما تكون مفاجئة، مثلما عمل السحرة في سفر الخروج السابع. القارئ ربما إذا أراد يمكنه أن يرجع إلى الملاحظات في السؤال الذي ذكرناه في الجزء الأول من هذا العمل، والرد على الحجة الأولى.

ثانيًا، يقال أنه لا يمكن للشياطين أن تحوِّل أي مخلوق. التحويل نوعان، جوهري وعرضي، والتحويل العرضي أيضًا نوعان، تحويل إلى شكل طبيعي رُؤي من قبل، أو تحويل إلى شكل لم يُر من قبل ولكنه موجود فقط في عضو الإدراك لمن يرى التحويل.

الشريعة تتحدث عن النوع الأول، يعني التحول الجوهري، حيث تتحول مادة إلى مادة أخرى، وهذا النوع هو الذي يختص به الرب وحده، الذي هو خالق كل مادة حقيقية. ولا تتحدث عن النوع الثاني، التحول العرضي، وهذا هو الذي يستطيع أن يعمله الشيطان، بإذن الرب، حيث يعمل أمراضا معينة ويُحدث ظهورات معينة على الجسم عرضيًا. مثلما يُظهر الوجه أنه مجذوم أو شيء كهذا بينما هو لا يعاني من شيء.

ولكن للتحدث بشكل صحيح، الأمر عبارة عن خيالات وأوهام، تبدو فيها الأشياء قد تحولت إلى أشياء أخرى، وكلمات الشريعة لا يمكن أن تتجاهل هذه التحولات، لأن وجودها مثبت بالسلطة الكنسية، وبالمنطق، وبالخبرة، تحديدًا بخبرات معينة متعلقة بالقديس «أوجستين» في كتاب **De Ciuitate Die** لأنه ضمن التحولات، ذكر أن الساحرة الشهيرة جدًا «سيرس» حوّلت أصحاب «أوليسيس» إلى حيوانات،

وأن بعض زوجات أصحاب الحانات حوّلن زبائنهم إلى حيوانات تحمل أثقالًا. وذكر أيضًا أن أصحاب «ديوميدس» تحوّلوا إلى طيور، وأنهم منذ وقت طويل جدًّا يطيرون فوق معبد «ديوميدس» وأن «برايستانتيوس» أخبر بحقيقة أن والده قال له أنه كان حصانًا وأنه حمل الذُّرة مع حيوانات أخرى.

عندما تحول أصحاب «أوليسيس» إلى حيوانات، كان هذا فقط بالمظهر، وبخداع العين، لأن أشكال الحيوانات قد سُحبت من مستودع الصور أو الذاكرة، وطُبعت على ملكة الخيال، فحصل الخيال البصري، وكان الانطباع قويًا أيضًا على الحواس الأخرى والأعضاء، فظن الشخص أنه يرى حيوانات، بالطريقة التي ذكرناها، ولكن كيف يمكن أن تحدث هذه الأشياء بقدرة الشيطان بدون أذى؟ هذا سنوضحه لاحقًا.

ولكن عندما تحوّل الزبائن إلى حيوانات تحمل أثقالًا بواسطة زوجات أصحاب الحانات، وعندما ظن والد «برايستانتيوس» أنه كان حصانًا وأنه حمل الذرة، ففي هذه الحالات كانت هناك ثلاثة خدع.

الأولى، أن هؤلاء الرجال بالإيهام بدا لهم أنهم تحولوا إلى حيوانات تحمل أثقالًا، وهذا التحول حصل بالطريقة التي ذكرناها، ثانيًا، أن الشياطين بطريقة غير مرئية حَمَلوا هذه الأثقال حيث أنها كانت ثقيلة جدًّا لأن تُحمل. ثالثًا، أن هؤلاء الذين بدا للآخرين أنهم تحولوا إلى شكل آخر، فهم بالنسبة لأنفسهم أيضًا ظنوا أنهم تحولوا، كما حصل مع «نبوخذ نصر» الذي عاش لسبعة سنوات يأكل القش مثل الثور.

وبالنسبة لأصحاب «ديوميدس» الذين تحولوا إلى طيور طارت فوق معبده، لا بد أن نقول أن «ديوميدس» كان واحدًا من الإغريق الذين ذهبوا لحصار طروادة، وعندما أراد أن يعود إلى أرضه، غرق مع أصحابه في البحر، وبعدها تم بناء معبد له حيث أصبح يُعد واحدًا من الآلهة، ولوقت طويل، حتى يُبقوا هذه الضلالة على قيد الحياة، فالشياطين كانت تطير فوق المعبد في هيئات طيور كأنها هي أصحابه. وبالتالي، هذه الخرافة كانت واحدة من الإيهامات التي تحدثنا عنها، لأنها لم تَحدُث بطبع الصور العقلية على ملكة الخيال، ولكن بأن الشياطين نفسها كانت تطير أمام أعين الناس بأشكال اتخذتها.

ولكن إذا سأل أحد هل الشياطين يمكن أن تكون قد خدعت المشاهدين لهذه الطيور بالعمل على الصور العقلية، وليس باتخاذ شكل جسد هوائي يشبه الطيور، فالإجابة هي أنه يمكنهم أن يعملوا هذا أيضًا.

لأنه كان رأي البعض (كما قال القديس توماس في الكتاب الثاني من Sentences) أنه لا يوجد ملاك، خير أو شر، اتخذ جسدًا هوائيًا، وأن كل ما نقرؤه في الكتب المقدسة عن ظهوراتهم إنما هو مصنوع بالوهم، أو بالرؤية الخيالية.

وهنا القديس المتعلم يذكر الفرق بين الوهم وبين الرؤية الخيالية. لأنه في الوهم يكون هناك جسم خارجي مرئي، ولكنه يظهر للمشاهد كشيء مختلف. ولكن في الرؤية الخيالية لا تحتاج إلى جسم خارجي ويمكنها أن تحصل بدونه، فقط بالصور العقلية الداخلية المطبوعة على الخيال.

لذا، باتباع رأيهم، فأصحاب «ديوميدس» لم يكونوا ممثلين بالشياطين في أجساد اتخذوها كأمثال الطيور، ولكن فقط بالخيال البصري الذي عُمل بواسطة الصور العقلية، إلخ.

ولكن القديس المتعلم يُنكر على هذا الضلال ويقول أنه خاطئ (رغم أن من يصدقون به ليسوا مهرطقين) لأن ظهورات ملائكة الخير والشر ربما في أوقات تكون خيالية، بدون جسد متخذ. ولكن، كما يقول، اتفق القديسين أن الملائكة أيضًا تظهر للبصر الحقيقي، وأن هذه الظهورات كانت في جسم متخذ. والكتب المقدسة في كلماتها تتحدث عن الظهورات الجسدية ليس عن التخيلية. بالتالي يمكن أن نقول في الوقت الحالي بخصوص رؤية أصحاب «ديوميدس»: أنه رغم أن هؤلاء الأصحاب كان بإمكانهم بعمل الشيطان أن يظهروا في الخيال البصري للرائي بالطريقة التي ذكرناها، إلا أنه معتبر عندنا أنه قد تمت رؤيتهم في أجساد متخذة بواسطة الشياطين المتمثلين على هيئة طيور.

الفصل ٩. كيف يمكن للشياطين أن يدخلوا جسد الإنسان ورأسه بدون عمل أي أذى؟

كيف يمكن للشياطين أن يدخلوا جسد الإنسان ورأسه بدون عمل أي أذى عندما يعملوا هذا التحول الوهمي الخادع للعين.

بخصوص طريقة عملهم لهذه التحولات الوهمية يمكن نسأل، هل الشياطين أثناء عملهم لهذه التحولات يكونون داخل جسد أو رأس المخدوع. هل يكونون ساعتها متلبسين به؟ وكيف يمكن أن يعملوا هذا بدون إحداث أي أذى في الإدراك الداخلي والمَلَكَات التي تنتقل فيها الصور من مَلَكَة داخلية إلى مَلَكَة أخرى، وهل هذا العمل يعتبر عملًا إعجازيًا؟

أولًا لا بد أن نُشير مرة أخرى إلى التمييز بين هذه الأوهام، لأنه في بعض الأحيان الإدراك الخارجي هو الذي يتأثر فقط، وفي بعض الأحيان ينخدع الإدراك الداخلي وبالتالي يتأثر الإدراك الخارجي.

في الحالة الأولى الوهم يمكن أن يُعمل بدون أن يدخل الشيطان في الإدراك الخارجي، يعمل ذلك من الخارج بوهم خارجي، مثل أن يضع الشيطان جسمًا مختلفًا مكان جسم بالوهم، أو بأي طريقة أخرى، أو عندما يتخذ الشيطان جسدًا ويُظهر نفسه للرؤية.

ولكن في الحالة الثانية من الضروري أن يُسيطر الشيطان أولًا على الرأس والمَلَكَات. وهذا مُثبَت بالشريعة وبالمنطق.

وليس اعتراضًا صحيحًا أن نقول أن الروحين المخلوقتين لا يمكن أن يكونا في

نفس المكان معًا، وأن الروح تنتشر في الجسم كله. لأنه لدينا قانون القديس «جون داماسين» الذي يقول: في المكان الذي يوجد فيه الملاك، فهو يعمل فقط في هذا المكان. والقديس «توماس» في الكتاب الثاني من **Sentences** يقول أن كل الملائكة، سواء كانوا ملائكة خير أو شر، بقدرتهم الطبيعية التي هي أعلى من أي قدرة جسدية، يمكنهم أن يُحولوا أجسادنا.

وهذا حقيقي، ليس فقط بسبب النُبل الأعلى لطبيعتهم، ولكن لأن آلية العالم وكل المخلوقات الجسدية مدارة بواسطة الملائكة. كما يقول القديس «جريجوري» في الحوار الرابع: في هذا العالم المرئي، لا يوجد شيء يمكن أن ينتظم إلا بواسطة المخلوقات غير المرئية. وبالتالي كل المخلوقات الجسدية محكومة بالملائكة، الذين هم كما يؤمن العلماء والفلاسفة، القوى المحركة للنجوم. إنه من الواضح أن كل الأجساد البشرية تتحرك بواسطة أرواحها، تمامًا كما أن كل المواد الأخرى تتحرك بواسطة النجوم وبالقوى التي تحرك النجوم.

من هذا يمكن أن نستنتج أن، الشياطين تعمل في المكان التي هي فيه، بالتالي عندما يُضللون الخيال والإدراك الداخلي فهم موجودون بداخل هذا الخيال والإدراك الداخلي.

أيضًا، رغم أن الدخول بداخل الروح ممكن فقط للرب الذي خلقها، إلا أن الشياطين يمكنهم بإذن الرب أن يدخلوا أجسادنا، ويمكنهم أن يعملوا الانطباعات في المَلَكَات الداخلية المتعلقة بأعضائنا الداخلية. وهذه الانطباعات تتأثر بها الأعضاء بالطريقة التي ذكرناها، أن الشيطان يسحب الصور المحفوظة في المَلَكَة المتعلقة بتلك الحاسة. يسحب من الذاكرة التي هي الجزء الخلفي من الدماغ، صورة حصان، ويُحرك هذه الصورة الخالية إلى الجزء الأوسط من الدماغ، حيث خلايا القوة التخيلية، وأخيرًا إلى حاسة المنطق والتي هي في مقدمة الرأس. ويتسبب بتغيير مفاجئ وتضليل، فيظن الشخص أن هذه أشياء حقيقية مرئية بالعين. وهذا يمكن أن نعطي له مثالًا بالخلل الطبيعي في الرجال المجانين أو المخبولين.

ولكن إذا سأل أحد كيف يمكن للشيطان أن يفعل هذا بدون أن يُحدث ألمًا في الدماغ، فالإجابة سهلة. لأنه في المقام الأول لا يُحدث أي تغيير مادي في الأعضاء، ولكنه فقط يُحرك صورة عقلية. وثانيًا، هو لا يعمل هذه التغيرات بحقن أي صفة

مادية يمكن أن تعمل ألما، لأن الشيطان نفسه ليست له صفة مادية، ويمكنه بالتالي أن يعمل بدون أن يستخدم أي شيء مادي. ثالثًا، كما قلنا، هو يعمل هذه التحولات فقط بالحركة الموضعية من عضو إلى عضو آخر، وليس بأي حركات أخرى فيها أي تحولات مؤلمة.

بالنسبة لحجة أنه لا يمكن أن تتواجد روحان في مكان واحد، يقولون أن الأرواح موجودة في الرأس، فكيف يمكن للشيطان أن يكون هنالك أيضًا في نفس الرأس؟ سنقول أن الروح تكمن في مركز القلب، حيث تتواصل مع كل الأعضاء وتتدفق منها الحياة. ويمكن أن نأخذ مثالًا بالعنكبوت، الذي يشعر الإحساس في منتصف شبكته إذا تم لمسها في أي موضع منها.

ومع ذلك، يقول القيديس «أوجستين» في كتابه **On Spirit and Soul** أن الكل في الكل، والكل في كل جزء من الجسم. فرغم أن الروح هي في الرأس، لكن الشيطان يمكنه أن يعمل فيها عمله رغم ذلك، لأن عمله يختلف عن عمل الروح.

فعمل الروح يكون في الجسم، تبلغه بالمعلومات وتملؤه بالحياة، فلا تتواجد الروح في مكان معين، ولكن تتواجد في كل المادة. لكن الشيطان يعمل في جزء معين ومكان معين من الجسم، ويقوم بتغيير الصور العقلية. بالتالي، لا يوجد لبس بين عملهما، فيمكن أن يتواجدا معا في نفس الجزء من الجسم.

هناك أيضًا سؤال، هل من الممكن أن نعتبر البشر المهووسين أو المسعورين، ملبوسين بالشيطان. هذا سيتم الحديث عنه بشكل منفصل لاحقًا، وبالتحديد عن سؤال، هل من الممكن خلال أعمال الساحرات أن يصبح البشر ملبوسين بالشيطان، هل يمكن للشيطان أن يتلبس بأجسامهم حقًا؟ هذا السؤال ستتم مناقشته بشكل منفصل في الفصل التالي، لأن له صعوبته الخاصة.

ولكن بالنسبة لسؤال، هل يمكن أن نعتبر أن أعمال الساحرات والشياطين هي أعمال إعجازية، سنقول أنه يمكن اعتبارها كذلك، لأن هذه الأعمال تجاوزت النظام الذي خُلقت عليه هذه الطبيعة المعلومة لنا، ولأنه يتم عملها بواسطة مخلوقات غير معلومة لنا. ولكن السائلين لا يتحدثون عن المعجزات التي تكون خارج نطاق الطبيعة

المخلوقة كلها، لأن هناك معجزات للرب وللقديسين. (انظر ما كُتب في الجزء الأول من هذا الكتاب، في السؤال الخامس، في الرد على الخطأ الثالث)

ولكن هناك من يعترض بأن هذا النوع من الأعمال لا يمكن أن نقول عليه إعجازيًا، بل نقول عنه ببساطة أنه من عمل الشيطان، لأن الغرض من المعجزة هو تقوية الإيمان، ولا يمكن أن يُطلق هذا الاسم على شيء يعادي الإيمان. وكذلك لأن علامات عدو المسيح الأنتيخريستوس يسميها الحواريون العلامات الكاذبة.

أولًا لا بد أن نقول أن المعجزات هي هبة ونعمة معطاة لتُستخدم بحرية. وأنه يمكنها أن تُعمل من رجال سيئين ومن أرواح سيئة، إلى حد القدرة الموجودة في كل منهم.

لكن المعجزات المعمولة بواسطة الخيرين يمكن تمييزها من تلك المعمولة بواسطة الفاسدين بثلاثة طرق، أولًا، العلامات التي تُعطى للصالحين يتم عملها بواسطة القدرة الإلهية في الأمور التي تتجاوز سعة قدراتهم الطبيعية، مثل إحياء الموتى، والأمور التي على هذا النحو، حيث أن الشياطين لا تقدر أن تعملها في الحقيقة، إلا فقط بالإيهام: لذا حرّك «سيمون ماجوس» رأس رجل ميت، ولكن هذه الظهورات لا يمكن أن تستمر لمدة طويلة. ثانيًا، يمكن أن نميزها بمنفعتها، لأن معجزات الصالحين مُفيدة في طبيعتها، مثل شفاء المرض، أو أشياء كهذه، ولكن المعجزات التي تعملها الساحرات متصلة بالأذى والأشياء الباطلة، كأن يطرن في الهواء، أو يقمن بشلل أطراف الإنسان، وهذه الأمور. والقديس «بيتر» يُحدد هذا الاختلاف في كتاب **Itinerarium of Clement**.

الاختلاف الثالث يتعلق بالإيمان. لأن معجزات الصالحين تكون لأجل التنوير الإيماني ولصالح الحياة، ولكن معجزات الفاسدين هي بوضوح ضارة للإيمان والصلاح.

ويمكن أن نميزهم أيضًا بطريقة العمل، لأن الصالحين يعملون المعجزات بشكل مبجل وتقي وبالتضرع باسم الرب. لكن الساحرات والفاسدين يعملونها بالهذيان والتضرع للشياطين.

وليست هناك غرابة في أن الحواريين سموا أعمال الشيطان وعدو المسيح العجائب الكاذبة، لأن الأعاجيب التي تحدث بإذن من الرب هي حقيقية في أمور ومزيفة في أمور أخرى. حقيقية لما تحدث في نطاق قدرة الشيطان. ومزيفة عندما يظهر أنه يعمل أشياء تتجاوز قدرته، مثل إحياء الموتى، أو أن يجعل الأعمى قادرًا على الرؤية. لأنه عندما يظهر أنه يعمل إحياء الموتى، فهو إما يدخل لجسد الميت أو أنه يزيله ويضع نفسه في جسد هوائي بديل، وفي الحالة الثانية هو يأخذ البصر بطريق الوهم، ثم يعيده فجأة، بأن يأخذ الشلل المؤقت الذي عمله، ليس بجلب الضوء إلى الإدراك الداخلي، كما قيل في أسطورة «بارثولوميو». وبالطبع كل الأعمال العجيبة لعدو المسيح الأنتيخريستوس والساحرات يمكن أن يقال أنها علامات كاذبة، لأن غرضها الأساسي هو الخداع. انظر كلام القديس «توماس» في كتاب **de Uirtute Daemonum**.

يمكن أيضًا أن نكتب هنا الفرق الذي تم تصويره في «خلاصة الحقيقة اللاهوتية» بين العجيبة والمعجزة. أنه في المعجزة لا بد أن تتوفر أربعة شروط: أنها يجب أن تُعمل بواسطة الرب، ولا بد أن تتجاوز النظام الموجود للطبيعة، ثالثًا، يجب أن تكون ظاهرة، ورابعًا، لا بد أن تؤيد الأيمان. ولكن بما أن أعمال الساحرات تفشل في أن تحقق حتى الشرط الأول والأخير، بالتالي يمكن أن نسميها عجائب، ولكن ليس معجزات.

أيضًا تم الاحتجاج بهذه الطريقة، أنه رغم أن الساحرات يمكن بطريقة ما أن نسميهن إعجازيات، إلا أن بعض معجزاتهن تكون خارجة عن الطبيعة تماما، وبعضها تكون غير طبيعية، وبعضها تكون شاذة.

تكون خارجة عن الطبيعة تمامًا عندما لا يمكن مقارنتها بشيء في الطبيعة أو بالقدرة الطبيعية، مثل عندما تلد العذراء. وقد تكون غير طبيعية عندما تعارض المسار الطبيعي ولكن لا تتجاوز حدود الطبيعة، مثل جعل الأعمى قادرًا على الرؤية. وتكون شاذة عندما تُعمل بطريقة توازي تلك التي في الطبيعة، مثل عندما تتغير الأعواد إلى ثعابين، لأنه يمكن لهذا أن يحصل بالطبيعة أيضًا، خلال التخمير الطويل والتعفن للأشياء المنوية، وبالتالي فأعمال السحرة يمكن أن تسمى عجائب.

ولا بد أن نضع مثالا حقيقيًا ثم نشرح الأمر خطوة بخطوة. كانت هناك قرية عند أبرشية «ستراسبورج»، من المفضل ألا نذكر اسمها، وكان فيها أحد العمال يقطع الأشجار في أحد الأيام ليحرقها في بيته. فجأة ظهرت قطة كبيرة وبدأت في مهاجمته، وعندما حاول أن يبعدها، ظهرت واحدة أكبر منها وأتت لمهاجمته مع الأولى بشكل أكثر عنفًا. وعندما حاول أن يبعدهما أيضًا، ظهرت الثالثة وبدأ الثالثة في مهاجمته والقفز على وجهه وعض وخدش قدميه. وفي خوف عظيم، كما يقول، أصيب بهلع لم يصب بمثله، فعمل علامة الصليب على نفسه وترك قطع الأخشاب، وهجم على القطط، التي كانت ترجع إلى الأخشاب وتقفز على وجهه وعنقه، وبصعوبة أبعدهم بضرب واحدة على رأسها، وواحدة على أقدامها، وواحدة على ظهرها.

وبعد ساعة، عندما رجع إلى ممارسة عمله، أتى اثنان من خدام حاكم القرية لأخذه بصفته مجرمًا وجعلوه يقف أمام القاضي أو المأمور. ونظر له القاضي من بعيد، ورفض أن يسمعه، وأمر بأن يُلقى في أعمق زنزانة في البرج أو السجن. تلك التي يكون فيها المحكوم عليهم بالموت فبكى الرجل، ولمدة ثلاثة أيام ظل يشتكي لحراس السجن بمرارة أنه يعاني هذه المعاناة وهو لم يعمل جرمًا أصلًا، ولكن كلما استمع إليه الحراس، كلما كان القاضي أكثر غضبًا، وكلما عبّر بكلمات أكثر سخطًا كيف أن المجرم لم يعترف بجرمه بل يتجرأ وينادي بحريته بينما تُثبت الدلائل جريمته الشنعاء. ولكن على الرغم بأن القاضي لم يقتنع، إلا أنه أخذ بنصيحة قاض آخر بأن يستمع إلى الرجل.

وعندما تم إخراج الرجل من السجن ووقف أمام القاضي، رفض القاضي أن ينظر إليه، فرمى الرجل نفسه تحت أقدام القاضي الآخر، مدافعًا عن نفسه بأنه ربما يعرف سبب هذا النحس، وقال له القاضي، أيها الرجل الفاسد، كيف لا يمكنك أن تعترف بجريمتك؟ في ذلك اليوم وفي ذلك المكان أنت ضربت ثلاث ممرضات محترمات في هذه القرية، حتى أصبحن راقدات غير قادرات على الحركة. واستعاد الرجل المسكين مشاهد ذلك اليوم وتلك الساعة، وقال: أبدًا في كل حياتي لم أضرب امرأة، ويمكن أن أثبت بشهود موثوقين أنني في ذلك الوقت من اليوم كنت مشغولًا بقطع الأخشاب، وبعد ساعة من هذا وجدني خدامكم لا زلت أعمل بقطع الأخشاب.

قال القاضي بضراوة: انظر كيف يحاول أن يُخفي جريمته! وتلك النسوة يندبن مصيبتهن وقد أظهرهن علامات الضرب، وشهدن علانية أنك ضربتهن. واستذكر الرجل المسكين المشهد، وقال، أنا أذكر أنني ضربت بعض المخلوقات في ذلك الوقت، ولكنهم لم يكونوا نساء. وبدهشة سأله القاضي، أي نوع من المخلوقات قد ضربت، فحكى الرجل وسط دهشة الجميع الذي حدث معه. بالتالي، لما فهموا أن هذا كان من عمل الشيطان، تركوا الرجل المسكين يخرج بدون أن يؤذوه، وأخبروه ألا يذكر ما حدث لأي أحد. ولكن هذا لا يمكن أن يخفى على الرجال المتدينين المتحمسين للإيمان.

الفصل ١٠. عن الطريقة التي يتلبس بها الشياطين بالإنسان عبر أعمال الساحرات

لقد وضحنا في الفصل السابق كيف أن الشياطين يمكن أن تدخل في الرؤوس وفي الأجزاء الأخرى من الجسم، ويمكنهم أن يحركوا الصور الداخلية من مكان إلى مكان. ولكن ربما يشك البعض في أنهم بواسطة عمل الساحرات يمكن أن يتلبسوا بالإنسان، أو ربما يشك البعض في الطرق التي يعملوا بها هذا التلبس بدون تدخل الساحرات. وحتى نُزيل هذه الشكوك لا بد أن نذكر ثلاثة أمور. الأول، عن الطرق المختلفة للتلبس، الثاني، كيف من خلال الساحرة وبإذن الرب يتم السماح للشياطين أن تتلبس بالإنسان بهذه الطرق. ثالثًا، لا بد أن نؤكد حججنا بالحقائق والأمثلة.

بالنسبة إلى الأول، لا بد أن نعمل استثناء، سنستثني الطريقة العامة التي يسكن بها الشيطان في الإنسان الذي يعمل أي خطية مميتة. يتحدث القديس «توماس» في الكتاب الثالث عن هذه الطريقة ويجيب عن الشك المطروح في السؤال، هل الشيطان يتلبس بالإنسان فعليًا عندما يقوم بخطيئة مميتة؟

ويُثبت القديس أن التلبس يمكن أن يُفهم بطريقتين، طريقة تتعلق بالروح، وطريقة تتعلق بالجسد. في الأولى ليس ممكنا للشيطان أن يتلبس بالروح، لأن الرب وحده يمكنه أن يدخلها، وبالتالي الشيطان ليس هو سبب الخطية بهذه الطريقة، إنما يسمح الروح القدس للروح أن تعمل هذه الخطية.

ولكن بالنسبة للجسد، يمكن أن نقول أن الشيطان يقدر أن يتلبس بالإنسان بطريقتين، لأن هناك نوعين من البشر، هؤلاء الذين في الخطية وهؤلاء الذين في النعمة. في النوع الأول، لا بد أن نقول أن الإنسان بواسطة الخطية المميتة يكون خادما للشيطان، لأن الشيطان يزوده بالاقتراح الخارجي بالخطية إما لحواسه أو

لخياله، إلى حد أن نقول أن الشيطان يسكن شخصية الإنسان الذي يتحرك لهذا المغريات المثيرة، والذي يكون مثل السفينة في البحر بلا دفة للقيادة.

الشيطان يمكنه أيضًا أن يتلبس بالإنسان كما يتضح في حالة الإنسان المسعور. ولكن هذا يقود للسؤال عن العقاب الذي تستوجبه خطية مثل هذه، وكما يتضح، العقوبات الجسدية لا تكون دائمًا بسبب الخطية، فهي تُوجع الخاطئين وتُوجع البريئين. وبالتالي هؤلاء الذين في النعمة وهؤلاء الذين ليسوا فيها، يمكنهم بحكمة من الرب غير معلومة للناس أن يتلبس بهم الشيطان.

وكما أن هناك خمس طرق للشياطين لأذية الإنسان بأنفسهم والتلبس به بدون تدخل الساحرات، أيضًا يمكنهم أن يفعلوا هذا بتدخل من الساحرات، لأنه عندها ستتم الإساءة للرب أكثر، وسيكون مسموحًا بعمل قدر أكبر من أذية الإنسان عبر تدخل الساحرات. والطرق هي باختصار ما يلي، وسنستثني حقيقة أنهم في بعض الأوقات يصيبون الإنسان في ممتلكاته الخارجية: في بعض الأوقات يمكنهم أن يؤذوا الإنسان في جسمه، وبعض الأوقات في قدراته، وبعض الأوقات يغوونهم خارجيًّا وداخليًّا، وآخرون في بعض الأوقات يسلبون منهم المنطق، وبعضهم يحولون أشكالهم إلى أشكال وحوش همجية، وسنتحدث عن هذه الطرق كل على حدة.

لكن أولًا لا بد أن نذكر الأسباب الخمسة التي يَسمح لأجلها الرب للإنسان أن يحدث له تلبس، لأجل الحفاظ على النظام في طرحنا. في بعض الأوقات يحدث تلبس للإنسان لأجل مصلحته الشخصية، وبعض الأوقات يحدث التلبس بسبب خطية بسيطة لشخص آخر وفي بعض الأوقات يحدث بسبب خطية الإنسان الخاصة، وفي بعض الأوقات يحدث لخطية ثقيلة لشخص آخر. في كل هذه الأسباب لا شك أن الرب يسمح لهذه الأشياء أن تُعمل بواسطة الشياطين بتدخل الساحرات، ومن الأفضل أن نُثبت كل واحد منها بالكتب المقدسة، هذا أفضل من ذكر أمثلة عن أشياء حديثة، لأن الأشياء الحديثة دائمًا تتقوى بالأمثلة القديمة.

كمثال على النوع الأول التلبس لأجل مصلحة الإنسان الشخصية، ما يتضح في حوار «سيفيروس»، أحد التابعين المخلصين للقديس «مارتن»، حيث أخبر أن هناك أبًا صاحب حياة مقدسة كان موهوبًا جدًّا بقدرته على طرد الشياطين، حيث يطردهم ليس فقط بالكلمات، ولكن حتى برسائله أو بقطعة من قميصه، وبما أن

الأب قد أصبح شهيرًا في العالم، شعر أنه تمت غوايته بالغرور رغم أنه قاوم هذه النقيصة، ولأجل أن يُذل نفسه، صلى للرب بكل قلبه أن يتلبس به الشيطان، وهذا حصل. لأنه أصبح بعدها ملبوسًا واضطروا أن يقيدوه بالسلاسل، ويعملون له كل شيء يعملونه للمتلبس بمس الشيطان. ولكن في نهاية الشهر الخامس تم تخليصه من الغرور ومن تلبس الشيطان. لكننا لا نُقر، ولا نؤمن، أنه بهذا السبب يمكن للإنسان أن يتلبس به الشيطان، ولكن التلبس يكون من خلال سحر إنسان آخر، رغم أنه كما قلنا، أحكام الرب تكون أحيانًا غامضة السبب.

بالنسبة للسبب الثاني، التلبس بسبب خطية بسيطة لشخص آخر، القديس «جريجوري» يعطي مثالًا. رئيس الدير «إليوثيريوس» المبارك هو شخص ورع جدًا، كان يقضي الليل بالقرب من دير للراهبات العذراوات، واللاتي أمرن بأن يوضع طفل بجوار صومعته، طفل كان يعذبه الشيطان طول الليل. وفي نفس الليلة خرج الشيطان من الطفل بوجود الأب، فابتهج بأن الطفل تحرر، وقال بغرور لإخوته من الرهبان: الشيطان كان يؤدي مقالبه مع هؤلاء الأخوات، ولكن لم يقترب من هذا الطفل لأنه قد أتى لخدام الرب أمثالنا. وفجأة بدأ الشيطان يعذب الطفل مرة أخرى. وبدموع وصيام الرجل المقدس وإخوانه تم إخراج الشيطان.

«كاسيا»، في ذكره الأول لرئيس الدير «سيرينوس» أعطى مثالًا عن كيفية أن موسى كان ملبوسًا بسبب خطيته العرضية، لأن موسى، كما يقول كان ناسكا ذا حياة متدينة ومستقيمة، لكنه في أحد المرات تورط في خلاف مع «رئيس الدير «ماكاريوس»»، وبالغ في إظهاره لرأي معين، وعلى الفور سكن فيه شيطان مريع، تسبب له في أن إخراج فضلاته صار عن طريق فمه. وهذه المصيبة حدثت له من عند الرب لأجل التطهر، خشية أن تظل عليه وصمة عار من خطئه العرضي، وبالصلوات المستمرة والتسليم لرئيس الدير «ماكاريوس»، خرجت منه الروح السيئة.

حالة أخرى تتعلق بالقديس «جريجوري» في كتابه **First Dialogue**، عن راهبة أكلت الخس بدون أن تعمل علامة الصليب، وتم تحريرها بواسطة الأب المبارك «إيكويتيوس».

في نفس الكتاب أخبر القديس «جريجوري» بمثال على الحالة الرابعة، عندما يكون هناك شخص ملبوس بسبب خطية ثقيلة لشخص آخر. الأسقف المبارك

«فورتوناتوس» أخرج الشيطان من رجل ملبوس، وهذا الشيطان أصبح يمشي في شوارع المدينة متنكرًا في زي حاج، ويبكي ويقول: أوه، أيها الرجل المقدس الأسقف «فورتوناتوس»! انظر، لقد أسكنتني هيئةَ حاج، وأخرجتني من سكني، ولا يمكنني أن أجد الراحة في أي مكان. ثم كان هناك رجل يجلس مع زوجته فقاموا بدعوة هذا الحاج. ثم دخل الشيطان في ابن الرجل، وجعل الطفل يرمي بنفسه إلى النار ويموت. وبعدها ولأول مرة فهم الأب الحزين هوية ذلك الذي خدعه واستقبله كضيف.

وخامسًا، نحن نقرأ العديد من الأمثلة عن رجال تلبس بهم الشيطان لأجل خطياتهم الثقيلة الخاصة. نجد ذلك في الكتب المقدسة وفي آلام القديسين. لأنه في سفر الملوك الأول الخامس عشر، «شاول» كان ملبوسًا حتى لا يطيع الرب، وكما قلنا، لقد ذكرنا كثيرًا من الجرائم حتى أصبح من غير المستحيل أن نفهم كيف أن رجلًا يمكن أن يصبح ملبوسًا بسبب جرائم الساحرات. لكن لا بد أن نقدر على فهم الطرق العديدة التي يحدث بها هذا التلبس وذلك يكون بذكر بعض الأمثلة.

ما يلي هو خبرة واحد منا نحن المفتشين الاثنين قبل أن ندخل في مكتب التفتيش، في أيام البابا «بيوس» الثاني، كان هناك رجل بوهيمي من قرية «داكوف» أحضر ابنه، الكاهن العلماني، إلى روما حتى يتم تسليمه لأنه كان ملبوسًا. ولقد حدث أنني كنت هناك وذهبت إلى قاعة الطعام، والكاهن وأبوه أتيا وجلسا على نفس الطاولة معي.

حيينا بعضنا ثم تحدثنا معًا، وظل الأب يتنهد ويصلي للرب العظيم حتى تكون رحلته لروما ناجحة. شعرت بالشفقة لأجله، وبدأت في سؤاله عن السبب من هذه الرحلة وعن حزنه. ثم هو في وجود ابنه الذي كان جالسًا بجواري على الطاولة، أجاب «**واحسرتاه! إن لدي ابنًا ملبوسًا من الشيطان، ولقد أحضرته هاهنا بكل المشاكل والتكاليف الكبيرة حتى يتخلص من الشيطان**» وعندما سألته أين هو ابنه، أراني إياه جالسًا بجواري.

خفت قليلًا، ونظرت له عن قرب، وكان يأخذ طعامه في حياء، ويجيب بتقوى على كل الأسئلة، بدأت في الشك أنه ليس ملبوسًا، ولكن مرضًا ما قد حدث له، ثم ذكر الابن ما حدث له، مما أوضح كيف حدث التلبس وما مدة تلبسه حيث قال

«ساحرة معينة جلبت هذا الشر عليّ. لأنني كنت أوبخها على شيء ما يتعلق بقواعد الكنيسة، أوبخها بعنف نوعًا ما لأنها عنيدة، عندها قالت أنه بعد بضعة أيام سيحدث لك الذي حدث. والشيطان الذي تلبس بي أخبرني أن التعويذة تم وضعها بواسطة الساحرة أسفل الشجرة، وأنه لا بد أن تُزال الشجرة، حتى أتحرر. لكنه لم يخبرني أي شجرة هي».

ولكنني لم أصدق أيًّا من كلام الرجل وعندما سألته هل فكّر بالمنطق في حالته هذه وكيف عرف أنه شخص ملبوس، أجابني «**لقد تلفظ الشيطان من خلال فمي، وأنا مستاء حتى الآن بسبب الخُطب التي قالها الشيطان للناس على لساني، فأنا غير مسموح لي بالخطابة في الناس بعد اليوم**» لأنه وفقًا لأبيه، كان مبشرًا مليئًا بالنعمة والحب من الجميع. ولكن المفتش، أثناء بحثه عن الأدلة، أخذه للحبس لأسبوعين، وأخذه إلى أكثر من مكان مقدس وخاصة لكنيسة القديسة العذراء «براكسيديس»، حيث كان فيها جزء من العمود الرخام الذي رُبط فيه مخلصنا عندما كانوا يجلدونه، وأخذه إلى المكان حيث تم صلب القديس «بيتر» الحواري، وفي كل تلك الأماكن بكى كثيرًا أثناء عملية طرد الأرواح منه، وفي كل تصرفاته بقي كاهنًا رزينًا بدون أي غرابة في التصرفات، إلا في جلسات طرد الروح الشريرة، وعندما انتهى ذلك، وسقط عنه همه، لم يُظهر أي علامة من علامات الجنون أو أي تصرف غير مسؤول.

ولكن عندما كان يَعبُر بجوار أية كنيسة، ويثني الركبة إجلالًا للعذراء المجيدة، كان الشيطان يجعله يُخرج لسانه من فمه، وعندما تم سؤاله إذا كان غير قادر على منع نفسه من فعل هذا أجاب «**لا يمكنني أن أساعد نفسي أبدًا ، لأنه يستخدم كل أطرافي وأعضائي، ورقبتي ولساني ورئتي كما يريد، مما يجعلني أتحدث وأصيح، وأسمع الكلمات التي يقولها والتي تبدو وكأني أنا قائلها، ولكن ليس بوسعي منعها، وعندما أحاول أن أُصلي يهجم عليّ بضراوة أكبر، ويدفع بلساني للخارج**».

وكان هناك عمود في كنيسة القديس «بيتر» تم إحضاره من معبد سيمان، له قدرة عظيمة حيث أن كثيرًا من الذين تلبس بهم الشيطان تحرروا عنده، لأن المسيح

قد وقف بجواره عندما كان يبشر في المعبد، ولكن حتى هذا لم يستطع أن يحرره، لأن هناك غرضا خفيا يعلمه الرب، كان يريد أن يجعل تحريره في سبب آخر.

ورغم أنه كان محبوسًا عند العمود طيلة الليل والنهار، إلا أنه في اليوم التالي، بعد عدة عمليات طرد أرواح، في حضور كثير من الناس الذين احتشدوا حوله، تم سؤاله، عند أي جزء من هذا العمود وقف المسيح، عندها عض العمود بأسنانه وصاح وعضَّ المكان، وقال «هنا وقف، هنا وقف » ثم قال في النهاية «أنا لن أخرج».

وعندما سُئل عن السبب، أجاب بلسان إيطالي (رغم أن الرجل المسكين لم يكن يفهم الإيطالية)، جميعهم يعملون أشياء وأشياء، وسمى رذائل شهوانية. وبعد ذلك سألني الكاهن قائلًا «**أيها الأب، ما معنى هذه الكلمات الإيطالية التي خرجت من فمي؟**» وعندما أخبرته بمعناها، أجاب «**أنا سمعت الكلمات، ولكنني لم أفهمها**». وأخيرًا هذا التلبس الشيطاني كان من النوع الذي تحدث عنه المخلص في الإنجيل قائلًا: «**وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم**». وبالفعل بالصيام على الخبز والماء لأربعين يومًا، وبالصلوات وطرد الأرواح الشريرة، أخيرًا بنعمة الرب، تم تحريره وإعادته إلى بيته سعيدًا.



الفصل ١١. الطريقة التي تعمل بها الساحرات أنواع الأمراض الخطيرة

لا يوجد مرض جسدي، حتى الجذام والصرع، لا تقدر الساحرات على إحداثه، بإذن الرب. وهذا مُثبت بالحقيقة، فلا يوجد نوع من الأمراض استثناه العلماء. لأنه لو لاحظنا بعناية ما تمت كتابته عن قدرات الشياطين وعن فساد الساحرات سنعرف أن هذا الأمر ليست فيه أي صعوبة عليهم. «تعامل «نيدار» أيضًا مع هذا الموضوع في كتابه **Book of Precepts** وفي كتابه **Formicarius**، حيث سأل، هل الساحرات يقدرن على أذية الإنسان بسحرهن. والسؤال لم يستثن أي نوع من المرض، مهما كان مرضًا خطيرًا. وأجاب بأنهن يمكنهن ذلك، ثم سأل عن الطريقة.

هو أجاب بالطريقة التي تم عرضها في السؤال الأول في الجزء الأول من هذا الكتاب. لما تم إثبات الحجة بواسطة القديس «إيزيدور» عندما كان يصف أعمال الساحرات، ويقول أنه تم تسميتهم ساحرات بسبب فداحة جرائمهن، لأنهن يُثرن العناصر ويُقمن الزوابع بمساعدة الشياطين، ويُضللن عقول الرجال بالطرق التي ذكرناها قبلًا، إما بتعطيل المنطق لديهم أو إعاقته تمامًا. ويضيف أنهن بدون استخدام أي سُم، وفقط بخطورة تعويذاتهن، يُمكنهن أن يسلبوا الرجل حياته.

ولقد تم إثبات الحجة أيضًا بواسطة القديس «توماس» في **Second Book of Sentences**، وعامة جميع اللاهوتيين كتبوا أن الساحرات يمكنهن بمساعدة الشياطين أن يعملن الأذى في الإنسان وفي شؤونه بكل الطرق التي يمكن للشيطان وحده أن يعملها، تحديدًا، يؤذون الناس في شؤونهم، سمعتهم، جسدهم، منطقهم، وحياتهم. مما يعني أن هذه الأذية يمكن أن يعملها الشيطان بدون أية ساحرة، ولكن يمكن أن تتم بواسطة الساحرة بسهولة أكبر، بسبب أن هذا يكون إساءة أكبر للإله، كما تم عرضه أعلاه.

في سفر أيوب، الأول والثاني، وجدنا بشكل واضح حالة من الأذية المؤقتة. أما الأذية في السمعة فيمكن أن تتضح من تاريخ «جيروم» المبارك، حيث أن الشيطان حوّل نفسه إلى شكل القديس «سيلفانوس»، أسقف الناصرة، صديق للقديس «جيروم». وهذا الشيطان اقترب من امرأة نبيلة في الليل عند سريرها وحاول أن يتحرش بها ويغويها بالكلمات، ثم دعاها لأن يعمل معها الفاحشة. ولقد نادت بصوت عال، والشيطان في هيئة الأسقف اختبأ تحت سريرها، وبالبحث عنه وإيجاده هنالك، أعلن بلُغة فيها شهوة أنه الأسقف «سيلفانوس». وفي الغد، عندما اختفى الشيطان، تدمرت سمعة الرجل بفضيحة، ولكن اسمه الصالح تمت تبرئته عندما اعترف الشيطان عند قبر القديس «جيروم» أنه عمل هذا باستخدام جسد مُتخذ.

الأذية في الجسد يمكن أن تتضح في حالة أيوب المبارك، الذي ضربه الشيطان ببلاءات فظيعة، نوع من الجذام. و«سيجيسبيرت» و«فينسينت أوف بياوفايس» كلاهما أخبر أنه في عهد الامبراطور «لويس» الثاني، في أبرشية «ماينز»، كان هناك شيطان معين يرمي الأحجار ويضرب البيوت كأنما يضربها بمطرقة. ثم بالتصريح العلني، وبالتلميح السري، نشر الشيطان الشقاق وأفسد عقول الكثيرين. ثم أثار غضب الكل على رجل واحد، حيث كان ساكنًا مرتاحًا، فأشعل النار في بيته وقال للناس أنهم جميعا يعانون بسبب خطاياه. وفي النهاية كان على ذلك الرجل أن يجد سكنه في الحقول. وعندما كان الكهان يتلون الصلوات على هذا الأمر، رمى الشيطان أحجارًا على كثير من الناس حتى أدماهم، وكان يتوقف في بعض الأحيان، وبعض الأحيان يهاجم بعنف، واستمر هذا لثلاث سنوات، حتى أحرقت كل البيوت هناك.

وكمثال على الأذية في استخدام المنطق، وعلى إيلام الإدراكات الداخلية، هو ما نشاهده في حالة هؤلاء المأخوذين والمسعورين الذين تحدث عنهم الإنجيل. وبالنسبة للموت فهم يمكن أن يسلبوا الحياة، كما تم إثباته في سفر طوبيا السادس، في حالة الأزواج السبعة لسارة العذراء، الذين قُتلوا بسبب شهوتهم الفاسقة السائبة تجاه العذراء سارة، والتي لم يكونوا جديرين بأن يتزوجوها. وبالتالي نستنتج أن الشياطين بأنفسهم وبمساعدة الساحرات، يمكنهم أن يؤذوا الإنسان بكل طريقة بلا استثناء.

ولكن إذا جاء سؤال، هل الأذية التي من هذا النوع يمكن أن ننسبها إلى الشياطين وليس إلى الساحرات؟ فلقد أجبنا عن هذا السؤال بأنه عندما تُسبب الشياطين الأذى بطريقة مباشرة، يتم نسب الأذى إليهم. لكن عندما يفعلون هذا خلال توكيل ساحرة لأجل الإساءة إلى الرب ولإهلاك الأرواح، فبالتالي تنسب الأذية إلى الساحرات رغم أن الفاعل الأساسي هو الشيطان. فهن يفعلن هذا عالمين بأن الرب يغضب بهذا أكثر وأن هذا يسمح لهن بمزيد من القدرة على عمل الشر، ولأنهن بالطبع يستخدمن أسحارًا لا تعد ولا تحصى لا يمكن للشيطان أن يعملها على الإنسان إذا أراد أن يؤذي الإنسان بنفسه، وإنما سُمح له بإذن من الرب ولغرض يعلمه الرب أن يفعل هذا الأذى عبر توكيل ساحرة.

وبالتالي عندما تضع امرأة غُصنًا في الماء وتنضح بالماء إلى الأعلى لتعمل أمطارًا، فرغم أنها لا تفعل المطر بنفسها، ولا يمكن لومها على عمل المطر، إلا أنه بسبب أنها دخلت في عهد مع الشيطان أمكنها أن تعمل هذا كساحرة، ورغم أن الشيطان هو الذي يعمل المطر، فهي نفسها يجب أن تأخذ اللوم لأنها كافرة وتعمل عمل الشيطان، وسلمت نفسها لأجل خدمته.

أيضًا عندما تعمل ساحرة صورة شمعية أو شيء كهذا حتى تسحر شخصا ما، أو عندما تَظهر صورة أحدهم عندما يُصب الرصاص على الماء، أو عندما يُعمل بعض الأذى على الصورة، مثل الوخز أو الإضرار بها بأي شكل فيحدث ضررًا لصاحب الصورة، فرغم أن الضرر حصل فعليًا للصورة بواسطة ساحرة ما أو شخص ما، وأن الشيطان بنفس الطريقة كان يؤذي صاحب الصورة، إلا أن هذا الضرر يستحق أن يُنسب للساحرة. لأنه بدونها، لن يسمح الرب للشيطان أن يعمل مثل هذا الأذى، ولا كان الشيطان بنفسه سيحاول أن يؤذيه.

ولكن بسبب ما قيل في موضوع أن الشياطين يمكنها أن تؤذي الإنسان بدون مساعدة الساحرات، فهذا أثار الشك في إمكانية أن يفضح الشيطان سمعة امرأة صالحة ويشوه سمعتها أنها ساحرة، حيث يظهر الشيطان على صورتها ليسحر شخصًا ما، مما يجعل سمعة هذه المرأة تتدمر بدون ذنب.

في إجابة ها لا بد أن نُقدم بعض الملاحظات، أولًا، لقد قلنا أن الشيطان لا يمكنه أن يعمل شيئًا بدون إذن الرب، كما وضحنا في الجزء الأول من هذا العمل في

السؤال الأخير. ولقد وضحنا أيضًا أن الرب لا يسمح بهذه القدرة العالية للشيطان ضد الصالحين الذين هم في النعمة مثلما يسمح بذلك ضد المذنبين، وأخيرًا، رغم أنه يمكنهم، بإذن الرب أن يؤذوا الصالحين في شؤونهم وسمعتهم وصحة أجسامهم، إلا أنه بسبب أنهم يعلمون أن هذه القدرة قد أعطيت لهم أساسًا لأجل زيادة فضل الصالحين، فهم يكونون أقل حرصًا على أذيتهم.

لذلك يمكن أن نقول أنه في هذه السؤال هناك عدة نقاط يجب أن نأخذها في الحسبان. أولًا، الإذن الإلهي، ثانيًا، الإنسان الذي يُظن فيه أنه صالح، لأن هؤلاء المشهورين بالصلاح لا يكونون دائمًا في حالة النعمة. ثالثًا، الجريمة التي يُتهم بها الشخص البريء، لأن جريمة السحر في أصلها تتجاوز كل الجرائم الأخرى في العالم. وبالنسبة لمقولة أن سمعة البريء يمكن أن تتدمر بواسطة الشيطان بهذه الطريقة التي قيلت، فهذا لا يبدو ممكنا، لأسباب عديدة.

في المقام الأول، يمكن أن يتشوه المرء بالرذائل التي تحدث بدون أي عهد خفي مع الشيطان، مثل السرقة، والنهب والزنا ولكن يمكن أن يتشوه المرء برذائل أخرى من المستحيل أن تتهم شخصًا أنه ارتكبها إلا إذا كان قد دخل في عهد مع الشيطان، وهذا مثل أعمال الساحرات، التي لا يمكن أن تأتي إلى قدرتهن إلا بمساعدة الشياطين حيث يسحرن الناس والحيوانات والأشجار على الأرض. بالتالي، رغم أن الشيطان يمكن أن يشوه سمعة إنسان فيما يتعلق بالرذائل العادية، إلا أنه لا يبدو ممكنًا بالنسبة له أن يفعل هذا فيما يتعلق بالرذائل التي لا يمكن أن تُعمل إلا بعمل عهد مع الشيطان.

أيضًا، إنه لا يُعلم حتى هذا اليوم أن هذا قد حصل لأي شخص بريء تشوهت سمعته بواسطة الشياطين إلى حد أنه أصبح مدانًا بالإعدام على هذا الفعل. أيضًا، عندما يكون الشخص تحت الشك فحسب، لا تُنفذ عليه العقوبة التي تأمر بها الشريعة لتطهيره، كما سنشاهد في الجزء الثالث من هذا الكتاب في الطريقة الثانية من طرق معاقبة الساحرات.

وهنا نحن نتعامل مع أحداث حقيقية، ولا يُعلم من قبل أن شخصًا بريئًا قد عوقب بالاشتباه في كونه ساحرًا، لأنه لا شك أن الرب لن يسمح بشيء كهذا أن يحدث.

أيضًا، الرب لا يعاقب البريء الذي يكون تحت الحماية الملائكية بأن يجعله مشتبهًا به في الجرائم الصغيرة، مثل السرقة وغيرها، وبالتالي من الأولى أن يحمي الرب هؤلاء الذين هم تحت الحماية الملائكية من الاشتباه بهم في جريمة السحر.

وليس صحيحًا أن نقتبس أسطورة القديس «جيرمانيوس»، عندما اتخذت الشياطين أجساد نساء معلومات وجلست على الطاولة ونامت مع أزواجهن، وضللتهن إلى تصديق أن هؤلاء النساء هم في أجسادهن الحقيقية يأكلون ويشربون مع أزواجهن، فالمرأة في هذه الحالة لا تُلام بأنها مذنبة. لأنه في الشريعة في كتاب **Episcopi**، يعض النساء كن مدانات بأنهن اعتقدن أنهن حقًّا انتقلن من مكان إلى مكان، بينما ما حدث معهن كان في الخيال فقط، ومع ذلك، كما وضحنا أعلاه، هن في بعض الحالات ينتقلن بأجسادهن بواسطة الشياطين.

ولكن افتراضنا الحالي هو أنه يمكنهن، بإذن الرب، أن يعملن كل الأمراض بدون استثناء، ونستنتج مما قلناه أن هذا ممكن. لأنه لا توجد استثناءات ذكرها العلماء، ولا يوجد سبب يجعل هناك استثناءات، لأنه كما قلنا، قدرة الشياطين تتجاوز كل القوى الجسدية. ولقد وجدنا في تجربتنا أن هذا حقيقي. وهناك صعوبة أكبر يمكن أن يشعر بها المرء في تصديق أن الساحرات يقدرن أن يعملن الجذام أو الصرع، لأن هذه الأمراض تحدث بسبب الاستعداد الجسدي، ومع ذلك، وجدنا في بعض الأوقات أنه حتى هذه الأمراض يمكن أن تُعمل بواسطة السحر.

لأنه في أبرشية «بازل»، في مقاطعة «ألساس» و«لوراين»، كان هناك فلاح تحدث بخشونة مع امرأة مشاكسة. ولقد هددته بغضب أنها ستنتقم لنفسها منه. فأصبح يأخذ بعض الحذر منها، ولكن في نفس الليلة أحس ببثرة نمت على عنقه، فحكها قليلًا، فوجد أن وجهه كله وعنقه قد انتفخ وتورم، وبدأ يظهر نوع مريع من الجذام على جسده كله. وبسرعة ذهب إلى أصدقائه لأجل النصيحة، وأخبرهم عن تهديد المرأة له، وقال أنه يراهن بحياته على أن هذا قد حصل له بفعل سحر هذه المرأة. واختصارًا، تم أخذ المرأة ومساءلتها، واعترفت بجريمتها. ولكن لما سألها القاضي تحديدًا عن السبب الذي عملت هذا لأجله، وكيف عملته، أجابت «**عندما استخدم الرجل كلمات بذيئة نحوي، كنت غاضبة ورجعت إلى منزلي، والشيطان رفيقي**

بدأ يسألني عن سبب مزاجي المتعكر. فأخبرته ورجوته بأن يثأر من الرجل. وسألني ما الذي أود أن أعمله في الرجل، فأجبته بأنني أتمنى أن يكون دائمًا بوجه منتفخ. وذهب الشيطان بعيدًا وأصاب الرجل بما يتجاوز ما أردته منه، لأنني لم أرد أن يصاب بمثل هذا الجذام المؤلم» وبالتالي تم إحراق المرأة.

وفي أبرشية «كونستانس» بين «بريساخ» و«فريبورج»، كانت هناك امرأة مجذومة وقد اعتادت أن تخبر كثيرًا من الناس أن هذا الشيء قد حدث لها بسبب شجار مماثل بينها وبين امرأة أخرى. لأنه في أحد الليالي خرجت خارج البيت لتعمل شيئًا أمام باب المنزل، فأتت ريح دافئة من منزل المرأة الأخرى الذي كان في المقابل، وضربت وجهها فجأة، ومنذ ذلك الوقت أصيبت بالجذام الذي تعاني منه الآن.

وأخيرًا، في نفس الأبرشية، في مقاطعة «بلاك فوريست»، تم رفع ساحرة بواسطة السجان على كومة من الخشب للتجهيز لحرقها، وقالت له « سأدفع لك» ثم نفخت في وجهه. وأصيب في الحال بجذام على جسده كله، ولم يعش إلا أيامًا معدودة.

لأجل الاختصار، الجرائم المخيفة للساحرات التي يمكن أن تُحكى سنتجاوزها. ولقد وجدنا غالبًا أن بعض الناس يزورهم الجذام أو المرض بسبب البيض الذي يتم دفنه مع الجثث، خاصة مع جثث الساحرات، مع بعض الأشياء الأخرى التي لا يمكن أن نتحدث عنها، وقد تُعطى هذه البيضات إلى شخص في طعامه أو شرابه.

الفصل ١٢. عن الطريقة التي يصبن بها الإنسان بالأمراض الأخرى

من ذا الذي يمكن أن يحسب عدد الأمراض التي يصبن بها الناس، مثل العمى، والآلام المبرحة، والتواء الجسم؟ لكن يجب أن نذكر أمثلة رأيناها بأعيننا أو تتعلق بحملتنا التفتيشية.

عندما تم عمل حملة التفتيش على بعض الساحرات في قرية «إنسبروك»، ظهرت الحالة التالية للنور. امرأة صالحة كانت متزوجة بواحد من أهل بيت الأرشيدوق شهدت رسميًا بالتالي. قالت أنها في الوقت الذي كانت فيه عذراء، عملت في خدمة واحد من المواطنين، وكانت زوجته مصابة بآلام كبيرة في الرأس، وأتت امرأة قالت أن بإمكانها معالجتها، وبدأت المرأة في عمل بعض الرُقى والطقوس التي قالت أنها ستُسكن الألم. ولقد شاهدت باهتمام (تقول المرأة) ما الذي كانت تفعله، ورأيت أن هناك أمورًا تحدث بشكل مضاد للطبيعة، فبدلًا من أن يُصب الماء في الإناء، كان الماء يرتفع في الإناء، مع بعض الغرائب الأخرى التي لا حاجة لذكرها.

وعلمتُ أن آلام رأس سيدتي لا يمكن أن تُشفى بهذه الأشياء الغريبة، وخاطبتُ الساحرة بغضب وقلت «**أنا لا أعلم ما الذي تفعلينه، ولكن أيًا ما كان هذا، فهو سحر، وأنت تعملينه لأجل مصلحتك الشخصية**» فردّت الساحرة بقوة «**ستعرفين في ثلاثة أيام إذا كنت ساحرة أم لا**». وتم الإثبات، لأنه في اليوم الثالث جلست وأمسكت بالمغزل فشعرت فجأة بألم مريع في جسدي.

في البداية كان بداخلي، حيث بدا أنه لا يوجد جزء من جسدي ليس فيه ألم مبرح، ثم بدا لي كأنَّ هناك فحمًا مكدسًا فوق رأسي يُحرق باستمرار، ومن تاج رأسي حتى أخمص قدمي لم يكن هناك موضع إبرة لم يغطيه طفح من بثرات ذات لون أبيض، وبقيت في هذا الألم، أصرخ ولا أتمنى إلا الموت، وفي النهاية أخبرني

زوج سيدتي أن أذهب إلى حانة معينة، وبصعوبة بالغة ذهبت، وظهر هو، ووقفنا أمام الحانة، فقال لي «**انظري، هناك رغيف من الخبز فوق باب الحانة**» فقلت له أنني أراه، فقال « **أنزليه إلى الأسفل إن كان بإمكانك، لأن هذا سيكون جيّدًا لك**» وأمسكت الباب بيد واحدة ومددت اليد الأخرى بأقصى ما استطعت حتى أخذت الرغيف، فقال لي «**افتحيه، وانظري جيّدًا ما بداخله**» ولما فتحت الرغيف، وجدت عدة أشياء بالداخل، وبينها بعض الحبوب البيضاء التي تماثل تلك التي ظهرت على جسمي، ورأيت أيضًا بعض البذور التي لا تؤكل، مع عظام ثعابين وحيوانات أخرى. ووسط دهشتي سألت سيدي ما الذي يمكن أن أعمله، فأخبرني بأن أرميها كلها في النار. ففعلت، وفجأة في خلال ساعة أو ربما في خلال دقائق، بعد أن رميت الأشياء في النار، استعدت كامل صحتي.

وأمور أخرى شهدَت بها زوجة المواطن التي كانت هذه المرأة في خدمتها، بسبب أنه كان مشتبهًا بها بشكل قوي، خاصة لأن لها علاقة أُلفة مع ساحرات معروفات. ومن المفترض، أنه بمعرفتها أن التعويذة مخفية في الرغيف، أنها أخبرت زوجها بهذا، ومن ثم، بالطريقة التي وصفت، استطاعت الخادمة أن تستعيد صحتها.

ومن الجيّد أن نحكي كيف أن امرأة أخرى، تم سحرها في نفس القرية. وهي امرأة صالحة متزوجة شهدت تحت القسم بما يلي:

خلف منزلي (هي تقول) كان لدي مشتل للخضار، وكان سور حديقة جارتي بجواره. وفي يوم لاحظت أنَّ هناك ممرًا تم عمله من حديقة جارتي إلى مشتلي، ولم يكن الأمر بلا أضرار، وكنت واقفة أمام باب المشتل حزينة على الممر وعلى الأضرار، وفجأة جاءت جارتي وسألتني إن كنت أشك فيها. ولكني كنت خائفة منها بسبب سمعتها السيئة، فأجبت «**آثار الأقدام على العشب هي دليل على الضرر**»، فغضبَت لأنني لم أفعل كما تريد أن أهاجمها وأتهمها بكلمات توجب أن تقيم عليّ دعوى، وذهبت بعيدًا وهي تتذمر: ورغم أنه أمكنني أن أسمع كلماتها، إلا أنني لم أفهمها.

بعد عدة أيام أصبحت مريضة جدًّا بآلام في المعدة، وبوخزات تطعنني من جانبي الأيسر إلى جانبي الأيمن والعكس، وكأنَّ نصلي سيفين أو سكينتين يطعناني

ﻓﻲ صدري، وكنت أُزعج الجيران ليل نهار بصراخي، وعندما أتوا من كل جهة لمواساتي، حدث أن عاملًا من العاملين ﻓﻲ الطين كان جاري، وكان آتيًا لزيارتي، وأشفق علي وبعد بضع الكلمات التي قالها لتواسيني ذهب بعيدًا. ولكن ﻓﻲ اليوم التالي عاد ﻓﻲ عجلة، وبعد مواساتي قال «**أنا سأختبر إن كان مرضك هو بسبب السحر، وإن وجدت أنه كذلك، سأعيد لك صحتك**».

فأخذ رصاصًا منصهرًا وبينما كنت راقدة على السرير، صبّه ﻓﻲ طشت من الماء موضوع على جسدي. وبعد أن تصلب الرصاص على صورة معينة وبعض الأشكال، قال: «**أرأيت! إن مرضك هو بسبب السحر، وأحد أدوات السحر مخبأ تحت عتبة بابك، سأذهب وأزيلها وستشعرين بتحسن**». ثم ذهب هو وزوجي لإزالة التعويذة، ورفع عتبة الباب، وأخبر زوجي أن يضع يده أسفلها ويسحب أي شيء يجده، وفعل زوجي هذا.

وأخرج صورة شمعية حجمها كحجم الكف، مثقوبة من كل مكان، ومُخترقة من الجانبين بإبرتين، تمامًا بنفس الطريقة التي كنت أشعر بها بالوخز من الجانب إلى الجانب، ثم أخرج كيسًا يحتوي على كل أنواع الأشياء، حبوب وبذور وعظام. وعندما أحرقنا كل هذا، أصبحت أفضل، ولكن ليس بشكل كامل. فرغم أن الوخز والطعن قد توقف، وأنني استعدت شهيتي للطعام، إلا أني لم أستعد صحتي كاملة، وعندما سألته لماذا لم أستعد كامل صحتي، أجاب: هناك أدوات أخرى للسحر مخفية لا يمكنني إيجادها وعندما سألت الرجل كيف عرف مكان الأدوات الأولى، أجاب «**أنا أعلم هذا من خلال الحب الذي يحُث الصديق أن يُخبر بالأمور إلى صديقه، لأن جارتك كشفت لي هذا عندما كانت تتملقني لعمل الفاحشة معها**» وهذه هي قصة المرأة المريضة.

ولكن إذا كنت سأحكي كل الحكايات التي وجدناها ﻓﻲ تلك القرية، سأحتاج إلى أن أعمل كتابًا كاملًا عنها. لأن هناك عددًا لا حصر له من الرجال والنساء الذين كانوا عميانًا، أو مقعدين أو مصابين بأنواع الأمراض، حلفوا اليمين أن لديهم شكوكًا قوية أن أمراضهم سببها الساحرات، وأنهم كانوا مُلزمين أن يتحملوا هذه الآلام لفترة ما أو حتى الموت.

وكل ما قالوه وشهدوا به كان حقيقة، سواء ما يتعلق بمرض محدد، أو ما يتعلق بموت آخرين. لأن الدولة تزخر بالمريدين المخلصين الفرسان الذين لديهم فراغ لعمل الرذيلة، ولإغواء النساء، ثم لما يريدون أن يطردوهن عند رغبتهم في الزواج بامرأة صالحة. لا يمكنهم عمل هذا غالبًا بدون أن تقابلهم النساء بالانتقام بعمل السحر عليهم أو على زوجاتهم. لأنه عندما تجد هؤلاء النسوة أنفسهن مزدريات، تُصر الواحدة منهن على أن تُوجع الزوجة أكثر من الزوج، على أمل أن تموت الزوجة، ويعود الزوج إلى عشيقته.

لأنه عندما تزوج طباخ الأرشيدوق فتاة صالحة من دولة أجنبية، قابلتهم في الطريق امرأة ساحرة كانت عشيقته، ولقد تنبأت بموت زوجته، حيث مدت يدها وقالت لها «**ليس لمدة طويلة ستتمتعين بزوجك**» وفجأة، في اليوم التالي، لزمت زوجته سريرها وبعد عدة أيام دفعت الثمن، وصرخت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، هكذا سأموت، بسبب تلك المرأة، وبإذن الرب، قد قتلتني بسحرها، إلا أنني بلا ريب ذاهبة إلى زواج أفضل عند الرب.

بنفس الطريقة، ووفقا لدليل مأخوذ من تقرير عام، قُتل جندي معين بواسطة السحر، وكثير غيره من الذين لم أذكر قصصهم.

ولكن من بينهم كان هناك رجل نبيل معروف، عشيقته كانت تريده أن يأتيها في أحد الليالي، فأرسل خادمه إليها ليخبرها أنه لا يستطيع أن يزورها الليلة لأنه مشغول. وعلى الفور استشاطت غضبًا، وقالت للخادم: اذهب وأخبر سيدك أنه لن يُزعجني طويلًا. وفي اليوم التالي مرض الرجل، وفي خلال أسبوع كان مدفونًا.

وهناك ساحرات يمكن أن يسحرن القضاة الذين يحكمون عليهن بنظرة فقط أو لمحة من أعينهن ويتفاخرن علنًا أنه بهذا لا يمكن معاقبتهن، وعندما يسجن المجرمون على جرائمهم، ويتعرضون للعذاب الشديد ليقولوا الحقيقة، هؤلاء الساحرات يمكن أن يمنحوهم التصلب للحفاظ على سكوتهم حتى لا تُكشف جرائمهن.

وهناك آخرون، حتى يحققن تعويذاتهن وشعوذاتهن، يضربن ويطعنّ تمثال المسيح المصلوب، ويتفوهن بأقذر الكلمات ضد الطاهرة المعظمة العذراء ماري، ويرمين بالقذف الكريه على ميلاد مخلصنا من رحمها الطاهر. وليس من الجيد

أن نكرر هذه الكلمات السيئة، أو أن نصف جرائمهن السيئة، لأن سرد هذا يسبب إساءة عظيمة للأذن المتدينة.

وهناك يهودية أدت التعميد وأرشدت على فتيات شابات فاسدات واحدة منهن اسمها «والبورجيس»، بعد أن تم الضغط عليها بواسطة هؤلاء الذين يقفون حولها لتعترف بخطيئاتها، أعلنت: لقد أعطيت نفسي جسدًا وروحًا للشيطان، ولا يوجد أمل في أن يُغفر لي، وبالتالي ماتت.



الفصل ١٣. كيف للمُولِّدات الساحرات أن يعملن الجريمة الشنعاء بقتل الأطفال أو وهبهم للشيطان بهذا الشكل بغيض

لا بد ألا نتجاهل ذكر الأذى الذي يُرتكب في الأطفال بواسطة المولدات الساحرات، أولًا بقتلهم، وثانيًا بوهبهم إلى الشيطان بكفر. ففي أبرشية «ستراسبورج» وفي قرية «زابيرن» كانت هناك امرأة صالحة مُخلصة للعذراء المباركة ماري، وكانت تخبر القصة التالية التي حدثت لها لكل الزبائن الذين يأتون إلى الحانة التي تعمل فيها والمعروفة بعلامة النسر الأسود.

لقد كنت، هي تقول، حاملًا من زوجي الشرعي، الذي مات الآن، وكلما اقترب وقت ولادتي، تُغريني إحدى المولدات حتى أرتبط معها لتساعدني في ولادة طفلي. ولكنني كنت أعلم أن لها سمعة سيئة، ورغم أنني قررت أن أرتبط مع مولدة أخرى، لكنني تظاهرت بكلمات استرضائية بالموافقة على طلبها. ولكن عندما جاءتني الآلام، وطلبت امرأة أخرى كمولدة، غضبت الأولى جدًّا، وبعد أسبوع جاءت إلى غرفتي في أحد الليالي مع امرأتين، واقتربن من السرير الذي أرقد عليه.

وتعبت من مناداة زوجي الذي كان نائمًا في غرفة أخرى، وفجأة شُلّت كل الحركة من أطرافي ولساني، وبقي لي فقط السمع والبصر ولم أستطع أن أحرك عضلة واحدة. والساحرة التي كانت تقف بين المرأتين قالت: «**انظرا، هذه المرأة البذيئة، لم تأخذني كمولدة لها، وهي لن تعيش هكذا بدون عقاب**» والمرأتان الأخريان التمسن لي العذر فقالت إحداهما «**هي لم تؤذ أيًا منا**» ولكن الساحرة قالت «**لأنها أساءت لي سأضع شيئًا في أحشائها، و لكن لأجلكن، فهي لن تشعر بأي ألم لنصف سنة، ولكن بعد هذا الوقت ستتعذب كفاية**» فجاءت إلي ولمست بطني بيديها، وبدا لي أنها أخذت أحشائي خارجًا، ووضعت فيها شيئًا لم أره. وعندما ذهبن جميعًا،

واستعدت قدرتي على النطق، ناديت على زوجي بأسرع ما استطعت، وأخبرته بما حصل. ولكنه عزا الأمر إلى حملي فقال «**أنتن الحوامل دائمًا ما تعانين من الوهم والخيالات**»، وعندما لم يصدقني بأي طريقة، قلت له «**لقد أعطيت ستة أشهر من النعمة، وبعد ذلك الوقت، إن لم يحدث لي أي عذاب، سأصدقك**»

وأخبرت المرأة ولدها بالأمر، وكان رجل دين وهو رئيس شمامسة المقاطعة، وقد أتى لزيارتها في نفس اليوم. وما الذي حصل؟ عندما مرت ستة أشهر بالضبط، جاءها ألم عظيم في بطنها ولم يمكنها إلا أن تُقلق الجميع بصياحها ليلًا ونهارًا. وبسبب أنها كانت مخلصة للعذراء أميرة الرحمة ماري، صامت بخبز وماء في كل سبت، عسى أن يكون هذا شفيعًا لخلاصها. وفي أحد الأيام، عندما أرادت أن تُلبي نداء الطبيعة، كل هذه الأشياء النجسة سقطت من جسدها، فنادت على زوجها وابنها وقالت هل هذه خيالات؟ ألم أقل أنه بعد نصف سنة ستظهر الحقيقة؟ ألا ترون العظام وشوكات الآذان وفُتات الخشب؟ وكانت هناك أشواك بحجم الكف، وعدد من الأشياء الأخرى.

أيضًا (كما قلنا في الجزء الأول من الكتاب)، اتضح من اعتراف الخادم، الذي تم إحضاره للمحاكمة في «بريساخ»، أن أكبر أذى للإيمان بواسطة السحر يأتي من المولدات. وهذا أصبح أكثر وضوحًا من نور الصباح نفسه باعترافات البعض اللاتي أُحرقن بعدها.

لأنه في أبرشية «بازل» في قرية «دان»، أُحرقت ساحرة اعترفت أنها قتلت أكثر من أربعين طفلاً، بغرس إبرة في تاج رؤوسهم إلى دماغهم، بعد أن يَخرجوا من الرحم.

وأخيرًا، امرأة أخرى من أبرشية «ستراسبورج» اعترفت أنها قتلت عددًا من الأطفال أكبر من قدرتها على العد. وتم الإمساك بها بهذه الطريقة، كان يتم طلبها من قرية إلى أخرى للعمل كمولدة، وبعد أن تؤدي مهمتها، كانت تعود إلى المنزل. ولكن عندما خرجت يومًا من بوابة القرية، سقط من عباءتها ذراع طفل مولود كانت تخفيها بين ثنيات العباءة.

هذا شوهد من الجالسين عند البوابة، وعندما تحركت لأخذ الذراع من الأرض، توجه بعض الجالسين إلى الذراع وأخذوها على أنها قطعة لحم ليعطوها للمرأة، ولكن عندما نظروا لها عن قرب وعرفوا أنها ليست قطعة لحم، بل هي ذراع طفل واضحة، فيها يد وكف ومرفق، بلّغوا هذا إلى القاضي، ووُجد بالفعل أن هناك طفلًا مات قبل التعميد فاقدًا ذراعه. فتم أخذ الساحرة ومساءلتها واعترفت بجريمتها، وأنها كما قالت قتلت عددًا من الأطفال أكثر من قدرتها على العد.

سبب هذه الممارسات هو علم الشيطان أنه بسبب الخطيئة الأصلية، فإن هؤلاء الأطفال يُحرمون من دخول مملكة السماوات. وبهذا المعنى يتأخر عليهم الحساب الأخروي، بينما يُدان الشيطان بالعذاب الأبدي، وأيضًا، كما قلنا سابقًا، الساحرات علّمهن الشيطان أن يطحنّ أطراف الأطفال ويعملن مستحضرات تفيدهم في تعاويذهن.

ولا يجب أن نتجاوز الجريمة الشنعاء التالية، فهن عندما لا يقدرن على قتل الطفل، يهبنه للشيطان بكل كفر، فعندما يولد الطفل، تحمله المولدة -إذا لم تكن الأم نفسها ساحرة- وتخرجه من الغرفة بحجة أن تدفئه، ثم ترفعه وتهبه إلى أمير الشياطين الذي هو لوسيفر، ولكل الشياطين، وتستخدم في هذا نار المطبخ.

يقول رجل أنه قد لاحظ أن زوجته لما حان وقت ولادتها، وعكس العادة المتعارف عليها من النساء في الولادة، لم تسمح لأي امرأة أن تقترب من سريرها إلا ابنتها، التي كانت تولدها. ولأجل محاولة معرفة السبب، اختبأ الرجل في المنزل ورأى العملية الكاملة لتدنيس المقدسات ووهب الطفل للشيطان.

ورأى أيضًا ما بدا له غريبًا جدًّا، أنه وبدون أي مساعدة، وفقط بمعونة الشيطان، كان الطفل يتسلق السلسلة التي تتعلق فيها آنية الطبخ. وبذعر شديد من الكلمات الفظيعة للتضرع للشياطين ومن المشاهد المرعبة الأخرى، أصر الرجل على أن يتم تعميد الطفل على الفور. وبينما كان يحمله إلى القرية المجاورة، حيث الكنيسة، وبينما كان يمر فوق الجسر الذي فوق النهر، أخرج الرجل سيفه وركض ناحية ابنته، التي كانت تحمل الطفل، وقال لها تحت مسمع من امرأتين كانتا معهما **«أنت لن تحملي الطفل فوق الجسر، إما أن تجعليه يمر فوق الجسر بنفسه أو سأغرقك في النهر»**.

ارتعبت الابنة، وسألته إن كان في وعيه (لأنه أخفى ما حدث معه عن كل الآخرين إلا عن المرأتين اللاتي كانتا معهما). فأجاب «**أيتها الخسيسة المومس، أنت بفنون سحرك جعلت الطفل يتسلق السلسلة في المطبخ، الآن هيا اجعليه يمشي على الجسر بدون أن يحمله أحد أو سأغرقك بنفسي في النهر**»، وبالتالي كونها مجبرة، وضعت الابنة الطفل على طرف الجسر، وتضرعت للشيطان بفنونها، وفجأة رُؤي الطفل على الجانب الآخر من الجسر.

وعندما تم تعميد هذا الطفل، وأعيد إلى المنزل، أصبح الرجل لديه شهود ليتهم الابنة بالسحر (لأنه لم يكن ليتمكن من إثبات جريمة وهب الطفل للشيطان لأنه كان الشاهد الوحيد على طقوس تدنيس المقدسات)، فاتهم الرجل الأم وابنتها أمام القاضي وبعد فترة تطهيرهن، تم حرقهن، ومن ساعتها تم اكتشاف جريمة المولدات اللاتي يهبن الأطفال للشيطان.

ولكن هنا يأتي شك، لأي غرض أو غاية يكون تدنيس المقدسات بوهب الأطفال؟ وكيف يفيد هذا الشيطان؟ بالنسبة لهذا يمكن أن نقول أن الشياطين يفعلون هذا لثلاثة أسباب، وكلها أغراض فاسدة، السبب الأول يأتي من كبريائهم، التي تتزايد، ثانيًا، يحبون أن يخدعوا الإنسان تحت قناع العمل الذي ظاهره الورع، وهم بهذه الطريقة يغوون العذراوات الشابات والشباب إلى سلطانهم، ورغم أنهم يحققون هذا بالشر وبفساد البشر، ويخدعون النساء بالمرايا السحرية والانعكاس الذي يُرى في أظافر الساحرات، ويغوونهم للتصديق بأنهم يحبون العفة، بينما هم يكرهونها.

لأن الشيطان يكره العذراء المباركة ماري أكثر من أي شيء، لأنها قمعت رأسه، تمامًا كما في هذه القرابين بالأطفال حيث يخدعون عقول الساحرات ويستدرجونهن إلى رذيلة الكفر تحت مظهر الفعل الفاضل. والسبب الثالث هو، أن خيانة المولدات تُربح الشيطان، حيث تكون له ساحرات مكرسات إليه منذ مهدهن.

وهذا التدنيس للمقدسات يؤثر في الأطفال بطريقتين. الأولى، نعلم أن القربان الذي لأجل الرب يُعمل من أشياء مرئية، مثل الخمر والماء أو ثمار الأرض، وهو علامة على الاحترام والخضوع للرب، كما قيل في كتاب **Ecclesiasticus** الخامس والعشرين. أنت لن تظهر خاويًا أمام الرب.

وهذه القرابين لا يمكن ولا يجب أن تكون لأغراض نجسة. لأجل ذلك الأب المقدس القديس «جون داماسين» يقول: القرابين التي توهب في الكنيسة تخص الرهبان فقط، وليس لهم أن يُحرفوها لأجل استخداماتهم الشخصية، بل لا بد أن يوزعوها بأمانة، بمراعاة أنها عبادة ربانية، ولأجل الفقراء أيضًا. من هذا يتبع أن الطفل الذي يوهب للشيطان بهذا الإجلال والخضوع، لا يمكن طوال حياته أن يوهب للحياة المقدسة من قِبل الكاثوليكيين، للخدمة المثمرة للرب لأجل منفعته ومنفعة الآخرين.

لكن هل خطايا الأمهات تجلب العقوبة على الأطفال؟ ربما أحدهم سيقتبس تلك المقولة للنبي «**الابن لا يحمل من إثم الأب**» لكن هناك مقطع في سفر الخروج العشرون «**لأني أنا الرب إلهك غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مُبغضي**» ومعنى هاتين المقولتين هو كما يلي. الأولى تتحدث عن العقوبة الروحية في محكمة السماوات، وليس في حكم الإنسان. وهذه هي عقوبة الروح، مثل الضياع أو خسران المجد، أو عقوبة الألم التي هي العذاب بالنار الأبدية. ومثل هذه العقوبات لا يعاقَب بها أحد إلا لخطيئته الشخصية، سواء كانت تلك الخطيئة موروثة من الخطيئة الأصلية أو ارتكبها الشخص كخطيئة فعلية.

أما المقطع الثاني فيتحدث عن أولئك الذين يقلدون خطايا آبائهم، كما وضح «جيراتيان»: وهنا هو يعطي تفسيرات أخرى عن كيفية أن الرب يعاقب الإنسان، ليس فقط على خطاياه الشخصية التي ارتكبها، أو التي يمكن أن يرتكبها (ولكن منعه العقاب من ارتكابها)، ولكن أيضًا على خطايا الآخرين.

ولا يمكن أن يعاقَب الإنسان بدون سبب، وبدون خطية، لأن الخطية من المفترض أن تكون هي سبب العقوبة. فحسب قانون الشريعة، لا أحد يجب أن يعاقب بدون خطية، إلا إن كان هناك سبب للعقوبة. ويمكن أن نقول أن هناك سببًا عادلًا دائمًا، رغم أنه قد لا يكون معلومًا لنا، انظر كلام القديس «أوجستين»، إذا لم يمكننا أن نعرف حكمة الرب العميقة، فنحن نعلم أن ما قاله حقيقي، وأن ما يعمله عَدل.

ولكن هناك فرق ينبغي أن يلاحَظ في الأطفال الأبرياء الذين يوهبون للشيطان، ليس بواسطة أمهاتهم الساحرات، ولكن بواسطة المولدات، هؤلاء الأطفال لا

ينقطعون من النعمة ولا يكونون بالفطرة مائلين لهذه الجرائم، لكن من المصدق به أنهم يحصدون خطايا أمهاتهم.

النتيجة الثانية التي تحدث للأطفال الذين حصل فيهم هذا الانتهاك هي كما يلي، عندما يهب الإنسان نفسه قربانا إلى الرب، فهو يعرف أن الرب هو بدايته ونهايته، وهذه التضحية أكثر قيمة من أي تضحية خارجية يمكن أن يقوم بها، حيث أن البداية هي خلقه والنهاية هي تمجيده، بنفس الطريقة، عندما تهب الساحرة الطفل للشيطان، فإنها تستودع روحه وجسده للشيطان في بدايته وتكون نهايته اللعن الأبدي، لكن ذلك الطفل يمكن أن يتحرر من أن يدفع ثمنًا عظيمًا مثل هذا.

ونحن نقرأ عادة في تاريخ الأطفال الذين وهبتهم أمهاتهم المضطربات عقليًا إلى الشيطان منذ أن كانوا في أرحامهن، وكيف أنهم بصعوبة شديدة بعد أن يكبروا إلى مرحلة البلوغ، يتحرروا من هذه العبودية للشيطان بإذن الرب، حيث أن الشيطان يستولي عليهم دوما. وفي كتاب **Book of Examples**، العذراء المباركة ماري، أعطت مثالات عديدة، مثل الرجل الذي لم يتمكن الحبر الأعظم من تحريره من عذابات الشيطان، ولكن في النهاية تم إرساله إلى رجل مقدس يعيش في المشرق، وبصعوبة بالغة تحرر من عبوديته بشفاعة العذراء المباركة نفسها.

تلك الأم التي بعد أن جامعها زوجها، تقول، أتمنى أن يأتي منه طفل، ثم إذا أتى الطفل تقول، فليذهب الطفل إلى الشيطان! ماذا يمكن للعقوبة عليها أن تكون، عندما يساء إلى عظمة الإله بهذه الطريقة؟



الفصل ١٤. كيف تؤذي الساحرات الماشية بطرق عديدة؟

عندما قال القديس «بولس»، «**ألعل الرب تهمه الثيران**» كان يعني أنه رغم أن كل الأشياء خاضعة للعناية الإلهية، الإنسان والحيوان كل على حسب درجته، كما يقول ناظم الترانيم، إلا أن أبناء الإنسان هم خاصة تحت حكم الرب وتحت جناحه.

وإذا تمت أذية الإنسان بواسطة الساحرات، فهذا يقع على كل من البريئين والخاطئين والصالحين، وإذا سحرت الساحرات أبناءهن على أنهم جزء من ممتلكاتهن، فمن الذي يشك أنه، بنفس الطريقة، كثير من الأذى يمكن أن يحدث بواسطة نفس الساحرات للماشية ولثمار الأرض، والتي هي أيضًا من ممتلكات الإنسان؟ لأنه هكذا تم ضرب أيوب وخسر كل ماشيته. وليس هناك مزرعة صغيرة لا تؤذي فيها النساء ماشية بعضهن، بتجفيف حليبهم أو حتى بقتلهم.

ولكن أولًا، دعونا نضع في الاعتبار أقل أنواع هذه الأذية، تجفيف الحليب، ولو سأل أحد كيف يمكنهن أن يعملن هذا، سيجاب بأنه وفقًا لكلام «ألبرت» المبارك في كتابه **Book on Animals**، فالحليب هو شيء طبيعي يخرج من أي حيوان، مثل الدفق الذي يخرج من المرأة، فإذا لم يوقفه مرض معين، فإن توقفه سيكون بسبب السحر. وتدفق الحليب يتوقف عندما تصبح أنثى الحيوان حاملًا، ويتوقف كذلك بمرض عارض عندما يأكل الحيوان بعض الأعشاب من الطبيعة فتجفف له الحليب وتجعل الحيوان مريضًا.

ولكن الساحرات يمكن أن يعملن هذا بواسطة أنواع من السحر، لأنه في الليالي الأكثر قداسة طبقا لتعليمات الشيطان ولأجل الإساءة الأكبر لعظمة الإله، تجلس الساحرة في ركن المنزل مع دلو بين قدميها، وتغرس سكينًا أو أي أداة في جدار أو

عمود، وتعمل كأنها تحلبه بيدها. ثم تدعو شيطانها الذي يعمل معها كل شيء، وتخبره أنها تريد حلب بقرة معينة من بيت معين، بقرة تكون صحتها قوية ومليئة بالحليب. وفجأة يأخذ الشيطان الحليب من ضرع تلك البقرة، ويُحضره إلى حيث تجلس الساحرة، ويتدفق كما لو كان يتدفق من السكين.

ولكن عندما يتم التبشير بهذا للناس فهم يأخذون معلومات سيئة، فأي أحد يمكن أن يتوسل بالشيطان ويعتقد أنه بهذا يمكن أن يحصل على الحليب، فيخدع نفسه، لأنه لم يقدم خدمة لشيطان ولم ينكر الإيمان. ولقد ذكرت هذا لأن البعض يظن أن بعضًا من المادة التي كتبتها يجب ألا يبشّر بها للناس، بسبب خطر أن نعطيهم معلومات خطيرة، بينما من المستحيل لأي أحد أن يتعلم من مبشر كيف يؤدي أيًا من هذه الأشياء التي يتم ذكرها، ولكن تمت كتابتها هنا للتعريف بهذه الجرائم الخطيرة، ويجب أن يتم التبشير بهذا من المكتب، حتى يمكن للقضاة أن يحرصوا على معاقبة الجرائم المريعة لإنكار الإيمان. إلا أنه لا يجب أن يتم التبشير دائمًا بهذه الطريقة، لأن العقل العلماني يركز أكثر على الخسارة المؤقتة ويهتم أكثر بالأمور الأرضية أكثر من الأمور الروحية، بالتالي عندما تُتهم الساحرات بعمل الخسارة المؤقتة، يكون القضاة متحمسين أكثر لمعاقبتهن. ولكن من الذي يمكنه أن يفهم مكر الشيطان؟

أنا أعرف بعض الرجال في مدينة معينة أرادوا أن يأكلوا زُبد مايو في غير شهر مايو. وبينما هم يمشون أتوا إلى روضة خضراء وجلسوا على النهر، واحد منهم كان قد عمل عهدًا مع الشيطان، قال لهم، أنا سأحضر لكم أفضل زبدة مايو. وفجأة نزع ملابسه ونزل إلى النهر، ولم يقف وإنما جلس وظهره إلى التيار، وبينما كان الجميع ينظر له، تلفظ ببعض الكلمات، وحرك المياه بيديه خلف ظهره، وفي وقت قصير، أحضر كميات كبيرة من الزُبد من النوع الذي تبيعه النساء في السوق في مايو. وذاقها الآخرون وقالوا أنها أفضل نوع ممكن من الزبدة.

من هذا يمكن أن نستنتج أولًا الحقيقة التالية المتعلقة بممارسات السحرة. فهم إما أن يكونوا سحرة حقيقيين، بسبب العهد العلني الذي عملوه مع الشيطان، أو هم يعلمون ببعض الفهم الخفي أن الشيطان سيعمل لهم ما يسألونه. الحالة الأولى لا حاجة للنقاش فيها بالنسبة للسحرة الحقيقيين. ولكن في الحالة الثانية، الشيطان

يكون مدينًا لهم بالمساعدة، لأنه تم وهبهم للشيطان بكُفر بواسطة المولدات أو بواسطة أمهاتهم.

ولكن يمكن أن يعترض أحدهم ويقول أن الشيطان هنا ربما قد أحضر الزبدة بدون أي عهد معلن أو مخفي وبدون أن يخلص الإنسان نفسه للشيطان. وسنجيب بأنه لا أحد يمكنه أبدًا أن يستخدم مساعدة الشيطان في هذه الأمور بدون أن يتوسل له، وإن مجرد التلفظ بطلب المساعدة من الشيطان، فالشخص المتلفظ بها يرتد عن الإيمان. هذا هو قرار القديس «توماس» في الكتاب الثاني من **Sentences** الفصل الثامن في إجابته عن سؤال، هل يعتبر ارتدادًا عن الإيمان أن تستخدم مساعدة الشيطان؟ ورغم أن «ألبرت» المبارك العظيم وافق العلماء الآخرين، إلا أنه ذكر الأمر بطريقة معبرة أكثر، حيث قال أنه في هذه الأمور هناك دوما ردّة، إما بالكلمة أو بالعمل.

فإذا استُخدمت التوسلات والأبخرة والعبادات الشيطانية، عندها يكون هناك عهد معمول مع الشيطان. حتى إن لم يكن هناك تسليم للجسد والروح معا في إنكار صريح للإيمان. لأنه بمجرد التوسل للشيطان فالإنسان يرتكب الردّة القولية. لكن إن لم يكن هناك توسل لفظي، لكن فقط عمل لا يمكن أداؤه بدون مساعدة الشيطان، عندها يكون الإنسان قد وُهب في بدايته لاسم الشيطان، ثم يقول «ألبرت» المبارك»، أنها ردّة بالعمل، لأن هذا العمل بإشراف الشيطان. ولكن بما أن استلام أي شيء من الشيطان هو دائمًا انتقاص من قدر الإيمان، فهو أيضًا ردّة.

وبالتالي يُستنتج أنه، بأي طريقة حصل بها الساحر على الزبدة، فإن هذا قد حصل إما بعهد معلن مع الشيطان، وعندها سنتعامل معه بالطريقة المعتادة مع الساحرات، أو يكون عهدًا مخفيًا، صادر من ذات الشخص أو من أمه أو من المولدة. وأنا أقول أنه قد صدر من ذات الشخص، لأنه هنا عمل بعض الحركات وتوقّع من الشيطان أن يستجيب.

الاستنتاج الثاني الذي يمكن أن نأخذه من الممارسات المماثلة، هو أن الشيطان لا يستطيع أن يخلق فصائل جديدة من الأشياء، بالتالي عندما جاءت الزبدة فجأة من الماء، فالشيطان لم يعمل هذا بتحويل الماء إلى زبدة، ولكن عمله بأخذ الزبدة من مكان كانت محفوظة فيه وأحضرها إلى يد الرجل. أو هو أخذ الحليب الصافي من

البقرة الطبيعية ومخّضها بسرعة إلى زُبدة طبيعية، لأنه بينما فنون النساء تأخذ وقتًا لعمل الزبدة، فالشيطان يمكن أن يعملها في أقصر وقت ويحضرها للرجل.

بنفس الطريقة بعض المتعاملين بالسحر، عندما يجدون أنفسهم في حاجة إلى خمر أو أي ضرورة أخرى، هم فقط يخرجون في الليل بقارورة أو إناء، ويعودون بها ملء بالخمر فجأة. لأن الشيطان يأخذ الخمر الطبيعي من قارورة ما ويملأ قارورتهم لأجلهم.

وبالنسبة للطريقة التي تقتل بها الساحرات الحيوانات والماشية، يجب أن نقول أنهن يعملن مثل عملهن في حالة الإنسان. فيمكنهن أن يسحرن الحيوانات بلمسة وبنظرة، أو بنظرة فقط، أو بوضع شيء تحت عتبة الباب، أو قرب المكان الذي تذهب فيه الحيوانات لشرب الماء، شيء مثل تعويذة سحرية.

وبهذا السبب تم حرق ساحرات «راتيسبورن»، اللاتي سنتحدث عنهن لاحقا، فلقد كُن محرّضات من الشيطان ليسحرن أسرع الأحصنة وأسمن الماشية. وعندما تم سؤالهن كيف عملن هذا، واحدة منهن اسمها «آجنس» قالت أنها خبأت بعض الأشياء تحت عتبة الباب. ولما سألوها ما نوع هذه الأشياء، قالت، عظام من أنواع مختلفة من الحيوانات. وسُئلت بعدها باسم من فعلت هذا. فقالت باسم الشيطان وكل الشياطين الآخرين. وكانت هناك واحدة أخرى اسمها «آنا» قتلت ثلاثة وعشرين حصانًا بالتتابع كان يملكهم أحد المواطنين الذي كان ناقلًا.

هذا الرجل في النهاية، عندما اشترى حصانه الرابع والعشرين وافتقر جدًّا، وقف في إسطبله وقال للساحرة التي كانت تقف عند باب بيتها **«انظري، لقد اشتريت حصانًا، وأنا أقسم بالرب وبالعذراء المقدسة أنه لو مات هذا الحصان فإني سأقتلك بيدي هاتين»** وهنا خافت الساحرة، وتركت الحصان لحاله. ولكن عندما تم أخذها وسؤالها كيف عملت هذه الأشياء، أجابت بأنها لم تعمل شيئًا إلا أنها حفرت حفرة صغيرة، حيث وضع فيها الشطيان أشياء غير معلومة لها. من هذا نستنتج أن الساحرة تتعاون، لأن الشيطان غير مسموح له بأن يؤذي المخلوقات بدون بعض العون من الساحرة، كما وضحنا في السابق. وهذا لأجل الإساءة الأكبر للذات الإلهية.

لأن الرعاة عادة ما يرون الحيوانات في الحقول تقفز ثلاث أو أربع قفزات في الهواء، ثم تسقط إلى الأرض وتموت، هذا يحصل بقدرة الساحرة بناء على طلب الشيطان.

في أبرشية «ستراسبورج»، بين قرية «فيسين» وجبل «فير»، كان هناك رجل غني أكد أن أكثر من أربعين ثورًا وبقرة كان يمتلكها تم سحرهم في جبال الألب خلال سنة واحدة، وأنه لم يكن فيهم أي مرض طبيعي أو علة لحدوث هذا. ولإثبات هذا، قال أنه لما تموت الماشية بسبب مرض، فإنها لا تموت هكذا فجأة، ولكن تضعُف على درجات، بينما هذا السحر قد أخذ كل الحياة منهم مرة واحدة، وبالتالي كل أحد في القرية حَكم أنهم ماتوا بسبب السحر. لقد قلتُ أربعين رأسًا من الماشية، ولكنني أؤمن أنه قال رقمًا أعلى من هذا. على أي حال، الحقيقة أن كثيرًا من الماشية قيل أنها سُحرت في بعض المقاطعات، خاصة في جبال الألب، التي من المعلوم فيها انتشار هذا النوع من السحر للأسف. وسنتحدث عن حالات مشابهة لاحقًا، في الفصل الذي نناقش فيه علاجات الماشية التي تم سحرها.



الفصل ١٥. كيف يُثِرنَ العواصف الباردة والزوابع ويعملن الرعد ليضربن به الإنسان والحيوان؟

الشياطين وتابعوهم يمكنهم بالسحر أن يَعملوا الصواعق والعواصف الباردة والزوابع، والشياطين لديهم قدرة من عند الرب لفعل هذا، وتابعوهم يعملون هذا بإذن الرب، كما هو مثبت في الكتب المقدسة في سفر أيوب الأول والثاني. لأن الشيطان حصل على قدرة من عند الرب، وفورًا تسبب في أن السبئيون أخذوا من أيوب خمسين ثورًا وخمسمئة حمار، ثم جاءت النار من السماوات وأهلكت سبعة آلاف جمل، وجاءت عاصفة شديدة وهدمت البيت وقتلت أبناء أيوب السبعة وبناته الثلاثة، وكل الخدم في المنزل، إلا ذلك الذي أتاه بالخبر وقد مات بعدها أيضًا، وأخيرا سَحر الشيطان جسد أيوب الصالح بكل أنواع الأمراض المريعة، وجعل زوجته وأصدقاءه الثلاثة ينكدون عليه بشدة.

القديس «توماس» في تعليقه على أيوب قال: لا بد أن نعترف أنه بإذن الرب، يمكن للشيطان أن يثير الهواء ويعمل العواصف، ويجعل النار تسقط من السماء. لأنه رغم اتخاذ الشيطان لأشكال متعددة، فالطبيعة المادية ليست تحت أمره، ولا تحت أمر أي ملاك سواء كان ملاك خير أو شر، فهذا فقط للرب الخالق، إلا في موضوع الحركة الموضعية، عندها تستجيب الطبيعة المادية للطبيعة الروحية. وهذه الحقيقة يمكن التمثيل لها في الإنسان نفسه، لأنه بمجرد أمر الإرادة التي توجد بداخل الروح، تتحرك الأطراف المادية لتأدية ما يرغب الإنسان في تأديته.، فليس فقط ملائكة الخير بل ملائكة الشر أيضًا يمكن أن يعملوا هذا بقدرتهم الطبيعية، إلا إذا منع الرب هذا. والرياح والمطر والاضطرابات الأخرى في الهواء يمكن أن تُصنع بمجرد تحريك البخار من الأرض أو من الماء، بالتالي فقدرة الشياطين كافية لتعمل شيئًا مثل هذا.

لأن الرب بعدالته يستخدم الشياطين كعملاء له للعقاب فيعملوا الشر الذي يعيش بيننا. بالتالي، بالرجوع إلى ما جاء في سفر المزامير «**دعا بالجوع على الأرض، كسر قوام الخبز كله**» سنجد التفسير يقول: أن الرب يسمح بهذا الشر أن يحدث بسبب ملائكة الشر الذين هم مسؤولون عن هذه الأمور، وبالجوع هو يقصد الملاك المسؤول عن الجوع.

نحن نُحيل القارئ إلى ما كُتب في السؤال أعلاه عن إذا كانت الساحرات دائمًا يحصلن على مساعدة من الشيطان في أعمالهن، وأيضًا بخصوص الثلاثة أنواع من الأذى التي يقدر الشيطان على عملها بدون توكيل ساحرات. ولكن الشياطين حريصة أكثر على أذية الإنسان بمساعدة الساحرات، لأن في هذا إساءة أكبر للرب، ولأنه سيعطي لهم قدرة أكبر على إيذاء الإنسان ومعاقبته.

الشيء الوثيق الصلة بالموضوع هو ما قاله العلماء في الكتاب الثاني من **Sentences**، الفصل السادس في السؤال الذي يناقش إن كان هناك أي مكان خاص مخصص لملائكة الشر في السُحُب. لأنه بالنسبة للشياطين هناك ثلاثة أشياء ينبغي تذكرها، طبيعتهم، مهمتهم، وخطيئتهم.

وبالنسبة للطبيعة فهم يرجعون إلى السماوات، وقد نزلوا بسبب الخطية إلى الجحيم الأسفل، ولكن بسبب المهمة المكلفون بها، كوزراء لعقاب الفاسدين واختبار الصالحين، فإن مكانهم يكون في سُحُب السماء. لأنهم لا يسكنون هنا معنا على الأرض وإلا كانوا سيُمرضوننا كثيرًا، لكنهم يسكنون في الهواء وحول الكرة السماوية النارية حتى يمكنهم أن يحضِّروا العناصر النشطة والخاملة عندما يأذن الرب فيُنزلوا النار والصواعق من السماوات.

هناك قصة مذكورة في كتاب **Formicarius** عن رجل تم أخذه، وسُئل بواسطة القاضي كيف كان بإمكانه أن يثير عاصفة وزوبعة، وهل سهل عليهم أن يعملوا هذا؟ فأجاب: نحن يمكننا بسهولة أن نثير العواصف الباردة، ولكن لا يمكننا أن نعمل كل الأذى الذي نريده، بسبب حراسة ملائكة الخير، نحن يمكننا فقط أن نؤذي أولئك الذين حُرموا من معونة الرب، ولكن لا يمكننا أذية أولئك الذين يعملون علامة

الصليب. وهذه هي كيفية العمل: أولًا نحن نستخدم بعض الكلمات في الحقول لنتوسل برئيس الشياطين أن يرسل لنا واحدًا من خُدامه لنضرب به الشخص الذي نسميه له. ثم عندما يأتي الشيطان، نضحي له بديك أسود عند مفترقين للطرق، ثم نرمي به في الهواء، وعندما يستلم الشيطان هذا، فهو يعمل لنا ما نريد ويثير لنا العواصف في السماء، ولكنه لا يثيرها دومًا في الأماكن التي نسميها له، وتبعًا لإذن الرب الحي، فهو يرسل لنا الصواعق والعواصف الباردة.

في نفس الكتاب نسمع عن قائد أو فيلسوف للسحرة اسمه «ستاوفير»، كان يعيش بين «بيرن» والدولة التي بجوارها، وكان يتباهى بأنه، وقتما يريد، يمكن أن يحول نفسه إلى فأر تحت عيون منافسيه ويهرب من بين يدي أعدائه الخطرين، وأنه قد هرب كثيرًا من أيدي خصومه بهذه الطريقة. ولكن عندما أرادت العدالة الإلهية أن تضع حدًّا لفساده، مكث بعض أعدائه ينتظرونه بحذر حتى رأوه يجلس على سلة قرب النافذة، وفجأة طعنوه بالسيوف والرماح، فمات بتعاسة على جرائمه. إلا أنه خلّف وراءه تابعًا، اسمه «هوبو» والذي كان تابعًا أيضًا للساحر «ستادلين» الذي ذكرناه سابقًا في الفصل السادس.

هؤلاء الاثنان، كان يمكنهما وقتما أرادا أن يسببا لجزء من السماد أو القش أن يعبُر بشكل غير مرئي من حقل جارهم إلى حقلهم، ويمكنهما أن يثيرا أكبر عاصفة عنيفة ومدمرة أو صاعقة في الماء ترمي الأطفال الماشين بجوار الماء عندما لا يكون أحد بالجوار، ويمكن أن يسببا العقم في الإنسان والحيوان، ويمكن أن يُظهرا الأشياء المخفية للآخرين، ويمكن بطرق عديدة أن يؤذيا الإنسان في شؤونه وجسده، ويمكنهما في أوقات أن يقتلا من يريدان بالصاعقة، ويمكنهما أن يسببا أي مرض آخر، عندما تسمح إرادة الرب لهذه الأشياء أن تحدث.

ومن الأفضل أن نضيف حادثة قد رأيناها في نطاق تجربتنا. في أبرشية «كونستانس»، على بعد ثمانية وعشرين ميلًا ألمانيا من قرية «راتيسبورن» في اتجاه «سالزبورج»، جاءت عاصفة عاتية دمرت كل الثمار والمحصول في حزام عرضه ميل، حتى أن نبات الكرمة لم يحمل ثمارًا بعدها لمدة ثلاث سنوات. وهذا تم إبلاغه

لحملة التفتيش، فنادى الناس بالتفتيش أن يتم، وكثير جدًّا من أهل القرية كانوا على رأي بأن هذا تم عمله بواسطة السحر.

ومن ثم تمت الموافقة رسميًا بعد مشاورة خمسة عشر يومًا على أن هذا تم بواسطة السحر، ومن بين عدد كبير من المشتبه فيهم، حققنا مع امرأتين تحديدًا، واحدة اسمها «آجنس» عاملة في حمام، والأخرى اسمها «آنا فون مينديلهايم».

هاتان الاثنتان تم القبض عليها ووضعهما في زنزانتين منفصلتين، فلا تعلم إحداهما ماذا حدث للأخرى. في اليوم التالي، تم سؤال العاملة في الحمام بلطف في حضور كاتب عدل معين من القاضي، اسمه «جلير» وكان متحمسًا للدين، وبوجود قضاة آخرين معه، وكانت الساحرة بلا شك لديها هذه الهبة الشيطانية بالسكوت والتي هي أكثر ما يزعج القضاة، وفي المحاكمة الأولى أكدت على أنها بريئة من أي جريمة ضد أي رجل أو امرأة، إلا أنه بالرحمة الإلهية التي لم تَسمح لمثل هذه الجريمة أن تمر بدون عقاب، فجأة، بعد أن تم تحريرها من قيودها، ورغم أنها كانت لا تزال في غرفة التعذيب، إلا أنها اعترفت فجأة بكل شيء ارتكبته. وأقرت بالاتهامات التي رُميت بها بإيذاء البشر والحيوانات، ولقد كان مشكوكًا فيها جدًّا أنها ساحرة، رغم عدم وجود أي شهود لإثبات أنها قد أنكرت الإيمان أو أنها عملت الزنا مع شيطان الجاثوم (لأنها كانت كتومة جدًّا)، ومع ذلك، بعد أن اعترفت بالأذية التي عملتها للحيوانات والبشر، اعترفت أيضًا بكل الاتهامات التي تخص إنكارها للإيمان، وبالزنا الذي فعلته مع شيطان الجاثوم، وقالت أنها ولأكثر من ثمانية عشر سنة، كانت تهب جسدها لشيطان الجاثوم، بإنكار كُلي للإيمان.

وبعد أن تم سؤالها إن كانت تعلم أي شيء عن العاصفة الباردة التي ذكرناها، أجابت بأنها هي التي سببتها. ولما سُئلت كيف وبأي طريقة أجابت «كنت في بيتي عند الظهيرة، فأتى لي شيطاني وأخبرني أن أذهب ومعي بعض الماء إلى الحقل أو معي قبة (هكذا يسمونها). وعندما سألته ما الذي سأعمله بالماء، قال لي أنه يريد أن يعمل المطر.

فذهبت إلى بوابة القرية، ووجدت الشيطان واقفًا تحت شجرة» سألها القاضي، تحت أي شجرة، قالت «تحت الشجرة المقابلة للبرج» وأشارت إلى البرج، فسألها ما الذي فعلتِه تحت الشجرة فقالت « الشيطان أخبرني أن أحفر حفرة وأصب فيها ماء» فسألها القاضي إن كانت قد جلست معه فيها فقالت «أنا جلست فيها ولكن الشيطان وقف» فسألها القاضي بأي طريقة وبأي كلمات أثرتِ الماء فقال «أنا أثرتُ الماء بإصبعي وناديت باسم الشيطان نفسه وبأسماء الشياطين الآخرين» وسألها القاضي ما الذي عملته بالماء فأجابت «لقد اختفى الماء، أخذه الشيطان عاليًا إلى الهواء» فسألها إن كان لها أي مساعدين فقالت «تحت شجرة أخرى مقابلة كانت لدي مرافقة (وسمت ساحرة أخرى اسمها آنا فون مينديلهايم) ولكنني لا أعرف ماذا فَعَلَت) وأخيرًا سُئلت المرأة العاملة في الحمام كم من الوقت كان بين وضعها للماء وبين نزول العاصفة الباردة فقالت «كانت هناك فترة من الوقت فقط تسمح لي بأن أعود إلى بيتي».

وعندما جاء اليوم التالي تمت مواجهة الساحرة الأخرى بلطف بالمساءلة، وكانت فاقدة للوعي ولما أفاقت، كشفت الأمر برمته دون أدنى تباين مع أقوال الساحرة الأخرى، فتوافقا في المكان، أنه تحت شجرة وأن الساحرة الأخرى كانت تحت شجرة أخرى، وفي الطريقة، تحديدًا إثارة الماء المصبوب في حفرة باسم الشيطان ومناداة أسماء كل الشياطين، وأيضًا في الوقت الذي كان بين صبِّ الماء ونزول العاصفة، وفي أن العاصفة جاءت بعد أن أخذ الشيطان الماء عاليًا في الهواء وأن العاصفة حصلت بعد أن عادت إلى منزلها. ومن ثم في اليوم الثالث تم إحراقهما. كانت العاملة بالحمام نادمة واستودعت نفسها للرب وقالت أنها ستموت بقلب راغب في الهروب من عذاب الشياطين، وأمسكت في يدها بصليب وقبلته. ولكن الساحرة الأخرى احتقرتها لعملها هذا. وهذه الساحرة الأخرى كانت منسجمة مع شيطان الجاثوم لأكثر من عشرين سنة بإنكار كامل للإيمان، وقد عملت أذى للبشر والحيوانات والأشجار أكثر من الأولى، كما اتضح في السجل المحفوظ في محاكمتهن.

هذه الحكايات يجب أن تكون نافعة، وهناك عدد لا نهائي من هذا النوع يمكن أن يُحكى. وغالبًا الإنسان والحيوان والمستودعات تُضرب بالصواعق بقدرة الشياطين، وسبب هذا يبدو مخفيًا وغامضًا، حيث يمكن أن يظهر أنه يحصل بإذن الرب بدون استعانة بساحرات، ومع ذلك، وجدنا أن الساحرات قد اعترفن بحُرية أنهن قد عملن أشياء مثل هذه، وهناك كثير من المرات المشابهة، التي كان يمكن أن نذكرها، إضافة إلى ما ذكرناه. بالتالي من المنطقي أن نستنتج أنه، بنفس سهولة إثارتهم للعواصف الباردة، فهن أيضًا يعملن الصواعق والعواصف البحرية، ولا يوجد أي شك لدينا في هذا.



الفصل ١٦. عن الثلاث طرق التي نكشف بهم الرجال والنساء العاملين بالسحر

سنقسم هذا إلى ثلاث فقرات، أولاً ما يتعلق بسحر الرماة

أولًا لا بُد أن نذكر الجرائم السبعة المميتة والمريعة التي تُرتكب بواسطة السَحَرَة الرماة. أولًا، في اليوم المقدس لآلام مخلصنا، أو كما نقول الجمعة الجيدة، خلال المراسم التي يُرمى فيها بالسهام، يكون هدف هؤلاء هو التصويب على صورة المسيح المصلوب.، أوه، يا لقسوتهم وأذيتهم للمخلص! ثانيًا، هناك بعض الشك في إذا كانوا يجب أن يتلفظوا بكفر لفظي للشيطان إضافة إلى الكفر العملي، وسواء كان هذا أم لا، فليس هناك أذية للإيمان أكبر من هذه يمكن أن تُعمل من شخص مسيحي. لأنه من المؤكد أنه، إذا صدر هذا من الكافر، فلن يكون له تأثير، لأنه لا توجد طريقة سهلة معطاة للكافرين لإظهار عدائهم للإيمان. أما هؤلاء الصعاليك فيجب أن يعلموا الحقيقة وقوة الإيمان الكاثوليكي.

ثالثًا، هذا الرامي يجب أن يَرمي ثلاثة أو أربعة أسهم بهذه الطريقة، وكنتيجة لهذا سيكون قادرًا على قتل نفس العدد من الرجال في كل يوم. رابعًا، لديهم هذا الضمان من الشيطان، أنه يجب أن ينظروا أولًا ويضعوا عيونهم على الرجل الذي يرغبون في قتله، وأن يجعلوا كل رغبتهم في قتله، عندها مهما اختبأ ذلك الرجل وحمَى نفسه، فالسهم الذي يتم رميه حتى إذا أخطأ سيحمله الشيطان ويضرب به ذلك الرجل.

خامسًا، يمكنهم أن يرموا سهمًا بدقة تصويب تماثل دقة التصويب على قطعة نقدية فوق رأس أحدهم دون أن يمسوه بسوء، ويمكنهم أن يستمروا بعمل هذا إلى أجل غير مسمى. سادسًا، لأجل أن يحصلوا على هذه القدرة ينبغي أن يُعطوا البيعة بالجسم والروح للشيطان. وسنذكر حوادث من هذا النوع.

كان هناك أمير لـ «رينيلاند» اسمه «إبيرهارد لونجبيرد» سُمي هكذا لأنه ترك لحيته تنمو طويلًا، قبل ست سنوات، أراد أن يوسع ممتلكاته الإمبراطورية، فحاصر قلعة اسمها «ليندينبرونين»، وكان برفقته ساحر من هذا النوع الرامي، اسمه «بونكير»، أصاب رجال القلعة وقتلهم كلهم بالتتابع بأسهمه، إلا واحدًا، كانت طريقة عمل هذا الساحر هي كالتالي، كان كلما ينظر إلى رجل، فأينما يُخفي هذا الرجل نفسه، فعندما يرمي بونكير سهمًا، يسقط هذا الرجل مجروحًا وميتًا، وكان يمكنه أن يرمي ثلاثة أسهم في اليوم لأنه في بداية السحر رمى ثلاثة أسهم على صورة المخلص.

ومن المحتمل أن الشيطان يُفضل الرقم ثلاثة عن أي رقم آخر، لأنه يمثل رفضًا للثالوث المقدس. ولكن بعد أن رَمى بهذه الأسهم الثلاثة، فبقية الأسهم كان يرميها بشكل عادي مثل بقية الرماة. وفي النهاية ناداه أحد رجال القلعة ساخرًا «**بونكير، هل في النهاية ستترك الخاتم المعلق على البوابة؟**» وأجابه بونكير من الخارج في ظلمة الليل «**لا، سآخذه في اليوم الذي نقتحم فيه القلعة**» ولقد أوفى بوعده، لأنه كما قلنا قتل الجميع إلا واحدًا، وتم اقتحام القلعة، وأخذ الخاتم وعلّقه في بيته في «رورباخ» في أبرشية «وورمز»، حيث من الممكن أن يُرى معلقًا هناك حتى هذا اليوم. ولكن بعد هذا في أحد الليالي تم قتله بواسطة أحد الفلاحين الذين أصابهم، وهلك بخطاياه.

ولقد قيل أيضًا عن هذا الرجل، أن شخصًا مرموقًا جدًّا أراد أن يرى إثباتًا على مهارته، وكاختبار وضع الرجل ابن بونكير الصغير أمام هدف مع قطعة نقدية فوق قبعته، وأمر بونكير أن يصيب بسهمه القطعة النقدية فوق رأس ابنه بدون أن يصيب القبعة. قال بونكير أنه يمكنه أن يفعلها ولكنه مانع في البداية، حيث لم يكن متأكدًا إن كان الشيطان يغويه لأجل موته. ولكنه، خضع لرغبة الأمير، ووضع سهما باستعداد على الوتر المعلق على كتفه، ثم ثبت سهمًا آخر في الوتر بجوار الأول، ورمى القطعة النقدية بسهم بدون أن يؤذي الطفل. وبرؤية هذا، سأله الأمير لماذا وضع السهم الثاني في الوتر، فأجاب «**حتى إذا خُدعت بواسطة الشيطان وقتلت ابني، وأصبح علي أن أموت، كنت سأرمي السهم الثاني عليك لأنتقم لموتي**»

ورغم أن هذا الفساد مسموح به من قبل الرب لاختبار ومعاقبة المخلصين، فمع هذا تحدث معجزات أكثر قوة برحمة المخلص لأجل تقوية وتمجيد الإيمان.

وفي أبرشية «كونستانس»، قرب قلعة «هوهينزورن»، وقرب دير للراهبات، كانت هناك كنيسة مبنية حديثًا يمكن أن تُرى فيها صورة لمخلصنا مختَرَقة بسهم وتسيل منها الدماء الحقيقية. هذه المعجزة تتضح كالتالي. كان هناك صعلوك بائس ساحر رام يمتلك بواسطة الشيطان ثلاثة أو أربعة أسهم يمكنه أن يرميهم بالطريقة التي ذكرناها ويقتل من يريد، وقد رَمى بسهم واخترق صورة المسيح المصلوب (والتي هي موجودة حتى اليوم)، عندها بدأت الدماء تنزل منها بمعجزة، وشُلت حركة الصعلوك بقدرة الإله.

وعندما سُئل بواسطة أحد المارة لماذا هو واقف هكذا بلا حراك، هز رأسه، وارتجفت ذراعاه ويداه، التي كان يمسك بها القوس، وسرى الارتعاش في جسده كله ولم يستطع أن يجيب بشيء. فنظر إليه الرجل ورأى صورة المسيح المصلوب وفيها سهم ودماء فقال أنت أيها الشرير، لقد ثقبت صورة ربنا» ونادى الآخرين، ورأى الرجل أن الصعلوك لا يمكنه الهرب (رغم أن الصعلوك قال له أنه لا يمكنه التحرك)، وركض الرجل إلى القلعة وأخبر بما حدث. وعندما أتوا وجدوا الصعلوك في نفس مكانه، وعندما سائلوه، اعترف بجريمته، ثم أُزيل من تلك المقاطعة بواسطة العدالة، وعانى من موت مؤلم تكفيرًا عن جريمته.

ولكن وآسفاه! كم هو مروع أن تعرف أن الفساد البشري ليس خائفًا من تأييد هذه الجرائم.

من أجل ذلك فهؤلاء الحامين والمدافعين والناصرين لهذا الشر لا بد أن يحاكَموا ليس فقط على الهرطقة، ولكن أيضًا على الارتداد عن الإيمان، ويجب أن يعاقَبوا بالطريقة التي سنقولها. وهذه هي الخطية السابعة لهؤلاء السحرة.

في البداية هم يُعزلون بالقانون، وإذا كان المناصرون رجال دين، يتم إنزال درجتهم وحرمانهم من كل المكاتب والمنافع، ولا يمكن أن يعودوا إلا بمنحة من الرؤية الرسولية. أيضًا، إذا ظلوا بعد حظرهم يعاندون لمدة سنة، تتم إدانتهم بالهرطقة.

هذا وفق قانون الشريعة في الكتاب السادس، وأيضًا، الساحرات ومن يحمونهن، هم بقوة القانون محظورون كما جاء في قانون قمع هرطقة السحر.

قانون الشريعة يصف عدة عقوبات يتم تطبيقها خلال سنة لهذه الهرطقات، سواء على العلمانيين أو على رجال الدين، حيث يقول: نحن نضع تحت الحظر كل من يحميهم ومن يناصرهم ومن يدافع عنهم، فعندما يَصدر الحكم، يُعطى للمهرطق فترة سنة للارتداد عن هرطقته، يكون خلالها خارجًا على القانون، ولا يدخل في أي مكتب أو مجلس، ولا يكون له حق التصويت على انتخاب الموظفين في هذه الهيئات، ولا ينجح في أي معاملات تتعلق بالميراث، ولا أحد سيكون مسؤولًا عن أي تعاملات مالية معه. وإن كان قاضيًا، فإن حكمه لن يتم، ولن تُقدّم له أي قضية، وإذا كان محاميا، فلن يُسمح له بالمرافعة، وإذا كان كاتب عدل، لن يكون لأي معاملة يقوم بها أي وزن، بل ستتم إدانته مع المدان في المعاملة، وعقوبات مماثلة سيتم تنفيذها على المسؤولين في المكاتب الأخرى. ولكن إذا كان رجل دين، سيتم إنزال درجته من كل المكاتب ويُحرم من كل المنافع، لأن ذنبه أعظم، فسيتم الثأر منه بشكل أثقل.

وإذا حدث أن أي أحد بعد أن تم تسجيله بواسطة الكنيسة كمدان في هذه الأمور، قد تجاهل العقوبة بازدراء، فإن حُكم الحظر سيتم تنفيذه بأقصى درجة من القسوة. ورجال الدين لن يُسمح لهم بإدارة الأسرار المقدسة للكنيسة إن كانوا مهرطقين، ولا يُمنحون دفنًا مسيحيًا، ولا تُقبل منهم صدقات وقرابين، وبالألم الذي يعانونه بعد حرمانهم من مكاتبهم، لا يمكن أن يعادوا إليها إلا بواسطة منحة من الرؤية الرسولية.

هناك عقوبات كثيرة أخرى لهؤلاء المهرطقين وعقوبات لأولادهم وأحفادهم، بالنسبة لهم يتم إنزالهم من مراتبهم بواسطة أسقف أو مفتش، ويُحرمون من كل الألقاب والممتلكات والتكريمات ومنافع الكنيسة، وهذا يسري على جميع المكاتب العامة. ولكن هذا فقط عندما يُصرون على العناد. وبالنسبة لأبنائهم -إلى الجيل الثاني- فهم يُجردون من أهليتهم للترقية في الكنيسة أو المكاتب العامة، ولكن هذا فقط للأبناء الذين من ناحية الأب وليس من ناحية الأم. وأيضًا تسري العقوبات على كل أتباع المهرطقين وحُماتهم ومناصريهم، ولا يمكن أن يعملوا أي نقض على الحكم الصادر فيهم، وغالبًا ما تتم إساءة معاملتهم بقسوة، ويمكن أن نضيف الكثير في هذه النقطة لكن ما قيل يكفي.

لأجل فهم أفضل لما قيل، فإن بعض النقاط يجب أن تناقش، أولًا، إذا وظّف أمير أو ملك علماني ساحرًا كما ذكرنا سابقًا لأجل تدمير قلعة معينة في حرب، وتمكّن بمعاونة هذا الساحر من هزيمة الفاسدين، هل نقول أن جميع جيشه هم من المناصرين والحامين لهذا الساحر، وبالتالي يتم تطبيق العقوبات التي ذكرناها عليهم كلهم؟ الإجابة هي أن صرامة القانون تكون تبعا لمزاج ممثليه. بالنسبة للقائد، بمستشاريه وناصحيه، فهم دعموا وشجعوا هذا السحر، وبذلك فهم بالقانون متورطون في العقوبات المذكورة آنفًا.

ولكن بقية الجيش، فلأنهم ليس لديهم دخل بالمشورة على قوادهم، إنما هم مجهزون فقط للتضحية بحياتهم للدفاع عن دولتهم، ورغم أنهم يمكن أن يكونوا رأوا أفعال الساحر، إلا أنهم خارجون من حكم الحظر، لكن لابد أن يعترفوا في شهادتهم أن الساحر مذنب، وفي تبرئتهم من كاتب الاعتراف لا بد أن يستلموا تحذيرًا رسميًا يُحذر من هذه الأعمال السحرية المقيتة، ويوصون أنه بقدر استطاعتهم لا بد أن يُخرجوا كل ساحر من أراضيهم.

يمكن أن يَسأل أحدهم سؤالا، مَن الذي يمكنه أن يساعد في إعفاء هؤلاء الأمراء من العقوبة عندما يعودون إلى رشدهم، مستشاروهم الروحيون أم المفتشون؟ سنجيب بأنه، إذا تابوا، يمكن أن يتم إعفاؤهم إما بواسطة المستشارين الروحيين أو المفتشين. وهذا ما جاء في قانون الشريعة بخصوص الإجراءات التي ستتخذ، بخوف من الرب هذا تحذير للناس ضد الهرطقة وأتباعها وحماتها وأنصارها وأيضًا ضد هؤلاء المتهمين أو المشتبه فيهم بالهرطقة. ولكن إذا تخلى أي واحد من المذكورين عن سقوطه السابق في الهرطقة، وأراد أن يعود إلى وحدة الكنيسة، يمكنه أن يأخذ الغفران من الكنيسة المقدسة.

فالأمير- أو أي أحد -عاد إلى رشده لا بد أن يُسلِّم الساحر لتتم معاقبته على خطاياه ضد الخالق، ويُبعد كل من وجد أنهم يعملون بالسحر عن جميع ممتلكاته، ويكون نادمًا حقًّا على الماضي، عندها يصبح أميرًا كاثوليكيًّا، ولا بد أن يعزم على ألا يعمل أي مساعدة لأي ساحر على الإطلاق بعد هذا.



السؤال ٢. هل من الشرعي أن نُزيل السحر بالسحر أو بأي شيء من الطقوس الممنوعة الأخرى؟

يُحتج بأن هذا ليس ممنوعا، هذا تم ذكره في الكتاب الثاني من Sentences في الجزء الثامن، كل العلماء اتفقوا على أنه من غير الشرعي أن تُستخدم مساعدة الشياطين، لأن فعل هذا يتضمن ردّة عن الإيمان. ويُحتج بأنه لا سحر يمكن أن يُزال بدون الاستعانة بالشياطين. لأنه من المسلّم أن العلاج يكون إما بالقدرة البشرية، أو الشيطانية، أو بالقدرة الإلهية.

والسحر لا يمكن علاجه بالقدرة البشرية، لأن القدرة الأقل لا يمكن أن تُبطِل الأعلى منها، فلا يكون لها تحكم فيما هو خارج عن سعتها الطبيعية. ولا يمكن أيضًا أن يعالَج بالقدرة الإلهية، لأن هذا سيكون معجزة، والرب يعملها فقط برغبته وليس بطلب الإنسان. لأنه عندما طلبت العذراء من المسيح أن يعمل معجزة ليسد الاحتياج من الخمر، أجاب، مالي ولك يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد، والعلماء يفسرون هذا بأنه ما العلاقة التي هنالك بينك وبيني وبين عمل المعجزة؟ وأيضًا يظهر أنه من النادر أن يتحرر الناس من السحر بطلب العون الرب أو بصلوات القديسين. بالتالي يتبع أنه لا يمكن تحريرهم إلا بالاستعانة بالشيطان، ومن المحرم أن تُطلب مثل هذه الاستعانة.

وأيضًا نشير إلى أن الطريقة الشعبية لإبطال السحر، رغم أنها غير شرعية، إلا أنها شائعة، وهي أن يلجأ المسحور إلى امرأة حكيمة، من اللاتي يُعالجن ولا يعمل العلاج بواسطة الكهان أو بطرد الأرواح الشريرة. فالتجربة أثبتت أن هذه اللعنات إنما تبطُل بالاستعانة بالشياطين، وهي محرمة، وبالتالي لا يمكن أن يكون شرعيا أن تعالج السحر، ولكن ينبغي فقط أن تتحمله.

يُحتج أيضًا أن القديس توماس والقديس بونافيرتورا في الكتاب الرابع قالا أن السحر لا بد أن يكون بلاء دائما، حيث ليس له أي علاج بشري، لأنه إن كان هناك علاج، فإما أن يكون غير معلوم أو يكون محرما. وهذه الكلمات تعني أن هذا البلاء لا علاج له ولابد من اعتباره بلاءً دائمًا. ويضيفون أنه حتى لو أن الرب سيهب علاجا بإخضاع الشيطان، فإن الشيطان لا بد أن يزيل بلاءه بنفسه من الإنسان، عندها سيتم علاج الإنسان ليس بواسطة إنسان آخر، وإنما بواسطة الشيطان. بالتالي، لو لم يشفه الرب، ليس مشروعا للإنسان أن يحاول بنفسه بأي طريقة أن يبحث عن العلاج.

في نفس الكتاب أضاف هذان العالمان أنه غير مشروع أن تبحث عن العلاج بأن تضيف سحرا آخر. لأنه ليست هناك طريقة شرعية للتوسل لمساعدة الشيطان عن طريق السحر.

أيضًا، من المسلّم به أن طرد الأرواح الشريرة بواسطة الكنيسة لا يكون فعالا دائمًا في كبح الشياطين إذا أصابوا الإنسان بالأمراض الجسدية، لأن هذه الأمراض تعالَج فقط برغبة الرب، ولكن طرد الأرواح الشريرة فعال فقط ضد تحرشات الشيطان بالمصابين، مثلا ضد الملبوسين، أو في طرد الأرواح الشريرة من الأطفال.

لا يعني هذا أنه عندما يُعطَي الشيطان قوة على شخص ما بسبب خطاياه، أن هذه القوة ستنتهي عند توقف هذه الخطايا. لأنه لو توقف الإنسان عن الخطية، فإن خطيته تبقى. فيبدو من هذه المقولات أن العالمين -الذين اقتبسنا منهما- هما على الرأي الذي يقول أنه من غير الشرعي أن تزيل السحر، ولكن لا بد أن تعاني منه للأبد، لأنه كما سَمح الرب بهذا السحر فهو الذي يمكن أن يزيله إذا رأى هذا صالحا.

ضد هذا الرأي يُحتج أنه من الضروري أن يُعطَى للشخص الذي أخلص للرب ما يعارض به عمل الشيطان، ليس فقط حماية (التي تحدثنا عنها في بداية هذا الجزء الثاني)، ولكن علاجات. لأنه إن لم يكن ذلك، لن يكون الشخص الذي أخلص للرب مدعوما من قبل الرب، وستكون أعمال الشيطان أقوى من أعمال الرب.

وهناك تفسير في سفر أيوب، ليس له على الأرض نظير، إلخ ، التفسير يقول أنه رغم أن الشيطان لديه قدرة على كل القوى الإنسانية، فهو رغم ذلك خاضع لكرامات القديسين، وحتى لكرامات الرجال الصالحين في الحياة.

وأيضًا ، القديس «أوجستين» في كتاب **De moribus Ecclesiae** يقول: لا يوجد ملاك أقوى من عقولنا عندما نتمسك بالرب. لأنه لو كانت القوة فضيلة في هذا العالم، فالعقل الذي يبقى قريبا من الرب هو أسمى من جميع العالم. بالتالي هذه العقول السامية يمكن أن تلغِي أعمال الشيطان.

الإجابة، هنا يوجد رأيان ثقيلان، يبدو أنهما معاكسان تمامًا لبعضهما.

لأن هناك بعض اللاهوتيين وعلماء الشريعة يوافقون على أنه من المشروع أن نزيل السحر بالطقوس غير الشرعية. وعلى هذا الرأي «دونز سكوتوس» و «هنري أوف سيجوسيو» و«جودفري»، وكل علماء الشريعة. ولكن رأي اللاهوتيين الآخَرين، خاصة القدماء، وبعض الحديثين، مثل القديس «توماس» والقديس «بونافينتورا» و«ألبيرت» المبارك و«بيتر أبالود» وآخرين كثر، أنه لا يجب أن يُعمل الشر لأجل الخير، وأن الإنسان يجب أن يُفضِّل الموت على أن يعالَج بمثل هذه الأمور الرذائل.

دعونا الآن نختبر الآراء الأخرى، بهدف أن نجعلهم أقرب للتوافق، «سكوتوس» في كتابه الرابع، في الفصل ٣٤، عن الإعاقات والعقم الذي بسبب السحر، يقول أنه من الغباء أن نؤمن أنه من غير الشرعي أن نزيل السحر بالطقوس غير الشرعية، وأن عمل هذا لا يتعارض مع الإيمان في شيء، لأن الذي يدمر عمل الشيطان هو لا يساعد في عمل الشيطان، والشيطان لديه القدرة والرغبة في الإصابة بالضرر فقط طالما أن علامة هذا الضرر تبقى مستمرة. بالتالي عندما تدمر هذه العلامة فهو يُنهي هذا الضرر. ويضيف أنه جدير بالتقدير أن تدمر أعمال الشيطان. وسنضع أمثلة.

كان هناك نسوة اكتشفن ساحرة بالعلامة التالية. عندما جف الحليب من بقرة بواسطة السحر، علّقن دلوا من الحليب على نار، وتلفظن ببعض الكلمات الغريبة، وضربن الدلو بعصا. ورغم أن الدلو هو الذي ضربَته النسوة، إلا أن الشيطان كان هو الذي يأخذ هذه الضربات إلى ظهر الساحرة، وبهذه الطريقة كل من الساحرة والشيطان كانا يُنهكان. ولكن الشيطان كان يعمل هذا لأجل أن يقود المرأة التي

تضرب الدلو إلى ممارسات أسوأ. وبهذا، إذا لم يكن فعل هذا يتبعه مخاطرة، لا توجد صعوبة في تقبل رأي هذا العالم المتعلم. وأمثلة أخرى كثيرة يمكن ذكرها.

«هنري أوف سيجوسيو»، في كتابه البليغ **Summa**، عن العقم الذي يسببه السحر، قال أنه في هذه الحالات لا بد أن نلجأ لعلاجات الأطباء، ورغم أن بعض هذه العلاجات يمكن أن تكون رذائل وطقوسًا غير مشروعة وتعويذات، إلا أن كل أحد لا بد أن يوثق به في حرفته، والكنيسة يمكن أن تتسامح في إبطال الباطل بباطل آخر.

«أوبيرتينوس» أيضًا في كتابه الرابع، يستخدم هذه الكلمات: السحر يمكن أن يُزال بالصلوات أو بنفس الفن الذي عُمل به.

«جودفري» يقول في كتابه **Summa**: السحر لا يمكن أن يُزال دوما بواسطة الشخص الذي عمله، إما بسبب أنه مات، أو بسبب أنه لا يعلم كيف يعالجه، أو بسبب أن التعويذة قد ضاعت. ولكن إذا كان يعلم كيف يعالجه، فمن المشروع له أن يعالجه.

هؤلاء الذين يؤمنون أنه لا توجد تعويذة دائمة بلا علاج يظنون أن كل سحر يمكن أن يُزال إما بتعويذة سحرية أخرى، أو بواسطة طرد الأرواح الشريرة بواسطة الكنيسة التي تعمل هذا لأجل كبح قوة الشيطان، أو بالتوبة الحقيقية، لأن الشيطان لديه قوة فقط على الخاطئين. لذلك في المقام الأول هم يوافقون رأي الآخرين، تحديدا في أن التعويذة يمكن أن تُزال بالطقوس غير المشروعة.

ولكن القديس «توماس» يعارض هذا الرأي حيث يقول: إذا كانت التعويذة لا يمكن أن تُزال إلا بالطقوس غير المشروعة، مثل معونة الشيطان أو أي شيء من هذا النوع، فحتى وإن علمنا أنها لا يمكن أن تزال إلا بهذه الطريقة، فرغم ذلك لا بد أن يَعتبر الإنسان هذا البلاء دائما، لأن العلاج ليس شرعيا.

وعلى نفس الرأي القديس «بونافينتورا» و«بيتر أبالود» و«البيرت» المبارك، وكل اللاهوتيون، لأنه بالنظر باختصار إلى إجاباتهم على سؤال التوسل بمساعدة الشيطان سواء في الخفاء أو في العلن، سنجد أنهم يؤمنون أن هذه التعويذات يمكن فقط أن تُزال بالطريقة الشرعية بطرد الأرواح الشريرة أو بالتوبة الحقيقية (كما

وضحوا في قانون الشريعة المختص بالسحر) ويبدو أنهم متأثرون، بالاعتبارات التي ذكرناها في بداية هذا السؤال.

لكن من المهم أن نذكر هذه الآراء المختلفة للعلماء المعلّمين ونوافق بينها، لهذا الغرض لا بد أن نذكر أن الطرق التي يمكن أن تُزال بها التعويذة السحرية هي كما يلي، إما بتوكيل ساحرة أخرى لعمل تعويذة أخرى، أو بدون توكيل ساحرة، بل بالسحر والطقوس غير الشرعية. وهذه الطريقة الأخيرة تنقسم إلى نوعين، استخدام الطقوس السيئة والغير شرعية، أو باستخدام الطقوس السيئة لكنها شرعية.

أول علاج هو غير شرعي تماما، وهو توكيل ساحرة لعمل تعويذة أخرى. ولكن يمكن أن يؤدّى هذا بشرعية بعمل أذى معين للساحرة التي عملت التعويذة، العلاج الثاني بدون توكيل ساحرة، بل بالسحر والطقوس غير الشرعية، وهذا العلاج يظل الحُكم عليه أنه غير شرعي، رغم أنه ليس بدرجة سوء العلاج الأول.

يمكن أن نلخص الوضع كالتالي، هناك ثلاثة شروط يمكن للعلاج بها أن يكون غير شرعي، أولًا: عندما تُزال التعويذة بتوكيل ساحرة أخرى وبسحر آخر، يعني بقدرة شيطان ما.

ثانيًا: عندما تزال بواسطة ساحرة ولكن عبر شخص صالح، في هذه الطريقة تنتقل التعويذة بنوع من العلاج السحري من شخص إلى آخر، وهذا أيضًا غير شرعي.

ثالثًا: عندما تزال التعويذة بدون أن تنتقل إلى شخص آخر، ولكن يكون هناك عهد أو توسل بالشيطان يتم عمله، وأيضًا هذا غير شرعي.

وبالرجوع إلى هذه الطرق فإن اللاهوتيين يقولون أنه من الأفضل أن تموت على أن توافق على هذا. ولكن هناك طريقة أخرى تعتبر شرعية من علماء الشريعة، أو غير باطلة، وهذه الطريقة يمكن أن تُستخدم عندما تكون كل العلاجات الكنسية

مثل طرد الأرواح الشريرة وصلوات القديسين والتوبة الحقيقية تمت تجربتها وفشلت. ولكن لفهم أوضح لهذه الطريقة لا بد أن نذكر مثالاً من خلال تجربتنا.

في عهد البابا «نيكولاس» أتى إلى روما أسقف من ألمانيا لأجل بعض الأعمال، ومن الأفضل عدم ذكر اسمه، هناك وقع في الحب مع فتاة، وأرسلها إلى أبرشيته تحت مسؤولية اثنين من الخدم معهما بعض من ممتلكاته، وهي بعض المجوهرات الغالية التي كانت ثمينة حقا. وبدأت المرأة تفكر في قلبها، إذا فقط مات هذا الأسقف بواسطة السحر، ستكون قادرة على امتلاك الخواتم والقلادات.

في الليلة التالية مرض الأسقف فجأة، وشكّ الأطباء وخدمه في أنه تم تسميمه، لأنه كانت هناك نار في صدره لا بد أن يضع عليها كمادات من الماء البارد حتى تهدأ. في اليوم الثالث، عندما فقد الأمل في حياته، جاءت امرأة عجوز وتوسلت حتى تراه. فأدخلوها، ووعدت الأسقف أنها ستشفيه إذا وافق على طلباتها، ولما سألها الأسقف ما هي الأشياء التي يجب أن يوافق عليها حتى يستعيد صحته، أجابت المرأة العجوز، إن مرضك سببه تعويذة سحرية، ويمكنك فقط أن تعالجها باستخدام تعويذة أخرى، سأنقل هذا المرض منك إلى الساحرة التي سببت لك هذا المرض، فتموت هي. دُهش الأسقف، ورغم رؤيته أنه لا توجد طريقة أخرى لشفائه، إلا أنه لم يكن راغبا في أي قرار متهور، فقرر أن يأخذ مشورة البابا.

والبابا المقدس كان يحبه جدًّا، وعندما علم أنه يمكنه فقط أن يُشفى عن طريق موت الساحرة، وافق بالسماح بأقل الضررين، ووقّع بالسماح على ذلك وختم. ولما جاءت المرأة العجوز إليه أخبرها أنه هو والبابا وافقا على موت الساحرة، بشرط أن يعود هو إلى صحته، وذهبت المرأة العجوز واعدة إياه بأنه سيُشفى في الليلة التالية.

وفجأة في منتصف الليل شعر بنفسه معافى من المرض، فأرسل رسولاً ليعلم ماذا حدث للفتاة، فأتى إليه الرسول وبلغه بأنها فجأة مرضت في منتصف الليل بينما كانت تنام بجوار والدتها.

لا بد أن يُفهم أنه في نفس الساعة واللحظة، غادر المرض الأسقف وأصاب الفتاة الساحرة، بتوكيل من ساحرة عجوز، وبالتالي فالروح الشريرة، قامت بإبطال وباء الأسقف وأعادت له صحته، والرب هو الذي سمح له بأن يُصاب، وهو الذي سمح له بأن يستعيد صحته، والشيطان، بسبب اتفاقه مع الساحرة العجوز التي تحسد ثروة الفتاة، كان عليه أن يصيب الفتاة. ولابد أن نعتقد أن هاتين التعويذتين الشريرتين لم تُعملا بواسطة شيطان واحد يخدم شخصين، وإنما بواسطة شيطانين يخدمان ساحرتين مختلفتين. لأن الشياطين لا تعمل ضد بعضها، لكنهم يعملون أقصى ما يمكن بالاتفاق معا لإهلاك الأرواح في الجحيم.



الفصل ١. العلاجات الموصوفة بواسطة الكنيسة ضد شيطان الجاثوم والسعلاة

في الفصول السابقة المتعلقة بالسؤال الأول، تعاملنا مع طرق سحر الإنسان والحيوان والأشجار على الأرض، وخاصة تصرفات الساحرات أنفسهن، وكيف يغوين الفتيات الشابات حتى يزدن من أعدادهن، وكيف هي طريقتهن في بيعة الشيطان، وكيف يهبن له أطفالهن وأطفال الآخرين، وكيف ينتقلن من مكان إلى مكان. والآن أنا أقول أنه لا يوجد علاج لهذه الممارسات، إلا إذا تم استئصال الساحرات تمامًا من الدنيا بواسطة القضاة، أو على الأقل معاقبتهن ليكن عبرة لكل من تحاول تقليدهن، ولكننا لن نتحدث عن هذا الآن، بل في آخر جزء من هذا الكتاب، عندما نبين العشرين طريقة لعقاب الساحرات.

في الوقت الحالي سنهتم فقط بالعلاجات للأضرار التي يسببنها، أولًا كيف للشخص الذي تم سحره أن يعالَج، ثانيًا، الحيوانات، وثالثًا كيف نحمي الأشجار على الأرض من الآفات الزراعية وقمل النبات.

بالنسبة المسحورين من البشر بواسطة شيطان الجاثوم والسعلاة، لا بد أن نذكر أن هذا يمكن أن يحصل بثلاث طرق، الأول، عندما تتطوع امرأة بالزنا مع شيطان الجاثوم. ثانيًا، عندما تحدث علاقة بين رجل وبين شيطانة السعلاة، إلا أنه يظهر أن الرجال لا يزنون بذلك القدر الكثير، حيث أن الرجال بشكل طبيعي أقوى فكريًا من النساء، فيكونون عرضة لكراهية هذه الممارسات أكثر.

كان هناك في قرية «كوبلينز» رجل فقير سُحر بهذه الطريقة. حيث أنه في وجود زوجته كان عادة ما يعمل حركات الجماع على الهواء كأنه يمارس الزنا مع شخص خفي، وكان يفعل هذا بتكرار رغم الصياح والاستعطاف من زوجته حتى يكف عن هذا. وبعد أن زنا بهذه الطريقة مرتين أو ثلاثة، صاح «نحن سنبدأ من جديد»

وفي الحقيقة لم يكن أحد مرئي مستلقيا معه. وبعد أن مارس هذا كثيرًا جدًّا، وقع على الأرض وقد أنهك تماما. وعندما استعاد قوته قليلا سُئل كيف حدث هذا له، وإن كانت هناك امرأة كانت معه، فأجاب بأنه لم ير شيئا، ولكن عقله بطريقة ما كان متلبّسا حتى لم يكن يستطع أن يمتنع عن هذا العمل. وبالطبع كان لديه شك كبير في أن امرأة معينة سحرته بهذه الطريقة، لأنه أساء إليها، ولقد لعنته وهددته بالكلمات، وأخبرته ما الذي تحب أن يحدث له.

ولكن لا يوجد قانون في وزارات العدل يتعامل ويثأر من جريمة بلا دليل بمجرد اتهام أو شك، لأنه من المعروف أنه لا أحد يجب أن يُدانٍ إلا إذا اعترف بنفسه، أو كان هناك دليل وثلاث شهود عدل، لأن الجريمة إذا أرفق بها أكبر شك ضد شخص ما، فهذا ليس كافيًا لمعاقبة ذلك الشخص. ولكن هذا سيتم التعامل معه لاحقًا.

لأن هناك مرات يتحرش فيها شيطان الجاثوم بالشابات العذراوات بهذه الطريقة، وسيأخذ وقتًا طويلًا أن نذكر ما عرفناه في حملتنا، لأن هناك كثيرًا جدًّا من القصص الموثقة عن أسحار مثل هذه. ولكن الصعوبة الكبيرة هي في إيجاد العلاج لهذه المصيبة، يمكن أن تتضح هذه الصعوبة بذكر القصة التي رواها «توماس أوف برابانت» في كتاب **Book on Bees**.

لقد رأيتُ (هو كتب) وسمعتُ اعتراف عذراء متدينة، قالت في البداية أنها ليست من النوع القابل لعمل الزنا، ولكن في نفس الوقت كانت معروفة بالزنا. وهذا مما لم أصدقه، فأخذت أنصحها وأناشدها أن تقول الحقيقة لأن هذا خطر على روحها جدًّا. وفي النهاية، وبعد بكاء مرير، اعترفت بأنها قد فسدت في العقل وليس في الجسد، ولقد حزنَت على هذا تقريبا حتى كادت تموت، وهي تعترف يوميا في الكنيسة بالدموع، إلا أنه لا توجد وسيلة أو محاولة أو فن أمكن أن يحررها من شيطان الجاثوم، ولا حتى بعمل علامة الصليب، ولا بالماء المقدس، الذي هو موصوف خصيصا لطرد الشياطين، ولا حتى بالسر المقدس لجسد ربنا، والذي حتى الملائكة تخاف منه. ولكنها بعد عدة سنوات من الصلاة والصوم تم تحريرها.

وهناك راهبة مخلصة اسمها «كريستينا»، في الدولة السفلى لدوقية «برابانت»، أخبرتني بالتالي بخصوص نفس المرأة. في عشية عيد العنصرة جاءت إليها المرأة

تشكو لكنها لم تجرؤ على أخذ السر المقدس بسبب التحرش المزعج للشيطان بها. أشفقت عليها «كريستينا» وقالت لها «اذهبي، وارتاحي واضمني أنك ستحصلين على جسد ربنا غدًا، لأنني سآخذ عذابك على نفسي»، فذهبَت المرأة بفرح، وبعد أن صلّت في الليل نامت في سلام، وقامت في الصباح وتناولت العشاء الرباني في طمأنينة روح. ولكن «كريستينا»، غير مفكرة في العقوبة التي أخذتها على نفسها، ذهبت لترتاح في المساء، وبينما كانت مستلقية على فراشها، بدا وكأن هناك هجوما عنيفا عليها، فأمسكت بالشيء الذي بدا وكأنه فوق عنقها وحاولت أن تبعده في كل اتجاه، وبعد مدة أدركت بأنها تواجه الشيطان. ثم غادرت سريرها، وقضت ليلتها بلا نوم، وعندما أرادت أن تصلي، عذبها الشيطان حتى قالت أنها لم تعان هكذا من قبل.

في الصباح التالي، قالت للمرأة الأخرى « أنا أتنازل عن أخذ عذابك، أنا بالكاد عشت حتى آتي وأتنازل عنه »، فهربَت من عنف ذلك المتحرش الفاسد. من هذا يمكن أن نرى كيف هي صعوبة علاج هذا النوع من الشر، سواء كان بسبب السحر أم لم يكن.

على أي حال، لا تزال هناك طرق يمكن أن تُبعد هذه الشياطين، كتبها «نيدار» في كتابه **Formicarius**. قال أن هناك خمسة طرق يمكن أن يتحرر بها النساء أو الرجال، أولًا، بالسر المقدس للاعتراف، ثانيًا، بالعلامة المقدسة للصليب أو بتلاوة التحية الملائكية **Angelic Salutation**، ثالثًا، بعمل طرد الأرواح الشريرة، رابعًا، بالانتقال إلى مكان آخر، خامسًا، عن طريق طرد الأرواح الشريرة المعمول بحكمة بواسطة الرجال المقدسين. يتضح مما قيل أن أول طريقتين لم يفيدا الراهبة، ولكن لا يمكن تجاهلهما، لأن ما يعالج شخصا ما ليس بالضرورة يعالج الآخر، والعكس. وهي حقيقة مسجلة أن شياطين الجاثوم غالبا يتم إبعادهم بالصلوات للرب، أو برش الماء المقدس، وأيضًا بشكل خاص بتلاوة التحية الملائكية.

لأن القديس «كايزاريوس» يقول في كتابه **Dialogue** أنه بعد أن شَنق أحد الرهبان نفسه، دخلت خليلته إلى الدير، وغواها الجاثوم جسديا. فأبعدته بعمل علامة الصليب وباستخدام الماء المقدس، ولكنه سرعان ما عاد. ولكن عندما تلت التحية الملائكية، اختفى كأنه سهم زال عن قوسه، ثم عاد مرة أخرى، إلا أنه لم يأت

قريبا منها، بسبب نشيد **Ave MARIA**.

القديس «كايزاريوس» أيضًا يشير إلى العلاج باستخدام سر الاعتراف المقدس. لأنه يقول أن تلك الخليلة المذكورة تخلى عنها الجاثوم تمامًا بعد أن اعترفت. وأخبر أيضًا أن رجلا في «ليدين» أصيب بشيطانة السلعاة، وتحرر تمامًا بعد سر الاعتراف.

وأضاف مثالا آخر، عن راهبة متصوفة منعزلة، لم يتركها الجاثوم على الرغم من صلاتها واعترافها وأعمالها الدينية الأخرى. ودائما يُصر أن يجد طريقه إلى سريرها. ولكن عندما أخذَت بنصيحة أحد الرجال المتدينين، حيث تلفظت بالكلمة المباركة، تركها الشيطان في الحال.

عن الطريقة الرابعة، الانتقال إلى مكان آخر، قال أن هناك ابنة لأحد الرهبان تنجست بشيطان الجاثوم وقادها للهياج والهم، ولكن عندما ذهبت بعيدا عبر نهر الراين، تركها الشيطان الجاثوم. وأبوها لأنه أرسلها بعيدًا، أصابه الشيطان ومات خلال ثلاثة أيام.

وذَكر أيضًا المرأة التي كان الجاثوم يتحرش بها في سريرها، فسألتها صديقة متدينة أن تأتي وتنام معها. وفعلت ذلك، لكن المتدينة اضطربت طوال الليل بأقصى أنواع الانزعاج والقلق، وغادرت المرأة الأولى في سلام. «ويليام أوف باريس» يذكر أيضًا أن الجاثوم يبدو أنه يتحرش بالنساء والفتيات اللاتي يملكن شعرًا جميلًا، إما لأنهن يكرسن أنفسهن كثيرًا للاهتمام والعناية والإعجاب بشعرهن، أو بسبب أنهن يتفاخرن به بشكل سيء، أو بسبب أن الرب في خيريته يسمح بهذا لأجل أن هذه الفتاة يمكن أن تخاف من أن تغوي الرجال بنفس الطريقة التي يتمنى الشيطان منهن أن يغوين بها الرجال.

الطريقة الخامسة، عن طرد الأرواح الشريرة، وقد وضع القديس «بيرنارد» له مثالًا. في «أكويتاين» كانت هناك امرأة تتعرض للتحرش من الجاثوم منذ ستة سنوات، وبالغ في إيذائها الجسدي وعمل الفسق معها، وسمعت الجاثوم يهددها بأنه يجب ألا تذهب بالقرب من هذا الرجل المقدس الذي كان آتيًا إلى ناحيتها، قال **«لن ينفعك شيء، لأنه عندما يغادر، أنا، الذي ما زلت حتى الآن عشيقك، سأصبح أكثر الطغاة توحشا معك»** ورغم ذلك ذهبت إلى القديس «بيرنارد» وقال لها **«خذي صولجاني واجلسي على سريرك، وليعمل الشيطان ما يستطيع»** وعندما عملَت

هذا، لم يجرؤ الشيطان على أن يَدخل غرفة المرأة، ولكنه هددها بشكل مرعب من الخارج قائلا أنه سيعذبها عندما يغادر القديس «بيرنارد». وعندما سمع القديس «بيرنارد» هذا من المرأة، استدعى بعضا من الرجال معا، ودعاهم لحمل الشموع المضيئة في أيديهم، وعندما اجتمع الكل، عملوا طردا للروح الشريرة الشيطانية، ومنعوه من أن يقترب من المرأة مرة أخرى أو أي امرأة أخرى. وتحررت من هذه العقوبة.

أيضًا، لا بد أن نذكر أنه إذا لم تنجح أي من العلاجات المذكورة، فإن هذه الإصابة لا بد من اعتبارها عقوبة تكفير عن خطية، ويجب أن يتم احتمالها بكل نوع، مثل الأوجاع الأخرى التي تُتعبنا ولكنها تساهم في جعلنا نبحث عن الرب.

ولكن لا بد من ملاحظة أنه في بعض الأحيان يظن الناس أنه يتم التحرش بهم بالجاثوم بينما لا يحصل معهم هذا في الحقيقة، وهذا أكثر حدوثا في حالة النساء أكثر من الرجال، لأنهن مخلوعات الفؤاد أكثر وعرضة لتخيل الأمور الشاذة.

فيما يتعلق بهذا، «ويليام أوف باريس» يقول: كثير من الظهورات الخيالية تحدث للشخص الذي يعاني من الكآبة، خاصة النساء، كما يظهر في أحلامهن ورؤياهن. وسبب هذا، كما يعرف الأطباء، أن أرواح النساء هي بالطبيعة سريعة التأثر وحساسة أكثر من أرواح الرجال.

في بعض الأوقات تظن النساء أنهن أصبحن حوامل بسبب الجاثوم، وأن بطونهن أصبحت أكبر حجما، ولكن عندما يأتي وقت مخاض الولادة، يذهب هذا الانتفاخ بطرد كمية كبيرة من الهواء. لأنه بتناول بيضات النمل في الشراب، أو بذور القربيون أو الصنوبر الأسود، فإن انتفاخا شديدا يحدث في المعدة. ومن السهل جدًّا على الشيطان أن يعمل هذا وأكثر في معدة الإنسان. تم ذكر هذا حتى لا تصدّق النساء بسهولة في هذا الأمر، إلا اللاتي أظهرت التجربة صدقهن وموثوقيتهن، والذين يعلمون أن هذه الأشياء التي نتحدث عنها حقيقية هم الذين ينامون بجوارهن.



الفصل ٢. العلاجات الموصوفة لهؤلاء الذين تسبب لهم السحر بضعف القدرة الجنسية

رغم أن الساحرات النساء أكثر من الرجال بكثير، كما وضحنا في الجزء الأول من هذا العمل، إلا أن الرجال هم الذين يُسحرون أكثر من النساء. وسبب هذا هو في حقيقة أن الرب يسمح للشيطان بقدرة أكبر فيما يتعلق بالقدرة الجنسية التي جاءت بها الخطية الأصلية، أكثر من أي عمل بشري آخر. بنفس الطريقة، هو يسمح بمزيد من السحر أن يؤدّى باستخدام الثعابين، التي هي أكثر عرضة للسحر من الحيوانات الأخرى، لأن هذه كانت أول أداة للشيطان. والعملية الجنسية يمكن أن تُسحر بسهولة في الرجل أكثر من المرأة، كما وضحنا سابقا. لأن هناك خمسة طرق يمكن للشيطان أن يعوق بها عملية التكاثر، وهي تُطبق بسهولة أكثر على الرجال.

بأقصى ما يمكننا سنذكر العلاجات التي يمكن تطبيقها في كل نوع من أنواع الإعاقة، وسندع المسحور يعرف بنفسه إلى أي نوع من الأنواع ترجع حالته. لأن هناك خمسة أنواع، وفقًا لـ «بيرت أبالود» في كتابه الرابع، الفصل ٣٤، عن محاكمة هذا النوع من السحر.

بالنسبة للشيطان، كونه روحًا، فإن لديه بالطبيعة وبإذن الرب، قدرة على الجسم المخلوق، خاصة في إحداث أو منع حركة موضعية. لذلك هذه القدرة يمكنهم بها أن يمنعوا أجساد الرجال والنساء من أن تقترب من بعضها، وهذا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. مباشرة عندما يُبعدون أحدهم بعيدا عن الآخر ولا يسمحون له بالاقتراب من الآخر. وغير مباشرة، عندما يعملون تعطيلا معينا للإنجاب، أو عندما يدسون أنفسهم في جسد متخذ.

ثانيًا، الشيطان يمكنه أن يثير الرجل تجاه امرأة واحدة ويجعله عقيما ناحية امرأة أخرى، وهذا يمكن أن يسببه بوضع بعض الأعشاب أو المواد الأخرى التي يعرفها جيّدًا لأجل هذا الغرض.

ثالثًا، يمكنه أن يشوش على اقتراب الرجل من المرأة، حيث يجعل أحدهم مخفيا عن الآخر، لأنه، كما وضّحنا، يمكنه أن يؤثر على الخيال.

رابعًا، يمكنه أن يكبح اهتياج ذلك العضو والذي هو ضروري للإنجاب، تمامًا كما يمكنه أن يسلب من أي عضو قدرته على الحركة الموضعية.

خامسًا، يمكنه أن يمنع دفق المني إلى العضو المحرك، بإغلاق القناة المنوية حتى لا يصل المني إلى الأوعية التناسلية، أو لا يخرج منها مرة أخرى، أو لا يتحرك فيها، أو يخرج ويهدره عبثا.

ولكن إذا قال شخص: أنا لا أعلم بأي من هذه الطرق المختلفة تم سحري، كل ما أعرفه هو أنني لا أستطيع أن أعمل أي شيء مع زوجتي، يمكن الإجابة عليه بهذه الطريقة. إذا كان نشطًا وقابلًا لعمل هذا مع امرأة أخرى إلا زوجته، إذن فقد تم سحره بالطريقة الثانية، وإذا لم يجد أن زوجته منفرة ولكنه ما زال لا يقدر على عمل شيء معها، لكنه يقدر مع الأخريات، فإن هذا أيضًا سحر من النوع الثاني، ولكن إذا وجدها منفرة ولم يقدر على جماعها، إذن فهذا سحر بالطريقة الثانية والثالثة.

وإذا وجدها غير منفرة ورغب في أن يجامعها ولكن لم تكن له قوة في عضوه، إذن هي الطريقة الرابعة. ولكن إذا كانت هناك قوة في عضوه، ولكنه لا يستطيع أن يقذف منيه، إذن هي الطريقة الخامسة.

هل هؤلاء الذين في النعمة مثل الذين ليسوا في النعمة في قابليتهم للسحر بهذه الطرق، سنجيب بأنهم ليسوا متماثلين، إلا فيما يتعلق بالطريقة الرابعة، لأن إصابة كهذه يمكن أن تحدُث للذين في النعمة والاستقامة، ولكن القارئ ينبغي أن يفهم أنه في هذه الحالة نحن نتكلم عن عمل زوجي بين المتزوجين، لأنه في أي حالة أخرى فالكل متماثل في التعرض للسحر، لأن كل عمل جنسي خارج الزواج هو خطيئة مميتة، يعمله فقط الذين ليسوا في حالة النعمة.

ونحن نعلم بالطبع أن الرب يسمح للشيطان بأن يصيب الخاطئين أكثر من الصالحين. بالرغم من أن الرجل الأكثر صلاحا، أيوب، تم ضربه، إلا أن ذلك لم يكن في الناحية الجنسية. ويمكن أن يقال أنه، عندما يصاب المتزوجون بهذه الطريقة، لا بد أن الطرفين أو واحدا منهما ليس في حالة النعمة، وهذا الرأي مثبت في الكتب المقدسة بالسلطة وبالمنطق. لأن الملاك قال لـ «توبياس»: الشيطان له قدرة على أولئك الذين سلَّموا أنفسهم للشهوة، وأثبت هذا بذبح الأزواج السبعة لسارة.

«كاسيان» في كتاب **Collation of the Fathers**، يقتبس من القديس «أنتوني» في قوله أن الشيطان لا يمكن أن يدخل عقولنا أو أجسامنا إلا إذا سلبها أولًا من كل الأفكار المقدسة وجعلها خاوية من التفكر الروحي. هذه الكلمات لا ينبغي أن تنطبق على الإصابة الجسدية، لأنه عندما أصيب أيوب لم يكن خاليا من النعمة الإلهية. والمرض الجنسي الذي نتحدث عنه لا يحصل إلا بخطيئة الانقياد للشهوة الجنسية. لأنه، كما قلنا، الرب يسمح للشيطان بأذى أكبر على العملية الجنسية أكثر من أي فعل بشري آخر، بسبب البذاءة الطبيعية لهذا الفعل، وبسبب أنه حصل به توريث الخطيئة الأصلية إلى النسل كله، بالتالي عندما يجتمع اثنين في زواج ويتم سلب عون الرب منهما، فالرب يسمح بأن يتم سحرهما بشكل أساسي في وظائفهما الإنجابية.

ولكن إذا سأل أحدهم ما نوع هذه الخطايا، يمكن أن نقول، أنه وفقا للقديس «جيروم»، أنه حتى في حالة الزواج من الممكن أن تحدث خطيئة الانقياد للشهوة الجنسية بطرق عديدة. انظر النص: الذي يحب زوجته بشكل مفرط فهو زان. وهؤلاء الذين يحبون بهذه الطريقة عرضة أكثر لأن يُسحروا بالطريقة التي ذكرناها.

علاجات الكنيسة، هي نوعين، واحد قابل للتطبيق في محكمة عامة، والثاني في الاعتراف أمام الكاهن. بالنسبة للأول، عندما يُكشف بشكل علني أن العقم هو بسبب السحر، فلابد أن نحدد هل هو مؤقت أم دائم. إذا كان مؤقتا، فلا يُلغى عقد الزواج. ويعتبر العقم مؤقتا إذا حدث علاج في مدة قدرها ثلاثة سنوات باستخدام أي طريق ممكنة من الأسرار الكنسية والعلاجات. ولكن بعد هذه المدة، إذا لم يمكن علاجه بأي علاجات فيعتبر العقم دائمًا.

العجز الجنسي إذا حصل قبل عقد الزواج وقبل الدخول، ففي هذه الحالة هو يعترض سبيل العقد، وإذا حصل العجز الجنسي بعد عقد الزواج ولكن قبل الدخول، ففي هذه الحالة يُلغي العقد. لأن الرجال عادة ما يُسحرون بهذه الطريقة لأنهم أبعدوا عشيقاتهم السابقات، واللاتي- أملا في إتعاس زواجهم- يَسحرن الرجال فلا يقدرون على جماع أي امرأة أخرى. وفي هذه الحالة، وفقا لرأي الكثيرين، فالزواج الذي تم عقده يجب إلغاؤه، إلا، مثل سيدتنا المباركة والقديس «يوسف» حيث أرادا العيش معا في كبح نفس مقدس. هذا الرأي مدعوم بالشريعة حيث تقول، أن الزواج يتأكد بالفعل الجسدي بالدخول. والعقم قبل هذا الفعل الجسدي يفك ارتباط الزواج.

وإذا حصل العجز الجنسي بعد الدخول، عندها لا يُفك ارتباط النكاح. المزيد عن هذا يذكره العلماء، الذين في كتاباتهم العديدة تعاملوا مع التعطيل الجنسي الذي يحدث بسبب السحر، ولكن لأن أقوالهم لا تتعلق بدقة بموضوعنا، فسيتم التغاضي عن ذكرها.

لكن البعض يمكن أن يجد صعوبة في فهم كيفية أن هذه الوظيفة يمكن أن تتعطل تجاه امرأة معينة وليس امرأة أخرى. القديس «بونافينتورا» يجيب أن هذا يمكن أن يكون بسبب أن ساحرة ما أقنعت الشيطان أن يعمل هذا تجاه امرأة واحدة، أو بسبب أن الرب لا يسمح بالتعطيل أن يحدث تجاه امرأة معينة. حُكم الرب في هذا الأمر غامض، مثل حالة زوجة «توبياس». والقديس «بونافينتورا» يقول أن الشيطان يعطل الوظيفة الإنجابية، ولا يؤذي العضو داخليا، ولكن خارجيا بإعاقة استخدامه، وهذا عقم صناعي، ليس عقما طبيعيا، وبالتالي يمكن أن يعمله الشيطان تجاه امرأة معينة دون أخرى. أو هو يأخذ كل الرغبة من الرجل تجاه امرأة معينة، وهو يفعل ذلك بقدرته الشخصية، أو باستخدام بعض الأعشاب أو الأحجار أو بعض المخلوقات السحرية. وبهذا فهو في اتفاق جوهري مع «بيتر أبالود».

العلاج الكنسي في محكمة الرب مُبين في الشريعة حيث تقول: «**إذا سُحر الرجل في قدرته الجنسية، لا بد أن يهرع لعمل الاعتراف للرب ولكاهن الرب بكل الخطايا بفؤاد منسحق وروح متواضعة، وأن يُرضي الرب بدموع كثيرة وعطايا كبيرة وصلوات وصيام**»

من هذه الكلمات واضح أن هذه الإصابات هي فقط بسبب خطية ما، وتحدُث فقط لأولئك الذين لا يعيشون في حالة النعمة. ويتبع أن نقول أن قساوسة الكنيسة يعملون علاجا باستخدام طرد الأرواح الشريرة وبعلاجات أخرى تزودها الكنيسة. وبهذه الطريقة وبعون الرب، شَفا إبراهيم بصلواته أبيمالك وبيته.

وكاستنتاج يمكن أن نقول أن هناك خمسة علاجات يمكن أن تُطبق بشكل شرعي على هؤلاء المسحورين بهذه الطريقة، الحج لمزار مُوقر ومقدس، الاعتراف بالخطايا مع التوبة، الاستعمال الكثير لعلامة الصليب والصلوات الخاشعة، عملية طرد الأرواح الشريرة الشرعية باستخدام كلمات شعائرية، وأخيرا يمكن أن يحدث العلاج بالاقتراب من الساحرة بحكمة كما في حالة الكونت الذي ظل ثلاث سنوات غير قادر على جماع زوجته.



الفصل ٣. العلاجات الموصوفة للمسحورين بالحب الجامح أو الكره المفرط

مثل أن القدرة الجنسية يمكن أن تُسحر، كذلك الحب الجامح أو الكره يمكن أن يُزرع في العقل البشري بالسحر. أولًا سنتحدث عن سبب حدوث هذا ثم بأقصى ما يمكننا سنتحدث عن العلاجات.

الحب الجامح من شخص تجاه شخص آخر يمكن أن يحدث بثلاثة طرق. في بعض الأحيان يكون فقط بسبب فقد السيطرة على العيون، وبعض الأحيان يكون بسبب إغواء الشيطان، وبعض الأحيان يكون بسبب تعويذات مستحضري الأرواح والساحرات بمساعدة الشياطين.

الأول تحدث عنه القديس «جيمس»، كل إنسان يغوَى بشهوته الخاصة، يُسحب إليها ويُغرر به. وعندما تنخدع الشهوة، فهي تجلب الخطية، وعندما تكتمل الخطية، فهي تجلِب الموت، وبذلك، عندما شاهد «سيخام» «ديانا» خارجة لترى بنات الأرض، أحبها، وفتنها، واستلقى معها، ووجدت روحه طريقها إلى روحها (سفر التكوين الرابع والثلاثين). وهنا يقول المفسرون أن هذا حدث لروحها الضعيفة لأنها تركت شؤونها لتسأل عن شؤون الآخرين، وروح كهذه يغويها الشيطان بسهولة، ويقودها للقبول بالممارسات غير الشرعية.

السبب الثاني يأتي من إغواء الشياطين، بهذه الطريقة أحب «أمنون» أخته الجميلة «تامار» وكان متكدرا لأنه يشعر بهذا الحب المريض لها. (سفر صموئيل الثاني ١٣). فهو لم يَخرَب عقله تمامًا ويسقط في زنا المحارم إلا إذا كان قد أُغوي بشكل خطِر من قبل الشيطان. وكتاب الآباء المقدسين يشير إلى هذا النوع من الحب، عندما يقول أنهم حتى بداخل صوامعهم يكونون معرضين للإغواءات من كل نوع، ومن ضمنها الإغواءات الجسدية، لأن بعضهم في بعض الأحيان يغوَى بحب

النساء أكثر مما يمكن أن يصدّق. القديس «بولس» في رسالة كورونثوس الثانية ١٢ يقول: «**ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات، أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني، لئلا أرتفع**» والتفسير يذكر أنه يعني إغواء الشهوة.

وقيل أنه عندما لا يسقط الإنسان في الإغواء فهو لا يعمل الخطية، وهذا تدريب على الاستقامة.

بالنسبة للسبب الثالث الذي يحصل به الحب الجامح هو عن طريق الشيطان وأعمال الساحرات، إمكانية هذا النوع من السحر قد تحدثنا عنها بشكل شامل في أسئلة الجزء الأول، عن إذا كانت الشياطين خلال توكيل الساحرات يمكنهم أن يحولوا عقل الإنسان إلى الحب الجامح أو الكره، وتم إثبات هذا بأمثلة من واقع تجربتنا. وطبعا هذا هو النوع الأشهر والأكثر شعبية بين أنواع السحر.

ولكن ينبغي أن يُسأل السؤال التالي، «بيتر» مثلا تمت محاصرته بحب جامح مثل هذا، لكنه لا يعلم إن كان هذا بالسبب الأول أم الثاني أم الثالث. سنجيب أنه، من عمَل الشيطان أن يثير الكراهية بين المتزوجين حتى يُسبب خطيئة الزنا. ولكن عندما يكون الإنسان مقيدا بشدة إلى رغباته الجسدية وشهوته حتى لا يمكن أن نجعله يكف عنها بأي تذكير بعار أو كلمات أو مصائب أو تأثيرات، وعندما يزيح الرجل زوجته الجميلة جانبا ويتعلق بامرأة شائنة، وعندما لا يقدر أن يرتاح في الليل، وتجتاحه رغبة مجنونة في أنه يجب أن يذهب بطرق مراوغة إلى عشيقته، وعندما نجد أن أولئك الذين من الأرحام الأنبل، كالحكام والأغنياء، هم الأكثر وقوعا بتعاسة في هذه الخطية (لأن هذا العصر تسيطر عليه النساء، وقد تنبأ بهذا القديس «هيلديجارد» كما سجل «فينسينت أوف بياوفايس» في كتاب **Mirror of History**) وعندما لا يكون العالم مليء بالزنا، خاصة بين أولئك الذين من الطبقات العالية، عندما نضع كل هذا في الاعتبار، أنا أقول، ما الحاجة في أن نتحدث عن العلاجات لأولئك الذين لا يرغبون في العلاج؟ ومع ذلك، لأجل إرضاء القارئ المتدين، سنذكر باختصار بعض العلاجات للحب الجامح عندما لا يكون سببه السحر.

ابن سينا يذكر سبعة علاجات يمكن أن تُستخدم عندما يكون الشخص مريضا بهذا النوع من الحب، ولكنها غير متعلقة بسؤالنا إلا في أنها تعالج مرض الروح.

يقول ﬷ الكتاب الثالث، جذر المرض يمكن أن يُكتشف بالشعور بالنبض أثناء التلفظ باسم المحبوب، عندها، إذا سمح الشرع، يمكن أن يُشفى المُحب بالخضوع للمحبوب. أو يمكن أن يتحول عن حبه هذا بالعلاجات المشروعة التي ستوجه حبه هذا إلى شيء آخر يستحقه أكثر. أو يمكن أن يتجنب حضور العشيقة، وبالتالي يصرف انتباه عقله عنها. أو يكون منفتحا للتصحيح، فيمكن أن يُنصح ويُعنّف بأن هذا الحب هو المعاناة الأعظم. أو يمكن أن نحوله إلى شخص يستطيع أن يذُم أساسات حبيبته هذه، وبالتالي يُسوِّد شخصيتها فتظهر له عادية ومشوهة، ويمكن أن يُعطَى مهام شاقة ومجهدة تصرف أفكاره عنها.

هذا يمكن أن يكون مفيدا ﬷ إصلاح روحه الداخلية. دع الإنسان يطيع قانون فكره بدلا من قانون طبيعته، دعه يحول حبه إلى المُتع الآمنة، دعه يتذكر كيف أن بزوغ الشهوة خاطف وأن العقاب أبدي، دعه يبحث عن المتعة ﬷ الحياة حيث تكون السعادة بلا نهاية، دعه يضع ﬷ اعتباره أنه إذا تعلق بهذا الحب الأرضي، سيكون جزاءه أن يخسر بركة الجنة، ويُحكم عليه بالنار الأبدية، انظر الخسائر التي يتعذر إصلاحها التي تنتج من الشهوة الجامحة.

بالنسبة للحب الجامح الذي يحدث بسبب السحر، فالعلاجات المذكورة ﬷ الفصل السابق يمكن ألا تكون مناسبة هنا، خاصة طرد الأرواح الشريرة باستخدام الكلمات الشعائرية. لكن لندعه يبتهل يوميا للملاك الحارس المنتدب إليه من عند الرب، ولندعه يستخدم سر الاعتراف ويزور مقامات القديسين وأضرحتهم، خاصة العذراء المباركة، وبلا شك سيتم تحريره.

ولكن كم هو خسيس هذا الرجل القوي الذي ينبذ الهبات الطبيعية ودرع الفضيلة الفطري ويكف عن الدفاع به عن نفسه، رغم أن الفتيات أنفسهن بهشاشتهن البالغة قد يستخدمن هذا السلاح لصد هذا النوع من السحر. سنعطي واحدا من عدة أمثلة ﬷ مدحهن.

كانت هناك قرية قرب «ليندراو» ﬷ أبرشية «كونستانس»، وهناك خادمة فيها عملت السلوك الأكثر رقيا، رأت رجلا ذو مبادئ ضائعة، رجل دين ﬷ الحقيقة، لكنه ليس قسيسا، سُحر بوخزات عنيفة من حبها. وأصبح غير قادر أن يكتم جراح قلبه لوقت أطول، فذهب إلى المكان الذي تعمل فيه، وبكلمات معسولة تبين أنه واقع

في شبكة الشيطان، بدأ بالكلمات الجريئة فقط حتى يقنع الفتاة بأن تعطيه حبها. وهي عرفت بغريزتها غرضه، ولأنها عفيفة العقل والجسد، أجابت باختصار: سيدي، لا تأت إلى بيتي بكلمات مثل هذه لأن الحياء نفسه يمنع ذكرها. فرد عليها: رغم أنك لن تقتنعي بالكلمات اللطيفة أن تحبيني، إلا أنني أعدك أنك ستصبحين مُجبرة أن تحبيني بما سأعمله لك.

كان الرجل مشتبه فيه أنه ساحر أو مشعوذ. والخادمة اعتبرت أن كلماته هذه كالهواء الفارغ، ولم تكن تشعر نحوه بأي غريزة جسدية، ولكن بعد وقت قصير بدأت تأتيها أفكار غرامية ناحيته. ولقد فهمت على الفور وألهمها الرب أن هذا سحر، فبحثت عن حماية أم الرحمة العذراء، وناشدتها بخشوع أن تتوسط لها عند ابنها حتى يساعدها. وفي وسط قلقها، ذهبت في حج إلى أحد الأديرة، حيث كانت هناك كنيسة مكرسة لأم الرب. وهناك اعترفت بخطاياها حتى لا تدخل فيها أي روح شريرة، وبعد صلواتها لأم الرحمة، كل مكائد الشيطان التي تهددها قد توقفت، ومنذ ذلك الحين لم تأت هذه الشرور إلى ناحيتها.

رغم هذا لا زال هناك رجال أقوياء يتم إغواؤهم بشدة بواسطة الساحرات إلى هذا النوع من الحب، حتى يبدو أنهم لا يستطيعون منع أنفسهم من الشهوة الجامحة ناحيتهن، إلا أنهم ببسالة يقاومون الإغواء بهذه الغوايات القذرة، وبالدفاعات التي ذكرناها يتمكنون من تجاوز كل حيل الشيطان.

كان هناك رجل غني في قرية «إنسبروك» ضجر من الساحرات بشكل لا يستطيع القلم وصفه، لكنه حافظ على قلب شجاع، وهرب باستخدام العلاجات التي ذكرناها. وبالتالي يمكن أن نستنتج أن هذه العلاجات ناجحة ضد هذا المرض، وأن الذين يستخدمون هذه الأسلحة سيتحررون بشكل مؤكد.

ولابد أن نفهم أن ما ذكرناه بخصوص الحب الجامح ينطبق أيضًا على الكره المفرط، لأن نفس الأسلوب نافع في كلا الاتجاهين، ورغم أن درجة السحر واحدة في الاتجاهين، إلا أن هناك اختلافا في حالة الكره، في أن الشخص الكاره لا بد أن يبحث عن علاج أكبر. لأن الرجل الذي يكره زوجته ويخرجها من قلبه، لن يعود بسهولة إليها خاصة لو كان زانيا، حتى لو ذهب إلى الحج كثيرا.

لقد تعلمنا من الساحرات أنهن يعملن تعاويذ الكراهية عن طريق الثعابين، لأن الثعبان كان أول أداة للشر، وبسبب لعنته ورّث كُره النساء، وبالتالي هن يعملن هذه التعويذات بوضع جلد رأس الثعبان تحت عتبة باب الغرفة أو باب البيت. لهذا السبب كل زوايا وأركان البيت التي تعيش فيه أمثال هؤلاء النسوة لا بد أن تفتش جيدًا ويعاد بناء أو ترميم البيت بأقصى ما يستطيع المرء، أو يغير البيت كله إلى مكان سكن آخر.

وعندما يقال أن الرجال المسحورون يمكن أن يَطردوا الأرواح الشريرة من أنفسهم بأنفسهم، فلابد أن نفهم أنهم يرتدون حول أعناقهم قلادات عليها الكلمات المقدسة أو عليها تبريكات الكهنة ضد التعاويذ، هذا إذا لم يكونوا قادرين على النطق بالتبريكات، ولكن سنوضح لاحقا كيف يمكن لهذا أن يعمل.



الفصل ٤. العلاجات الموصوفة لأولئك الذين فقدوا أعضاءهم الذكرية باستخدام الشعوذة أو تحولوا إلى أشكال حيوانات

مما سبق أن كتبناه، تتضح العلاجات المتوفرة لتخليص أولئك المخدوعين بالوهم، الذين ظنوا أنهم قد فقدوا عضوهم الذكري، أو أنهم قد تحولوا إلى حيوانات. لأنه بما أن هؤلاء الرجال انعدمت منهم النعمة الإلهية وفقا للحالة الأساسية للمسحورين، فلا يمكن أن نعمل علاجا بينما السلاح الإيماني نفسه فيهم لا يزال مجروحًا. بالتالي قبل كل الأشياء لا بد أن يتصالحوا مع الرب بالاعتراف الجيد. وأيضًا، كما وضحنا في الفصل السابع من السؤال الأول في الجزء الثاني، هذه الأعضاء الذكرية لم تؤخذ بشكل حقيقي من الجسد، ولكنها أخفيت بالوهم من حاسة البصر وحاسة اللمس. وواضح أيضًا، أن هؤلاء الذين يعيشون في النعمة لا ينخدعون بسهولة بهذا السحر الذي يُفقد فيه العضو الذكري. بالنسبة للعلاج والمرض فقد تم شرحهم في ذلك الفصل، وقلنا أنه يجب بقدر ما يمكن أن يحدث تصالح ودي مع الساحرة نفسها.

بالنسبة لهؤلاء الذين يظنون أنهم قد تحولوا إلى حيوانات، لا بد أن نعلم أن هذا النوع من السحر يمارَس أكثر في البلدان الشرقية عن الغربية، فساحرات الشرق غالبا ما يسحرن الناس بهذه الطريقة، ولكن يظهر أن الساحرات أصبحن الآن يحولن أنفسهن بالكامل إلى أشكال حيوانات، كما قلنا في الفصل الثامن. بالتالي في حالتهن هذه فالعلاج المستخدم سيتم ذكره في الجزء الثالث من هذا العمل، عندما نتحدث عن إبادة الساحرات بقوة القانون المدني.

لقد تعلمنا كثيرًا عن هذا الأمر من فرسان تنظيم القديس «جون» من القُدس في «رودس»، وخاصة من هذه الحالة التي حدثت في مدينة «سالاميس» في مملكة

قبرص في الميناء، حيث كانت هناك حمولة محملة بالضائع ومجهزة لأجل سفينة، وكان كل ركابها يُزودون أنفسهم بالمؤن، واحد منهم، شاب قوي، ذهب إلى بيت امرأة خارج المدينة على الشاطئ، وسألها إن كان عندها أي بيض لتبيعه. والمرأة لما رأت أنه شاب قوي، وأنه تاجر بعيد عن دولته، فكرت في أن الناس في المدينة لن يشعروا بالشك إذا اختفى، فقالت له «انتظر قليلًا، سآتيك بما تطلبه».

وعندما ذهبت وأغلقت الباب وتركته ينتظر، ناداها الشاب لتستعجل وإلا سيفوت السفينة. ثم أحضرت المرأة بعض البيض وأعطته للشاب، وأخبرته أن يهرع إلى السفينة حتى لا تفوته. فتعجل عائدًا إلى السفينة التي كانت لا تزال ترسو على الشاطئ، وقبل أن تتحرك، وبسبب أن رفقائه لم يعودوا كلهم، قرر أن يأكل من البيض ليسلي نفسه.

وفجأة، بعد ساعة، أصبح أبكما كأنه لم تكن عنده القدرة على الكلام من قبل، وتساءل ما الذي من الممكن أنه حصل له، ولم يستطع أن يعرف. وعندما أراد أن يصعد إلى السفينة، أبعده الناس الذين كانوا على الشاطئ بالعصا وتصايحوا «انظروا ما الذي يفعله هذا الحمار! اللعنة على الحيوان، أنت لن تدخل للسفينة» فتم إبعاد الشاب بعيدًا، وفهم من كلماتهم أنهم يظنون أنه حمار، وهنا بدأ يدرك أنه ربما قد تم سحره بواسطة تلك المرأة، خاصة أنه لا يستطع التلفظ بأي كلمة، رغم أنه يسمع ويفهم ما يقال. وعندما حاول مرة أخرى أن يصعد إلى السفينة، تم طرده بضربات أقوى، فشعر بمرارة في قلبه وأجبر على أن يقف وينظر إلى السفينة وهي تبحر بعيدا. وبهذا، كلما ذهب هنا أو هناك، ظن الناس أنه حمار، وكانوا يعاملونه على أنه حمار. وفي النهاية، رجع مجبرا إلى بيت المرأة، وحتى يُبقي نفسه حيا، خدمها لمدة ثلاث سنوات، حيث كان يجلب للبيت الضروريات من الخشب والذرة، وكان يحمل ما يجب عليه أن يحمله كالحمار التعيس، عزاؤه الوحيد أنه رغم أن كل أحد كان يظنه حمارا، فالساحرات المترددات على المنزل كن يرينه رجلا، وكان يقدر أن يتكلم ويتعامل معهن على أنه رجل.

وإذا سأل أحدهم كيف لهذا الحمل الثقيل أن يوضع عليه كما لو كان حيوانا حقا، سنقول أن هذه الحالة تماثل تلك التي تحدث عنها القديس «أوجستين» في كتابه **De Ciuitate Dei**، الكتاب الثامن عشر، الفصل ١٧، عندما حكى عن

امرأة الحانة التي حولت زبائنها لحيوانات يحملون أثقالا، وتلك الحكاية عن الأب «برايستانتيوس» الذي ظن أنه حصان يحمل الذُرة مع الحيوانات الأخرى، لأن الوهم التي تم عمله في هذه الحالات هو ثلاثي.

أولًا بالتأثير على الأشخاص الذين رأوا الشاب على أنه حمار، وقد شرحنا في الفصل الثامن كيف للشياطين أن تعمل هذا بسهولة. ثانيًا، تلك الأحمال لم تكن وهما، ولكن عندما تكون أثقل من احتمال الشاب، فإن شيطانا خفيا يأتي ويحملها. ثالثًا، الشاب نفسه داخل خياله اعتبر أن حواسه التي كان يعرفها على أنها حواس وأعضاء إنسان، أصبح يراها ويشعر بها على أنها حواس وأعضاء حمار، ونبوخذ نصر أعطي مثالًا على نفس هذا الوهم.

ثلاثة سنوات مرت على هذا الحال، وفي السنة الرابعة حدث أن الشاب ذهب ذات صباح إلى المدينة، مع المرأة يتبعها في طريق طويلة، ومر على كنيسة حيث كانوا يحتفلون بالقداس الإلهي، وسمع الأجراس المقدسة تدق لصعود الجسد المقدس (لأنه في تلك المملكة، كان القداس الإلهي يُحتفل به وفقا للاتينيين، وليس وفقا للطقوس اليونانية). فتوجه إلى الكنيسة، وكان خائفا من أن يدخل حتى لا يُضرب بالعصا، فنظر إلى الأعلى إلى ارتفاع الجسد المقدس.

وعندما رأى بعض التجار من «جَنوا» هذه المعجزة، تبعوا الحمار بدهشة، وكانوا يتناقشون في هذه المعجزة، وفجأة، أتت الساحرة وهاجمت الحمار بعصاها. وبسبب أن هذا النوع من السحر كان معلوما في تلك الأنحاء، منعها التجار وبلغوا عنها، وفي اللحظة التي جُمع فيها التجار والساحرة والحمار أمام القاضي، وبعد أن تم تعذيبها وسؤالها، اعترفت بجريمتها ووعدت بأن تُعيد الشاب إلى شكله الحقيقي إذا سُمح لها بأن تعود إلى بيتها. وبالتالي تم السماح لها أن تذهب إلى بيتها، وبذلك استعاد الشاب شكله الأول، وبعد القبض عليها، دفعت الثمن الذي تستحقه. وعاد الشاب فرحا إلى دولته.



الفصل ٥. العلاجات الموصوفة لهؤلاء الملبوسين بالشيطان بسبب تعويذة ما

لقد وضحنا في الفصل العاشر من السؤال السابق أنه في بعض الأحيان، تتلبس الشياطين من خلال السحر بشخص معين، لماذا يفعلون هذا؟ بسبب جريمة خطيرة عملها هذا الشخص، أو لأجل خطيئة صغيرة لشخص آخر، أو لخطيئة عرضية للشخص نفسه،أو لخطيئة ثقيلة لشخص آخر. لأي من هذه الأسباب تكون درجات تلبس الشيطان.

واضح أيضًا من التفاصيل المذكورة في ذلك الفصل ما هي العلاجات التي يمكن أن يتحرر بها الشخص، تحديدا، بعملية طرد الأرواح الشريرة من الكنيسة، وبالتوبة الحقيقية وبالاعتراف، ولكن هناك ثلاثة علاجات أخرى، العشاء الإلهي بالأفخارستيا، وزيارة الأضرحة وصلوات المقدسين، ورفع حُكم الحظر الكنسي. وعن هذا سنتحدث، بالرغم من أنه تم توضيحهم في محاضرات العلماء، لكن ليس كل أحد يمكنه الوصول إلى كل الكتب الضرورية.

«كاسيان» في كتاب **Collation o the Aboots**، تحدث بهذه الكلمات عن الأفخارستيا: نحن لا نتذكر أن «أجدادنا منعوا العشاء الإلهي لأولئك الملبوسين بالشيطان، بل يجب أن يتم إعطاؤهم إياه في كل يوم ممكن. لأنه يجب أن نُصدق بالفضل العظيم الذي في التطهير والحماية التي يحصلون عليها بسبب هذا السر للجسم والروح. وأنه عندما يستلمه الإنسان، فالروح الشريرة التي تصيب أعضاؤه أو تختبئ فيها، تُطرد بعيدا وكأنها أصابتها نار. ومؤخرًا رأينا رئيس الدير «أندرونيكوس» يُشفى بهذه الطريقة، والشيطان سيغتاظ بجنون وضراوة عندما يشعر أنه محبوس بدواء من الجنة، وسيحاول بشكل أصعب أن يعذب هذا الإنسان، لأنه سيشعر أنه مُبعد بسبب هذا العلاج الروحي، هكذا يقول القديس «جون كاسيان».

ويضيف أيضًا: شيئان ينبغي أن يتم تصديقهما بيقين. أولًا، أنه بدون إذن الرب لا أحد يمكن أن يُلبس بهذه الأرواح الشريرة. ثانيًا، أن كل شيء يسمح به الرب ليحدث لنا، مهما ظهر أنه ضراء أو سراء، فهو مرسل لأجل مصلحتنا من أب مشفق وطبيب رحيم، ووفقًا للقديس بولس هؤلاء يتم تسليمهم إلى «ساتان» «لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع». (كورونثوس الأولى ٥)

لكن هنا يظهر شك، القديس «بولس» يقول «**ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس**» فكيف يمكن للشخص الملبوس أن يتناول العشاء الإلهي، وهو ليس مالكا لعقله؟ القديس «توماس» يجيب على هذا في الجزء الثالث السؤال ٨٠، يقول أن هناك درجات مختلفة للجنون. لأنه عندما نقول أن الإنسان ليس مالكًا لعقله فإن هذا يمكن أن يعني معنيين. الأول أن لديه بعض القوة الضعيفة على عقله، كما يقال على الإنسان أنه أعمى بينما هو في الحقيقة يَرى لكن بشكل غير كامل. وهؤلاء الأشخاص يمكن إلى حد ما أن يدخلوا في هذا السر المقدس، ولا يجب أن يُمنعوا منه.

ولكن الآخرين الذين يقال أنهم مجانين لأنهم ولدوا هكذا، فلا يمكن أن يشاركوا في السر المقدس، لأنهم غير قادرين على المشاركة في التحضير له بإخلاص.

أو ربما هؤلاء لا يكونون دائمًا بلا عقل، بالتالي، في الوقت الذي يكونون فيه عقلاء وقادرين على تقدير السر المقدس، فيجب أن يقدم لهم السر لكن فقط عندما يكونون في لحظة الموت، إلا إذا كان هناك خوف من أن يتقيؤه.

تم تسجيل القرار التالي بواسطة مجلس قرطاج، عندما يرغب شخص مريض في الاعتراف، لكنه عند الوصول إلى الكاهن يصبح أبكما بسبب عجزه، أو يدخل في نوبة جنون، فعلى الذين سمعوه يتحدث أن يُدلوا بشهادتهم. ثم إذا أتى وقت موته، فلابد أن يتصالح مع الرب بالاستلقاء على يديه ويضع السر المقدس في فمه. القديس «توماس» يقول أيضًا أن نفس الطريقة يمكن أن تُستخدم للأشخاص المُعمّدين الذين تم تعذيبهم بالأرواح النجسة، ومع الأشخاص المصابين بالذهول العقلي. وأضاف أن التناول لا يجب أن يُرفض للملبوسين إلا إذا كان من المؤكد أنه يتم تعذيبهم بواسطة الشيطان بسبب جريمة. لهذا يقول «بيتر أبالود»: في هذه الحالة يُعتبر هؤلاء أشخاصا لا بد أن يُحظروا ويتم تسليمهم إلى «ساتان».

من هذا يتضح أنه، حتى لو كان الإنسان ملبوسا بالشيطان بسبب جرائمه، إلا أنه إذا كانت له لحظات يصفو فيها، ويكون قادرا على استخدام عقله، فيجب أن يندم ويعترف بخطاياه، لأنه معفو عنه في نظر الرب، ولابد ألا يحرَم من العشاء الإلهي والسر المقدس للأفخارستيا.

كيف لهؤلاء الملبوسين أن يتحرروا بشفاعة وصلوات القديسين؟ هذا يمكن أن نجده في كتاب **Legends of the Saints**. لأنه بكرامات القديسين «مارتيرز»، «كونفيسورز» و«فيرجينز» تَخفُت الأرواح الشريرة بصلواتهم في الأرض التي يعيشون فيها، كما أن هؤلاء القديسين في جولاتهم الأرضية يكبحون الشياطين أينما ذهبوا.

وبالمثل نقرأ أن الصلوات المخلصة لأبناء السبيل قد حررت الملبوسين. و«كاسيان» يحضُّهم على أن يُصلوا لهم بقوله: إذا آمنا أن كل شيء مرسل من الرب لأجل مصلحة أرواحنا ولأجل صالح الكون، فلن نحتقر أولئك الملبوسين أبدًا، ولكن بدلًا من ذلك سنصلي لهم باستمرار كما نصلي لأنفسنا، وسنشفق عليهم من كل قلبنا.

بالنسبة للطريقة الأخيرة، أن يتحرر المصاب من الحظر الكنسي، لا بد أن نعلم أن هذا نادر، ويمارس بشكل شرعي ممن لديهم السلطة وموحى لهم بالكشف أن الرجل تم التلبس به بسبب حظر الكنيسة، مثل حالة الفاسق الكورونثي (رسالة كورونثوس الأولى ٥) الذي تم حظره بواسطة القديس ««بولس» والكنيسة، وتم تسليمه لـ «ساتان» «**لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع**»، وكما يقول التفسير، يحدث هذا إما لأجل نور النعمة بالتوبة أو لأجل الحكم.

«**الذين منهم هيمينايوس والإسكندر الذين أسلمتهما للشيطان لكي يؤدبا حتى لا يجدفا**» (رسالة تيموثاوس الأولى ١). إن قوة ونعمة القديس «بولس» كانت عظيمة جدًّا، يقول المفسرون، فبمجرد الكلمات التي يتلفظها من فمه كان يمكنه أن يُسلم للشيطان هؤلاء الذين سقطوا من الإيمان.

القديس «توماس» يعلمنا تأثيرات الحظر الكنسي كالتالي، إذا حُرِم رجل من صلوات الكنيسة، فهو يعاني من خسارة المنافع التي يأخذها الشخص العادي من الكنيسة.

وهؤلاء الذين حُرموا منها فقدوا مصدرا يتدفق منه فيض النعمة لهؤلاء الذين يملكون النعمة، كما أنه وسيلة للحصول على النعمة لهؤلاء الذين لا يملكون النعمة، وكونهم محرومون من النعمة، فهم فقدوا القدرة على الحفاظ على استقامتهم، ولكن يجب ألا نظن أنهم مُبعدون عن عناية ربهم بالكامل، لكنهم فقط مُبعدون عن العناية الخاصة التي يعتني بها الرب بأبناء الكنيسة، وفقدوا مصدرًا قويا أيضًا للحماية ضد العدو، حيث تكون للشيطان قوة أكبر لإيذاء أمثال هؤلاء، جسديًا وروحيًا.

لأنه في الكنيسة القديمة، عندما كان الرجال يؤمنون بسبب العلامات، مثل عند ظهور الروح القدس بشكل مرئي، فكذلك التأثير الجسدي للشيطان هو العلامة المرئية بأن هذا الإنسان تم حظره. وليس ملائما أن الشخص الذي لا تكون حالته ميئوس منها بعد، أن يتم تسليمه إلى «ساتان»، لأنه لا يُسلم أحد إلى الشيطان لأجل أن يُلعن، ولكن لأجل أن يُصحح، لأنه في قدرة الكنيسة إذا أرادت، أن تحرره مرة أخرى من يد الشيطان. هكذا يقول القديس «توماس». بالتالي رفع الحظر عندما يؤدّي بواسطة طارد أرواح شريرة حكيم، فهو علاج ملائم لهؤلاء الملبوسين.

ولكن «نيدار» يضيف أن طارد الأرواح الشريرة لا بد أن يكون حذرا في استخدام سلطاته، وحذرا أن يمزج أي فُحش أو تهريج مع هذا العمل الجاد الرباني، أو أن يضيف إليه أي شيء من صفات السحر والماورائيات، وإلا لن يهرب من العقاب، وسنوضح هذا بمثال.

«جريجوري المبارك»، في كتابه **First Dialogue**، يخبر أن هناك امرأة معينة، ضد رغبتها، خضعت لطلبات زوجها بأن تشارك في الاحتفال بعشية العيد في كنيسة القديس «سيباستيان». ولأنها انضمت إلى موكب الكنيسة ضد رغبتها، أصبحت ملبوسة فجأة وثارت بشكل علني. وعندما رأى كهنة الكنيسة هذا، أخذوا قماشة من المذبح وغطوها بها، وفجأة دخل الشيطان في الكاهن. لأنه افترض أنه يتجاوز قدرات الشيطان، فعذبه الشيطان ليريه من هو، هكذا يقول القديس «جريجوري».

ولا يجب أن يُسمح بدخول أي نوع من السفاهة في العملية المقدسة لطرد الأرواح الشريرة، يخبر «نيدار» أنه رأى في دير في «كولون» أحد الإخوة بدأ يتحدث بتهريج، وكان الأخ هو طارد أرواح شريرة شهير. وكان يُخرج شيطانا من شخص ملبوس في

الدير، وترجاه الشيطان أن يعطيه مكانا ليذهب إليه. فقال الأخ بمزح «اذهب إلى مرحاضي». فخرج الشيطان، وفي الليل أراد الأخ أن يذهب لإفراغ مثانته، فهاجمه الشيطان بوحشية في المرحاض حتى أنه هرب بصعوبة من الموت.

ولا بد من أخذ الحذر من أن يذهب هؤلاء الملبوسين بالسحر إلى الساحرات لعلاجهم، لأن القديس «جريجوري» يذكر شيئًا عن المرأة التي حكينا قصتها أعلاه: قال أن أقرباؤها ومحبيها أخذوها إلى أحد الساحرات لعلاجها، حيث أخذت إلى نهر وغطسوها فيه بتعويذات عديدة، وبسبب هذا أخذت ترتجف بعنف، وبدلا من أن يخرج منها شيطان واحد، فإن جماعة من الشياطين دخلوا فيها، وبدأت بالصياح بكل أصوات هؤلاء الشياطين. وأقرباءها اعترفوا بما فعلوا، وبندم شديد ذهبوا بها إلى الأسقف المقدس «فورتوناتوس» والذي بالصلوات اليومية والصيام استعاد لها صحتها.

فطاردِوا الأرواح الشريرة لا بد أن يحذروا ألا يستخدموا أي شيء فيه نكهة الماورائية أو السحر، وربما يكون لديهم شك إن كان من الشرعي أن يستخدموا بعض الأعشاب غير المكرسة والأحجار. ونجيبهم ونقول أن من الأفضل جدًّا أن تكون الأعشاب مكرسة، ولكن إن لم تكن، فليس من الماورائية أو السحر أن تستخدم عشبة معينة اسمها **Demonifuge**. ولكن لا بد ألا تظن أن الشياطين تخرج بقوة هذه الأشياء، لأنك عندها ستقع في ضلالة الظن بأنه يمكن أن تستخدم أعشابا أخرى وتعويذات بنفس الطريقة، وهذا هو خطأ مستحضري الأرواح، الذين يظنون أنه يمكنهم عمل هذا النوع من الأعمال باستخدام القوى الغامضة لهذه الأشياء.

بالتالي يقول القديس «توماس» في الكتاب الرابع الفصل السابع، في آخر مقال، يجب ألا تتأثروا بالابتهالات من أي نوع سحري، فالبعض يعملون عهدا مع الساحرات. عن هذا يتحدث «إيزياس»: لقد عملنا عهدا مع الموت، وبالجحيم اتفقنا، ومن ثم يفسر المقطع في سفر أيوب الحادي والأربعون: «أتصطاد لوياثان بشص، أو تضغط لسانه بحبل؟» فيقول، إذا أخذ المرء في اعتباره جميع ما قلناه من قبل، فعندما يحاول أي حد أمامه أن يعمل عهدا مع الشيطان، أو أن يُخضعه بأي طريقة إلى رغباته. فسيعلم أنها هرطوقيات مستحضري أرواح.

وبمعرفة أنه لا يوجد شخص يقدر أن يتجاوز قدرة الشيطان، نجده يقول رغم ذلك: ضع يدك فوقه، ولكن افهم أنه إن كانت له أي قوة، فإن القوة الإلهية هي التي تغلب عليها. وتذكر المعركة التي أثرتها ضده، قل سأقاتله على الصليب، حيث سيُهزم لوياثان بحبل، حيث تكون القدرة الإلهية مخفية وراء القوة البشرية، تذكر أنه يظن أن مخلصنا هو مجرد رجل. وبالنسبة لآية «ليس له على الأرض مثيل»، فهي تعني أنه لا توجد قوة جسدية يمكن أن تقارن بقوة الشيطان، لأنه قوة روحية صافية، هكذا قول القديس «توماس».

ولكن الشخص الملبوس بالشيطان يمكن أن يتحرر بشكل غير مباشر بقوة الموسيقى، كما حدث لشاول بقيثارة داوود، أو أن يتحرر بواسطة عشب، أو بأي جسم مادي توجد فيه فضيلة طبيعية ما، بالتالي هذه العلاجات يمكن أن تستخدم بشكل فعال. لأن القديس توماس يقول أن الأحجار والأعشاب يمكن أن تُستخدم لتحرير الشخص الملبوس بالشيطان. وهناك أيضًا كلمات القديس «جيروم».

وبالنسبة للمقطع في سفر طوبيا، حيث يقول الملاك: خذ القلب والكبد من السمكة، فإذا تلبس الشيطان بأحد، احرق الكبد أمام الرجل أو المرأة الملبوسين، وسيتكدر الشيطان المتلبس بهما أكثر. القديس «توماس» يقول، يجب ألا نتعجب من هذا، لأن تدخين بعض النباتات عندما تُحرق تكون له نفس القوة، كما لو أنها في داخلها تمتلك حاسة روحية، أو أن فيها قوة الصلوات الروحية.

على نفس الرأي «ألبيرت» المبارك، في تعليقه على لوقا التاسع، و«نيكولاس أوف لايرا» و«بول أوف بورجوس» على صمويل السادس عشر. حيث يقول الأخير: أنه لا بد أن يُسمح لهؤلاء الملبوسين بالشيطان ليس فقط بأن تتم تهدئتهم، بل أن يتحرروا كليا بواسطة الأشياء المادية، وهي مفيدة في حالة أنه لم يتحرش بهم الشيطان بشكل عنيف جدًّا.

ويثبت هذا بالمنطق كالتالي: الشياطين لا يمكن أن تغير في المادة الجسدية بمجرد رغبتهم في ذلك، ولكنهم يجمعون ويكملون العوامل الخاملة مع النشطة، كما يقول «نيكولاس» بنفس الطريقة يمكن لجسم مادي أن يتسبب للجسم البشري بتأثير ما يجعله قابلا لعمليات الشيطان. كمثال، وفقا للأطباء، الجنون يجعل

الشخص عرضة للتلبس الشيطاني، بالتالي إذا أزيل العامل الخامل، سينتج عن هذا أن التأثير النشط للشيطان يكون قابلا للعلاج.

في ضوء هذا يمكن أن نعتبر كبد السمكة، وموسيقى داوود التي ارتاح بها شاول ثم تحرر بها تمامًا من الروح الشيطانية، هي أشياء مادية نافعة، لأنه يقول: ورحلت عنه الروح الشيطانية. ولا ينسجم مع معنى الكتب المقدسة أن نقول أن هذا حدث بكرامات وصلوات داوود. لأن الكتب المقدسة لا تقول شيئا من هذا، وكانت ستذكر وتمدح هذا إن كان حقا. هذا المنطق أخذناه من «بول أوف بورجوس». وهناك أيضًا منطق ذكرناه في السؤال الخامس في الجزء الأول: أن شاول تحرر بسبب أن القيثارة سبقت في الزمن الصليب الذي رُبطت عليه الأطراف المقدسة لجسد المسيح. وسنختم بقول أن استخدام الأشياء المادية في العمليات الشرعية لطرد الأرواح الشريرة هو ليس سحرًا وماورائية. والآن أصبح من المناسب أن نتحدث عن طرد الأرواح الشريرة نفسه.



الفصل ٦. العلاج بعملية طرد الأرواح الشريرة الشرعية بواسطة الكنيسة

العلاج بعملية طرد الأرواح الشريرة الشرعية بواسطة الكنيسة ولكل أنواع الأمراض الحادثة بسبب السحر، وطرق طرد الأرواح الشريرة من المسحورين.

لقد قلنا من قبل أن الساحرات يمكن أن يُصبن الإنسان بكل نوع من أنواع الأمراض الجسدية، بالتالي يمكن أن نأخذها كقاعدة عامة أن العلاجات الشفهية أو العملية التي تُستخدم في حالة الإصابة بهذه الأمراض التي تحدثنا عنها يمكن أن تُستخدم أيضًا مع كل الأمراض الأخرى، مثل الصرع والجذام كمثال. وطرد الأرواح الشريرة يعتبر من العلاجات الشفهية وهو الأكثر فائدة عندنا، ويمكن أن يؤخذ على أنه النوع الرائد من هذه العلاجات، وهناك ثلاثة أشياء يجب ذكرها بالنسبة له.

أولًا، لا بد أن نحكم، هل الشخص الذي لم يُعين رسميا أنه طارد أرواح شريرة، يعني الشخص العادي الذي من عامة الشعب أو رجل الدين العادي، هل يمكن أن يطرد الأرواح الشريرة بشكل شرعي أم لا؟ ويرتبط بهذا السؤال، ثلاثة أسئلة أخرى، أولًا، بأي شروط يكون طرد الأرواح الشريرة شرعيا؟ ثانيًا، ماهي الشروط السبعة التي يجب أن تتحقق عندما يريد الشخص أن يستخدم التبريكات في طرد الأرواح الشريرة؟ وثالثًا، بأي طريقة يُطرد هذا المرض ويخرج الشيطان؟

ثانيًا، لا بد أن نتحدث عما يمكن أن يُعمل إذا لم ينعم الرب بالعلاج بعد عمل طرد الأرواح الشريرة.

ثالثًا، لا بد أن نتحدث عن العلاجات العملية وليست الشفهية، وأيضًا نكتب الحلول لبعض الحجج.

بالنسبة لأولًا، لدينا رأي القديس «توماس» في الكتاب الرابع الفدسل ٢٣ حيث يقول: عندما يكون الإنسان رسميًا طارد أرواح شريرة، فلقد تم منحه قدرة طرد الأرواح الشريرة في منطقته الرسمية، وهذه القدرة يمكن أن تستخدم حتى بواسطة هؤلاء الذين لا يتبعون أي تنظيم. بالمثل القداس الإلهي يمكن أن يُعمل في بيت غير مكرس، رغم أن غرض تكريس الكنيسة هو أن يُعمل فيها القداس الإلهي.

من هذه الكلمات يمكن أن نستنتج أنه، رغم أنه من الصالح أن يتم تحرير المسحور بواسطة طارد أرواح شريرة له سلطة طرد الأرواح الشريرة من المسحورين،إلا أنه في أوقات، بعض الأشخاص المخلصين يمكنهم سواء بعمل طرد أرواح شريرة أو بدون، أن يطردوا الشيطان.

لأننا سمعنا عن فقير وعذراء، تم سحر الفقير وأصبح واضحا للأطباء أنه لا يوجد له أي علاج. ولكن حدث أن العذراء ذهبت لزيارة المريض الفقير، وتوسل إليها أن تعمل بعض التبريكات لقدميه. فوافقت، ولم تفعل أكثر من أنها قالت الصلاة الربانية وعقيدة الرسل، وفي نفس الوقت عملت علامة الصليب. وفجأة شعر الرجل أنه قد تعافى، فسأل العذراء ما هي التعويذة التي استخدمتها.

فأجابت، أنت لديك إيمان قليل ولا تؤمن بالممارسات المقدسة الشرعية للكنيسة، وأنت دوما تستخدم تعويذات ممنوعة وعلاجات ماورائية لهذا المرض، بالتالي فأنت نادرًا ما تكون بصحة جيدة في جسمك، لأنك دائمًا مريض في روحك. ولكن إذا وضعت ثقتك في صلاة؛ وفي تأثير الرموز الشرعية، يمكنك أن تعالَج بسهولة. لأنني لم أفعل شيئا إلا أنني كررت الصلاة الربانية وعقيدة الرسل، والآن تم شفاؤك.

هذا المثال يثير سؤالا، ألا يوجد أي تأثير للتبريكات أو الرقى في طرد الأرواح الشريرة، لأنه يبدو أنها مدانة في هذه القصة. سنجيب بأن العذراء أدانت فقط التعويذات غير الشرعية لطرد الأرواح الشريرة.

ولفهم موضوع التعويذات غير الشرعية، لا بد أن نتحدث كيف نشأت، وكيف تم إساءة استخدامها. لأنها كانت في الأصل رقى مقدسة بالكامل، ولكن بسبب الشياطين والأشخاص الفاسدين فكل شيء يمكن أن يدنس، كذلك الكلمات المقدسة. لأنه قيل في الفصل الأخير في إنجيل مرقس عن الرسل والرجال المقدسين: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يُخرجون الشياطين باسمي، ويضعون أيديهم على المرضى

فيبرأون» وفي الأزمان اللاحقة استخدم الكهنة طقوسًا مماثلة، وبالتالي نجد حتى اليوم في الكنائس القديمة صلوات مخلصة وطرد مقدس للأرواح الشريرة استخدمه الإنسان القديم أو خضع له، وهذا ينجح عندما يطبقه الرجال المتقون بدون أي استخدام للماورائيات، وهناك الآن رجال متعلمون وعلماء للثالوث المقدس يزورون المرضى ويستخدمون كلمات كهذه لشفاء ليس فقط الملبوسين ولكن أيضًا جميع الأمراض الأخرى.

ولكن وآسفاه! الرجال الذين لديهم الماورائيات، عملوا تعويذات على نمط الرقى، فوجدوا لأنفسهم العديد من العلاجات غير المشروعة التي يستعملونها هذه الأيام على المرضى والحيوانات، ورجل الدين المسيحي أصبح متراخيا عن استخدام الكلمات الشرعية عندما يزور المريض. لهذا السبب «جوليلموس ديوراندوس» المعلق على القديس «رايموند»، يقول أن هذه العمليات الشرعية لطرد الأرواح الشريرة والخالية من الماورائيات يمكن أن تستخدم من المتدينين والكهنة العقلاء، أو من الأشخاص من عامة الشعب، أو حتى من المرأة الصالحة التي ثبت رشدها، بتأدية الصلوات الشرعية على المرضى لأن الإنجيل يقول: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين: «ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون، إلخ». وهؤلاء الأشخاص العاديون لا يُمنعون من الممارسة بهذه الطريقة، إلا إذا كان هناك خوف أنه، باتباع طريقتهم، يمكن أن يساء استعمال كلامهم من قبل بعض المؤمنين بالماورائيات والحمقى.

ولأجل توضيح هذه المسألة يجب أن نسأل كيف من الممكن أن نعرف إذا كانت كلمات هذه الرقى والتبريكات شرعية أم ماورائية، وكيف يجب أن يتم استخدامها، وهل الشيطان يمكن أن يخرج بها وتُطرد بها الروح الشريرة.

في المقام الأول، ما يقال أنه ماورائي هو كل ما زاد عن الشكل الذي تم وصفه في الدين. انظر رسالة كولوسي الثانية «التي لها حكاية حكمة، بعبادة نافلة» حيث يقول التفسير: الماورائية هي دين همجي، دين ذو طرق مختلّة ظهر في ظروف شريرة.

أي شيء أيضًا يكون ما ورائيًا حين تتدخل فيه التقاليد الإنسانية دون سلطة دينية ثم يغتصب اسم الدين في النهاية، مثل إقحام الترانيم في القداس الإلهي المقدس، أو تحوير مقدمة ترتيلة الموتى، أو اختصارات العقيدة التي تُغنى في

القداس الإلهي، أو الاعتماد على العضو بدلا من الاعتماد على الفرقة في الموسيقى، أو تجاهل أن يكون هناك خادم على المذبح، وممارسات مثل هذه.

ولكن حتى نعود إلى نقطتنا، عندما نريد أن نعمل هذا العمل صحيحا على الدين المسيحي، يعني عندما نريد أن نشفي المرضى بالصلوات والتبريكات والكلمات المقدسة، فلابد من تحقق سبعة شروط تكون بها هذه التبريكات شرعية. وحتى إذا أردنا استخدم المناشدات، بقوة الاسم الإلهي، وبقوة أعمال المسيح، مولده وآلامه وموته الكريم، لأنه بها قُهر الشيطان وطُرد، فبهذه الشروط السبعة تسمى هذه التبريكات والرقى وطرد الأرواح الشريرة شرعية، ويسمى هؤلاء الذين يمارسونها طاردوا أرواح شريرة أو عرافون شرعيون. انظر كلام القديس «إيزيدور» في كتاب Etym الثامن، العرّافون هم الذين تكون فنونهم ومهاراتهم في استخدام الكلمات.

وأول هذه الشروط، كما تعلمنا من القديس «توماس»، هو أنه يجب ألا يكون هناك شيء في الكلمات يدل على أي تضرع خفي أو علني للشيطان. فإذا كان فيها مثل هذا، فواضح أنها تكون غير شرعية. وإذا كان فيها تضرع خفي، يمكن أن يظهر في النية، فمثلا عندما لا يهتم طارد الأرواح الشريرة إن كان الرب أو الشيطان هو الذي يساعده طالما هو يبحث عن النتيجة المطلوبة، فهذا تضرع خفي. وهذا يحدث عندما لا يكون للشخص أهلية لمثل هذا العمل، فنجده يخلق بعض المعاني المزيفة. لأجل هذا ليس فقط يجب أن يكون الأطباء والفلكيون حُكاما على كلامه بل اللاهوتيون أيضًا. لأنه بهذه الطريقة يعمل مستحضري الأرواح، حيث يستخدمون الصور والخواتم والأحجار ذات المعاني الماورائية.

ثانيًا، التبريكات أو الرقى يجب ألا تكون فيها أسماء غير معروفة، لأنه وفقا للقديس «جون كريسوستوم» يُخشى أنها تُخفي شيئا من الماورائية.

ثالثًا، يجب ألا يكون هناك ضلال واضح في الكلمات، لأنه إن كان، فتأثير هذه الكلمات لا يمكن أن يكون من عند الرب، لأن الرب لا يكون شاهدا على الكذب. فمثلا بعض النساء العجائز في رُقاهم يستعملون الجلجلة والشعر الهزلي كما يلي:

المباركة ماري، ذهبت تتمشى

على نهر الأردن

قابلها ستيفان، ووقع في الحديث معها، إلخ.

رابعًا، يجب ألا يكون هناك أي باطل، أو رموز مكتوبة غير علامة الصليب. بالتالي فالرقى التي اعتاد الجنود أن يحملوها هي غير شرعية.

خامسًا، لا يجب أن يكون في طريقة كتابة أو قراءة أو طريقة ربط رُقية الشخص، أي عدم توقير للرب، وإن وجد هذا تكون الرقية بكاملها ماورائية.

سادسًا، في تلاوة والتلفظ بالكلمات الإلهية وكلمات الكتب المقدسة، لا بد من الانتباه للكلمات المقدسة نفسها ومعناها، وإذا كان التأثير سيُطلب من القوة الإلهية، أو من آثار القديسين التي هي قوة ثانوية، فقوتهم تنبُع أصلًا من الرب.

سابعا، التأثير يجب أن يُترك لإرادة الرب، لأنه هو الذي يعلم الأصلح للإنسان سواء أن يشفيه أو أن يبتليه أو أن يُميته. هذا الشرط وضعه القديس «توماس».

وبهذا يمكن أن نستنتج أنه إذا لم يكن شيء من هذه الشروط معطل، فالرقية تكون شرعية. والقديس «توماس» يكتب فيما يتعلق بهذا في الفصل الأخير من إنجيل مرقس «**هذه الآيات تتبع المؤمنين، يُخرجون الشياطين باسمي، يحملون حيات**»، من هذا يتضح أنه، لو تمت ملاحظة الشروط أعلاه، فسيكون شرعيا بمعنى الكلمات المقدسة عملية طرد الحيات من المنزل.

القديس توماس يقول أيضًا: كلمات الرب ليست أقل قداسة من آثار القديسين. كما يقول القديس «أوجستين»: كلمات الرب ليست أقل من جسد المسيح: بالتالي دعونا بكل المعاني نتوسل باسم الرب ونستخدم الصلاة الربانية كما ينبغي ونشيد **Angelic Salutation**، بمولده وبآلامه، وبجروحه الخمسة، وبكلماته السبعة التي تكلمها على الصليب، وبعباراته الغالبة، وبالمسامير الثلاثة التي اخترقت جسده، وبالأسلحة الأخرى لجيش المسيح ضد الشيطان وأعماله. كل هذه المعاني من الشرعي أن تُعمل، ونضع ثقتنا فيها، تاركين الأمر لإرادة الرب.

وما قيل بشأن طرد الحيات ينطبق أيضًا على الحيوانات الأخرى، لكن لا بد من التركيز على الكلمات المقدسة والقوة الإلهية. فهذه الرقى لا بد أن تُعامل بعناية كبيرة. لأن القديس «توماس» يقول: هؤلاء العرافون يستخدمون الكلمات غير الشرعية عادة، ولكنهم يحصلون على تأثيرات سحرية بواسطة الشياطين، خاصة في حالة الحيات، لأن الحية كانت هي أول أداة استخدمها الشيطان لخداع البشرية.

لأنه في قرية «سالزبورج» كان هناك رجل، في أحد الأيام أراد على مرأى من الجميع، أن يجذب كل الثعابين إلى حفرة معينة، ويقتلها جميعا في مساحة قدرها ميل. فجمع كل الثعابين معا، وكان واقفا بنفسه على الحفرة، ولكن آخرهم كان ثعبانا ضخما ومريعا لم يقدر أن يدخل في الحفرة. ظل الثعبان يعمل علامات للرجل حتى يتركه يزحف بعيدًا، لكن الرجل لم يوقف تعويذته، وكما أن جميع الثعابين الأخرى قد دخلت الحفرة وماتت، أصر أنه يجب أيضًا على الثعبان الضخم أن يدخل. ولكن الثعبان وقف على الجهة المقابلة من الساحر، وفجأة قفز من فوق الحفرة على الساحر، ولف نفسه حول بطنه، وسحبه معه إلى الحفرة، حيث ماتا معا. من هذا يمكن أن نرى أنه يمكن أن تمارس هذه الرقى فقط لغرض مفيد، مثل إخراجهم من بيت أحدهم، ولابد أن تُعمل بقوة الرب، وبخوف من الرب، وبتوقير للرب.

في المقام الثاني لا بد أن نسأل عن الرقى الشرعية هل يمكن أن يتم تعليقها على الرقبة أو أن تخاط في الملابس. ربما يبدو أن الممارسات التي مثل هذه هي غير شرعية، لأن القديس «أوجستين» يقول، في كتاب **The Second Book on the Christian Doctrine**: هناك آلاف المعدات السحرية والتمائم التي هي كلها ماورائية، ومدرسة الطب تدينها جميعا علنيا، سواء كانت تعاويذ، أو علامات معينة تسمى رموزا، أو تعاويذ منقوشة لتعلق على الرقبة.

أيضًا القديس «جون كريسوستوم» يعلق على إنجيل متى فيقول: بعض الأشخاص يرتدون على أعناقهم بعض الأجزاء المكتوبة من الإنجيل، ولكن أليس هذا هو الإنجيل الذي يُقرأ كل يوم في الكنيسة ويسمعه الجميع؟ كيف يمكن لرجل أن تتم إعانته بارتداء الإنجيل حول رقبته، بينما هو لم يجن شيئا من سماعه بأذنه؟ فيم تكون قوة الإنجيل؟ في حروف كلماته، أم في معاني كلماته؟

إذا كانت في الحروف، فأنت عملت الشيء الصحيح بارتدائها حول عنقك، ولكن إذا كانت في المعاني، فمن المؤكد أنه من الأنفع أن تزرعه في قلبك بدلا من أن تعلقه على رقبتك.



الفصل ٧. العلاجات الموصوفة ضد العواصف الباردة والحيوانات المسحورة

بالنسبة لعلاجات الحيوانات المسحورة، والرقى ضد العواصف، لا بد أن نذكر أولًا بعض العلاجات غير الشرعية التي تمارس من بعض الناس. فهي تُعمل بواسطة كلمات وأفعال ماورائية، مثل أن يعالِج الشخص ديدان الأصابع والأطراف ببعض الكلمات والرقى، وطريقة معرفة شرعية هذا تم ذكرها في الفصل السابق. هناك مثلا من لا يرشون الماء المقدس على الماشية المسحورة بل يصبونه في أفواهها.

إلى جانب ما ذكرناه بشأن العلاج بالكلمات غير الشرعية، «ويليام أوف باريس» يقول، إذا كان هناك أية قوة في الكلمات ككلمات، سيكون هذا بسبب واحد من ثلاثة أشياء: إما أن تكون قوتها في مادتها والتي هي الهواء، أو في شكلها والذي هو الصوت، أو في معناها، أو فيهم جميعا. ولا يمكن أن تكون قوتها في الهواء الذي ليست له قوة على أن يقتل إلا إذا كان ساما، ولا يمكن أن تكون في الصوت، ولا يمكن أن تكون في المعنى، لأنه في هذه الحالة، كلمات «شيطان» و«موت» أو «جحيم» ستكون دائمًا مضرة بذاتها، وكلمات «صحة» و«خير» ستكون نافعة دائما. ولا يمكن أن تكون قوتها في كل هؤلاء معا، لأنه عندما يكون كل جزء من الشيء خاطئا، فكل الشيء يكون خاطئا.

وليس صحيحًا أن نقول أن الرب يعطي القوة للكلمات كما أعطاها للأعشاب والأحجار. لأنه أيًا كانت القوة التي في التبريكات وكلمات الأسرار المقدسة والرقى الشرعية فهي تعود لهم، ليس ككلمات، ولكن كنظام إلهي وأمر محقق وفقا للوعد الإلهي. فهو وعد من الرب أن من فعل كذا وكذا سيحصل على كذا وكذا من النعمة. لذا فكلمات الأسرار المقدسة مؤثرة بسبب معناها، رغم أن البعض يؤمن أن لها قوة في جوهرها، لكن هذين الرأيين ليسا متضاربين. لكن في حالة الكلمات الأخرى والرقى، فواضح مما تم قوله أنه بمجرد التلفظ أو كتابة أو تلحين هذه الكلمات فلا

يكون لها تأثير، ولكن التوسل بها باسم الرب وفي الصلوات العلنية التي هي شكوى مقدسة للإرادة الإلهية، فهذا هو ما يجعلها نافعة.

تحدثنا أعلاه عن العلاجات بالأفعال التي تبدو أنها غير شرعية. وسنذكر مثالا من الممارسات الشعبية في أنحاء «سوابيا». في الأول من مايو قبل الفجر تخرج نساء القرية ويجمعن أوراق الأشجار والفروع من أشجار الصفصاف، ويصنعون منها إكليلا يعلقونه على باب الإسطبل، للتأكد بأن كل الماشية ستبقى بأمان من ضرر السحر خلال السنة كلها. وفي رأي هؤلاء المؤمنين بأن الباطل لا يمكن أن يبطل بالباطل، فهذا العلاج ليس شرعيا، ولن يكون أيضًا علاج الأمراض بالتعاويذ غير المعلومة شرعيًا.

ولكن نقول أن النساء أو أي أحد آخر يمكن أن يخرج في اليوم الأول أو في أي يوم من الشهر، بغض النظر عن بزوغ أو غروب الشمس، ويجمع أعشابًا وأوراقًا وأغصانًا، قائلًا الصلوات الربانية أو العقيدة، ثم يعلقهم على باب الإسطبل بنية جيدة، مصدقا بإرادة الرب أنها ستحميه، فهو بعد كل هذا ليس بريئًا من العتاب.

الأمر نفسه بالنسبة لمن يعملون علامة الصليب بأوراق لأشجار والأزهار المكرسة في يوم أحد الشعانين، ويضعونه بين محصول الكرمة الخاص بهم، فرغم أن المحاصيل يفترض أن تتدمر بسبب البرد، إلا أنها تبقى بأمان في حقولهم.

بالمثل هناك نساء، لأجل الحفاظ على الحليب وعلى الأبقار حتى لا يُسلب منها حليبها بالسحر، يعطون من الحليب مجانا للفقراء باسم الرب، يعطونهم كل إنتاج الحليب في يوم الأحد، ويقولون أنه بهذا النوع من الزكاة، الأبقار ستنتج حليبا أكثر وتُحفظ من السحر. هذا لا حاجة إلى اعتباره من الماورائيات، لأننا نعلم بأنه قد تم عمله بدافع الشفقة على الفقراء، وأنهم ينشدون رحمة الرب لحماية ماشيتهم.

مرة أخرى، «نيدار» في الفصل الأول من كتابه **Praeceptorium** يقول أنه من الشرعي أن نبارك الماشية، بنفس طريقة مباركة الشخص المريض، عن طريق رقى مكتوبة وكلمات مقدسة، حتى لو كان لها مظهر التمائم، طالما أن السبعة شروط التي ذكرناها أعلاه محققة. لأنه يقول أن بعض الأشخاص المخلصين يُعلمون الأبقار بعلامة الصليب، وبالصلوات الربانية وبنشيد **Angelic Saltation** لأجل أن يُطرد عمل الشيطان الذي بسبب السحر.

وفي كتابه **Formicarius** يخبر بأن الساحرات قد اعترفن أن سحرهن يُعطّل بالطقوس الكنسية الموقرة، مثل نضح الماء المقدس، أو تناول الملح المكرس، أو الاستخدام الشرعي للشموع في يوم التطهير والنخيل المباركة وهذه الأشياء. لهذا السبب تستخدم الكنيسة هذه الأشياء في طرد الأرواح الشريرة، لأنه يمكنها أن تقلل من قدرة الشيطان.

أيضًا، بسبب أن الساحرات يُردن أن يسلبن البقرة حليبها فإن لديهن عادة، أنهن يطلبن بطريقة التسول قليلا من الحليب أو الزبدة التي تخرج من البقرة، حتى يمكنهم بعد ذلك بفنونهن أن يسحرن البقرة، لذلك على النساء أن يحذرن، عندما يسألهن أي شخص مشتبه فيه بهذه الجريمة، ألا يعطوه أي شيء أبدًا .

أيضًا، هناك نساء إذا غابت عن الكنيسة لفترة طويلة، يُشك فيها أنها ساحرة، وعندما نشك في امرأة أنها ساحرة يمكن أن نبحث عن أي زبدة من منزل هذه المرأة إن كان ممكنا. ثم نقطع الزبدة إلى ثلاث قطع ونرميها بعنف متوسلين بالثالوث المقدس، الآب والابن والروح القدس، وبذلك يطير كل السحر إن كان موجودا. هذه حالة إبطال الباطل بالباطل، وليست ممارسة جديرة بالثناء أن ترمي ثلاث قطع من الزبدة، لأنه سيكون من الأفضل أن تبعد السحر بأن ترش الماء المقدس أو تضع بعض الملح المكرس، مع الصلوات التي ذكرناها.

أيضًا، لأنه في العادة تدمر كل ماشية الشخص بواسطة السحر، فهؤلاء الذين عانوا من هذا لا بد أن يزيلوا التراب الذي تحت عتبة الإسطبل أو المربط، فعندما تذهب الماشية لشرب الماء، يجب أن يتم استبدال التربة بتربة جديدة مرشوشة بالماء المقدس. لأن الساحرات كثيرًا ما اعترفن بأنهن يضعن فيها بعض أدوات السحر بناء على طلب الشيطان، وأن هذا يكون شيئا مرئيا، مثل حجر أو قطعة خشب أو فأر أو ثعبان. لأنه متفَق أن الشيطان يمكن أن يعمل هذه الأشياء بنفسه بدون الحاجة إلى أي شريك، ولكنه يستخدم الساحرات عادة لأجل هلاك أرواحهن.

بالإضافة إلى وضع علامة الصليب التي ذكرناها، الطريقة التالية يجب أن تمارس ضد العواصف الباردة والزوابع. ثلاثة من قطع الثلج تُرمى إلى النار مع التوسل بالثالوث الأكثر قداسة، وبالصلوات الربانية ونشيد **Angelic Salutation** وهذا يكرر مرتين أو ثلاثة، مع العبارة من إنجيل يوحنا، «**جُعلت الكلمة جسدًا**»

تكرر ثلاث مرات، ويقول «بكلمات هذا الإنجيل فلتتبعثر هذه العاصفة» وإذا كانت العاصفة هي بسبب السحر، ستتوقف. هذا حقيقي جدًّا ولا حاجة للشك يه، لأنه لو تم رمي قطع الثلج إلى النار بدون التوسل بالاسم الإلهي، فإن هذا سيعتبر من الماورائية.

ولكن ربما يسأل أحد، هل العاصفة لا يمكن أن تسكن إلا باستعمال قطع الثلج. سنجيب بأن الكلمات المقدسة هي التي تكون مؤثرة، ولكن رمي قطع الثلج يعني أن الإنسان يعذب الشيطان، ويحاول أن يدمر أعماله بالتوسل إلى الثالوث المقدس. وهو يرميهم في النار بدلا من الماء، لأنه كلما كان ذوبانهم أسرع كلما كان تدمير عمل الشيطان أسرع. ولكنه يجب أن يعزو ما سيحدث من تأثير إلى الإرادة الربانية.

هناك رد من ساحرة لأحد القضاة الذي سألها إن كان هناك أي طريقة لتسكين العواصف المثارة بالسحر. فأجابت: نعم، بهذه الطريقة، أن تقول، أنا أناشدك أيتها العاصفة الباردة والرياح، بالجراح الخمسة للمسيح، وبالمسامير الثلاثة التي اخترقت يداه وقدماه، وبالمبشرين الأربعة، متى، مرقص، لوقا، يوحنا، أن تذوبي وتسقطي مثل المطر.

كثير من الساحرات اعترفن، بعضهن اعترف بحرية وبعضهن تحت التعذيب والضغط، أن هناك خمسة أشياء يمكن أن تعطلهن، في بعض الأحيان يكون تعطيلا تاما، وفي بعض الأحيان تعطيل جزئي، وهذه الأشياء هي، أن الإنسان لا بد أن يكون لديه إيمان صاف ويحافظ على وصايا الرب، وأنه يجب عليه أن يحمي نفسه بعلامة الصليب وبالصلوات، وأنه لا بد يحترم طقوس ومناسبات الكنيسة، وأنه يجب أن يكون مجتهدا في أداء العدالة العامة، وأنه يجب أن يتأمل جهرًا أو سرًّا في قلبه في آلام المسيح. وعن هذه الأشياء تحدث «نيدار» أيضًا. ولهذا السبب فهي ممارسة عامة في الكنيسة أن تُدق الأجراس كحماية ضد العواصف، حتى تهرب الشياطين منها لأنها مكرسة للرب ويكفوا عن فسادهم، وأيضًا حتى يمكن للناس أن يتشجعوا على التوسل بالرب ضد العواصف بالسر المقدس للمذبح والكلمات المقدسة، تبعا للتقاليد القديمة للكنيسة في فرنسا وألمانيا.

ولكن حيث أن هذه الطريقة لعمل السر المقدس لتسكين العاصفة تبدوا للبعض أنها ماورائية، لأنهم لا يفهمون القواعد التي يمكن بها أن نُفرق بين ما هو ماورائي

وما هو ليس كذلك، بالتالي لا بد أن نذكر القواعد الخمسة التي يمكن لأي أحد أن يعرف إن كان هذا العمل ماورائي أم لا، يعني إذا كان خارجا عن الدين المسيحي أم هو متفق معه ومع العبادة وإجلال الرب. لأن هذه وضِحت في تفسير رسالة كولوسي الثانية، حيث يقول القديس «بولس»: «التي لها حكاية حكمة» والتفسير يقول أن الماورائية هي دين بدون انضباط، كما قلنا من قبل.

القاعدة الأولى أنه في كل أعمالنا لا بد أن تكون عظمة الرب هي هدفنا الأساسي، كما يقال، سواء كنت ستأكل أو ستشرب، أو أيا ما كان الذي ستفعله، افعله في عظمة الرب. ووفقا لهذه القاعدة، فالمناسبات والطرق الشرعية التي في العهد القديم لا تمارس الآن، لأنها يجب أن تُفهم بشكل مجازي، بينما تظهر الحقيقة في العهد الجديد.

القاعدة الثانية هي أنه لا بد من أن تكون وفقا لطقوس الكنيسة والعقيدة الأخلاقية. وبسبب عدم الاهتمام بهذه القاعدة، هناك حمقى يتعهدون بألا يمشطون شعرهم يوم السبت مثلا، أو هناك من يصومون في يوم الأحد ويقولون، في اليوم الأفضل تكون الفضيلة أفضل.

القاعدة الثالثة هي أن تكون متأكدا أن ما حدث يتفق مع نظام الكنيسة الكاثوليكية، أو مع الكتب المقدسة، أو مع طقوس كنيسة معينة على الأقل، أو يتفق مع الاستعمال العام. فالأساقفة الإنجليز كانوا في شك لأن القداس الإلهي كان يُحتفل به بطريقة مختلفة في الكنائس المختلفة، فكتب لهم القديس «جريجوري» أنه يمكنهم أن يستخدموا أيما طريقة يجدونها ترضي الرب أكثر، سواء تبعوا الطقوس الرومانية أو الجاليكانية أو أي كنيسة أخرى. بسبب حقيقة أن الكنائس المختلفة لديها طرق مختلفة في عبادة الرب وكلها لا تخالف الحقيقة، وبالتالي، هذه العادات يبغي أن تُحفظ، ومن غير الشرعي تجاهلها.

القاعدة الرابعة هي أن تعتني بأن ما يحدث أمامك تكون لديه علاقة طبيعية مع التأثير المتوقع، لأنه إن لم يكن، يُحكم أنه ماورائي.: لهذا السبب الرموز غير المعلومة أو الأسماء المشبوهة، والصور والجداول الخاصة بمستحضري الأرواح، هي كلها مدانة كمشتبه فيها. ولكن لا يمكننا أن نقول أن لهذا السبب من الماورائي أن

نعمل بالآثار المقدسة أو الأفخارستيا كحماية ضد وباء الشيطان، لأنها ممارسة دينية ومفيدة، ولأنه في سرها المقدس كل العون ضد أعدائنا.

القاعدة الخامسة هي أن نحذر أن ما يحدث أمامنا لا بد ألا تكون فيه فرصة خطأ أو فضيحة، لأنه في هذه الحالة، فرغم أنه ليس ماورائيا، إلا أنه بسبب الفضيحة ينبغي أن يتم تأجيله أو الامتناع عنه. أو يُعمل بشكل سري بدون فضيحة. بالتالي إذا كان السر المقدس يمكن أن يُعمل بدون فضيحة أو بشكل سري، فلا يجب أن يتم تجاهله. لأن بهذه القاعدة يتجاهل العديد من الكهنة استعمال التبريكات لأن الكلمات المقدسة قيلت على المريض أو لأنها معلقة على رقبته. أنا أقول أنه لا شيء يجب أن يُعمل، على الأقل بشكل علني، إن كان من الممكن أن يتسبب هذا في حرج لأي فرد.

وهذا يكفي فيما يتعلق بهذا الموضوع عن العلاجات ضد العواصف البادرة، إما بالكلمات أو بالأفعال الشرعية.



الفصل ٨. العلاجات الموصوفة للأضرار الخبيثة والبشعة التي تسببها الساحرات

سنتحدث عن العلاجات ضد بعض الأضرار التي تحدث بالسحر للأشجار وثمار الأرض، التي تكون غالبا بالديدان التي تصيب النباتات، أو بأسراب الجراد الضخمة أو الحشرات الأخرى التي تنتشر في بقعة كبيرة وتخفي سطح الأرض، فتأكل كل شيء حتى الجذور في كل الحقول وتلتهم المحاصيل اليانعة. وسنتحدث أيضًا عن العلاجات ضد سرقة الأطفال باستخدام السحر.

بالنسبة للنوع الأول من الأضرار سنقتبس من كلام القديس «توماس»، في كتاب **Second of the Second** السؤال ٩٠، عندما سأل هل من المشروع أن تناشد مخلوقًا بلا عقل، وأجاب بأنه مشروع، ولكن فقط بطريقة الإجبار، وتعني أن ترسل هذه المخلوقات التي بلا عقل عائدة إلى الشيطان الذي استخدمها لأذيتنا. وهذه طريقة اسمها المناشدة وهي نوع من عمليات طرد الأرواح الشريرة التي تقوم بها الكنيسة حيث تُبقى قوة الشيطان بعيدة عن المخلوقات التي بلا عقل.

ولكن إذا كانت المناشدة موجهة إلى المخلوقات الغير عاقلة نفسها، والتي لا تفهم شيئا، سيكون الأمر باطلا. من هذا يمكن أن نفهم أنه يمكن أن يُطرد هؤلاء بالمناشدة التي هي طرد شرعي للأرواح الشريرة، وهي تساهم في تنزُّل الرحمة الإلهية، ولكن أولًا لا بد أن يذهب الناس في موكب للصلاة وأن يعملوا العبادات الأخرى كالصيام. لأن هذا النوع من الشر يُرسَل بسبب الزنا وتضاعف الجرائم، فيجب على الناس أن يعترفوا بخطاياهم.

شيء مريع آخر يسمح الرب بحدوثه للإنسان هو عندما يؤخذ الأطفال من أمهاتهم، ويوضع مكانهم أطفال غرباء بواسطة الشيطان، وهذا ما يسميه الناس **Changelings** أو المتحولين، أو باللسان الألماني **Wechselkinder** وهؤلاء الأطفال ثلاثة أنواع. بعضهم يكونون مرضى دائمًا ويبكون طيلة الوقت حيث أن حليب الأم

لا يكون كافيا لإشباعهم. والبعض الآخر يكون مولودا بفعل عمليات الجاثوم، ولا يكونوا أبناء الزوج، بل هم أبناء الرجل الذي أخذ الشيطان منه المني، أو الرجل الذي جمع الشيطان منيه عبر طريقة اسمها التلوث الليلي. وهؤلاء الأطفال في بعض الأحيان، بإذن الرب، يُبدّلون مكان الأطفال الحقيقيين.

وهناك نوع ثالث من الأطفال، هم شياطين يظهرون في هيئة أطفال صغار ويعلقون أنفسهم بالمرضات. ولكن جميع الأنواع الثلاثة لديهم شيء مشترك، أنهم ثقيلون جدًّا، وأنهم دائمًا يبكون ولا يكبرون، ولا يحصلون على حليب يكفيهم أبدًا ، وغالبا ما يتم الإبلاغ بأنهم اختفوا.

ويمكن أن يقال أن الشفقة الإلهية تسمح بحدوث مثل هذه الأشياء لسببين. أولًا، عندما يتعلق الآباء بأطفالهم كثيرًا فهذه العقوبة لمصلحتهم. ثانيًا، بعض النساء اللاتي يحدث لهن هذا هن ماورائيات جدًّا، وهن في أمور كثيرة أخرى أغواهن الشيطان. ولكن الرب غيور حقًّا بكل معنى الكلمة، حُبه يشبه الحب الكبير من الرجل العاشق لزوجته، فهو لا يسمح لأي رجل آخر بالاقتراب منها، وهو لا يتحمل مجرد التلميح بالزنا على امرأته. بنفس الطريقة فالرب غيور على الروح التي اشتراها بدمه الغالي وتبناها بالإيمان، ولا يتحمل أن يتم لمسها من الشيطان، أو أن تتحدث مع الشيطان، أو أن يقترب منها الشيطان بأي حال، فالشيطان هو عدو وغريم الخلاص. وإذا كان الزوج الغيور لا يتحمل التلميح بالزنا على امرأته، كيف سيشعر إن حصل الزنا فيها بالفعل! بالتالي لا عجب إذا سمح الرب بأخذ أطفال هؤلاء بعيدا ليُستبدلوا بأطفال زنا.

وبالطبع الرب هو أكثر غيرة على الروح، وهذا واضح في العهد القديم، أنه لأجل أن يبعد أبناءه عن الزنا، حرّم الزنا، وحرّم الأشياء التي يمكن أن تؤدي إلى الزنا، وهي أشياء قد تبدو غير مؤثرة في بعض الأحيان، لكنها بطريقة إعجازية ما يكون لها تأثير يفهمه الحس الصوفي. لأنه يقول في سفر الخروج الثاني والعشرين، «لا تدع ساحرة تعيش»، ويضيف « لا يسكنون في أرضك لئلا يجعلوك تخطيء إليّ» بالمثل فإن القوادين يقادون إلى الموت، ولا يُسمح لهم بمصاحبة الناس.

لاحظ غيرة الرب، الذي يقول في سفر التثنية الثاني والعشرين: « إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق في شجرة ما أو على الأرض، فيه فراخ أو بيض،

والأم حاضنة الفراخ أو البيض، فلا تأخذ الأم مع الأولاد، أطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد». كذلك الرب الغيور لا يحب أن يؤخذ أبنائه منه. بمثل هذا في أيامنا عندما تجد امرأة عجوز قطعة نقدية، تظن أن هذا فيه حظ عظيم، وبالعكس، عندما تحلم بالنقود تقول أن هذا علامة الحظ التعيس.

أيضًا علمنا الرب أن كل الآنية يجب أن تُغطى، وعندما تكون هناك آنية غير مغطاة فهي تعتبر نجسة.

هناك اعتقاد غير صحيح أنه عندما تأتي الشياطين في الليل (أو النساء الصالحات كما تسميهم النساء العجائز، رغم أنهن ساحرات، أو شياطين في هيئة ساحرات) لا بد أن تعطيهم كل شيء ليأكلوه، حتى يجلبوا بعد ذلك خيرًا كثيرًا للمتاجر والمخازن في البلدة. بعض الناس يعطون لونا لهذه القصة، ويسمونهم صياح البوم، ولكن هذا ضد رأي العلماء الذين يقولون أن زوار الليل هؤلاء لا يمكن أن يكونوا إلا شياطين.

وكأمثلة على الغيرة أيضًا، جاء في سفر اللاويين «**ولا تقصروا رؤوسكم مستديرًا، ولا تفسد عارضيك**» لأنهم عملوا هذه الوثنية في توقيرهم للأصنام.

وأيضًا في سفر التثنية الثاني والعشرين: «**لا يكن متاع رجل على امرأة، ولا يلبس رجل ثوب امرأة**» لأنهم كانوا يعملون هذا تكريما للإلهة فينوس، وآخرين كانوا يعملون مثل هذا لتكريم «مارس» و«بريابوس».

ولأجل الغيرة، أمر الرب أن تدمّر مذابح الأصنام، و«هيزيكياس دمر الثعبان النحاسي عندما أراد الناس أن يُضحوا له، وقال لهم أنه مجرد نحاس. لنفس السبب حرم الرب العرافة وقراءة البخت، وأمر أن الرجال والنساء الذين يفعلون هذا أن يقادوا للموت. هؤلاء الذين يسمون اليوم المتكهنون. كل هذه الأشياء فيها نوع من الشرك الروحي، وهذا يثير الغيرة التي عند الرب تجاه الأرواح التي قد تبناها مثلما يتبنى الرجل زوجته، فحرّم كل هذه الأشياء.

بالتالي في الجزء الثالث من هذا العمل سنتحدث عن إبادة الساحرات، والذي هو الدواء النهائي. لأن هذا هو الملاذ الأخير للكنيسة، والتي تنفّذ فيه الأمر الإلهي. لأن الرب قال، «**لا تدع ساحرة تعيش**». وفي هذا سنذكر العلاج ضد السحرة الرماة، لأن هذا النوع يمكن فقط أن يباد بالقانون المدني.

عندما يبحث بعض الأشخاص عن الفائدة المؤقتة فيكرسوا أنفسهم بالكامل للشيطان، فإنه يمكنهم أن يتحرروا من سطوة الشيطان بالاعتراف الحقيقي، لكنهم يكونون قد تعذبوا منه طويلا، خاصة في الليل. والرب يسمح بهذا كعقوبة لهم. وعلامة تحررهم أنه بعد اعترافهم، يختفي كل المال الذي في صناديقهم ومحافظهم. وهناك أمثلة كثيرة يمكن أن نوردها، ولكن لأجل الإيجاز سنتجاوزها.



الجزء الثالث

مقدمة عامة

من هم القضاة المناسبين لمحاكمة الساحرات؟

السؤال هو هل الساحرات، مع مناصريهن والمدافعين عنهن وحماتهن، يخضعون كلهم للسلطة القضائية للمحكمة الأبرشية الكنسية والمحكمة المدنية مما يسمح للمفتشين على جريمة الهرطقة أن يرتاحوا من مهمة أن يحضروا محاكماتهن. يحتج البعض بأن الأمر كذلك. لأن الشريعة تقول: لا شك بأن هؤلاء الذين لديهم امتياز محاكمة إيمان البشر يجب ألا يُصرفوا عن عملهم بأمور أخرى، والمفتشون الموفدون من الرؤية الرسولية للتفتيش في بلاء الهرطقة لا بد ألا يتعاملوا بشكل علني مع العرافين والمتكهنين، إلا إن كان هؤلاء هراطقة، ولا يجب أن يكون لهم دخل في معاقبة هؤلاء، لكن لا بد أن يتركوهم ليحاكَموا من قبل قضاتهم الخاصين.

وليس هناك أي صعوبة في تقبل حقيقة أن هرطقة الساحرات غير مذكورة في الشريعة. لأن هرطقة السحر تخضع لنفس العقاب مثل الهرطقات الأخرى المتعلقة بمحاكمة الضمائر، لأن الشريعة تقول: إذا كانت خطيئة العرافين والساحرات خفية، فذنب كليهما واحد، لأن العرافين يحصلون على نتائجهم بطرق شريرة، كما أن الساحرات يبحثن ويحصلن من الشياطين على الأضرار التي يعملنها للمخلوقات، فهم يبحثن بشكل غير شرعي على مخلوقات مكرسة للرب وكان يجب أن تكون للرب وحده، وبالتالي فكليهما مذنب بخطيئة الوثنية.

هذا هو معنى حزقيال الحادي والعشرين ٢٣ ، «**لأن ملك بابل قد وقف على أم الطريق، على رأس الطريقين ليعرف عرَّافة، صقلَ السهام**»

وعندما تقول الشريعة: إلا إذا كان هؤلاء أيضًا هراطقة، فإنها تعني أن العرافين والمتكهنين أيضًا هراطقة، ولابد أن يخضعوا للمحاكمة، وفي هذه الحالة فالعرافين المزيفين أيضًا يخضعون، لكن لم نجد تشريعا مكتوب بشأنهم.

أيضًا، إذا كان على المفتشين أن يتعاملوا مع الساحرات، لا بد أن يكون هذا بسبب جريمة، ولكن أعمال الساحرات يمكن أن تؤدّى بدون أي هرطقة. فعندما يضعن جسد المسيح في الوحل، فهي جريمة شنعاء، إلا أنه يمكن أن تُعمل بدون ضلالة منهن في الفهم، وبالتالي بدون هرطقة. لأنه من الممكن جدًّا أن يؤمن شخص أن هذا هو جسد المسيح، لكنه يرميه في الطين ليُرضي الشيطان بسبب عهد عمله معه حتى يحقق له بعض مطالبه مثل أن يجد كنز' أو أي شيء من هذا النوع. بالتالي أعمال الساحرات لا تحتاج إلى ضلالة في المعتقد، مهما كانت فداحة الخطيئة، فبالتالي هن لسن خاضعات لمحكمة التفتيش ولكن يُتركن لقضاتهن الخاصين.

أيضًا، سليمان أظهر توقيرًا لآلهة زوجاته كنوع من اللطف منه، ولم يكن بهذا مذنبًا بالردّة عن الإيمان، لأنه في قلبه كان مؤمنا ومحافظا على الإيمان الحقيقي. فأيضًا عندما تبايع الساحرة الشيطان بسبب عهد دخلته معه، بينما تحتفظ بالإيمان في قلبها، فهي لا تعتبر بهذه الطريقة مهرطقة.

ولكن يمكن أن يُحتج بأن كل الساحرات لا بد أن ينكرن الإيمان، وبالتالي لا بد أن يحاكَمن بالهرطقة. لكن حتى إن أنكرن الإيمان في قلوبهن وعقولهن، فلا يمكن أيضًا أن يُعتبرن هراطقة. لأن المهرطق مختلف عن المرتد، والمهرطق فقط هو الذي يخضع لمحكمة التفتيش، وبالتالي فالساحرات لا يخضعن لهذا.

أيضًا قيل في الشريعة، فليجاهد الأساقفة وممثلوهم بكل الطرق حتى يحرروا أبرشياتهم بالكامل من الفنون الخبيثة للعرافة والسحر المأخوذة من «زوروستر»، وإذا وجدوا أي رجل أو امرأة يعمل هذه الجريمة، فليطرد من الأبرشية بالخزي. وقيل في الشريعة أيضًا، دعوهم إلى قضاتهم الخاصين، وبما أنه يتحدث بصيغة الجمع، فهو يشمل كل من المحكمة الكنسية والمدنية، بالتالي، وفقا لهذه الشريعة فهم ليسوا خاضعين لأكثر من المحكمة الأبرشية.

هذه الحجج توضح أن من المنطقي في حالة المفتشين، والأبرشيين أن يرتاحوا من هذه المسؤولية ويتركوا عقاب الساحرات للمحكمة المدنية، وهذا الادعاء يمكن

أن يصبح جيّدًا بالحجج التالية. لأن الشريعة تقول، نحن نُحرِّم بشدة على الحكام المؤقتين وجنودهم أن يحاولوا بأي طريقة أن يحكموا في هذه الجريمة، لأنه أمر كنسي صاف، وهو هنا يتكلم عن جريمة الهرطقة. يتبع هذا أنه، عندما لا تكون الجرائم كنسية بشكل صاف، كما في حالة الساحرات بسبب الأضرار المؤقتة التي يرتكبنها، فلابد أن يعاقَبن بواسطة المحكمة المدنية وليس بالمحكمة الكنسية.

إلى جانب هذا، في التشريع الأخير بخصوص اليهود تقول الشريعة: ممتلكاتهم يتم مصادرتها، ويُحكم عليهم بالموت، لأنهم أصحاب عقيدة فاسدة يعارضون إيمان المسيح. ولكن إذا قيل أن هذا القانون يخص اليهود الذين تحولوا للمسيحية ثم بعد ذلك رجعوا إلى عبادات اليهود، فهذا ليس اعتراضا صحيحا. ولا تتقوى الحجة به، لأن القاضي المدني يعاقب هؤلاء اليهود على أنهم مرتدون عن الإيمان، وبالتالي فالساحرات اللاتي أنكرن الإيمان لا بد أن يعامَلن بنفس الطريقة، فإنكار الإيمان، إما بشكل كامل أو جزئي، هو المبدأ الأساسي للساحرات.

ورغم أنه يقول أن كلا من الردة والهرطقة يُحكم عليهما بنفس الطريقة، إلا أنه ليس دور القاضي الكنسي أن يخص نفسه بأمور الساحرات بل القاضي المدني. لأنه لا أحد يجب أن يسبب فوضى بين الناس بسبب محاكمة الهرطقة، والحاكم نفسه لا بد أن يتدخل في هذه الحالات.

دستور «جستنيان»، بالتحدث عن الأمراء الحاكمين يقول: يجب ألا تسمح لأحد أن يثير مملكتك بسبب تحقيق قضائي في أمور تخص الأديان أو الهرطقات، ولا تسمح بأي طريقة بأي عمل قضائي أن يُعمل في المملكة التي تحكمها بدون أن تتدخل بنفسك وتستخدم النقود والسلطات الأخرى المختصة، ولا تسمح لأي شيء أن يحدث في أمور الدين إلا إذا كان متفقا مع مبادئ الدين. وواضح من هذا أنه لا أحد يجب أن يتدخل في قضايا التمرد على الدين إلا الحاكم نفسه.

إلى جانب هذا، إذا كانت المحاكمة والعقاب لهؤلاء الساحرات ليست بالكامل من اختصاص المحكمة المدنية، ماذا ستكون فائدة القوانين التي تنص على ما يلي، كل هؤلاء اللاتي يسمين ساحرات لا بد أن يُحكم عليهن بالموت. وأيضًا: هؤلاء الذين يؤذون حياة الأبرياء بواسطة فنون السحر لا بد أن يُرموا إلى الوحوش. وأيضًا، من اللازم أن يخضعوا للمساءلة والتعذيب، ولا يتعامل معهم أحد من المؤمنين، إلى

جانب عذاب النفي ومصادرة جميع ممتلكاتهم. وعقوبات أخرى كثيرة أضيفت، ويمكن لأي أحد أن يقرأها.

ما يعارض هذه الحجج هي أنه في حقيقة الأمر هؤلاء الساحرات يمكن أن يحاكَمن ويعاقَبن بالتعاون بين المحكمة المدنية والمحكمة الكنسية. لأن الجريمة الشرائعية لا بد أن تحاكَم بواسطة الحاكم ومطران المقاطعة، ليس بواسطة المطران وحده، ولكن لا بد أن يكون الحاكم معه. هذا واضح في دستور جستنيان، حيث تم إلحاق الأمراء الحاكمين على النحو التالي: إنه أمر شرائعي الذي سيُقضى فيه، لا بد أن تُحقق فيه مع مطران المقاطعة. ولإزالة كل الشكوك في المسألة، يقول المفسرون، إذا كان الأمر ببساطة هو مراقبة الإيمان فقط، فإن الحاكم وحده يمكن أن يحكم فيه، ولكن إن كان الأمر معقدا، فلابد أن يتم الحكم فيه بواسطة الأسقف والحاكم، ولابد أن يُحفظ الأمر ضمن الحدود عن طريق شخص مؤيد من الرب، يحفظ الإيمان الأرثوذكسي، ويفرض تعويضات مناسبة عن الأموال، ويحافظ على حرمة الرعايا.

وأيضًا، رغم أن الأمير المدني يمكن أن يفرض عقوبة الإعدام، إلا أن هذا لا يُقصي حكم الكنيسة، التي من دورها أن تحكم على الحالة. بالطبع هذا واضح جدًّا في قانون الشريعة في المواد المتعلقة بالهرطقة. لأنه بعض العقوبات يَحكم بها كل من القانون المدني والتشريعي، كما وضحنا في قوانين الشريعة التي تخص المانوية والهرطقة الآرية. بالتالي فعقوبة الساحرات تخص كلا المحكمتين معًا وليس بشكل منفصل.

أيضًا، تأمر القوانين أن رجال الدين المهرطقين ينبغي أن يحاكموا من قُضاتهم، وليس من المحكمة المدنية أو المؤقتة، لأن جرائمهم تعتبر كنسية بشكل صاف. ولكن جرائم الساحرات هي جزئيا مدنية وجزئيا كنسية، لأنهن عملن الأذى المؤقت وكذلك اعتدين على الإيمان، بالتالي فالأمر يعود إلى قضاة كلا المحكمتين أن يحاكموهن ويعاقبنهن.

هذا الرأي مؤكد في دستور جستنيان، حيث يقول، إذا كانت الجريمة كنسية ستحتاج إلى عقوبة كنسية وغرامة، فيجب أن يَحكم فيها الأسقف الذي يكون مؤيدا

من عند الرب، وليس حتى أشهر قاض في المقاطعة يُسمح له أن يأخذ القضية. ونحن لا نريد أن يكون للقضاة المدنيون أي علم بهذه الإجراءات، لأن هذه الأمور ينبغي أن يُحقق فيها كنسيًا وأرواح المذنبين فيها لا بد أن تصحح بالعقوبات الكنسية، وفقا للقوانين الإلهية المقدسة والتي تتبعها قوانيننا. وعلى الجانب المقابل جريمة السحر لغير رجال الدين لها طبيعة مزدوجة فينبغي أن تحاكَم وتعاقَب من كلتا المحكمتين.

وبالإجابة على كل ما سبق، نقول أن هدفنا الأساسي هو أن نبين، برضا من الرب، نحن مفتشي ألمانيا العلوية أننا معفيون من مهمة محاكمة الساحرات، وأننا نتركهن ليعاقبن بواسطة قضاة مقاطعاتهن، وهذا بسبب مشقة هذا العمل: شريطة ألا يُلحق هذا المسار الخطر بالإيمان وخلاص الأرواح. وبالتالي نحن سنترك للقضاة أنفسهم طرق المحاكمة والعقاب والحكم في هذه الحالات.

بالتالي حتى نبين أن الأساقفة يمكنهم في حالات عديدة أن يتعاملوا مع الساحرات بدون الحاجة إلى المفتشين برغم أنه لا يمكنهم أن يتعاملوا بدون القضاة المدنيين والمؤقتين في الحالات التي فيها عقوبة الإعدام، فيجب أن ندون آراء المفتشين الآخرين في أنحاء إسبانيا، لأننا في النهاية كلنا ننتمي إلى نفس تنظيم المبشرين، حتى تكون كل تفصيلة مفهومة بشكل واضح.

رأيهم هو، أنه كل الساحرات والعرافين ومستحضري الأرواح وإيجازا كل من يعمل هذا النوع من الكهانة، إذا كانوا قد مارسوا الإيمان المقدس في مرة، فهم خاضعون لمحكمة التفتيش، كما في الثلاث حالات الأولى المذكورة في بداية الفصل في كتاب **Multorum querela** للبابا «كليمنت» بخصوص الهرطقة، حيث يقول أنه لا المفتش يجب أن يتعامل بدون أسقف، ولا الأسقف بدون مفتش، رغم أن هناك خمسة حالات أخرى يمكن أن يتعاملوا فيها وحدهم، وأي شخص سيقرأ الفصل سيرى. ولكن في حالة واحدة ذَكر بشكل محدد أنه لا أحد منهما يجب أن يتعامل بدون الآخر، وهي عندما يعتبر العراف مهرطقًا.

في نفس الفئة الخاضعة للمفتشين، وضعوا الكفار، وهؤلاء الذين توسلوا

بالشيطان، وهؤلاء الحاصلين على الحظر الكنسي وظلوا في الحظر سنة كاملة، إما بسبب شيء يتعلق بالإيمان أو في بعض الظروف التي ليس لها علاقة الإيمان، وهم يُدخلون أيضًا عددًا من الإساءات الأخرى. وبسبب هذا فسلطة موظف الكنيسة ضعفت، بسبب أن كثيرًا من الأعباء وُضعت على المفتشين حيث لم يمكنهم أن يحملوها بشكل آمن حيث أن القاضي دائمًا ما يطلب منا التزامًا دقيقًا بكل المهام المفروضة علينا.



السؤال ١. طريقة ابتداء عملية النيابة

ما هي الطريقة المناسبة لابتداء عملية النيابة في الإيمان ضد الساحرات؟ في الإجابة نقول أن هناك ثلاثة طرق يَسمح بها قانون الشريعة:

الأولى هي عندما يَتهم أحدٌ ما شخصًا أمام القاضي بجريمة الهرطقة، أو بحماية الهرطقة، ويَعرض أن يُثبتها مُعرِّضا نفسه للعقوبة في حالة إذا ما فشل في إثباتها.

الطريقة الثانية هي عندما يستنكر أحد ما على شخص ما، ولكن لا يَعرض أن يُثبت أقواله ولا نية له في إدخال نفسه في الأمر، ولكنه يقول أنه ذكر المعلومات كنوع من الحماس للإيمان، أو بسبب العقوبة المفروضة بواسطة القاضي المدني على هؤلاء الذين يفشلون في إثبات المعلومات.

الطريقة الثالثة تتضمن تفتيشًا عامًا، أي أنه عندما لا يكون هناك موجِّه اتهام أو مُبلِّغ، ولكن يوجد تقرير عام بأن هناك ساحرات في قرية ما أو مكان ما، فالقاضي عندها يجب أن يتخذ الإجراءات بدون وجود أي طرف، ولكن ببساطة بقوة سلطته.

هنا لا بد أن نلاحظ أن القاضي يجب ألا يقبل بالطريقة الأولى بسهولة لسبب واحد، أنها ليست اتهاما آتيا من دوافع إيمانية، ولا هي قابلة للتطبيق كثيرًا في حالة الساحرات، لأنهن يعملن أعمالهن في الخفاء، ثم أيضًا هي فيها خطر على موجِّه الاتهام، لأن هناك عقوبة عليه إذا فشل في إثبات قضيته، ثم أيضًا هي تنازعية جدًّا.

فالعملية ينبغي أن تبدأ باقتباس عام يُوضع على جدار أبرشية الكنيسة أو مبنى البلدية، بهذا الشكل:

نحن نائبو كذا وكذا (أو قضاة مقاطعة كذا وكذا)، نسعى بكل جهد وقوة بكل قلوبنا أن نحافظ على الشعب المسيحي الذي وثق بنا في وحدته وفي إبقائه بعيدًا عن

كل بلاء بغيض من الهرطقة: بالتالي نحن القضاة المذكورون لذلك المكتب، لأجل مجد وشرف الاسم المعبود يسوع المسيح وتمجيد إيمان الأرثوذكس المقدس، ولقمع الهرطقة الخبيثة التي تعملها الساحرات بشكل عام وتعملها كل واحدة منهن على حدة أيا ما كانت حالتها (هنا إذا كان قاضيًا كنسيًا، يجب أن يدعو إلى اجتماع كل الكهنة وكبار الشخصيات في الكنيسة في هذه القرية بقوله: نحن نوجه، ونأمر، ونطلب، ونحث، بأنه في مدة اثني عشر يومًا وهنا القضاة المدنيون يجب أن يأمروا بطريقتهم).

أول أربعة أيام منها موقوفة للتحذير الأول، والثانية للتحذير ثاني، والثالثة للتحذير الثالث، ونحن نأمر في هذا التحذير الشرعي الثلاثي أنه إذا عَلم أي أحد، أو رأى، أو سَمع أن هناك أي شخص مُبلَّغ عنه أنه مهرطق أو ساحر أو ساحرة، أو مشتبه فيه بعمل أي من هذه الممارسات المضرة للإنسان والماشية والأشجار على الأرض، والمهدِّدة بضياع الدولة، فعليه أن يُبلغ عنه فورًا، ولكن إذا لم يطع أحد ما هذه الأوامر والتحذيرات بالكشف عن هذه الأمور في المدة المحددة، فليعلم (هنا يجب على القاضي الكنسي أن يضيف) أنه سيتم حرمانه بسيف الحظر الكنسي (القاضي المدني هنا يجب أن يضيف العقوبة المؤقتة)، حيث أن عقوبة الحظر نحن سنفرضها من هذا الوقت على كل من يتجاهل بعناد هذه التحذيرات الشرعية المذكورة.

في الطريقة الثانية لا بد أن يُضاف شيء إلى هذا التحذير، لأنه قيل فيها أنها تكون بواسطة المعلومات، حيث أن المُبلِّغ لا يعرض أن يثبت أقواله وليس مستعدًا أن يكون متورطًا في القضية، ولكنه فقط يتكلم بسبب حماسته للإيمان ولصالح الدولة، بالتالي فالقاضي المدني لا بد أن يذكر أو ينوه في التحذير المذكور، أنه لا أحد يجب أن يظن أنه سيصبح مُعرضا للعقوبة لو فشل في إثبات أقواله، حيث أنه أتى ليس بصفته متهمًا ولكن بصفته مبلغ.

وبعدها، بما أن العديدين سيذهبون ويُدلون بالمعلومات أمام القاضي، لا بد أن يعتني القاضي بأن يعمل الإجراءات بالطريقة التالية: لا بد أن يكون لديه كاتِبا عدلٍ، اثنان صادقان، إما من رجال الدين أو الأشخاص العاديين، وإن كان كاتب العدل متعذّر الحصول عليه، فليكن أي رجلين مناسبين في مكان كاتب العدل،

وهذا تم ذكره في الشريعة حيث تقول: من الواجب أن تتقدم بحذر في محاكمة الجرائم الخطيرة حيث أنه لا خطأ يجب أن يُرتكب في تنزيل العقوبة الشديدة على مستحقها، نحن نرغب ونأمر بأنه أثناء استجواب الشهود أو المبلِّغين في تهمة كهذه لا بد أن يكون لديك اثنين عاقلين متدينين، إما رجلي دين أو رجلين عاديين.

ثم تقول: في وجود هؤلاء الأشخاص فإن شهادة الشهود ستُكتب بصدق بواسطة موظف ديني عام إذا استطعت أن تحصل على واحد، أو إذا لم تحصل، فبأي اثنين مناسبين، ولاحظ بالتالي أنه بوجود هؤلاء الأشخاص، فالقاضي سيأمر الشاهد أو المُبلِّغ أن يذكر معلوماته كتابة، أو على الأقل يذكرها بوضوح شفهيًا، وبعدها يبدأ كاتب العدل في الكتابة بالطريقة التالية:

في سنة ربنا -، في يوم -، من شهر -، في وجودي أنا كاتب العدل والشهود المساهمين، في قرية - في أبرشية -، أتى شخصيًّا الشاهد - أمام القاضي المكرم وعرض ورقة فيها المعلومات التالية.

(هنا يجب أن يذكر المعلومات كلها، وإذا لم يقدم الشاهد شهادته مكتوبة، فيجب أن يأخذها شفهية ويكتب ما يلي)

(الشاهد أتى.. إلخ، وقدم معلومات للقاضي في قرية - في أبرشية - وقال وأكد أن المتهم - يعلم كيف يضر الناس أو أنه عمل بالفعل ضررًا معينًا للشاهد أو لشخص آخر)

بعد هذا لا بد أن يجعل الشاهد يحلف بالطريقة المعتادة، إما على أناجيل الرب الأربعة، أو على الصليب، رافعًا ثلاثة أصابع وخافضًا اثنين في تمثيل للثالوث المقدس ولإدانة روحه وجسده بأنه سيقول الحقيقة في شهادته، وعندما يقسم يجب أن يبدأ القاضي في سؤاله كيف عرف أن شهادته هذه حقيقة، وإن كان قد رأى أو سمع بالذي يقسم عليه، وإذا قال أنه قد رأى شيئًا، كمثال: رأى المتهم موجودًا في وقت حدوث العاصفة السحرية، أو أنه قد مس حيوانًا، أو دخل إسطبلًا، سيبدأ القاضي بسؤاله متى رآه، وأين، وكم مرة، وبأي طريقة، ومن كان موجودًا، وإذا قال أنه لم يره لكن سمع عنه، يجب أن يسأله القاضي من الشخص الذي سمع منه، وأين، ومتى، وكم مرة، وفي وجود من، وليعمل مقالات منفصلة لكل نقطة من

النقاط المذكورة، وكاتب العدل أو الكاتب العادي يجب أن يدون تقريرًا بهذا كله بسرعة ويكتب كالتالي:

أتى الشاهد بنفسه وأقسم على الأناجيل الأربعة.. إلخ، بأنه سيقول الحقيقة في شهادته، وسأله القاضي كيف ولماذا عرف أو شك أن ما يقوله حقيقي، وأجاب بأنه رأى أو أنه سمع، ثم سأله المفتش أين رأى أو سمع هذا، وأجاب بأنه رآه في يوم - من شهر - في سنة - في قرية وأبرشية -، وسأله كم مرة رأى أو سمع.. إلخ.

ويجب عمل مقالات منفصلة، والكل يدونه بالطريقة التي ذكرناها، وتحديدًا لا بد أن يسأله من الذي يشاركه المعرفة بهذه القضية.

وعندما يعمل كل هذا، يمكنه في النهاية أن يسأله إذا كان قد قدّم هذه المعلومات بسبب رغبة مريضة منه أو كُره أو حقد على المتهم، أو إن كان قد حذف شيئًا من شهادته محاباة لفلان، أو إن كان قد طُلب منه أن يقول هذه المعلومات.

في النهاية، لا بد أن يَفرض عليه أن يُبقي الأمر سرًا مهما كان الذي قاله في المحكمة، أو مهما قال له القاضي، وكل العملية يجب أن تُدوّن مكتوبة، وعندما يكتمل كل هذا، لا بد أن يدوّن بالأسفل التالي:

هذا قد تم عمله في المكان الفلاني في يوم - وشهر - وسنة -، في وجودي أنا كاتب العدل أو الكاتب العادي وهؤلاء المكلفين معي بالكتابة، والشاهد فلان وفلان تم استدعاؤهم والتحقيق معهم.

الطريقة الثالثة لابتداء العملية هي الأكثر شيوعًا والعادية، حينما لا يظهر أي مُبلِّغ أو شاهد أو متهم، ولكن يكون هناك تقرير عام بوجود سحر في قرية ما، وبسبب هذا التقرير يمكن أن يتقدم القاضي بدون عمل تحذير عام مثل الذي أعلاه، لأن التقرير قد أتى له عن طريق السمع، فيكتب:

في سنة ربنا - في يوم - من شهر -، وصل إلى سمع القاضي فلان تقريرًا عامًا وإشاعة بأن قرية - فيها نوع من السحر، الذي هو ضد الإيمان وضد الصالح العام للدولة.

وكل شيء يجب أن يُكتب وِفقًا للتقرير العام، وفي أسفله يكتب:

القضية التي سمعناها في يوم - من شهر - في سنة - في وجود كاتب العدل فلان وفلان وأصحاب السلطة فلان وفلان، والشهود فلان وفلان الذين تم استدعاؤهم والتحقيق معهم.

ولكن قبل أن نُكمل إلى الموضوع الثاني الذي يتعامل مع طرق مباشرة هذه العمليات، لا بد أن نقول شيئًا عن الشهود الذين يتم استجوابهم، مثل كم العدد اللازم منهم، وما هي شروطهم.



السؤال ٢. عن عدد الشهود

من الضروري أن نعلم كم شاهدًا يجب أن يكون موجودًا وما هي شروطهم، السؤال هو: هل للقاضي بطريقة شرعية أن يحكم على أي شخص بهرطقة السحر بشهادة اثنين من الشهود الموثوقين والذين تكون دلائلهما متفقة؟ أم أنه يجب توافر أكثر من اثنين؟

ونقول بأنه ربما تكون أدلة الشاهدَين ليست متفقة بشكل كامل ولكن فقط يكون فيها اتفاق جزئي، بذلك سيختلف الشاهدان في كلامهما في شيء معين، كمثل أن يقول أحدهما **«هذه المرأة سحرت بقرتي»**، والآخر يقول: **«هذه المرأة سحرت طفلي»**، ولكنهما يتفقان في مسألة السحر.

ولكننا هنا سنتحدث عن حالة الشاهدين الذين يكونان متفقين تمامًا، والإجابة هي: رغم أن شاهدين فقط يبدوان كافيين لتحقيق دقة القانون (بسبب قاعدة أنه إن أقسم اثنين أو ثلاثة على شيء فهو حقيقي)، إلا أنه في تهمة من هذا النوع، فشاهدين لا يبدو أنهما يكفيان لعمل الحُكم العادل، وذلك بسبب فظاعة الجريمة التي يتعلق بها السؤال، لأن البرهان على هذا الاتهام الكبير لا بد أن يكون أوضح من ضوء النهار، خاصة في تهمة الهرطقة.

ولكن يمكن أن يقال أنه ربما يحتاج الأمر برهانًا بسيطًا في التهم التي من هذا النوع، وأنه قيل في الشريعة عن الهرطقة: أن الإنسان يكشف نفسه أنه مهرطق فقط إذا وجد نفسه يحيد عن التعاليم وعن طريق الدين الكاثوليكي، ونُجيب بأن هذا مفيد في افتراض أن الشخص مهرطق، ولكن ليس مفيدًا في إدانته.

النظام العادي للإجراء القضائي هو نظام قصير، فالدفاع لا يرى الشاهد يحلف اليمين، والدفاع لا يعرفون الشاهد، لأن هذا سيعرضه لخطر كبير، بالتالي، وفقًا للقانون فالسجين لا يُسمح له أن يَعلم من الذين يتهمونه، ولكن القاضي نفسه مسموح له، كما سنوضح لاحقًا. وعندما يقدم الشاهد دليلًا مرتبِكًا بسبب شيء

يرقد على ضميره، فالقاضي لديه السلطة أن يضعه تحت تحقيق ثانٍ، وكلما قلّت فرصة السجين في أن يدافع عن نفسه، كلما استطاع القاضي أن يحققّ بشكل أكثر دقة.

لأنه رغم أن هناك شاهدين متفقين وموثوقين ضد شخص واحد، فحتى هذا أنا لا أسمح به أن يكون دليلًا كافيًا للقاضي ليُدين شخصًا بتهمة كبيرة كهذه، لكن إذا كان السجين هو شخص ذو سمعة شريرة، فلا بد أن تُعطى له فترة ليتطهر، وإذا كان يُشك بشكل قوي في شهادة أو في دليل أحد الشهود، فلا بد للقاضي أن يجعله ينكر الهرطقة، أو يسأله مرة أخرى، أو يغير من حكمه. لأنه لا يبدو عادلًا أن تدين إنسانًا له سمعة جيدة بتهمة كبيرة كهذه بشهادة شاهدين فقط، رغم أن الحالة مختلفة بالنسبة للشخص سيئ السمعة. هذا الأمر تم التعامل معه بشكل كامل في قانون الشريعة، حيث كُتب أن الأسقف لا بد أن يأتي بثلاثة شهود أو أكثر من الرجال ليعطوا الأدلة تحت القسم بأنهم يقولون الحقيقة إن كانوا يعلمون أي معلومة عن وجود هرطقة في هذه الأنحاء.

وأيضًا يمكن أن نسأل: هل القاضي يمكن أن يدين شخصًا بهرطقة كهذه بشهود غير متفقين في أدلتهم؟ ونجيب بأنه لا يمكنه عمل هذا، خاصة لأن البراهين على التهمة لا بد كما قلنا أن تكون أوضح من ضوء النهار، وفي هذه التهمة بالتحديد لا أحد يُدان بدليل افتراضي، بالتالي في حالة السجين الذي يكون متهمًا باتهام عام، تُعطى له مدة لتطهير نفسه، وفي حالة الذي يكون تحت الشك القوي من براهين الشهود، لا بد أن نجعله ينكر الهرطقة، ولكن على الرغم من بعض التعارضات، فالشهود يتفقون على حقائق معينة، وبالتالي تكون للقاضي حرية التصرف، وبشكل غير مباشر يأتي سؤال آخر هو كم مرة يجب أن يتم التحقيق مع الشهود؟



السؤال ٣. الاستحلاف الرسمي وإعادة التحقيق مع الشهود

يمكن أن نسأل: هل القاضي يقدر أن يُجبر الشاهد أن يقسم اليمين على قول الحقيقة بخصوص إيمان الساحرات؟ وهل بإمكانه استجوابه عدة مرات؟ ونجيب بأنه يمكنه عمل ذلك، خاصة في المحكمة الكنسية، وفي الحالات الكنسية يمكن أن يفرِض القاضي على الشاهد أن يقول الحقيقة بالقسم، وإلا لن يكون دليله ذا قيمة، لأن قانون الشريعة يقول: المطران أو الأسقف يمكن أن يعمل جولة في الأنحاء التي فيها إشاعة وجود هرطقة، ويجبر أكثر من شخص لهم سمعة جيدة أو يبدون أشخاص طيبين بالنسبة له ولكل الحي أن يُقسموا، وإذا رفضوا بعناد أن يقسموا فسيتم اعتبارهم مهرطقين.

والشاهد يمكن أن يحقَّق معه عدة مرات وهذا موجود في الشريعة، حيث تقول: عندما يعطِي الشاهد دليله بشكل مرتبك، أو يبدو أنه يكتم شيئًا يعلمه لسبب ما، فإن على القاضي رسميا أن يعيد التحقيق معه من جديد.



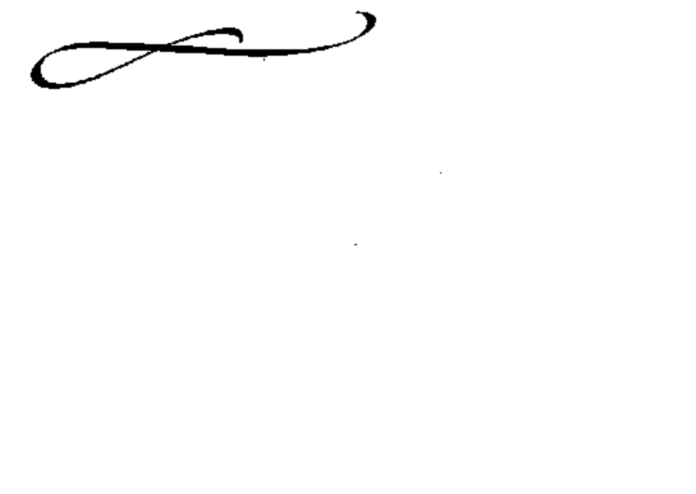
السؤال ٤. عن طبيعة وحالة الشاهد

بالنسبة للذين تحت حكم الحظر الكنسي وأنصارهم ومساعديهم في الجريمة، والأشقياء وسيّئي السمعة، أو الخُدّام الذين يُعطون أدلة ضد أسيادهم، فهم مُعتَمدين كلهم كشهود في الحالات التي تخص الإيمان، وكما أن الهرطقة يمكن أن تعطِي دليلا ضد الهرطقة، فأيضًا الساحرة يمكن أن تعطِي دليلا ضد الساحرة، ولكن هذا فقط في حالة نقص البراهين الأخرى، وهذا الدليل يمكن فقط أن يُعتبر به في المقاضاة وليس في الدفاع، وهذا حقيقي أيضًا في الأدلة التي تقدمها زوجة السجين أو أولاده أو قرابته ضد السجين، لأن الدليل الذي مثل هذا له وزن أكبر في إثبات التهمة.

ولقد كان هذا واضحًا في الشريعة حيث تقول: كحماية للإيمان نحن نسمح في حالة التحقيق في خطية الهرطقة أن الأشخاص الذين تحت الحظر الكنسي وشركائهم ومساعديهم في الجريمة، أن يُعتبر بهم كشهود في حالة نقص البراهين ضد الهرطقة ومناصريها والمدافعين عنها، شريطة أن يظهر من عدد الشهود ومن الأدلة ومن الظروف كلها أنهم لا يعطون شهادة مزيفة.

في حالة الدليل المعطَى بواسطة شاهد زور، بافتراض أنهم يتكلمون الآن بدافع حماستهم على الدين، فقد تحدثت الشريعة عن هذا حيث قالت: أن أدلة شهود الزور، بعد أن يتوبوا، هي مقبولة، إذا ظهر بوضوح أنهم لا يتكملون بروح من الطيش، أو بدافع العداوة، أو بسبب الرشوة، ولكن فقط بدافع الحماسة الصافية للإيمان الأرثوذكسي، راغبين في تصحيح ما قالوه، أو أن يكشفوا شيئًا كانوا قد أخفوه، في دفاع عن الإيمان، فشهادتهم تكون صحيحة مثل أي أحد آخر، شريطة ألا يكون هناك أي شيء آخر يعارضها.

وواضح من نفس الفصل في الشريعة أن شهادة الأشخاص ذوي السمعة السيئة أو المجرمين أو الخدم ضد أسيادهم هي مقبولة، لأن الشريعة تقول: عظيم هو بلاء الهرطقة، بأنه حتى الخدم يُقبل بهم كشهود ضد أسيادهم، وأي مجرم أو شخص سيئ السمعة يمكن أن يقدم دليلًا ضد أي شخص أيًا كان.



السؤال ٥. إن كان الأعداء يمكن أن يعتبروا كشهود

ولكن إذا سألنا: هل يمكن للقاضي أن يَعتبر عدو السجين الذي يريد أن يقدم دليلًا ضده في مثل هذه القضية هو شاهد معتبر؟ ونجيب بأنه لا يمكنه ذلك، لأنه في نفس الفصل من الشريعة تقول: يجب أن تفهم أنه في هذا النوع من التُّهم، العدو الشخصي لا يمكن الاعتبار به في تقديم دليل. هنري أوف سيجوسيو أيضًا يوضح هذا. ولكن ما يتحدثون عنه هنا هم الأعداء، ويجب أن نذكر أن الشاهد لا يكون بالضرورة غير مؤهل بسبب هذا النوع من العداوة، فالعدو يتشكل من الظروف التالية: عندما يكون هناك موت وانتقام بين الطرفين، أو عندما يكون هناك محاولة للقتل، أو جرح شديد أو ضرر يوضح أن هناك عداوة من الشاهد ضد السجين، وفي هذه الحالة يُفترض أن الشاهد كما يحاول أن يصيب السجين بالموت، فهو أيضًا سيحاول أن يصيبه بالهرطقة، وكما أنه يتمنى أن يأخذ حياة السجين، كذلك سيتمنى أن يأخذ سمعته، بالتالي فالدليل المقدّم من عدو السجين لا يُعتد به.

ولكن هناك درجات أخرى من العداوة (لأن النساء تكره بسهولة)، فلا يحتاج في تلك الدرجات أن نعتبر الشاهد غير مؤهل تمامًا، رغم أنه يُنظَر إلى الدليل الذي يقدمه بشك شديد، ولا يُعطى التصديق الكامل لكلماته إلا إذا أثبتها ببراهين مستقلة، وأن يكون شهود آخرين قد قدموا أدلة أخرى غير مشكوك فيها. والقاضي يجب أن يسأل السجين إن كان يظن أن لديه أعداء يمكن أن يتقدموا ويتهموه بدافع الكره حتى يوصلوه إلى الموت، وإذا قال نعم، يجب أن يسأله القاضي من هو هذا الشخص، ومن ثم يجب أن يلاحظ القاضي إن كان الشخص الذي ذكره السجين معروف بأنه يُقدم أدلة بدوافع الخبث، وإذا كان الدليل الذي يقدمه العدو ليس مثبتًا ببراهين أخرى أو بشهادة شهود آخرين، فيمكن للقاضي أن يرفض الدليل، ولكن إن قال السجين أنه ليس لديه أعداء كهؤلاء، لكنه اعترف أنه كانت لديه مخاصمات مع نساء، أو إذا قال أن لديه عدو، لكنه سمّى شخصًا لم يتقدم بدليل

ضده، في هذه الحالة، حتى لو قال الشهود الآخرون أن هذا الشاهد قد أعطى أدلة بدوافع من العداوة، فإن القاضي لا يرفض الدليل، ولكن يعتد به مع بقية الأدلة.

هناك الكثيرين ممن ليسوا حريصين كفاية وليس لديهم وعي، يعتبرون أن الشهادة من المرأة العدوانية يجب أن تُرفض كلها، ويقولون أنه لا ثقة يمكن أن توضع فيها، لأنها دائمًا تتحرك بدوافع من الكره، مثل هؤلاء الرجال هم جهلة بالاحتياطات القضائية، ويتحدثون ويحكمون كمثل الذين لديهم عمى ألوان، ولكن هذه الاحتياطات سنتعامل معها في السؤال الحادي عشر والثاني عشر.



السؤال ٦. كيف للمحاكمة أن تتقدم وتستمر

كيف للمحاكمة أن تتقدم وتستمر؟ وكيف يمكن للشهود أن يُستَجوبوا في حضور أربعة أشخاص آخرين؟ وكيف لموجِّه التهمة أن يُسأل بطريقتين؟

بالنسبة للطريقة التي تتقدم بها محاكمة الساحرات، يجب أن نذكر أولًا أن مثل هذه القضايا يجب أن تؤدَّى بأبسط وأكثر طريقة موجزة، بدون حجج وخلافات من المحامين.

هذا مشروح في الشريعة كما يلي: أحيانًا نُنشئ عملية جنائية، ونؤديها بطريقة بسيطة ومستقيمة بدون المراوغات القضائية والخلافات التي تقدم في القضايا الأخرى. الكثير من الشك موجود في فهم معنى هذه الكلمات، فبأي طريقة بالضبط يجب أن تُؤدى هذه القضايا! ولكننا راغبون في أن نزيل كل الشكوك عن المسألة، نُقر بأن الطريقة التالية هي الصحيحة بشكل نهائي وحاسم:

القاضي الذي تكون القضية عنده لا حاجة به أن يطلب أي وثيقة مكتوبة، أو يسمح بالأمر أن يحدث فيه نضال ونزاع، ويمكنه أن يعمل القضية في الإجازات لأجل أن تكون ملائمة مع العامة، ويجب أن يختصر إجراءات القضية بقدر استطاعته بأن يرفض كل الاعتراضات التي تعطلها، والاستئنافات والعوائق، والخلاف السفيه من المستأنفين والمحامين، والنزاع بين الشهود، وأن يمنع ازدياد عدد الشهود، ولكن ليس إلى حد أن يتجاهل أدلة ضرورية، ونحن لا نعني بهذا أنه يجب أن يحذف مثلًا استحلاف الشهود أن يقولوا الحقيقة.

وبما أنه، كما وضحنا، هذه العملية يجب أن تُؤدّى بأبسط طريقة ممكنة، وهي يمكن أن تُبتدئ عن طريق موجِّه التهمة، أو عن طريق شخص يبلغ بدافع الحماس، أو عن طريق غضب عام أو إشاعة عامة، بالتالي فالقاضي يجب أن يحاول أن يتجاوز أول طريقة من الابتداء، تلك التي يبدأها موجِّه التهمة، لأن أعمال الساحرات بالارتباط مع الشيطان تُعمل غالبًا في الخفاء، وموجِّه الاتهام لا يمكن في

هذه الحالة أن يكون لديه دليل يجعل من شهادته جيدة، بالتالي يجب على القاضي أن ينصح موجه الاتهام أن يُنحّي جانبًا اتهامه الرسمي وأن يتقدم للقضية على أنه مبلغ معلومات، بسبب الخطر الكبير الذي سيكون عليه كموجه اتهام.

قلنا من قبل أن القاضي يجب أن يسأل المُبلِّغ عن أي شخص غيره لديه معرفة بالقضية، ومن ثم فالقاضي يجب أن يستدعي الأشخاص الذين يسميهم المُبلِّغ، والذين يرجو القاضي أن يكون لديهم علم أكثر عن الأمر، ولابد أن تُكتب أسماؤهم بواسطة الكاتب، بعد هذا فالقاضي يراعي حقيقة أن القضية التي يحقق فيها هي هرطقة وهي اتهام خطير لا يجب التساهل فيه، لأن التساهل فيه هو إساءة للعظمة الإلهية وإضرار بالإيمان الكاثوليكي وبالدولة، فيجب أن يحقِّق مع الشهود بالطريقة التالية:

الشاهد فلان من مكان كذا، استدعيناه وأقسم، وتم سؤاله إن كان يعرف فلانة (ويسمي المتهمة)، وأجاب بأنه يعرفها، وسُئل كيف يعرفها، فأجاب بأنه رآها وتحدث معها في مرات عديدة، أو أنهما كانا زملاء (فيحدد سبب معرفته بها)، وسُئل كم مدة معرفته بها، وأجاب بأنها عشرة سنوات، وسُئل عن سمعتها، خاصة فيما يتعلق بالإيمان، وأجاب أنه في أخلاقها فهي امرأة صالحة (أو سيئة)، ولكن بالنسبة للإيمان، فهناك تقرير أن المكان الذي تسكنه فيه ممارسات تعارض الإيمان كالسحر، فسُئل ما هو هذا التقرير، وأجاب، وسُئل إن كان قد رآها أو سمعها تفعل أشياء كهذه وأجاب، وسُئل أين سمعها تستخدم عبارات كهذه وأجاب أنه في المكان الفلاني، وسُئل في وجود من فأجاب في وجود فلان وفلان.

وأيضًا، سُئل إن كان أي من أقرباء المتهمات تم إحراقها من قبل بتهمة السحر، أو تم الاشتباه فيها وأجاب، وسُئل إن كان مرتبطًا بأي ساحرات مشتبه فيهن وأجاب، وسُئل بخصوص السبب والطريقة التي تقول بها المتهمة كلماتها وأجاب بسبب كذا وبطريقة كذا، وسُئل إن كان يظن أن السجينة استخدمت هذه الكلمات بلا مبالاة وبغير قصد أو تفكير، أو أنها قالتها قاصدة متعمدة وأجاب أنها استخدمت هذه الكلمات على سبيل المزح أو أثناء الغضب، أو بدون أن تعنيها أو أن تصدق بما قالته، أو قالتها قاصدة متعمدة.

وسُئل كيف يمكن أن يعرف دوافع المتهمة بأنها مزح، وأجاب أنه يعرف هذا بسبب أنها قالتها مع ضحكة.

هذا أمر يجب أن يُحقّق فيه بشكل جاد، لأنه في كثير من الأحيان يستخدم البعض كلمات سيئة أثناء الغضب، أو كاختبار لرد فعل الآخرين، وفي بعض الأحيان تستخدم بقصد.

ثم يُسأل إن كان قد قدّم شهادته هذه بدافع الكره أو الحقد، أو إن كان قد كتم شيئًا محاباة لأحد، وأجاب.. إلخ، وأُمِر بالحفاظ على السرية، وقد حدث هذا في المكان الفلاني في اليوم الفلاني في حضور الشهود الفلانيين الذين تم استدعاؤهم ومساءلتهم، وفي وجودي أنا كاتب العدل أو الكاتب العادي.

هنا يجب أن نذكر أنه في تحقيق كهذا لا بد من وجود خمسة أشخاص على الأقل، تحديدًا القاضي، الشاهد المبلغ، المتهم الذي يظهر لاحقًا، كاتب العدل أو الكاتب العادي إن لم يكن هناك كاتب عدل فيتعاون رجلان صادقان ليعملا مهمة كاتب العدل، وتأتي بهما السلطة الرسولية.

أيضًا لا بد أن نذكر أنه عندما يُستدعى الشاهد فإنه يجب أن يحلف، أي أنه يجب أن يُقسم بالطريقة التي وضحناها.

بنفس الطريقة يُحقّق مع الشهود الآخرين، وبعدها يقرر القاضي إن كانت الجريمة قد تم إثباتها بشكل كامل أم لا، وإن لم تكن، فإن كانت هناك دلالة قوية وشك قوي في حدوث الجريمة، ولاحظ أننا لا نتحدث عن الشك البسيط الذي قد يحصل من الحدس الطفيف، ولكن من تقرير متين بأن المتهمة قد عملت السحر على الأطفال أو الحيوانات.. إلخ

وخاف القاضي من هروب المتهمة، فيمكن أن يجعلها تدخل الحبس، ولكن إذا لم يخف من ذلك، يمكن أن يستدعيها فقط للتحقيق، ولكن إن وضعها في الحبس أو لم يضعها، لا بد أولًا أن يأمر بتفتيش منزلها بشكل مفاجئ، وأن تُفتح كل الخزانات والصناديق التي في زواياه، وأن تؤخذ أي أدوات للسحر، وبعد عمل هذا، لا بد أن يقارن القاضي بين كل شيء مدان أو مشتبه به مع أدلة الشهود، ويعمل لهم استجوابًا ويكون معه كاتب العدل.. إلخ، كما قلنا أعلاه، ويجعل المتهمة تُقسم

على الأناجيل الأربعة أن تقول الحقيقة عن نفسها وعن الآخرين، ويجب أن يُكتب بالطريقة التالية:

المتهمة فلانة في مكان كذا قد أقسمت وهي تمس الأربعة أناجيل أن تقول الحقيقة عن نفسها وعن الآخرين، وسُئلت من أين هي وما أصلها، وأجابت أنها من مكان كذا في أبرشية كذا، وسُئلت من أبواها، وإن كانا أحياء أم أموات، وأجابت بأنهما أحياء في مكان كذا، أو أموات في مكان كذا.

وسُئلت إن كانا قد ماتا موتة طبيعية أم تم إحراقهما، وأجابت. (هنا لاحظ أن هذا السؤال قد وُضع بسبب أنه كما قلنا في الجزء الثاني من هذا العمل، الساحرات دومًا يهبن أطفالهن للشيطان، وبالتالي فإن ذريتهن تصاب بالكامل، وعندما يذكر المُبلِّغ أن أمها كانت ساحرة مثلًا، وتُنكر الساحرة، فإن هذا يضعها تحت الاشتباه)

وسُئلت أين ترعرعت وأين تستقر، وأجابت في مكان كذا وكذا. وإن ظهر أنها غيرت مسكنها فقد يكون هذا بسبب أن أمها أو أي من أقربائها هم موضع شك ويعيشون في مقاطعات أجنبية، خاصة في الأماكن التي تكون فيها الساحرات عادة، وستتم مساءلتها وفقًا لذلك.

وسُئلت لماذا انتقلت من مكان مولدها وذهبت لتعيش في مكان آخر، فأجابت بسبب كذا. وسُئلت إن كانت في هذه الأماكن المذكورة أو في أي مكان آخر سمعت أي كلام عن ساحرات مثلا يُثرن العواصف، أو يسحرن الماشية، أو يسلبن الحليب من الأبقار، أو أي من هذه الأمور التي هي متهمة بها، وإن أجابت أنها سمعت، يجب أن تُسأل ما الذي سمعته، وكل ما تقوله يجب تدوينه، ولكن إن أنكرت وقالت أنها لم تسمع شيئًا، عندها تُسأل إن كانت تؤمن أن هناك شيء كالساحرات، وعن وجود أو إمكانية حدوث هذه الأشياء المذكورة، مثلًا أن هذه العواصف يمكن أن يثيرها الإنسان وأن الحيوانات يمكن أن تُسحر.

لاحظ أن الساحرات في الغالب يُنكرن هذا في البداية، وبالتالي هذا يولد شكًا أكبر من لو أجبن بأنهن يتركن هذا الأمر لحُكم القضاء ليقول إن كان هناك شيء مثل هذا أم لا.

ويجب على القاضي ألا يؤخر الأسئلة، بل أن يحقّق فيها كلها مرة واحدة مع الساحرة، ويجب أن يسألها لماذا يخاف الناس عامة منها، وإن كانت تعلم أنها ذات سمعة سيئة ومكروهة، ولماذا هددت الشخص الفلاني بقولها أنت لن تُفلت من عقابي، ويجب أن تُكتب إجابتها.

ويجب أن تُسأل فيما أذاها هذا الشخص حتى تستخدم معه مثل هذه العبارات التي تهدده بالأذية، ولاحظ أن هذا السؤال ضروري للوصول إلى سبب العداوة، لأنه في النهاية المتهمة ستحتج بأن المُبلِّغ قد شهد ضدها بدافع من العداوة الشخصية، وهي عادة عند الساحرات أن يُثرن العداوة ضدهن ببعض الكلمات والأفعال، كمثال: أن تسأل شخصًا ما أن يقرضها شيئًا وإلا ستُتلف له حديقته، أو شيء من هذا القبيل، حتى تخلق مناسبة تعمل بها السحر، وهن يُظهرن أنفسهن إما بالكلمات أو الأفعال، لأنهن مجبرات على فعل هذا بأمر من الشيطان.

لكن نلاحظ أنهن لا يعملن هذه الأشياء في وجود أناس آخرين، لذا إن أراد المُبلِّغ أن يُعيّن شاهدًا فلن يستطيع. لاحظ أيضًا أنهن مدفوعات من الشيطان، كما علمنا من كثير من الساحرات اللاتي تم حرقهن، لذلك غالبًا ما يكن مجبرات على عمل السحر ضد رغبتهن. أيضًا يتم سؤالها كيف يمكن للتنفيذ أن يتم بعد هذه التهديدات، مثل كيف يُسحر الطفل أو الحيوان بهذه السرعة، وتجيب، وتُسأل لماذا قالت بأنه لن يرى أبدًا يومًا من أيام الصحة، وحصل هذا فعلاً؟ وتجيب. وإذا أنكرت كل شيء يجب أن تُسأل بخصوص الأسحار الأخرى التي اتهمها بها الشهود الآخرين على الماشية أو الأطفال، وتُسأل لماذا تمت رؤيتها في الحقول أو في الإسطبل مع الماشية أو شوهدت تلمسهم كما هي عادتهن، وتجيب.

وتُسأل لماذا لمست طفلًا ثم أصبح مريضًا بعدها، وتجيب، وأيضًا تُسأل ما الذي كانت تعمله في الحقول في وقت العاصفة، كذلك في كل الأمور الأخرى، وأيضًا لماذا بينما لديها بقرة أو اثنتين فإن حليبها أكثر من جيرانها الذين لديهم أربع أو ست بقرات، وأيضًا يجب أن تُسأل لماذا تُصر على الزنا والعلاقات الجنسية دون زواج، رغم أن هذا خارج عن الموضوع إلا أن أسئلة كهذه تُحدث المزيد من الشك عما إذا كانت الحالة هي حالة امرأة صالحة.

ولابد أن تتكرر مساءلتها عن شهادات الشهود التي قالوها ضدها، ليُعلم إن كانت ستقول نفس الإجابات أم لا، وعندما يكتمل هذا التحقيق، سواء كانت إجاباتها بالنفي أو الإيجاب، أو كانت إجابات غامضة، فلابد أن تدون: أنه في مكان كذا حصل كذا وكذا.. إلخ، كما قلنا أعلاه.



السؤال ٧. عن توضيح الشكوك التي تتعلق بالأسئلة السابقة وهل سيتم سجن الساحرة

عن توضيح الشكوك التي تتعلق بالأسئلة السابقة، وإن كانت المتهمة سيتم سجنها، وإن كانت ستُعتبر بشكل واضح أنها مرتكبة هرطقة السحر الشنيعة.

السؤال في البداية: ما الذي يمكن عمله إذا أنكرت المتهمة كل شيء كما يحدث غالبًا؟ ونجيب بأن القاضي لديه ثلاث نقاط ليضعها في اعتباره، تحديدًا: سمعتها السيئة، والدليل على الجريمة، وشهادة الشهود. ولا بد أن يرى إن كان هذا كله سيتفق مع بعضه أم لا، ويحدث غالبًا أنه لا يتفق مع بعضه، لأن الساحرات عادة يُتهمن بأفعال مختلفة عملنها في قرية واحدة، ولكن ربما الأدلة على هذا كانت مرئية للعين، مثل أن طفلًا قد أوذي بالسحر، أو أن حيوانًا سُحر وسُلب منه حليبه، وجاء عدد من الشهود بأدلة، حتى إن بدا فيها بعض التناقض (مثل أن يقول واحد أنها سحرت طفله، والآخر يقول أنها سحرت حيوانه، والثالث يقول أنها ذات سمعة سيئة، وهكذا)

ولكن مع ذلك فالكل يتفق على حقيقة واحدة وهي السحر، وأنه يُشتبه فيها أنها ساحرة، ورغم أن هؤلاء الشهود ليسوا دليلًا كافيًا لإدانتها بما تم ذكره عنها في التقرير العام كما قلنا أعلاه في السؤال الثالث، إلا أنه بأخذ الأدلة المرئية والملموسة على الجريمة، يمكن للقاضي بالنظر في النقاط الثلاثة، أن يُقرر بأن المتهمة ليست فقط مشكوك فيها (لأن موضوع الشك سيشرح لاحقًا) بل هي مدانة بعمل هرطقة السحر، شريطة أن يكون الشهود حالتهم مناسبة ولم يعطوا دلائلهم بدافع العداوة، وأن عددًا كافيًا منهم، ربما ستة أو ثمانية أو عشرة، قد توافقوا تحت القسم، وبالتالي وفقًا لقانون الشريعة لا بد من إخضاعها للعقوبة، سواء اعترفت بجريمتها أم لا.

فعندما تتفق النقاط الثلاثة المذكورة أعلاه، لا بد أن تؤخذ المتهمة على أنها مدانة بالهرطقة، ولا بد أن نفهم أنه من الضروري أن تتفق النقاط الثلاثة، ولكن هناك حالات يكون فيها الدليل على الجريمة قويًا جدًا، فهذا يغطي على النقطتين الأخريين.

عندما يسألنا القاضي بكم طريقة يمكن للشخص أن يُعتبر مهرطقًا واضحًا، سنجيبه بأن هناك ثلاثة طرق، كما يشرح القديس بيرنارد (هذا الأمر تم التحدث عنه أعلاه في السؤال الأول في بداية هذا العمل):

الطريقة الأولى: الدليل على الجريمة، عندما يبشّر الشخص بشكل علني بالهرطقة، ولكن هنا نحن نتحدث عن الدليل على الجريمة التي تسبقها تهديدات علنية بواسطة المتهمة، مثل عندما تقول: أنت لن تكون لك أيام أخرى من الصحة أو شيء مثل هذا، ويتبع هذا أن التهديد يحصل. الطريقة الثانية: هي أن يكون هناك برهان شرعي على الهرطقة بالشهود.

والطريقة الثالثة: أن تعترف على نفسها.

ومن ثم فالساحرة تؤخذ وتعاقب وفقًا للقانون حتى لو أنكرت الاتهامات كلها. والساحرة المأخوذة بدليل على الجريمة، أو بشهادة الشهود، إذا اعترفت ولم تتب يتم تسليمها إلى المحاكم العلمانية لتعاني من أشد عقوبة وفقًا للشريعة، وإذا تابت تُسجن مدى الحياة وفقا للشريعة أيضًا، كما يوضح هنري أوف سيجوسيو في كتاب **Summa** عندما يتحدث عن موضوع الإجراءات ضد الهرطقة.

من اللازم أن يتقدم القاضي في أسئلته بسرعة وفي أخذه شهادة الشهود، حيث أنه كما قيل: لا بد أن يؤدي الأمور بشكل واضح وفي وقت قصير، ويجب أن يضع المتهمة في السجن أولًا لفترة من الوقت، لعدة سنوات، في حال ربما أنها بعد عدة سنوات في كآبة السجن تُحبط وتعترف بجرائمها.



السؤال ٨. هل يجب أن تُحبس الساحرة، وماهي طرق أخذها

السؤال هو: إذا أنكرت الساحرة الاتهامات، هل يجب أن تُحبس في السجن؟ أم أنه يجب أن تُترك تمضي بضمان حتى يمكن أن تُستدعى فيما بعد وتُستجوب؟ عِلمًا أنه اتفقت الثلاثة نقاط المذكورة: سمعتها السيئة، الدليل على الجريمة، وشهادة الشهود، ولهذا السؤال ثلاثة آراء:

أولًا: رأى البعض بأنها يجب أن تحبس، وأنها لا يجب أن تخرج بأي ضمان، وهم يؤمنون بهذا الرأي بدافع من المنطق الذي جاء من السؤال السابق، أنها تعتبر مذنبة بوضوح عندما تتفق الثلاثة نقاط.

وآخرين رأوا أنها قبل أن تحبس يمكن أن تخرج ومعها حراسة وضمانات، حتى إذا هربت يمكن ساعتها اعتبارها مدانة.

الرأي الثالث: هو عدم وجود أي قاعدة معينة، ولكن يُترك للقاضي أن يتصرف وفقا لخطورة الأمر كما اتضح له من شهادة الشهود، وسمعة المتهمة، والدليل على الجريمة، وإلى أي حد اتفق هؤلاء مع بعضهم، ويجب أن يتقيد بالعادة السائدة في البلد.

وهذا الرأي الثالث يبدو هو الأكثر منطقية، طالما كانت الإجراءات متخذة بطريقة صحيحة، وهذا يكون بثلاثة أشياء:

أولًا: أن بيتها لا بد أن يتم تفتيشه بدقة قدر الاستطاعة، في كل الفجوات والخزانات، أسفله وأعلاه، وإذا كانت ساحرة معروفة، فبدون شك ستوجد أدوات كثيرة للسحر، إلا إذا كانت قد خبأتهم من قبل.

ثانيًا: إن كان لديها خادمة أو رفقاء ممن يجب أن يصمتوا حتى لا تتم إدانتهم، فيتم استدعاؤهم بفرض أنه لا شيء من أسرار المتهمة مخفية عنهم.

ثالثًا: في القبض عليها، إذا تم القبض عليها في منزلها لا يجب إعطاؤها أي وقت لتذهب حتى إلى غرفتها، لأنهن اعتدن أن يأتين بشيء ما ذو قوة سحرية يمَكنهن من البقاء صامتات خلال التحقيق.

هذا يؤدي إلى سؤال: هل الطريقة التي يعملها البعض في الإمساك بالساحرات شرعية؟ تحديدًا بأن تُرفع الساحرة من الأرض بواسطة الجنود، وتحمل في سلة أو فوق لوح خشبي، فلا يمكنها أن تلمس الأرض. هذا يمكن أن نجيب عليه برأي علماء الشريعة وبعض اللاهوتيون، وهي طريقة شرعية من ثلاث نواح:

أولًا: بسبب ما قيل في السؤال التقديمي لهذا الجزء الثالث، وبسبب رأي العديدين وخاصة العلماء الذين لا يجرؤ أحد أن يناقشهم، مثل: دون سكوتوس وهنري سيجوسيو وجودفري أوف فوتاينز، أنه من الشرعي أن تبطل الباطل بالباطل. أيضًا علمنا من التجربة والاعترافات أن الساحرات عندما يؤخذن بهذه الطريقة فهن يفقدن القدرة على البقاء صامتات خلال التحقيق، بالطبع كثيرات ممن تم حرقهن طلبن بأن يلمسن الأرض حتى مرة واحدة بقدم واحدة، وعندما سألوهن لماذا طلبن هذا الطلب، أجبن بأنهن إذا لمسن الأرض يمكن أن يُحررن أنفسهن، بضرب عديد من الناس بالرعد وقتلهم.

ثانيًا: اتضح في الجزء الثاني من هذا العمل أن الساحرة تخسر كل قوتها عندما تقع في يد العدالة، إلا إذا حصلت على بعض القوة الجديدة من الشيطان لتبقى صامتة، بالتالي دعونا نقول مع القديس بولس وكل ما عملتم بقول أو فعل، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع، وإذا كانت الساحرة بريئة، فهذا النوع من القبض عليها لن يضرها.

ثالثًا: وفقًا للعلماء من الشرعي أن نواجه السحر بالسوء، وكلهم يتفقون على هذا، رغم أنهم يختلفون في حالة إن كان هذا السوء غير شرعي، بالتالي عندما يقول هنري أوف سيجوسيو أنه من الشرعي أن تبطل الباطل بالباطل، فهو هنا يتحدث عن الأشياء السيئة، وليس عن الأشياء غير الشرعية.

يجب على القاضي أن يلاحظ أن هناك نوعين من الحبس، واحد يكون عقابًا للمجرمين، والآخر هو فقط حبس لأجل الحجز والإبقاء في مكان معين، وهذين النوعين مذكورين في الشريعة، بالتالي يجب أن تُحبس الساحرة على الأقل لأجل

الحجز، ولكن إن كان ما اتُّهمت به هو فقط شيء بسيط، ولم تكن لها سمعة سيئة، ولا يوجد دليل على عملها ضد الأطفال أو الحيوانات، فبهذا يمكن أن تعود إلى بيتها، ولكن لأنه ربما كانت لها علاقة بساحرات وتعلم أسرارهن، فلابد أن تعطي ضمانات، وإذا لم يمكنها أن تفعل ذلك، لا بد أن ترتبط بالقَسَم وبالعقوبات بألا تخرج من بيتها إلا إذا تم استدعاؤها.



السؤال ٩. ما الذي يتم عمله بعد القبض عليها، وهل يجب أن تُعلن أسماء الشهود للمتهمة.

هناك أمران يجب عملهما بعد القبض عليها، ويُترك للقاضي بأيهما يبدأ، تحديدًا إمكانية السماح للمتهمة بأن يتم الدفاع عنها، وإن كان يجب أن يتم التحقيق معها في مكان التعذيب -ليس بالضرورة لأجل أن تعذب-. الأمر الأول مسموح به فقط عندما تعمل به طلبًا مباشرًا، والثاني يُسمح به فقط عندما يكون قد تم التحقيق مع خدمها ومرافقيها في بيتها أولًا:

إذا قالت المتهمة أنها بريئة وأنها اتُّهمت زورًا، وأنها تريد أن ترى وتسمع من يتهمها، فهذه علامة على أنها تريد الدفاع عن نفسها. وهناك سؤال: هل القاضي ملزم بأن يجعل الشهود معلومين لها ويجعلهم يواجهونها وجهًا لوجه؟ نقول أنه بسبب الخطر الذي يقع على الشهود فالقاضي لا يلزم بهذا، إلا إذا عرضوا هم بأنفسهم أن يأتوا أمامها ويعرضوا شهادتهم في وجودها، لأنه رغم أن بابوات مختلفين لديهم آراء مختلفة في هذا الأمر، فلا أحد منهم قال أنه في هذه الحالة أن القاضي ملزم بأن يَعرض للمتهمة أسماء المُبلِّغين أو موجهي الاتهام (ولكن هنا نحن لا نتعامل مع حالة موجه الاتهام) على العكس، البعض يظن أنه لا يجب أن يفعل هذا أبدًا، بينما آخرين يظنون أنه يجب أن يعمل هذا في ظروف معينة.

ولكن أخيرًا بونيفيس الثامن فرض القانون التالي: إذا ظهر للمفتشين والأساقفة أن هناك خطر كبير سيقع على الشهود والمبلِّغين بسبب قدرات الأشخاص الذين يواجهونهم بشهادتهم، فلا يجب أن تُعلن أسماؤهم أبدًا، ولكن إن لم يكن هناك خطر، فإن أسماءهم لا بد أن تُعلن كما في بقية الحالات.

هنا يجب ملاحظة أن هذا لا يشير فقط إلى الأسقف والمفتش، ولكن لأي قاض يعمل قضية ضد الساحرات بموافقة المفتش أو الأسقف، لأنه كما وضحنا في السؤال

التقديمي، يمكن لهؤلاء أن يحولوا مهامهم إلى القاضي. ولذلك أي قاض كهذا، حتى لو كان مدنيًا، فهو داخل في هذا الأمر.

أيضًا القاضي الحذر سينتبه إلى قدرات الأشخاص المتهمين، لأن هؤلاء على ثلاثة أنواع، قوة بسبب العائلة، وقوة الثراء، وقوة الشر، والأخيرة هي التي يجب الخوف منها أكثر من الأولين، لأنها تهدد الشهود بخطر أكبر إذا أعلنت أسماؤهم للمتهمة، ومن الخطر أن تعلن أسماء الشهود لمتهمة فقيرة، لأن هذه المتهمة يكون لديها شركاء أشرار عديدون، مثل الخارجين عن القانون والقتلة، يكونون مرتبطين بها، وهؤلاء يخاطرون بأنفسهم لإيذاء الشهود، وهذه ليست الحال لما تكون المتهمة من نسب نبيل أو عائلة غنية ولديها أملاك عديدة، ونوع الخطر الذي يمكن أن يُخشى منه شرحه البابا جون الثاني والعشرين أنه الموت لهم أو لأطفالهم أو أقاربهم، أو ضياع ممتلكاتهم أو مثل هذا.

أيضًا يجب على القاضي أن يلاحظ أنه عندما يتصرف في هذا الأمر بسلطة الحبر الأعظم وبإذن رجال الكنيسة فهو وكل العاملين في القضية لا بد أن يُبقوا أسماء الشهود سرًا، وإلا سيواجهون عقوبة الحظر الكنسي.

والأوامر المذكورة أعلاه للبابا بونيفيس الثامن تقول: بسبب الخطر الذي يتعرض له موجهي الاتهام والشهود، نحن نسمح بسلطة هذا القانون، أن الأسقف أو المفتش (أو كما قلنا القاضي) يجب أن يمنعوا كل المتعلقين بالتحقيق في القضية من أن يُعلنوا أي أسرار علموها من الأسقف أو المفتشين، أو سيواجهون عقوبة الحظر الكنسي.

وأيضًا يجب أن نذكر أنه كما أنها إساءة يُعاقب عليها أن تُكشف أسماء الشهود، فأيضًا هي إساءة أن تخفيهم بدون سبب جيد في الوقت الذي من الواجب أن يعرفهم القضاة ومساعدوهم، في هذا الموضوع يتحدث الأمر السيادي المذكور أعلاه كما يلي: نحن نأمر بأنه في جميع الحالات، فإن الأساقفة أو المفتشين يجب أن يعتنوا جدًا بألا يكتموا أسماء الشهود كأن هناك خطرًا عليهم بينما هناك أمان تام، ولا يجب أن يكشفوهم عندما يكون هناك خطر يهددهم، القرار في هذا الأمر يُترك لضميرهم، ولقد كُتب في التعليق على هذه الكلمات: أيما كنت يا من تحكم في هذه القضية، انتبه لهذه الكلمات جيدًا، لأنها لا تشير إلى مخاطرة بسيطة ولكن إلى

خطر كبير، لا تسلب السجين حقوقه الشرعية بدون سبب جيد، لأن هذا لا يمكن أن يكون إلا إساءة للرب العظيم.

القارئ لا بد أن يلاحظ أن كل العمليات التي وصفناها، وكل التي سنصفها، حتى طرق تنفيذ الحكم (ماعدا حكم الموت)، والتي في نفوذ القاضي الكنسي أن يؤديها، يمكن أيضًا بالتوافق مع الأبرشيين أن تُؤدى بواسطة قاضٍ مدني، بالتالي فالقارئ لا يجب أن يواجه صعوبة في حقيقة أن الأمر السيادي أعلاه يتحدث عن قاضٍ كنسي وليس قاضٍ مدني، لأن الأخير يمكن أن يأخذ طريقته في تنفيذ حكم الموت من رجال الكنيسة.



السؤال ١٠. ما نوع الدفاع المسموح به، وهل يتم توظيف محامين

إذا طلب المتهم أن يتم الدفاع عنه. كيف يمكن أن يحدث هذا بينما أسماء الشهود سرّية؟ هناك ثلاثة اعتبارات لا بد أن تُلاحظ في عمل أي دفاع:

أولًا: أن المحامي يجب أن يخصّص للمتهمة.

ثانيًا: أن أسماء الشهود يجب ألا تُكشف للمحامي، حتى تحت قَسَمه بأنه سيكتمها، ولكن يجب أن يتم إبلاغه بكل شيء موجود في شهادات الشهود.

ثالثًا: المتهمة يجب أن تحصل بقدر الإمكان على أي فرصة للطعن شريطة ألا تحتوي على إساءة للإيمان ولا أن يكون فيها إساءة للعدالة، كما سنوضح. وبهذا فمحامي السجينة يجب أن يحصل على حرية الوصول لكل معلومات القضية، فقط أسماء الشهود تبقى مخفاة عنه، والمحامي يمكن أن يتصرف نيابة عن السجينة.

يجب أن نلاحظ أن المحامي يجب ألا يتم تعيينه بناءً على رغبة المتهمة، مثل أن تختار من هو المحامي الذي سيدافع عنها، ولكن القاضي يجب أن يعتني جدًا بأن يعين رجلًا ليس بمشاكس وليس ذا عقل شرير، ولا شخص يمكن رشوته بسهولة (كما هم الكثيرين)، ولكن رجل محترم لا تحيط به الشكوك.

والقاضي يجب أن يلاحظ أربعة نقاط: يجب أن يسمح للمحامي أن يدافع وليس له غير ذلك، فالمحامي أولًا يجب أن ينظر في طبيعة القضية، ومن ثم إذا وجدها من النوع العادل، يمكنه أن يعمل فيها، لكن إذا وجدها غير عادلة فلا بُد أن يرفضها، ولا بد أن يكون حذرًا من أن يأخذ قضية غير عادلة أو يائسة، ولكن إذا وافق على موجزها بشكل عفوي، وعلى الأتعاب، ثم اكتشف خلال القضية أنها قضية ميئوس

منها، فلا بد عندها أن يُعرِّف موكله (الذي هو المتهم) أنه سيترك القضية، ولا بد أن يرد الأتعاب التي استلمها: هذا هو رأي جودفري أوف فونتاينز والذي هو متفق مع الشريعة. ولكن هنري سيجوسيو يؤمن برؤية مخالفة بخصوص استرجاع الأتعاب إذا كان المحامي قد عمل بجد، لكن بناء على ذلك، يمكن أن يأخذ محامي بذكاء قضية ليدافع فيها عن سجين يعلم أنه مذنب، لذلك يجب على المحامي إذا أخذ أي قضية كهذه أن يتحمل مصاريفها وتكلفتها.

النقطة الثانية التي يجب أن نلاحظها هي أنه في دفاعه لا بد أن يتحكم بسلوكه بشكل جيد في ثلاث أمور: أولًا: تصرفاته لا بد أن تكون موجزة وخالية من الإطالة والخطب الرنانة. ثانيًا: لا بد أن يلتزم بالحقيقة، ولا يُحضِّر أي حجج خادعة أو يستدعي شهود زور أو يستخدم ثغرات القانون إذا كان محاميًا بارعًا، أو يعمل اتهامات مضادة، خاصة في القضايا التي من هذا النوع، والتي يجب أن تؤدى ببساطة وبإيجاز قدر المستطاع. ثالثًا: أتعابه لا بد أن تُحدد بناءً على السعر المتعارف عليه في المقاطعة.

ولكن لنعد إلى نقطتنا، لا بد أن يبين القاضي بوضوح هذه الشروط للمحامي، وفي النهاية ينصحه بألا يأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن هرطقة، مما يجله معرضًا لعقوبة الحظر الكنسي.

وليس اعتراضًا صحيحًا أن يقول المحامي للقاضي أنه لا يدافع عن الخطأ ولكن يدافع عن الشخص، لأنه لا يجب بأي طريقة أن يؤدي دفاعه هذا ويعطل القضية من أن تُؤدّى بطريقة بسيطة ومختصرة، بأن يُقدم الكثير من التعقيدات حتى يحصل على استئناف، كل هذه الأشياء غير مسموح بها. هذا يضمن أن يجعل المحامي لا يدافع عن خطأ، لأنه في هذه الحالة سيكون مذنبًا أكثر من الساحرات أنفسهن، لأنه يجعل نفسه وكأنه نصير للهرطقة، ويضع نفسه ليس فقط تحت شك عادي بل تحت شك قوي، ويجب عندها أن ينكر الهرطقة بشكل علني أمام القاضي.

لقد وضحنا هذه النقطة بشيء من التطويل، ولا يجب أن يتم تجاهلها من القاضي، لأن الكثير من الخطر يمكن أن يحدث بسبب الأداء غير الصحيح من محامي الدفاع أو من النائب العام. بالتالي، عندما يكون هناك أي اعتراض على المحامي، فالقاضي يجب أن يعفيه ويستمر في القضية بناءً على الحقائق والبراهين، ولكن عندما يكون محامي المتهمة ليس معترَضا عليه، بل هو شخص متحمس للعدالة، فالقاضي يمكن أن يخبره عندها بأسماء الشهود، تحت قَسَمه بأن يبقيها سرًا.



السؤال ١١. ما هو المسار الذي يجب أن يتخذه محامي الساحرة عندما لا يُعطى أسماء الشهود

ولكن يمكن أن يأتي سؤال: ما الذي يجب على محامي المتهمة أن يعمله عندما تُخفَى عنه أسماء الشهود وعن موكله؟ ونجيب بأنه يجب أن يحصل على المعلومات من القاضي في كل نقطة من نقاط الاتهام، ويجب أن تعطى له المعلومات بناء على طلبه، فقط أسماء الشهود يجب أن تُخفى عنه، وبهذه المعلومات يجب أن يذهب إلى المتهمة، وإذا كان الأمر ينطوي على تهمة كبيرة، يجب أن ينصحها بأن يكون لديها كل الصبر الذي تستطيعه.

وإذا كانت المتهمة مرة أخرى تصر على أن تعلم أسماء الشهود الذين شهدوا ضدها يمكن أن يجيبها المحامي كالتالي: يمكن أن تخمني من الاتهامات التي وجهت ضدك من هم الشهود، لأنه إذا سُحر طفل أو حيوان، أو امرأة أو رجل، لأنهم رفضوا أن يعيروك شيئًا طلبته منهم، فقلتِ لهم يجب أن تعلموا أنه كان من الأفضل لكم أن توافقوا على طلبي وشهدوا على أنه بناء على كلماتك مرض الشخص فجأة، والحقائق أدلة أقوى من الكلمات، وأنت تعلمين أن لديك سمعة سيئة، ولمدة طويلة اشتُبه فيك بإلقاء التعاويذ وإيذاء عديد من الناس، وبالتحدث بهذه الطريقة يمكن أن يحثها لتعرف من الذي يمكن أن يكون قد شهد ضدها، وربما تقول له أنا أعترف بأنني قلت ذلك، ولكن ليس بنية أن أضر أحدًا.

بالتالي فالمحامي لا بد أولًا أن يضع أمام القاضي ومساعديه الادعاء بالعداوة الشخصية، والقاضي يجب أن يحقق فيه، فإذا وجد أنه ليس هناك دليل على أن الأطفال أو الحيوانات قد سحروا، وليس هناك شهود آخرون، والمتهمة ليست ممن

يُشتبه به من العامة أنها تعمل بالسحر، في هذه الحالة من المفترض أن هؤلاء الشهود قد شهدوا ضدها بدافع من الثأر والعداوة الشخصية، وسيتم تبرئتها وتحريرها، بعد أن يتم تحذيرها من أن تحاول أن تثأر لنفسها، كما هي عادة القضاة.

القضية التالية يمكن أن نذكرها كمثال: طفل كاثرينا، أو كاثرينا نفسها، قد سُحرت، أو خسرت كثيرًا من ماشيتها، وهي تشتبه في المتهمة لأن زوج المتهمة قد اتهم زوج كاترينا من قبل، فهنا سبب العداوة مزدوج، لأنها سُحرت ولأن هناك اتهامات ظالمة ضد زوجها. فهل هذه تُرفض شهادتها أم لا؟ هناك وجهة نظر تقول أنها يجب أن تُرفض، لأنها اتُّهمت بدافع العداوة، ووجهة نظر أخرى تقول أنها لا ترفض، لأنه ربما هناك دليل على أنها سُحرت.

ونجيب بأنه في هذه الحالة ليس هناك شهود آخرون، والمتهمة ليست حتى من المشتبه فيهن عمومًا، وبالتالي فشهادة كاثرينا لا يمكن أن تقبل، ويجب أن تُرفض، ولكن إذا أصبحت المتهمة مشتبهًا فيها، وإذا كان المرض ليس بسبب طبيعي بل بسبب السحر (وسنوضح لاحقًا كيف يمكن أن نميز هذا)، فيجب إخضاعها إلى التطهير الكنسي.

وإن أعطى الشهود معلومات فقط على شخصية المتهمة السيئة بدون دليل على الجريمة، فالقاضي يجب أن يرفض هؤلاء الشهود بسبب العداوة الشخصية، إلا أنه يجب أن يأخذ دليلًا من كلامهم على سوء شخصيتها على أن المتهمة يمكن أن يكون مشتبهًا فيه بشدة، وعلى هذه الأرضية يمكن أن يحكم عليها بعقاب ثلاثي: تحديدًا التطهير الكنسي بسبب سمعتها، أو بالتبرؤ بسبب الشك الكبير الذي أثير ضدها، وهناك أنواع عديدة من التبرؤ على درجات عديدة من الشك، كما سنوضح في الطريقة الرابعة من طرق تنفيذ الحكم.

وإذا اعترفت بجريمتها وندمت، لا يتم تسليمها إلى الفرع المدني لتنفيذ عقوبة الإعدام، ولكن يُحكَم عليها بواسطة القاضي الكنسي بالسجن مدى الحياة، وعلى الرغم من حقيقة أنه تم الحكم عليها بالسجن مدى الحياة بواسطة القاضي الكنسي، فالقاضي المدني يمكنه بسبب الأضرار التي عملتها أن يسلمها إلى الحرق، ولكن كل هذه الأمور ستوضح بشكل كامل عندما نتحدث عن الطريقة السادسة من طرق تنفيذ الحكم.

ولنجمع ما قيل: يجب على القاضي أولًا: أن يحذر ألا يُصدق المحامي بسهولة عندما يدّعي وجود عداوة شخصية ضد المتهمة، لأنه في هذه الحالات نادرًا ما يشهد أحد ضد ساحرة بدون أن تكون عنده عداوة شخصية، لأن الساحرة دومًا مكروهة من كل أحد. ثانيًا: يجب أن يلاحظ أن هناك أربعة طرق يمكن أن تدان بها الساحرة، بالشهود، أو باشتباه ذو سند قوي، أو بدليل مباشر أو غير مباشر على الحقائق، ولهذه الأسباب يمكن للشك أن يكون قويًا أو بسيطًا أو خطيرًا.

ثالثًا: يجب على القاضي أن يستخدم كل الظروف المذكورة أعلاه ليواجه التماس المحامي ويجيب على ادعاءات المحامي عن العداوة الشخصية، والذي هو أول خط دفاع يمكن للمحامي أن يمضي فيه.

ولكن عندما يتخذ المحامي الخط الثاني من الدفاع، ويعترف بأن المتهمة قد استخدمت بالفعل كلمات ضد الشهود مثل: أنت ستعلم قريبًا ما الذي سيحل بك، أو أنت ستتمنى قريبًا جدًا لو أنك أقرضتني أو بعتني ما طلبته منك، أو كلمات مثل هذه، ويقول أنه على الرغم من أن الشهود بعد هذه الكلمة قد حصل لهم أذى أو لممتلكاتهم، إلا أن هذا ليس بسبب أن المتهمة عملته كساحرة، لكن لأن الأمراض تكون لها عدة أسباب، ويقول أيضًا أنها عادة عند النساء أن يتشاجروا معًا بكلمات مثل هذه.. إلخ.

والقاضي يجب أن يجيب على هذه الادعاء بالطريقة التالية: إذا كان المرض بسبب طبيعي، فالحجة جيدة، ولكن الدليل يشير إلى العكس، لأنه مرض لا يمكن علاجه بالأدوية العادية، أو في رأي الأطباء المرض حصل بسبب السحر، أو كما هو متعارف عليه في الكلام الشعبي أنه حصل بسبب نظرة ليلية ساخطة، أو أنَّ هناك رأيًا لساحرة أخرى أن هذا حصل بسبب السحر، أو بسبب أن المرض قد جاء فجأة بدون أي ابتداء، بينما الأمراض الطبيعية تحدث بالتدريج، أو ربما بسبب أن المدعي وجد بعض أدوات السحر تحت سريره أو في ملابسه أو في مكان آخر، وعندما أزالها ذهب عنه المرض وعاد إلى صحته، كما يحدث دائمًا، كما قلنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب عندما تحدثنا عن العلاجات. وبهذه الإجابة يمكن

للقاضي بسهولة أن يواجه الادعاءات، ويقول بأن المرض هو بسبب السحر وليس بسبب طبيعي، وأن المتهمة لا بد أن يشتبه فيها أنها عملت هذا السحر بسبب كلماتها المهدِّدة. بنفس الطريقة إذا قال أحد: أنا أتمنى أن يُحرق أطفالك ويحدث هذا فعلًا بعد ذلك، فهذا سيثير شكًا كبيرًا جدًا أن ذلك الشخص الذي هدد هو الذي تسبب في حرقهم، حتى لو أن شخصًا آخر هو الذي أشعل النار.



السؤال ١٢. الكشف عن مزيد من التفاصيل عن كيفية التحقيق في سؤال العداوة الشخصية

لاحظ أنه فقط الأعداء الشخصيين هم الممنوعون من إعطاء الأدلة، كما وضحنا في السؤال الخامس، ولكن القاضي يمكن أن يعتبر بكلامهم ليصل إلى قرار بشأن هذه العداوة، ولكن القاضي يجب أن يستخدم طرقًا أخرى ليقرر الحقيقة بخصوص ادعاء العداوة، حتى لا يعاقب البريء، بل ينفذ العدل على المذنب. ورغم أن هذه الطرق ربما تكون لها نكهة المكر أو حتى الخديعة، إلا أن القاضي يمكن أن يستخدمها لأجل صالح الإيمان وصالح الدولة، لأنه حتى القديس بولس يقول: أنا لم أثقل عليكم، لكن إذ كنت محتالًا أخذتكم بمكر.

أول طريقة هي: يتم إعطاء المتهمة أو محاميها نسخة من القضية بأسماء الشهود والمُبلّغين، ولكن ليس بالترتيب الذي شهدوا به عند القاضي، ولكن بترتيب أن اسم الشاهد المكتوب أولًا في النسخة هو في الحقيقة الشاهد السادس أو السابع الذي شهد في الجدول، بينما ترتيب شهاداتهم يبقى كما هو، بهذه الطريقة ستنخدع المتهمة ولا تعرف من الذي شهد بماذا، وبعدها إما أنها ستقول أنهم كلهم أعداؤها أو لا، وإن قالت أن كلهم أعداؤها، سيتم كشفها أنها تكذب عندما يحقّق في سبب العداوة بواسطة القاضي، وإذا سمت واحدًا فقط، سيكون سبب العداوة أسهل في التحقيق على القاضي.

الطريقة الثانية مشابهة: يُعطَى المحامي نسخة من القضية، ونسخة أخرى منفصلة فيها أسماء الشهود، ولكن يضيف القاضي أمورًا أخرى ارتُكبت بواسطة الساحرة في مكان آخر، ولم تُذكر بواسطة الشهود، وبالتالي فالمتهمة لن تكون قادرة على أن تقول بالتحديد أن هذا أو ذاك هو عدوها الشخصي، لأنها لا تعلم بماذا شهدوا ضدها.

الطريقة الثالثة تمس السؤال الخامس أعلاه: أن المتهمة في نهاية الاستجواب الثاني لها، وقبل أن تطلب أن يتم الدفاع عنها من محامي، تُسأل إن كانت تظن أن لها أي أعداء شخصيين لا يخافون من الرب، ويتهمونها كذبًا بجريمة الهرطقة والسحر، عندها ربما بدون أن تفكر وبدون أن ترى شهادات الشهود ستجيب بأنها لا تظن أن لديها أعداء من أي نوع، عندها لا يمكن أن تستخدم طريقة العداوة الشخصية.

الطريقة الرابعة: هي أنه في نهاية الاستجواب الثاني (كما عرضنا في السؤال السادس)، قبل أن تعطى أي فرصة للدفاع، يجب أن تُسأل عن الشهود الذين رموها بالاتهامات الأخطر، ويكون السؤال بهذه الطريقة: هل تعلمين فلان وفلان؟ ونسمي لها أسماء الشهود، وعندها ستجيب إما بنعم أو لا، فإن قالت لا، لن تستطيع بعدها في أثناء الدفاع أن تدعي أن هناك عداوة شخصية معهم، لأنها قالت تحت القسم أنها لا تعرفهم، ولكن إن قالت نعم، يجب أن تُسأل إن كانت تعرف إن كان يتصرفوا بطريقة مخالفة للدين المسيحي على طريقة الساحرات.

فإذا قالت نعم، لأنهم فعلوا كذا وكذا، يجب أن تُسأل إن كان فلان منهم هو صديقها أم عدوها، وستجيب بأنه صديقها مثلًا، وبالتالي لن يمكنها بعد ذلك أن تدعي وتقول تحت القسم من خلال محاميها بأن هناك عداوة شخصية معه، لأنها قالت تحت القسم أنه صديقها، ولكن إذا أجابت بأنها لا تعرف شيئًا عنه، سيبدو عقيمًا بعد ذلك أن تدعي العداوة من شخص لا تعرف عنه شيئًا. وربما تقول أنا صديقته، ولكن إن كنت أعلم أي شيء عنه فأنا لن أبوح به، بالتالي لن تكون قادرة بعد ذلك أن تدعي أنه عدوها الشخصي، أو ربما هي من البداية ستدعي وجود عداوة شخصية، وفي هذه الحالة يجب أن يُعطى التماس المحامي بعض التصديق.

الطريقة الخامسة: هي أن يُعطى المحامي أو المتهمة نسخة من القضية، بأسماء المُبلِّغين محذوفة، وبالتالي ستخمنها المتهمة، وعادة تخمينها يكون صحيحًا، وتعرف من الذي قال ماذا ضدها. وعندها إذا قالت فلان وفلان هما أعداء شخصيين، وأنا أرغب أن أثبت ذلك بشاهد، عندها يجب أن يعتبر القاضي إن كان الشخص

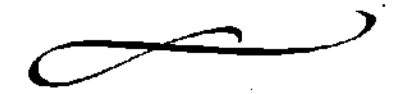
المذكور اسمه هو نفس الشخص المذكور في الجدول، وبما أنها قالت أنها راغبة في إثبات هذا بشاهد، سيحقق مع هذا الشاهد ليعرف سبب العداوة، وإذا وجد أسبابًا كافية للعداوة الشخصية، سيرفض الدليل ويحرر السجينة، إلا إذا كانت هناك اتهامات خطيرة أخرى ضدها، أقسم عليها شهود آخرون.

والطريقة الخامسة عادة ما تستخدم، ووُجد في الممارسة أن الساحرة تخمن بسرعة من النسخة التي أمامها من هو الذي قال المعلومات المعينة عنها، وبسبب أنه في هذه القضايا العداوة الشخصية نادرًا ما توجد إلا إذا كانت بسبب أعمال الساحرة الفاسدة، بالتالي فالقاضي يمكن أن يصل بسهولة إلى قرار. أيضًا لا بد أن نلاحظ أنه عادة المُبلِّغين يرغبون في مواجهة الساحرة شخصيًا، ويتهمونها في وجهها بالسحر الذي عملته عليهم.

لا تزال هناك طريقة واحدة باقية، هي الملاذ الأخير للقاضي، فإذا وَجد بالطرق السابقة أنه لا توجد عداوة شخصية بين المتهم والشهود، ولكنه يريد أن يزيل كل أرضية للشكوك بحل السؤال تمامًا وباستشارة مساعديه، فعليه أن يتصرف كالتالي: يجب أن يعطِي المتهمة أو لمحاميها نسخة من القضية، وأسماء الشهود فيها محذوفة، وسيكون دفاعها عادة بأن لديها أعداء شخصيين، وربما ستدّعي أسبابًا عديدة للعداوة، وسواء اتفقت الحقائق مع كلامها أم لم تتفق، فيجب على القاضي أن يستدعي رجالًا متعلمين أصحاب سمعة جيدة، ونجعلهم يقرؤون القضية كاملة من أولها إلى آخرها من سجل كاتب العدل أو الكاتب العادي، ونكشف لهم أسماء الشهود تحت قسمهم بالتزام السرية، وعلى القاضي أن يسألهم إن كانوا سيلتزمون بهذا القسم، لأنه إن لم يكونوا سيلتزمون، فعليه ألا يكشف لهم الأسماء.

ثم على القاضي أن يخبرهم كيف حقّق مع فلان وفلان في موضوع العداوة الشخصية، وكيف أنه لم يستطع أن يجد الحقيقة. وهناك أسلوبين يمكن أن يُتبعا، إما أن يقرروا بينهم بالتشاور إذا كان الدليل الذي قدمه أي شاهد من الشهود سيُقبل أو يُرفض كدليل على العداوة الشخصية، أو يختاروا أربعة أو خمسة أشخاص لديهم معرفة كبيرة في القرية بأي صداقة أو عداوة بين المُبلِّغ والمتهمة،

وتُكشف لهؤلاء الأشخاص أسماء المتهمة والمُبلِّغ فقط، ولا تُكشف لهم المعلومات التي شهد بها الشهود، ويُترك الحكم لهم في النهاية. هكذا يَحمي القاضي نفسه تمامًا ويحرر نفسه من أي شكوك سيئة، ويلتزم بأن يعمل هذه الطريقة الأخيرة عندما يُقبض على المتهمة في بلد أو قرية أجنبية. هذه الطرق ستكفي للتحقيق في سؤال العداوة الشخصية.



السؤال ١٣. عن النقاط التي يجب أن يراقبها القاضي قبل التحقيق الأولي في مكان التعذيب

العدالة العامة تقتضي ألا يُحكم بالموت على أي ساحرة إلا إذا أُدينت بجريمتها باعترافها الخاص، ونحن نتحدث عن حالة ساحرة محكوم عليها بالهرطقة الواضحة لواحد من الأسباب المذكورة في السؤال الأول، تحديدًا الدليل المباشر أو غير المباشر على الجريمة، أو الشهادة الشرعية للشهود، وفي هذه الحالة لا بد أن تتعرض للاستجواب والتعذيب حتى يؤخذ منها الاعتراف بجرائمها.

وحتى يكون الأمر واضحًا سنستشهد بقضية حدثت في سبايرز وعرفها الكثيرون:

كان هناك رجل صالح يتساوم مع امرأة، ولا يخضع للسعر الذي تطلبه في سلعة معينة، فقالت له بغضب: أنت ستتمنى قريبًا أنك قد وافقت. لأن الساحرات عادة يستخدمن هذه الطريقة في الكلام، أو شيء مثل هذا عندما يُردن أن يسحرن شخصًا بالنظر إليه. ثم وبغضب نظر إليها الرجل من وراء كتفه ليرى بأية نية تلفظت بهذه الكلمات، وفجأة تم سحره حتى أصبح فمه مشدودًا من الناحيتين إلى أذنيه في تشوه مريع، ولم يتمكن من إعادته، وبقي مشوها لمدة طويلة.

نحن نذكر هذه القضية لأن هذا الرجل قد تم تقديمه للقاضي على أنه دليل مباشر على الجريمة، وهناك سؤال: هل هذه المرأة يجب أن يقبض عليها بهذا السحر الواضح؟ سنجيب من كلمات القديس بيرنارد، أن هناك ثلاثة طرق يمكن أن يقبض على الشخص بسببها للحكم عليه، ويجب أن تتفق الثلاثة طرق في الإشارة لشيء واحد، وهم تحديدًا: الدليل على الجريمة، شهادة الشهود، اعترافه على نفسه.

والدليل غير المباشر على الجريمة يختلف عن الدليل المباشر، لأنه ليس قاطعًا، ويكون مأخوذًا من كلمات أو أفعال الساحرات، كما وضحنا في السؤال السابع، وهو

يختص بالسحر الذي ليس سريعا جدًا في تأثيره، بل يكون هناك وقت معين من ساعة التلفظ بكلمة التهديد حتى حدوث التأثير.

ولكن ما نتحدث عنه الآن هو: ما الفعل الذي يجب أن يعمله القاضي؟ وكيف يتقدم إلى استجواب المتهمة باستخدام التعذيب لاستخراج المعلومات منها حتى يمكنه أن يُنفذ عليها حكم الموت.

وبسبب المشاكل الكبيرة التي سببّها صمت الساحرات وعنادهن، هناك نقاط عديدة على القاضي أن يلاحظها، وسنتحدث عنها في عدة فقرات.

أولها أنه يجب ألا يكون سريعًا جدًا في إخضاع الساحرة للاستجواب، إلا إذا أخضع الرب قوة الشيطان عن طريق ملاك مقدس ليوقف دعمه للساحرة، وإلا لن تشعر بآلام التعذيب حتى لو قُطِّعت أطرافها طرفًا طرفًا فلن تقول أي حقيقة.

وليست كل الساحرات يملكن نفس القدرة على الصمت، فالشيطان في بعض الأحيان برغبته يسمح لهن بأن يعترفن بجريمتهن بدون أن يتم إخضاعه بواسطة ملاك مقدس، ولأجل فهم هذا فالقارئ لا بد أن يرجع إلى ما تمت كتابته في الجزء الثاني من هذا العمل فيما يتعلق بالبيعة التي يعملنها للشيطان.

لأن هناك البعض منهن يحصلن من الشيطان على فترة ست أو ثماني أو عشر سنوات قبل أن يعطين له البيعة، أي قبل أن يُخلصن أنفسهن له جسدًا وروحًا، بينما هناك أخريات عندما يتبرأن من الإيمان لأول مرة، يُعطين البيعة له في نفس الوقت. والسبب الذي يجعل الشيطان يسمح بهذه الفترة من الوقت لبعضهن هو أنه خلال هذا الوقت يمكنه أن يعرف إذا كانت الساحرة التي أنكرت الإيمان قد أنكرته بشفتيها فقط أم بقلبها أيضًا.

لأن الشيطان لا يستطيع أن يعرف الأفكار الداخلية للقلب إلا التي تظهر على الانطباعات الخارجية، كما قلنا في الجزء الأول من هذا العمل عندما تحدثنا عن سؤال: هل الشيطان يمكن أن يُحول عقول الرجال إلى الكره أو الحب؟ والعديدات تم إغواؤهن بواسطة ساحرات أخريات بسبب الفقر، ممن اعترفن لأجل الحصول على الغفران، وكُنّ قد أنكرن الإيمان كليًا أو جزئيًا. وهؤلاء هن اللاتي يهجرهن الشيطان بدون أي إخضاع من ملاكٍ مقدس، وبالتالي يعترفن بجريمتهن بسهولة،

بينما الأخريات من اللاتي ارتبطن في قلوبهن بالشيطان، فهن محميات بقدرته ويحافظن بعناد على الصمت.

وهذا يعطي إجابة واضحة عن سؤال كيف أن هناك ساحرات يعترفن بسهولة وأخريات لا يفعلن هذا بأي طريقة. وفي الحالة الأولى، عندما لا يخضع الشيطان بواسطة ملاك مقدس، فهو لا يهجرهن تمامًا، لكنه يحب أن يُوصلهن إلى اليأس عن طريق التعاسة المؤقتة والخوف من الموت المروّع، هؤلاء يكون الشيطان غالبًا لم يحصل على قلوبهن ويمتلكها بعد. لأنه واضح من اعترافاتهن التائبة أنهن لم يخضعن للشيطان طوعًا بمحض إرادتهن، ولكنه أجبرهن على عمل السحر.

وبعضهن بعد أن يعترفن بجرائمهن، يحاولن أن ينتحرن بخنق أو شنق أنفسهن. وهن يصلن إلى فعل هذا بواسطة العدو الشيطان، خشية منه أن يحصلن على المغفرة خلال الاعتراف التائب. هذا يحدث بشكل أساسي في حالة هؤلاء اللاتي لسن تابعات طوعًا للشيطان، رغم أنه يمكن أن يحدث للتابعات طوعًا أيضًا بعد أن يعترفن بجرائمهن، لكن عندها سيكون اعترافهن بسبب أن الشيطان تم إجباره على هجر الساحرة.

في الختام يمكن أن نقول أنه من الصعب، أو من الصعب جدًا، أن تُخضِع ساحرة لتقول الحقيقة، هذا مثل صعوبة أن تطرد الروح الشريرة من شخصٍ ملبوس.



السؤال ١٤. عن طريقة الحكم على الساحرة بالاستجواب والتعذيب.

عن طريقة الحكم على الساحرة بالاستجواب والتعذيب: وكيف يجب أن يتم استجوابها في اليوم الأول، وهل يجب أن يتم وعدها بأنها ستعيش.

القاضي يجب أن ينطق حكمه بالطريقة التالية:

نحن، القضاة ومساعدوهم، قد حضَرنا وحقّقنا في تفاصيل القضية ضدك يا فلانة. في المكان الفلاني في أبرشية كذا، وبعد التحقيق باجتهاد في الأمر كله، وجدنا أنكِ مُبهمة في أقوالك، مثلًا، عندما قلتِ أنكِ استخدمت هذا التهديد بدون نية لعمل الأذى، ولكن رغم هذا ظهرت أدلة عديدة كافية لأن تُعرِّضك للاستجواب والتعذيب، حتى يمكن استخراج الحقيقة من فمك، ومن الآن فصاعدًا عليكِ ألا تُزعجي آذان القضاة، ونحن نُعلن بالحكم التالي، أنه في هذا اليوم وفي هذه الساعة، حُكِم عليكِ بأن تُوضعي تحت الاستجواب والتعذيب. وهذا الحكم هو لأجل كذا وكذا.

بدلًا من ذلك، كما قلنا، يمكن ألا يرغب القاضي بأن يُسلّم المتهمة للاستجواب، ولكن يعاقبها بالسجن وهناك دافعٌ خفي في نيته، أن يستدعي أصدقاءها ويجعل الأمر كأنها يمكن أن تتخلص من عقوبة الموت وتخضع للعقاب بطريقة أخرى، وعليه أن يحثّ أصدقاءها بأن يحاولوا إقناعها بأن تعترف. ففي الغالب، التأمل، ومعاناة السجن، والنصائح المتتالية من الصالحين، تقرر بعدهم المتهمة أن تكشف الحقيقة.

ونحن وجدنا أن بعض الساحرات يؤثّر فيهن هذا النوع من النصيحة، وكعلامة على تمردهن على الشيطان، يبصقن على الأرض كأنهن يبصقن على الشيطان

ويقلن «انصرف، أيها الشيطان اللعين؛ سأفعل ما هو عادل» وبعدها يعترفن بجرائمهن.

ولكن لو أنه، بعد إبقاء المتهمة في حالة من القلق، وتأجيل يوم التحقيق باستمرار، وباستخدام الإقناع الشفهي باستمرار، ومع بدء تحول تفكير القاضي ليصدق بحق أن المتهمة سترفض قول الحقيقة، فيجب أن يستجوبها برفق دون أن يسفك الدم، عالمًا في نفسه أن هذا الاستجواب وهمي وغير مؤثر.

يجب أن يبدأ بهذه الطريقة. بينما يكون الجنود يُجهزون للاستجواب، يجب أن تُخلع جميع ملابس المتهم، أو إذا كانت امرأة، يجب أن تُقاد أولًا إلى الغرف الجزائية وهناك تخلع ملابسها أمام نساء صالحات لهن سمعة طيبة. وسبب هذا أنه يجب أن يبحث عن أي أداة للسحر مخيطة في ملابسها، لأنهن عادة ما يعملن مثل هذه الأدوات بأوامر من الشيطان من أطراف الأطفال غير المعمدين، والغرض أن يَحرِمن هؤلاء الأطفال من البهجة. وعندما يتم التخلص من هذه الأدوات، فعلى القاضي أن يستخدم إقناعاته الخاصة بمساعدة الصالحين الذين لديهم حماس للإيمان لإقناعها بالاعتراف بالحقيقة طوعًا، وإذا لم تفعل، فيجب أن يأمر الجنود بأن يربطوها بحبال، ويضعونها على أداة التعذيب، ويجب أن يطيعوا على الفور ولكن ليس بفرح، بل يُظهروا لها أنهم ليسوا سعداء بمهمتهم.

ثم يجب أن يحرروها مرة أخرى بطلب من شخص جاد، وتؤخذ إلى جانب، ويتم إقناعها مرة أخرى، ويقال لها أنه يمكنها أن تتخلص من عقوبة الموت.

هنا يأتي سؤال، هل في حالة السجينة المدانة شرعيًا بسمعتها السيئة، بشهادة الشهود، وبالدليل على الجريمة، والشيء الوحيد الباقي هو اعترافها بالجريمة على نفسها، هل يعدها القاضي أنها ستعيش، لأنها إذا اعترفت بالجريمة فهي ستموت بالتأكيد.

ونُجيب بأن أشخاصًا مختلفين لديهم آراء مختلفة على هذا السؤال. البعض يؤمن بأنه إذا كانت المتهمة لديها شهرة وسمعة سيئة، ومشتبه فيها بأدلة لا لبس فيها، وكانت هي نفسها مصدر خطر كبير، كأن تكون سيدة لساحرات أخريات، فيمكن أن يتم وعدها بأنها ستعيش بالشروط التالية، أن يتم الحكم عليها بالسجن

مدى الحياة على الخبز والماء، شريطة أن تُقدِّم دليلًا يوصل لإدانة الساحرات الأخريات.

ويجب ألا يقال لها، عندما تُسجن مدى الحياة، أنه سيتم سجنها بهذه الطريقة، ولكن يجب أن تُقاد إلى افتراض أن هناك كفّارات أخرى، مثل النفي، سيتم تطبيقها عليها كعقاب. وبلا شك هؤلاء الساحرات الشهيرات ذوات السمعة السيئة، خاصة اللواتي يستعملن أدوية الساحرات ويعالجن المسحور، لا بد أن يَبقين في السجن، لأنهن يمكن أن يعالجن المسحورين، ويمكنهن خيانة الساحرات الأخريات. ولكن هذه الخيانة بذاتها يجب ألا تُعتبر كافية للإدانة، لأن الشيطان كاذب، إلا إذا كان تدعيمها بدليل على الجريمة، وبشهود.

البعض الآخر يرى أنه بعد أن توضع المتهمة في السجن بهذه الطريقة لأجل أن تعيش، يجب أن تبقى لفترة معينة، ثم بعدها يجب أن تُحرق.

رأيٌ ثالث هو أن القاضي يمكن أن يعدها بأن تعيش، ولكن يعفي نفسه بعدها من مهمة تنفيذ الحكم عليها، ويأتي بقاضٍ آخر مكانه يحكم عليها بالموت.

يبدو أن هناك بعض الفائدة في عمل الرأي الأول بسبب أنها ستعالج المسحورين، لكن من غير الشرعي أن تستخدم السحر لتعالج السحر، ورغم ذلك (كما قيل في السؤال التقديمي لهذا الجزء الثالث) الرأي العام هو أنه من الشرعي أن تستخدم الباطل والماورائيات لتُزيل تعويذة. ولكن الخبرة في قضايا كثيرة مثل هذه هي أكثر قيمة للقضاة من أي فن أو كتاب، لذا فهذا أمر يجب أن يُترك للقضاة. ولكن وُجد غالبًا من خلال الخبرة أن العديدات يعترفن بالحقيقة إذا لم يتم تهديدهن بالموت.

ولكن إذا لم تكن هذه التهديدات ولا الوعود ستقنعها بأن تعترف بالحقيقة، فالجنود لا بد أن ينفذوا الحكم، ويجب أن يتم استجوابها، ليس بأي طريقة جديدة ولكن بالطريقة المعتادة، بلطف أو بقسوة حسب طبيعة جرائمها. وبينما يتم استجوابها على نقاط معينة، يجب أن تُعرض للتعذيب بتكرار، بداية بأخف تعذيب، ولا يجب أن يتعجل القاضي بعمل التعذيب الأقسى. وبينما يتم عمل هذا، لا بد أن يكتب الكاتب كيف تم تعذيبها وما هي الأسئلة التي سُئلت لها وماذا كانت إجابتها.

ولاحظ أنه إذا اعترفت تحت التعذيب، يجب أن تؤخذ إلى مكان آخر وتُسأل من جديد، حتى لا تكون قد اعترفت فقط تحت التعذيب.

الخطوة التالية للقاضي هي أنه لو بعد أن عُذبت رفضت قول الحقيقة، يجب أن توضع أداة أخرى للتعذيب أمام عينها، ويقال لها بأنه يجب عليها أن تتحمل تلك أيضًا إذا لم تعترف. وإذا لم تخَف من هذا، فيجب أن يستمر التعذيب في اليوم الثاني والثالث، ولكن لا يتم تكراره بعد ذلك إلا إذا كان هناك دليل أنه سينجح.

يجب أن يُنطَق الحكم في وجودها بالطريقة التالية: نحن القضاة المذكورون أعلاه، نعيّن لكِ يا فلانة، اليوم الفلاني، لاستمرار استجوابك، حتى تؤخذ الحقيقة من فمك. والكاتب يجب أن يكتب كل ما يتم.

وخلال الفترة التي قبل اليوم الذي تم تعيينه، فالقاضي بنفسه أو رجال صالحون آخرون يجب أن يعملوا كل ما بوسعهم لإقناعها بأن تعترف بالحقيقة بالطريقة التي قلناها؛ بإعطائها وعدًا بأنها ستعيش إن اعترفت.

القاضي يجب أن يعتني بأنه خلال الفترة لا بد أن يكون هناك حُراس معها دائمًا، حتى لا تُترك وحدها أبدًا، خشية أن يجعلها الشيطان تقتل نفسها.



السؤال ١٥. عن استمرار التعذيب وعن الأدوات والطرق التي يستخدمها القاضي لجعل الساحرة تعترف.

عن استمرار التعذيب وعن الأدوات والطرق التي يستخدمها القاضي لجعل الساحرة تعترف: وكيف يجب أن يحمي نفسه من تعويذاتهن. وأيضًا كيف يجب أن يكُن مزيلات للشعر في أماكن من أجسادهن يمكن أن يُخفين فيها أقنعة الشيطان ورموزه، وكيف يتم حل مشكلة العناد والصمت ورفض الاعتراف بطرق عديدة.

على القاضي أن يتصرف كالتالي في استمرار التعذيب. أولًا لا بد أن يضع في حسبانه، أنه كما أن نفس الدواء لا يكون مناسبًا لعلاج كل الأعضاء، بل هناك العديد من المستحضرات لعلاج كل عضو، كذلك ليس كل المهرطقين أو المتهمين بالهرطقة يجب أن يخضعوا لنفس طريقة الاستجواب والتحقيق والتعذيب، ولكن هناك طرق عديدة يمكن استخدامها وفقًا لاختلاف طبائع المتهمين.

فالجرّاح يقطع الأطراف الفاسدة، والماشية الجرباء يتم عزلها بعيدًا عن الماشية العادية، ولكن القاضي الحكيم يجب ألا يربط نفسه بطريقة واحدة لا تتغير في التعامل مع السجناء الذين يملكون قوة الصمت بالسحر، والذين لا يمكن التغلب على صمتهم؛ لأنه إذا اعتاد أبناء الظلام على طريقة واحدة فقط من التعامل معهم فسيطورون طرقًا معروفة للتخلص منها.

بالتالي فالقاضي الحكيم والمتحمس لا بد أن يأخذ فرصته ويختار طريقته التي سيؤدي بها التحقيق وفقا لإجابات أو شهادة الشهود، أو من واقع خبرته السابقة أو ذكاءه الفطري، باستخدام الاحتياطات التالية:

إذا أراد أن يعرف إن كانت الساحرة مدعومة بقوة السحر لتصمت، يجب أن يلاحظ إن كانت قادرة على إخفاء الدموع عند تعذيبها. لأننا تعلمنا بواسطة كلمات

من رجال مؤهلين قدماء وبخبرتنا أنه هذه هي أهم علامة، وُوجد أنه حتى لو أصرّت بشعوذات قوية أن تخفي الدموع، فإن كانت ساحرً حقًا؛ لن تقدر على البكاء. رغم أنها ستُظهر انطباعًا باكيًا وتُلطخ خدّها وعيناها باللعاب ليبدو أنها تبكي عندما تلاحظ مراقبة من الحاضرين.

في تمرير الحكم يمكن للقاضي أو الكاهن أن يستخدم الطريقة التالية لاستخراج دموعها الحقيقية إن كانت بريئة، أو لمنع الدموع المزيفة. يضع يده على رأس المتهمة ويقول، أنا أناشدك بالدموع المريرة التي سقطت على الصليب بواسطة مُخلصنا الرب يسوع لأجل خلاص العالم، وبالدموع الحارقة التي صُبّت في ساعة المساء على جراحه بواسطة المباركة العذراء ماري أمه، وبكل الدموع التي سقطت هنا في هذا العالم بواسطة القديسين والمختارين من الرب، ومن عينه الآن قد مسح كل الدموع، أنه إن كنتِ بريئة فأنزلي الدموع الآن، وإن كنتِ مذنبة لن تتمكني بأي طريقة أن تعملي هذا. باسم الأب والابن والروح القدس، آمين.

وُوجد بالتجربة أنه كلما نوشدوا كلما قلت قدرتهن على البكاء المزيف، مهما حاولن بشدة أن يفعلن هذا، أو أن يلطخن خدودهن باللعاب. ومع هذا من الممكن أنه بعد ذلك، في غياب القاضي وليس في مكان وزمان التعذيب، أن يصبحن قادرات على البكاء في وجود حراس سجنهن.

وعن سبب عدم قدرة الساحرة على البكاء، يمكن أن نقول أن نعمة البكاء واحدة من النعم الأساسية الممنوحة للتائبين، لأن القديس «بيرنارد» يخبرنا أن دموع المتواضعين يمكن أن تخترق السماوات وتقهر ما لا يقهر. بالتالي لا يمكن أن يكون هناك شك في أن هذه الدموع تغضب الشيطان، وأنه يستخدم كل مساعيه حتى يمنعها، ليمنع الساحرة من الوصول إلى التوبة.

إن لم يكن هناك أي طريقة لإدانة المتهمة، بشهود شرعيين أو بدليل على الجريمة، وإن لم تكن تحت اشتباه قوي، فيمكن أن يتم إخلاء سبيلها، ولكن لأنها لا زالت تحت شك بسيط بسبب السمعة التي شهد بها الشهود، لا بد أن يطلب منها أن تنكر هرطقةً السحر، كما سنوضح عندما نتحدث عن الطريقة الثانية من نطق الحكم.

احتياطٌ ثان لا بد أن يُلاحظ، ليس فقط في هذه النقطة ولكن في القضية كلها، بواسطة القاضي ومساعديه، يجب ألا يسمحوا لأنفسهم أن يتم لمسهم بواسطة الساحرة، خاصةً بكف يدها أو بذراعها، ولكن لا بد أن يحملوا حولهم بعض الملح المكرّس في يوم أحد الشعانين وبعض الأعشاب المباركة. وهذه كلها يمكن أن تُجمع مع بعضها مع شمع مقدس وتُلبس حول العنق، كما وضحنا في الجزء الثاني عندما تحدثنا عن العلاجات ضد الأمراض التي يسببها السحر، وهذه لها قوة حماية فعالة ليس فقط أثناء التحقيق مع الساحرات ولكن في ممارسات واستخدامات الكنيسة، مثل طرد الأرواح الشريرة والتبريكات، كما يتضح في عملية طرد الأرواح الشريرة عندما يقال، لأجل طرد كل قوى الشيطان، إلخ.

ولكن يجب ألا يُظن أن اللمس بواسطة المفاصل أو الأطراف هو الذي يجب الاحتراس منه فقط، لأنه في بعض الأحيان بإذن الرب، يمكنهن بمساعدة الشيطان أن يسحرن القاضي بمجرد صوت الكلمة التي يتلفظون بها، خاصة في الوقت الذي يتعرضن فيه للتعذيب.

ونحن علمنا بالتجربة أن بعض الساحرات، عندما يتم حبسهن في السجن، يُلحّون على السجانين لإعطائهن شيئًا واحدًا، أن يمكّنهن من أن ينظرن إلى القاضي قبل أن ينظر القاضي إليهن، وبالتالي يحصلن على النظرة الأولى إلى القاضي فيمكنهن أن يُغيرن عقله هو ومساعديه بأن يفقدوا كل غضبهم عليهن ولا يؤذوهن بأي طريقة، بل يسمحون لهن بالتحرر وإخلاء سبيلهن. والذي جرّب هو الذي يعطي هذه الشهادة الحقيقية، ألسن قادرات على فعل هذا حقا!

يجب على القضاة ألا يتجاهلوا هذه الاحتياطات والحمايات، لأنه بعدم الحفاظ عليها بعد هذا التحذير سيتعرضون لخطر اللعن الأبدي. لأن مخلصنا قال « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيئتهم، بالتالي يجب على القضاة أن يحموا أنفسهم بكلا الطريقتين، وفقًا لأحكام الكنيسة.

وإذا كان من المناسب يجب أن تُقاد الساحرة إلى الخلف أثناء وجود القاضي ومساعديه. ليس فقط في النقطة الحالية ولكن في كل القضية، ثم لا بد أن يَعمل علامة الصليب ويقترب منها بشجاعة، وبعون الرب ستنكسر قوة الحية القديمة. ولا أحد يجب أن يظن أن من الماورائية أن ترجع الساحرة إلى الخلف، لأنه كما قلنا،

علماء الشريعة يسمحون حتى بأكثر من هذا أن يتم عمله لأجل الحماية من السحر، ويقولون دائمًا أنه من الشرعي أن تبطل الباطل بالباطل.

الاحتياط الثالث الذي تجب ملاحظته هو أن الشَعر يجب أن يُحلق من كل جزء من أجزاء جسمها. سبب هذا هو مثل سبب تعريتها من ملابسها الذي ذكرناه من قبل، لأنه حتى يحفظن قوتهن على الصمت فإن الساحرات لديهن عادة أن يُخبئن بعض الأشياء الماورائية في ملابسهن وفي شعرهن، وحتى في الأماكن الحساسة من أجسادهن والتي لا حاجة لذكرها.

ولكن يمكن أن يأتي اعتراض، أن الشيطان يمكنه بدون استخدام هذه التعاويذ، أن يُقوّي قلب الساحرة حتى لا تعترف بجريمتها، مثلما وُجد غالبًا في حالة المجرمين الآخرين، مهما كانت درجة التعذيب الذي يتعرضون له، ومهما كان عدد الأدلة على الجريمة والشهود. ونجيب بأن هذا حقيقي، الشيطان يمكنه أن يعمل هذا الصمت بدون استخدام أي تعاويذ، ولكنه يُفضل أن يستخدم التعاويذ لأجل إهلاك الأرواح ولإساءة أكبر للذات الإلهية العظيمة.

هذا يمكن أن يُوضّح بمثال على ساحرة في قرية «هاجيناو»، والتي ذكرناها في الجزء الثاني من هذا العمل، اعتادت أن تحصل على هذه القوة من الصمت بالطريقة التالية، قتلت طفلًا ذكرًا لا يزال مولودًا ولم يُعمد، ووضعته في الفرن مع بعض المواد التي ليس من المناسب ذكرها، وطحنته إلى مسحوق ورماد، وإذا حملت أي ساحرة معها أو أي مجرم هذا المسحوق لن يكون قادرًا على الاعتراف بجريمته.

هنا واضح أن مئات الآلاف من الأطفال ليس لديهم القوة في أن يعملوا هذا لأي شخص، ولكن أي شخص ذكي يمكن أن يفهم أن هذه الطرق التي يستخدمها الشيطان هي لإهلاك الأرواح وللإساءة للذات الإلهية.

أيضًا، يمكن أن يأتي اعتراض، غالبًا المجرمون الذين ليسوا سحرة تكون لديهم هذه القدرة على الصمت. في الإجابة على هذا نقول أن هذه القوة من الصمت يمكن أن تحدث من ثلاثة أشياء. أولًا من قوة طبيعية في القلب، لأن بعض الساحرات ذوات قلب رقيق وعقل ضعيف فعند أي تعذيب بسيط يعترفن بكل شيء، حتى بأشياء غير حقيقية، بينما هناك أخريات قلوبهن قوية فمهما عذبتها لا تستخرج الحقيقة منها أبدًا، حتى لو مددنا ذراعها وثنيناها.

ثانيًا، يمكن أن تحدث هذه القوة بسبب أداة من أدوات السحر يحملها الشخص، كما قيل، إما في ملابسه أو في شعره. وثالثًا، حتى لو لم يكن مع السجينة أداة كهذه، ربما تحصل على هذه القوة من ساحرة أخرى، مهما كان بعدها عنها. لأن إحدى الساحرات في «إيسبورج» كانت تتباهى بهذا، أنه لو كان معها حتى خيط واحد من كسوة أي سجينة، يمكن أن ترسل لها هذه القوة، فمهما كانت هذه السجينة تعذب، حتى بقتلها، لن تعترف بأي شيء. فالإجابة أصبحت واضحة على الاعتراض.

ولكن ماذا عما حدث في أبرشية «راتيسبورن»؟ حيث بعض المهرطقين أُدينوا بالاعتراف الشخصي وعندما حُكم عليهم بالموت حرقًا لم تؤثر فيهم النار. ثم تم تغيير الحكم فيهم إلى الموت بالغرق، وهذا أيضًا لم يؤثر فيهم. واندهش الكل، والبعض بدأ يقول أن هرطقتهم هذه حق، والأسقف، في قلق عظيم على شعبه، أمر بثلاثة أيام من الصوم. وعندما تحقق هذا بإخلاص، أتى إلى علم أحدهم أن هؤلاء الهراطقة كانت لديهم تعويذة مخيطة تحت الجلد أسفل أحد الذراعين، وعندما تم إيجادها وإزالتها، تم وضعهم على النار، وأُحرقوا على الفور. بعض مُستحضري الأرواح تعلموا هذا السر خلال استشارة مع الشيطان، وخانوه، ولكن على أي حال قد أصبح السر معروفًا الآن، ومن المحتمل أن الشيطان، الذي دائمًا ما يمكر لتخريب الإيمان، كان بطريقة ما مجبرًا بواسطة القوة الإلهية ليكشف الأمر.

من هذا يمكن أن نرى ما الذي يجب على القاضي أن يفعل عندما تحدث حالة كهذه له، تحديدًا، يجب أن يتوكل على حماية الرب، وبالصلوات والصوم من الرجال الصالحين، يُبعد هذا النوع من أعمال الشيطان عن الساحرات.

في أنحاء ألمانيا، الحلق بهذه الطريقة، خاصة للأماكن الحساسة، لا يُعتبر شيئًا جيّدًا، وبالتالي نحن المفتشين لا نستخدمه، ولكن نحن نحلق شعر الرأس، ونضع قطعة من الشمع المقدس في كوب من الماء المقدس ونتوسل بالثالوث المقدس ونعطيه لهن ليشربنه ثلاث مرات على معدة صائمة، وبنعمة الرب بهذه الطريقة يمكن أن نكسر صمتهن. ولكن في الدول الأخرى المفتش يأمر بأن يُحلق كل الشعر من جسد الساحرة. وذلك المفتش من «كومو» أخبرنا أنه في السنة الأخيرة، في عام ١٤٨٥،

أمر بإحراق إحدى وأربعين ساحرة، بعد أن حلقن كل شيء. هذا كان في مقاطعة «بوربيا» التي تسمى «وورمسرباد»، في منطقة أرشيدوق النمسا، ناحية «ميلان».

ولكن يمكن أن يأتي سؤال، هل يمكن في وقت الحاجة عندما تفشل كل طرق كسر صمت الساحرات، أن يكون شرعيًا أن نسأل النصيحة من ساحرة من اللاتي يمكنهن أن تعالجن المسحور. ونجيب بأنه، مهما كان الذي حدث في «راتيسبورن» فنحن نُحذر الجميع، أنه لا أحد يُسمح له، مهما كانت الحاجة ملحة، أن يستشير ساحرة لمنفعة الدولة. وهذا بسبب الإساءة الكبيرة التي تحدث بهذا للعظمة الإلهية، وهناك طرق أخرى مفتوحة لنا لاستخدامها بشكلٍ لائق حتى يتم الحصول على الحقيقة من أفواههن ويمكن بعدها أن يُحرَقن، أو نفشل في هذا، ومشيئة الرب في ذلك الوقت ستوجد طريقة لموت الساحرة.

يبقى لنا ذِكر بعض طرق علاجات الصمت. أولًا، يجب على الشخص أن يعمل كل ما بوسعه باستخدام مواهبه، لعمل الطرق التي ذكرناها، وخاصة في الأيام المحددة، كما سيتم عرضه في السؤال التالي. انظر رسالة كورونثوس الثانية ٩ «**تزدادون في كل عمل صالح**».

ثانيًا، إذا فشل هذا، يجب أن يتشاور مع الآخرين، لأنهم يمكن أن يفكروا بطرق لم يفكر فيها، لأن هناك العديد من الطرق لإبطال السحر.

ثالثًا، إذا فشل هذان، يجب عليه أن يستعين بالصالحين، كما قيل في كتاب السيراخ السابع والثلاثين: كن دومًا مع الرجال الربانيين، الذين تعلم أنهم يحافظون على وصايا الرب. يجب عليه أن يستعين براعي القديسين في الدولة. ولكن إن فشل كل هذا، يجب على القاضي وكل الناس مرة واحدة أن يضعوا ثقتهم في الرب بالصلوات والصوم، حتى يُزال هذا السحر بسبب الشفقة عليهم. لأنه هكذا تمت الصلاة في سِفر أخبار الأيام الثاني: عندما لا نعلم ما الذي يجب أن نفعله، لا بد أن نلجأ إلى ملاذ واحد، أن نحول عيوننا إليك. وبلا شك الرب لن يخذلنا في حاجتنا.

عن هذا يتحدث القديس «أوجستين»: كل من يلاحظ أي عِرافة أو كِهانة، أو يحضر أو يوافق على مشاهدتها، أو يدعمها باتباع ما يعمل العرافون والسحرة، أو

يذهب إلى بيوتهم، أو يدعوهم إلى بيته، أو يسألهم أي سؤال، فيجب أن يعلم أنه قد ارتد عن الدين المسيحي وعن معموديته وأصبح كافرًا وعدوًا للرب، إلا إذا صحح هذا بالتوبة الكنسية وعاد إلى ربه. بالتالي يجب على القاضي ألا يهمل استخدام العلاجات الشرعية، كما قلنا، ولكن مع بعض الاحتياطات التالية الأخيرة.



السؤال ١٦. الطريقة الملائمة والصحيحة للاستجواب الثاني.

الطريقة الملائمة والصحيحة للاستجواب الثاني، والاحتياطات النهائية التي يجب أن يتخذها القاضي.

هناك نقطة أو اثنتان يجب ذكرهما بشأن ما كتبناه. أولًا، أن الساحرات لا بد أن يُستجوبن في الأيام المقدسة وخلال مراسم القداس الإلهي، ويجب أن يُنصح الشعب بالصلاة لأجل العون الإلهي، ليس بطريقة معينة، ولكن لا بد أن يبتهلوا بصلوات القديسين ضد كل أوبئة الشيطان.

ثانيًا، كما قلنا من قبل، القاضي لا بد أن يرتدي حول رقبته الملح المكرس والمواد الأخرى، مع السبع كلمات التي تَلفظ المسيح بها على الصليب مكتوبة في لائحة ومجموعة مع الملح. ويجب إن استطاع، أن يرتديها على جلد رقبته، ويربط حول جسده أشياء مقدسة أخرى. لأنه ثبت بالتجربة أن الساحرات يضطربن كثيرًا بسبب هذه الأشياء، ولا يستطعن في وجودها أن يمتنعن عن قول الحقيقة. آثار القديسين أيضًا هي ذات فائدة عظيمة.

وبأخذ هذه الاحتياطات، وبعد أن تُعطى الساحرة الماء المقدس لتشربه، يجب أن يبدأ القاضي في استجوابها ثانية، وينصحها طوال الوقت مثل السابق بينما تكون مرفوعة عن الأرض، ويجب على القاضي أن يقرأ أو يأمر بقراءة شهادة الشهود أمامها بأسمائهم ويقول «**انظري! أنتِ تمت إدانتك بسبب هؤلاء الشهود**». أيضًا، إذا كان الشهود راغبين في مواجهتها وجهًا لوجه، فيجب على القاضي أن يسألها إن كانت ستعترف إن تم إحضار الشهود أمامها. وإذا وافقت، يجب أن يُحضر الشهود ويوقفهم أمامها، حتى يمكن أن تواجَه وتُفضح وتقول الحقيقة عن جرائمها.

وأخيرًا، إذا رأى بأنها لن تعترف بجرائمها، يجب أن يسألها إن كانت مستعدة حتى تُثبت براءتها بأن تجتاز التعذيب بالحديد الأحمر الساخن. وكلهن يُردن هذا، عالمات بأن الشيطان سيمنع الحديد من أن يؤذيهن، وبالتالي تنكشف الساحرة الحقيقية بهذه الطريقة. والقاضي يجب أن يسألها كيف يمكن أن تكون متعجلة هكذا على خوض هذه المخاطرة، وكل هذا يجب أن يُدوّن.

يجب على القاضي أيضًا أن يستجوب الساحرات في يوم الجمعة، في وقت اجتماع الناس في القداس الإلهي بانتظار المخلص، فهن غالبًا يعترفن في هذا الوقت.

ولكن عندما يتم تجربة كل شيء والساحرة لا تزال على صمتها. فيجب على القاضي أن يفك قيدها، ويأخذها من مكان التعذيب إلى مكان آخر تحت حراسة مشددة، ولكن يجب أن يعتني بألا يُحررها تحت أي نوع من الضمانات، لأنه عندما يعمل هذا، فهُن لن يعترفن بالحقيقة أبدًا، وسيكون الوضع أسوأ.

لكن في المقام الأول يجب أن يأمر بحسن معاملتها فيما يتعلق بالأكل والشرب، وأثناء ذلك، يُدخل إليها رجلًا صالحًا لا شك فيه ويتحدث معها في أمور متنوعة، وفي النهاية ينصحها بثقة أن تقول الحقيقة، ويعدها أن القاضي سيكون رحيمًا معها وأنه سيتوسط لها عند القاضي.

وفي النهاية يجب على القاضي أن يأتي ويُعدها بأنه سيكون رحيمًا معها وهو في عقله يقول أنه سيكون رحيمًا مع نفسه أو مع الدولة، لأنه كل ما يُعمل لمصلحة وأمان الدولة هو من الرحمة.

ولكن إذا وعدها بأنها ستعيش، كما وضحنا في السؤال الرابع عشر، فيجب أن يُكتب كل ما يدور بواسطة كاتب العدل، الكلمات التي قيلت وبأي نية تم الوعد بالرحمة. وإذا توسلت المتهمة بأن يرحموها وكشفت جرائمها، فيجب أن يعِدوها بطريقة غير واضحة وعامة بأنها ستحصل حتى على أكثر مما توسلت أن يحدث، حتى يمكن أن تتحدث بثقة أكبر.

وكاحتياط ثان في هذه الحالة، عندما ترفض تمامًا أن تقول الحقيقة، يجب على القاضي كما قلنا من قبل، أن يحقق مع أصدقائها ومساعديها بدون علمها، وإذا كشف هذا عن أي شيء يدينها، فيجب أن يحقق القاضي في هذا الشيء باجتهاد.

وأيضًا، إذا وُجدت أية أدوات أو مستحضرات في صناديق منزلها، لا بد أن تُعرض أمامها، ويجب أن تُسأل لأي غرض كانت تستخدمهم.

احتياطٌ ثالث يمكن أن يُتخذ عندما تُصر على العناد بعد أن يُحقق مع معارفها ويشهدوا ضدها، وإن لم يكن لها أصدقاء، يجب أن يوجد شخص معروف بأنه قريب منها بأي طريقة ويكون نوعًا ما مناصرًا لها، ويدخل على الساحرة ويبقى في السجن معها، ويتحدث معها طوال الليل. وإذا كان متعاونًا، يجب أن يأكلا ويشربا معًا، ويتحدثا مع بعضهما في الأشياء التي عملها كل منهما. ويجب أن يقف جواسيس بالخارج في مكان مناسب ويستمعون إليهما ويكتبون ما يقال، وإن كان ضروريًا، يجب أن يكون معهما كاتب.

احتياطٌ رابع، إذا بدأت بقول الحقيقة، يجب على القاضي ألا يؤجل الاستماع لاعترافها، حتى في منتصف الليل، فعليه أن يجتهد في ذلك قدر استطاعته. وإذا كان الوقت نهارًا، يجب ألا يهتم إن كان سيتأخر على وجبة الغداء أو العشاء، ولكن عليه أن يكون مجتهدًا حتى تقول الحقيقة، على الأقل الجزء المهم من الحقيقة. لأنه قد وُجد عامةً، أنه لو حدثت تأجيلات وانقطاعات، فهُن يعدن إلى الصمت ولن يخبرن بالحقيقة التي بدأن في الاعتراف بها، مما يجعل الأمر أسوأ.

وعلى القاضي بعد أن تعترف أنها عملت الأذى للبشر والحيوانات، أن يسألها كم عدد السنين التي قضتها مع الشيطان الجاثوم، وكم المدة منذ أن أنكرت الإيمان. لأنهن لا يعترفن بهذه الأمور إلا إذا اعترفن أولًا بأفعالهن الأخرى.

احتياط خامس، عندما يفشل كل ما سبق، يجب-إن أمكن- أن تُقاد الساحرة إلى قلعة ما، وبعد أن تُحبس هناك لبعض الوقت، يجب على صاحب القلعة أن يتظاهر بأنه ذاهبٌ في رحلة طويلة. ويجعل بعضًا من أهل بيته، أو حتى امرأة صالحة، أن تزورها وتعدها بأنهم سيحررونها ويرتبون هربها إذا علّمتهم كيف يمكن أن يعملوا هذه الممارسات. ويجب على القاضي أن يعرف أنهن بهذه الطريقة يعترفن عادة وتتم إدانتهن.

مؤخرًا حُبست ساحرة في قلعة «كونيجشيم» قرب قرية «شيليتستادت» في أبرشية «ستراستبورج»، بعد أن لم تعترف تحت أي تعذيب أو استجواب. وفي النهاية استخدم صاحب القلعة هذه الطريقة التي وصفناها. بالرغم من أنه كان موجودًا

في القلعة، لكن ظنت الساحرة أنه قد رحل، وأتى إليها ثلاثة من أهل بيته ووعدوها بأنهم سيحررونها إذا علّمتهم كيف يعملون بعض الأشياء. في البداية رفضت، وقالت أنهم يحاولون الإيقاع بها، ولكن في النهاية قالت لهم ماذا تريدون أن تعرفوا.

فسألها أحدهم كيف تثيرين عاصفة باردة، والآخر سألها عن الأمور الجسدية. وبعد وقت وافقت على أن تُريه كيف تثير عاصفة، وتم إحضار طشت من الماء، وأخبرته الساحرة أن يحرك الماء بإصبعه، وتلفظت ببعض الكلمات، وفجأة، نزلت زوبعة على ذلك المكان الذي سمّاه، وهو غابة بجوار القلعة، نزلت عليها عاصفة من البرد لم يُر مثلها منذ وقت طويل.

بقي أن نوضح كيف يمكن للقاضي أن يتقدم في النطق بالحكم في حالة أن فشل كل هذا، أو ما الذي يمكن عمله لو اعترفت بجريمتها، وكيف تنتهي هذه العملية، وسنختم آخر جزء من هذا العمل بالتحدث عن هذه الأمور.

الموضوع الثالث. هو آخر جزء من هذا العمل، كيف يمكن ختم العملية بنطق الحكم العادل.

من نعمة الرب أن عرفنا الوسائل الصحيحة لمعرفة هرطقة السحر، وبعد أن وضحنا كيف تبتدئ العملية وكيف تتم، بقى أن نناقش كيف يمكن للعملية أن تنتهي نهاية مناسبة بحكم مناسب.

هنا يجب أن نلاحظ أن هذه الهرطقة كما وضحنا في بداية هذا الجزء الأخير، لا يجب أن تُخلط مع الهرطقات الأخرى البسيطة، لأنه من الواضح أنها ليست جريمة عادية وبسيطة، ولكن جزء منها كنسي وجزء منها مدني. وفي حديثنا عن طرق تمرير الحكم، لا بد أولًا أن نتحدث عن نوع معين من الحكم يعجب الساحرات حيث يمكن للقاضي العلماني أن يتصرف فيه بنفسه باستقلال عن رجل الكنيسة. ثانيًا، يجب أن نتحدث عن أولئك الذين لا يقدرون على التصرف بدون رجل الكنيسة. وثالثًا سنوضح كيف لرجال الكنيسة أن يُعفوا أنفسهم من مهامهم.



السؤال ١٧. عن التطهير العام وامتحان الحديد الأحمر الساخن، الذي يعجب الساحرات.

هل القاضي العلماني يمكن أن يسمح بأن تخضع الساحرة للتطهير العام، بالطريقة التي يُسمح فيها للمتهمة المدنية أن يُحقق معها بالتعذيب، ويبدو أنه يسمح بهذا.

لأن استخدام القتال حتى الموت في الاستجواب مسموح به في الحالات الجنائية لأجل الحفاظ على الحياة، وفي الحالات المدنية لأجل الحفاظ على الممتلكات، فلماذا لا نجري التحقيق بالحديد الأحمر الساخن أو بالماء المغلي؟ القديس «توماس» يسمح بالأول في بعض الحالات، عندما يقول في مقاله الأخير من كتاب **Second of the Second**، أن القتال حتى الموت مشروعٌ عندما يتوافق مع الفطرة السليمة. بالتالي فالاختبار بالحديد الساخن يجب أيضًا أن يكون مشروعًا في بعض الحالات.

أيضًا لقد تم استخدامه بواسطة العديد من الأمراء ذوي الحياة الصالحة الذين استفادوا من نصائح الرجال الصالحين، مثلًا الإمبراطور القديس «هنري» في حالة العذراء «كونيجود» التي تزوجها، وكان مشتَبهًا بها بعمل الزنا.

والقاضي، الذي هو مسؤول عن أمان المجتمع، يمكن أن يسمح بسوء بسيط أن يحدث حتى يتفادى خطرًا عظيمًا، حيث يسمح بوجود العاهرات في القرى حتى يتفادى الحالة العامة للشهوة. لأن القديس «أوجستين» يقول في كتاب **On Free Will**، أبعد العاهرات، وستخلق فوضى عارمة وحالة من الشهوة. لذلك، عندما يُعبأ شخص ما بإهانات وأذى من أي مجتمع، يمكنه أن يُبرئ نفسه من أي تهمة جنائية أو مدنية بأن يَعرض على نفسه الاختبار بالعذاب.

أيضًا، الألم الذي يحدث للأيدي من الحديد الساخن هو أقل وطأة من خسران الحياة الذي يمكن أن يحدث في القتال حتى الموت. فإذا كان القتال حتى الموت مسموحًا ومعتادًا، فأيضًا الحديد الساخن يجب أن يكون مسموحًا.

ولكن هناك رؤية مضادة احتجّوا فيها بما ذُكر في الشريعة، أن الذين يمارسون أشياءً كهذه يبدو أنهم يُغضبون الرب، وهنا أكّد العلماء أنه تجب ملاحظة كلام القديس «بولس» في رسالة تسالونيكي الأولى ٥ «**امتنعوا عن كل شبه شر**» وتقول الشريعة في هذا الفصل، إن الذين يعملون هذه الممارسات يُغضبون الرب، فحتى لو أراد القاضي إجراء اختبار كهذا وليس في قلبه إلا النية الطيبة، لكن بسبب أن هذا له مظهر الشر، فينبغي أن يتم تجنبه.

أنا أجيب بأن هذه الاختبارات أو الامتحانات هي غير شرعية لسببين. الأول، لأن غرضها هو الحُكم على أمور مخفية، والرب فقط هو الذي يجب أن يحكم عليها. ثانيًا، لأنه ليس هناك تشريع إلهي لهذه الامتحانات، ليس في أي مكان في الكتب المقدسة ولا في كتابات القديسين. وقالت الشريعة أن الذي لم يُذكَر في كتابات القديسين يُعتبر من البدعة. والبابا «ستيفان» في نفس الفصل قال: إنه شيءٌ متروكٌ للقاضي أن يُدين الجناة المدانين باعترافهم الشخصي أو بالدليل على الجريمة، ولكن الشيء المخفي الغير معلوم هو متروك للرب لأنه وحده فقط يعلم ما في القلوب.

ومع هذا فهناك فرق بين القتال حتى الموت وبين الامتحان بالحديد الساخن أو الماء المغلي. لأن القتال حتى الموت يبدو أكثر إنسانية ومنطقية، لأن المتبارزيْن يكونان من نفس القوة والمهارة، لكن الامتحان بالحديد الساخن ليس كذلك. لأنه رغم أن غرض الطريقتين هو استخراج شيء خفي، إلا أنه في حالة الامتحان بالحديد الساخن فما يُبحث عنه هو أن يتحمل المتهم بشكل إعجازي فوق طاقة البشر، وهذه ليست الحال في القتال حتى الموت. بالتالي فالامتحان بالحديد الساخن هو غيرُ شرعي تمامًا، رغم أن القتال حتى الموت ليس شرعيًا أيضًا إلى حد ما.

بسبب تلك الكلمات للقديس «توماس» والتي توضح هذا الاختلاف، «نيكولاس أوف لايرا» في تعليقه على القتال بين داوود وجالوت في سفر الملوك الأول السابع عشر، حاول أن يثبت أنه في بعض الحالات يكون القتال حتى الموت شرعيًا. ولكن «باول أوف بورجوس» أثبت أن الأمر ليس كذلك بل إن العكس هو ما عناه القديس «توماس»، وكل الأمراء والقضاة العلمانيين لا بد أن ينتبهوا إلى براهينه.

برهانه الأول هو أن القتال حتى الموت، مثل أي امتحان بالابتلاء، له غرض هو الحكم على شيء مخفي، من النوع الذي يجب أن يُترك لحكم الرب، كما قلنا. ولا يمكن أن يُقال أن قتال داوود هو تشريع للقتال حتى الموت، لأنه قد أوحي إليه من قبل الرب من خلال غريزته الداخلية أنه يجب أن يدخل في هذا القتال وينتقم من الفلسطينيين بسبب ما عملوه ضد الرب، كما ثبت من كلمات داوود: أنا آتيٌ إليك باسم الرب الحي. فهو هنا لم يتكلم كمقاتل، ولكن كمنفذ للعدالة الإلهية.

برهانه الثاني هو أن القتال حتى الموت أو على الأقل الترخيص به، يُعطى للطرفين فرصة ليقتلا بعضهما. ولكن بما أن واحدًا منهما بريء، فالترخيص هنا مُعطى لقتل شخص بريء، وهذا غير شرعي، لأنه يعارض القانون الطبيعي وتعاليم الرب. بالتالي، فالقتال حتى الموت هو غير شرعي بالمرة، ليس فقط أن يُطلب من طرف المتهم ولكن من طرف القاضي أيضًا ومستشاريه، الذين سيُعتبرون قتلةً أو شركاء في القتل.

ثالثًا، هو يشير إلى أن القتال حتى الموت هو مبارزة بين رجلين، غرض كل واحد منهما هو أن يُظهِر العدل في القضية بانتصار أحد الأطراف كما لو كان هذا الانتصار حصل بحكم الإله، ورغم هذا فواحد من الأطراف يقاتل لقضية غير عادلة، وبهذه الطريقة فالرب يغضب. بالتالي من غير الشرعي لكلا الطرفين أن يعملوا هذا. ولكن باعتبار أن القضاة لديهم طرق أخرى للوصول إلى العدل وإنهاء النزاع، فعندما لا يستخدمون هذه الطرق الأخرى، وينصحون أو يسمحون بالقتال حتى الموت في الوقت الذي يمكنهم منعه، فهم يوافقون على موت شخص بريء.

ولكن لأنه من غير المرجح أن «نيكولاس» لم يكن يعرف أو كان يجهل هذا المنطق أعلاه، فنستنتج أنه، عندما يقول أنه في بعض الحالات يمكن أن يحدث الضرب بدون خطيئة مميتة، فهو لا يتحدث عن طرف القضاة أو الناصحين، بل عن القتال الذي يُطلب برغبة المتهم أو خصمه أنفسهما.

ولكن بما أنه ليس غرضنا أن نُطيل في جدال مثل هذا، فسنعود إلى سؤالنا عن الساحرات، من الواضح أنه، إذا كان هذا النوع من الامتحان ممنوعًا في الحالات الجنائية الأخرى، مثل السرقة، فيجب أن يكون ممنوعًا أيضًا في حالة الساحرات

واللاتي، من المتوافق عليه، أنهن يحصلن على كل قوتهن من الشيطان، سواء كان هذا لأجل إحداث الضرر أو علاجه.

وليس جميلًا أن تخوض الساحرات هذا الامتحان بالابتلاء بمساعدة الشياطين، لأننا نتعلم من علماء الطبيعة أنه إذا مُسِحَت اليد بعصير من عشبة معينة يمكن لهذه اليد أن تُحفظ من النار. والشيطان لديه العلم نفسه بقدرات هذه الأعشاب، بالتالي، رغم أنه يمكن أن يجعل يد المتهمة محمية من الحديد الساخن بوضع مادة ما بشكلٍ خفي، إلا أنه يفضّل أن يعمل هذا التأثير باستخدام أعشاب طبيعية. بالتالي يجب أن يُسمح للساحرات بشكلٍ أقل أن يخضن هذا الامتحان بالابتلاء، بسبب ارتباطهن الوثيق بالشيطان.

هناك حادثة توضح هذا الجدل حدثت قبل ثلاث سنوات في أبرشية «كونستانس. في مقاطعة «كونتس أوف فويرستينبير» و«بلاك فوريست» كانت هناك ساحرة شهيرة محل شكوى من الجميع. وفي النهاية، نتيجة لطلب الجميع، تم القبض عليها بواسطة الكونت واتُّهمت بعدد من أعمال الشر والسحر. وعندما تم استجوابها وتعذيبها، رغبت في الهرب من بين أيديهم، فطلبت الامتحان بالحديد الساخن، والكونت، كونه بلا خبرة، سمح بهذا. ثم حملت المرأة الحديد الساخن ليس فقط على المراحل الثلاثة المحددة، ولكن لست مرات، وعَرضت أن تحمله إلى أبعد من ذلك. ورغم أنهم عملوا هذا أصلًا لإثبات أنها ساحرة، إلا أنه تم تحريرها من قيودها وخرجت حُرة، وهي لا تزال حية حتى هذه اللحظة، وهي معروفة في تلك الأنحاء.



السؤال ١٨. طريقة النطق بالحكم النهائي والحاسم.

في التحدث عن هذه الحالات التي يمكن أن يصل فيها القاضي العلماني بنفسه للنطق بالحكم بدون التعاون مع رجال الكنيسة أو الأبرشيات، فمن الضروري أن نفترض مسبقًا أنه مما يتفق مع حماية الإيمان والعدالة أننا نحن المفتشين يجب أن نُعفى من مهمة الحكم في هذه القضايا، ولكن بنفس الروح المخلصة نحن نسعى أن نُعفِي الأبرشيين من هذه المهمة.

لا بد أن نتذكر أيضًا أن هذه الجريمة للساحرات ليست كنسية بشكلٍ صاف، بالتالي فالحكام المؤقتين ومجلس اللوردات ليسوا محرومين من الحكم فيها. في نفس الوقت لا بد أن نوضح أنه في بعض الحالات يجب ألا يصلوا إلى حكم نهائي بدون تفويض شرعي من الأبرشيين.

ولكن أولًا لا بد أن نتحدث عن الحكم نفسه، ثانيًا عن طبيعة النطق به، وثالثًا عن عدد الطرق التي يمكن أن يُنطق بها.

بالنسبة لأول نقطة، الحكم نفسه، القديس «أوجستين» يقول أنه يجب ألا يُنطق بالحكم على شخص إلا إذا ثبت أنه مذنب، أو اعترف. وهناك ثلاثة أنواع من الأحكام، حُكم عارض، وحُكم نهائي، وحُكم ابتدائي. وهذا يُشرح كالتالي بواسطة القديس «ريموند». الحُكم العارض هو الذي لا يتعلق بالمشكلة الأساسية في القضية، ولكن ببعض المشاكل الجانبية التي تظهر خلال الاستماع للقضية، مثل قرار إذا كان الشاهد سيتم رفضه أم لا، أو أن يُسمح بنوع من الخروج عن الموضوع. وهو يسمى عارضًا بسبب أنه يتم ببساطة بواسطة الكلمة الشفهية بدون أن يوضَع رسميًا في مستند.

الحُكم النهائي هو الذي يُنطَق فيه بالقرار النهائي على المشكلة الأساسية في القضية.

والحُكم الابتدائي هو الذي يُنطق به بواسطة سلطة أقل بناءً على تعليمات سلطة أعلى. ولكن نحن سنتحدث عن أول حُكمين، وخاصة عن الحُكم النهائي.

ثبت في القانون أن الحُكم النهائي الذي تم الوصول إليه بدون تحقيق جيد أو إجراءات قانونية في القضية هو باطل ولاغ، والأداء القانوني للقضية يتكون من شيئين. الأول يتعلق بقواعد الحُكم، أنه يجب أن يكون هناك استماع جيد إلى الحجج من كل من المدعين والمدافعين، والحُكم الذي يوصَل إليه بدون استماعات كهذه لا يمكن أن يُعتدّ به. والثاني يتعلق بقواعد القضاء، أنّ الحُكم لا يجب أن يكون مشروطًا، كمثال، المطالبة بحيازة ممتلكات لا يجب أن تُقرر بشكل مشروط على مُطالبة لاحقة من الممتلكات.

ولكن في القضية التي نحن بصددها، والتي هي نيابة عن الإيمان ضد الاتهام بالهرطقة، فالإجراءات بسيطة ومختصرة. أي أن القاضي لا حاجة به لطلب أي مستندات، أو أن يُطالب بأن يحدث في القضية نزاع ونضال. ولكن يجب أن يسمح بالفرصة للبراهين الضرورية فقط، ويدقق في الاحتجاجات على تشويه السمعة، إلخ. وهناك مؤخرًا قانون جديد وُضع للتوافق مع هذه القضايا.

ولنتقدم الآن لثاني نقطة، طبيعة النطق بالحُكم، الحُكم يجب أن يُنطق بواسطة القاضي وليس بواسطة أي شخص آخر، وإلا لن يكون صحيحًا. أيضًا القاضي يجب أن يجلس في مكان مشرف وواضح للعامة، ولا بد أن يَنطق به في النهار وليس في المساء، وهناك شروط أخرى يجب أن تُلاحظ، مثلًا، الحُكم يجب أن يُعلن في أيام الإجازات والأيام المقدسة، وألا يُسلّم فقط بشكل مكتوب.

بما أن القضية يجب أن تؤدَّى بطريقة بسيطة ومختصرة، فمن المفروض أن تؤدّى في أيام الإجازات والأيام المقدسة لأجل راحة العامة. والقاضي، إن استطاع، يمكن أن يمرر الحكم بدون أن يجعله مكتوبًا. لأن ما وصل إلينا من معلومات يقول بأن هناك قضايا يكون فيها الحُكم صحيحًا بدون أن يوضع في هيئة مكتوبة، مثل أن يكون هذا عادة في محكمة محلية ما. أيضًا هناك امتياز للأسقف عندما يكون هو القاضي، أنه يَسمح للحُكم بأن ينطق بواسطة شخص آخر.

في الأفعال الجنائية يجب ألا يؤجّل تنفيذ الحكم، ولكن هذه القاعدة لا تكون مناسبة في أربع حالات، اثنين منهم يخصان موضوعنا. أولًا، عندما تكون السجينة

امرأة حاملًا، عندها يؤجل الحكم حتى تلد. وثانيًا، عندما تعترف السجينة بجريمتها، ثم بعد ذلك تُنكرها، يعني بالطريقة التي وضحناها في السؤال الرابع عشر.

وقبل أن نتقدم إلى الموضوع الثالث، تحديدًا الطرق المختلفة لتمرير الحكم والتي سنتحدث عنها حتى نهاية هذا العمل، يجب أولًا أن نضع بعض الملاحظات عن الطرق المختلفة التي يصير فيها الشخص مشتبهًا فيه.



السؤال ١٩. عن الدرجات المختلفة للاشتباه التي تجعل المتهم قابلًا للحكم عليه.

كل من التشريع القديم والجديد يُعطي إجابة لسؤال كم عدد وما هي الطرق التي يمكن أن يكون الشخص بها مشتبهًا فيه بالهرطقة أو أي جريمة أخرى، وهل يمكن أن يحكموا عليه بسبب الاشتباه فقط. لأن التفسير في الشريعة يقول أن هناك أربع طرق لإدانة سجين، إما بشهادة الشهود في المحكمة، أو بالدليل على الجريمة، أو بسبب إدانات سابقة ضد السجين، أو بسبب اشتباهٍ خطير.

وعلماء الشريعة يذكرون أن الاشتباه ثلاثة أنواع. الأول هو عندما تقول الشريعة «يجب ألا تحكم على أي أحد بسبب أنه مشتبهٌ به في رأيك»، الثاني هو الاشتباه المحتمل وهو الذي يؤدي إلى إجراء التطهير على المتهم، الثالث هو الاشتباه الخطير، وهذا يؤدي إلى إدانة المتهم. والقديس «جيروم» يفهم هذا النوع من الاشتباه عندما يقول أن الزوجة يمكن أن تُطلّق بسبب الزنا أو بسبب الاشتباه في الزنا.

يجب أن نذكر أيضًا أن الاشتباه المحتمل إنما يُقدّم في القضية على أنه نصف برهان، أي أنه يساعد في تثبيت البراهين الأخرى. بالتالي يمكنه أيضًا أن يُوصل إلى الحُكم، وليس فقط إلى التطهير.

بتطبيق هذا على مناقشتنا عن هرطقة الساحرات والقوانين الحديثة، نقول أنه في القانون هناك ثلاث درجات للشك في الهرطقة، الأولى خفيفة، والثانية كبيرة، والثالثة كبيرة جدًا.

الأولى في القانون تسمى الاشتباه الطفيف. عن هذا قيل في الشريعة: إذا تم الشك في المتهمة فقط شكًا طفيفًا، فرغم أنها يجب أن تعاقب بشدة على هذا، لكن لا يجب أن تعاني من عقوبة أولئك الذين عادوا إلى الهرطقة. وهذا الشك يسمى طفيفًا، بسبب أنه يمكن إزالته بدفاع بسيط وسهل، وبسبب أنه حصل نتيجة حدسٍ بسيط.

كمثال على الهرطقة البسيطة، إذا وُجد أناس يجتمعون مع بعضهم لغرض العبادة، ويختلفون في طرق حياتهم وتصرفاتهم عن العادات المعتادة للمؤمنين، كأن يجتمعوا معًا في الأكواخ والمخابئ، أو في المواسم المقدسة في حقول بعيدة أو غابات، بالنهار أو بالليل، أو بطريقة أن يعزلوا أنفسهم عن حضور القداس الإلهي في الوقت المعتاد وبالطريقة المعتادة، أو يعملوا صداقات سرية مع من يشتبه فيهن أنهن ساحرات، هؤلاء الناس يجلبون على أنفسهم الاشتباه الطفيف بالهرطقة، بسبب أنه ثبت أن المهرطقين عادةً ما يتصرفون بهذه الطريقة. وعن الشك الطفيف يقول القانون: هؤلاء الذين اشتُبه بشك بسيط أنهم انحرفوا عن تعاليم وطريق الدين المسيحي فهم لا يُصنفون على أنهم هراطقة، ولا يُنطق بحكمٍ ضدهم.

«هنري أوف سيجوسيو» يوافق هذا في كتابه **Summa**، عندما يقول: المشتبه فيه بالهرطقة بحُجة بسيطة لا يعتبر مُهرطِقًا.

الاشتباه الخطير يسمى في القانون اشتباهًا شديدًا، والشريعة تقول: الشخص المتهم أو المشتبه فيه بالهرطقة، باشتباهٍ خطير أو شديد على جريمته، إلخ. وتكمل: وهذان ليسا نوعين وإنما نفس النوع من الشك. و«بيرناردوس بابينسيس» و«هوجوشيو» يقولان أن الاشتباه الشديد هو نفسه الاشتباه القوي والاشتباه العظيم.

بالتالي فالاشتباه العظيم يسمى أيضًا اشتباهًا شديدًا أو قويًا، وسُمي كذلك لأنه لا يُدحَض إلا بدفاع شديد أو قوي، ولأنه يحصل بسبب حدس قوي وشديد وحجج عظيمة وأدلة قوية. لنأخذ مثالًا على اشتباه هرطقة من هذا النوع، عندما نجد أن أناسًا خبأوا مهرطقين معروفين، وقدموا لهم معروفًا، أو زاروهم أو تعاملوا معهم وأعطوهم هدايا، أو استقبلوهم في بيوتهم أو حموهم، هؤلاء الأشخاص يُعتبرون مشتبهًا فيهم بقوة وبشدة في الهرطقة.

وهنا يجب أن نذكر خاصةً الرجال والنساء الذين يتعلقون بحب جارف أو كره مفرط، فحتى إذا لم يعملوا أي ضرر للإنسان أو الحيوان بأي طريقة. إلا أنه هؤلاء الذين يتصرفون بهذه الطريقة يتم الاشتباه فيهم اشتباهًا قويًا. وهذا موضّح بالشريعة عندما تقول أنه لا شك أن هؤلاء الأشخاص يتصرفون بهذه الطريقة بسبب تعاطفٍ ما مع هرطقةٍ ما.

الثالث هو الاشتباه الأعظم، وهو في القانون يسمى الاشتباه العنيف أو الحرج، لأن الشريعة والتفسير من رئيس الشمامسة و«جيوفاني دي أندريا» يقولون أن كلمة شديد ليس لها نفس معنى كلمة عنيف. وعن هذا الاشتباه تقول الشريعة: هذا الاشتباه يسمى عنيفًا لأنه يُجبر القاضي بعنف على أن يصدقه، ولا يمكن أن يُدحض بأي مراوغة: وأيضًا بسبب أنه يحصل من حدسٍ عنيف ومقنع.

مثال على اشتباه كهذا، إذا وُجد أن أناسًا يُظهرون توقيرًا للمهرطقين، أو يأخذون العزاء منهم ويشاركونهم، أو يرتكبون أي أمرٍ آخر بالتوافق مع طقوسهم ومناسباتهم، فهؤلاء الأشخاص يقعون تحت الاشتباه العنيف والمقنِع بالهرطقة (انظر الفصول العديدة عن هذا الأمر في الكتاب السادس من الشريعة) لأنه ليس هناك شكٌّ أن هؤلاء الأشخاص يتصرفون بهذه الطريقة بسبب أنهم يؤمنون بهرطقة ما.

الأمر نفسه بالنسبة لهرطقة الساحرات وهؤلاء الذي يمارسون ويصرون على ممارسة الأفعال التي تتبع طقوس الساحرات. هناك أنواع عديدة للاشتباه في حالة الساحرات، في بعض الأحيان يحصل مجرد خطاب تهديدي مثل « أنت قريبًا ستشعر ما الذي سيحصل لك » أو شيء من هذا النوع. وبعض الأحيان من لمسة، أن يضعن أيديهن بفضول على شخصٍ أو على حيوان. وفي بعض الأحيان فقط يُظهرن أنفسهم للعين، مثل أن يُظهرن أنفسَهن في النهار أو في الليل للآخرين الذين هم نائمون في سرائرهم، وهذا يمكن أن يعملنه إذا أردن أن يسحرن الأشخاص والحيوانات. ولكن في إثارة العواصف الباردة فهن يعملن عدة طرق وطقوس، ويعملن أفعالًا عديدة قرب النهر، لقد وضحنا هذا من قبل عندما تحدثنا عن موضوع طُرق عمل السحر.

وعندما تكون هناك ساحرات شهيرات فإنه تتم إدانتهن بالاشتباه العنيف بالهرطقة والسحر، خاصةً عندما يحدث تأثيرٌ سحري يتبع أحد أفعالهن، إما أن يتبعه بسرعة أو بعد فترة. ويمكن أن يكون هناك دليل مباشر عندما توجد أي أداة من أدوات السحر مخفية في مكانٍ ما. وأيضًا رغم أنه عندما يكون هناك فترة من الوقت قبل حدوث التأثير والدليل على الجريمة ليس قويًا جدًّا، إلا أن الساحرة تظل تحت الاشتباه القوي بالسحر.

وإذا جاء سؤال هل الشيطان لا يمكنه أن يحدث الضرر على الأشخاص والحيوانات بدون الطُرق التي تُظهر الساحرة فيها نفسها أو تلمس الأشياء، ونجيب بأنه يمكنه، عندما يسمح الرب. ولكن سماح الرب يُعطَى بشكلٍ أكبر في حالة المخلوق المكرّس للرب، الذي بإنكار الإيمان وافق على عمل جرائم شنعاء، وبالتالي الشيطان عادةً ما يستخدم هذه الطرق لأذية المخلوقات المكرسة. وأيضًا، رغم أن الشيطان يمكن أن يعمل بدون ساحرة، إلا أنه يُفضل بشكل كبير أن يعمل مع ساحرة، لأسباب كثيرة وضحناها سابقًا في هذا العمل.

لجمع الاستنتاجات على هذا الأمر، نقول، باتباع الفروقات المذكورة أعلاه، فهؤلاء المشتبه فيهم بهرطقة السحر ينقسمون إلى ثلاثة أنواع، اشتباه طفيف وقوي وعنيف. وهم يشتبه فيهم اشتباهًا طفيفًا عندما يتصرفون بطريقة تثير شكًا طفيفًا ضدهم بالهرطقة. ورغم هذا، كما قلنا، الشخص المشتبه فيه بهذه الطريقة لا يسمى مهرطقًا، ولكن يجب أن يُجرى عليه التطهير القانوني، ويُفرض عليه نطق إنكار الهرطقة رسميًا، هذا في حالة الاشتباه البسيط بالهرطقة.

لأن الشريعة تقول: هؤلاء الذين وُجد أنهم يقعون تحت الشك المحتمل (وهو كما يقول «هنري سيجوسيو» الشك الطفيف)، مع مراعاة طبيعة الشك وطبيعة الأشخاص، يجب أن يُثبتوا أنهم أبرياء بعمل التطهير. وإذا استمروا في العناد في حظرهم الكنسي لفترة سنة، فإنهم يصبحون هراطقة.

وهذا الشخص الذي تحت الشك الطفيف يجب أن يَنطق بإنكار رسمي كما هو موضح في الشريعة حيث تقول: الشخص المتهم أو المشتبه فيه بالهرطقة وهناك اشتباه قوي في أنه عمل هذه الجريمة، إذا أنكر الهرطقة أمام القاضي ثم بعد ذلك ارتكبها، عندها، يجب أن يُحكم عليه على أنه عاد إلى الهرطقة، رغم أن الهرطقة لم تثبت ضده قبل إنكاره. ولكن إذا كان الاشتباه في البداية بسيطًا أو طفيفًا، فرغم أن عودة كهذه تجعل المتهم قابلًا للعقاب القاسي، إلا أنه لا يعاني من عقاب هؤلاء الذين عادوا إلى الهرطقة.

ولكن هؤلاء الذين عليهم اشتباه قوي، يعني هؤلاء الذين تصرفوا بطريقة تُحدث شكًا قويًا فيهم، فهؤلاء ليسوا بالضرورة هراطقة أو يمكن أن يدانوا على أنهم كذلك. لأنه قيل بوضوح في الشريعة أنه لا أحد يكون مُدانًا بجريمة كبيرة كهذه

بمجرد الاشتباه القوي وتقول أيضًا: نحن نقرر بأنه، عندما يكون المتهم فقط تحت الاشتباه، حتى لو كان اشتباهًا قويًا، فنحن لا ندينه بجريمة عظيمة كهذه، ولكن الشخص المشتبه فيه بقوة يجب أن يؤمر بأن ينكر كل الهرطقة عامة، وتحديدًا الشيء الذي هو مشتبه فيه بقوة.

ولكن إذا عاد بعد ذلك إما إلى الهرطقة الأولى أو إلى هرطقة ثانية، أو إذا ارتبط بواحدة من هؤلاء المعلوم أنهن ساحرات أو هراطقة، أو زارهنَّ أو استقبلهن أو استشارهن أو عفا عنهن، أو قدم لهن معروفًا، فيجب ألا يهرب من عقاب مخصص في الشريعة للشخص العاصي المنحرف، وفقًا للشريعة التي تقول: هذا الذي يكون متورطًا في نوع أو طريقة من الهرطقة، أو أخطأ في بند من بنود الإيمان أو الأسرار المقدسة للكنيسة، وبعدها أنكر هرطقته بشكلٍ محدد وأنكر الهرطقة بشكل عام، ثم اتّبع بعد ذلك هرطقة أخرى، أو أخطأ في بندٍ آخر أو سرٍ آخر من أسرار الكنيسة، فإننا نرغب في أن يُحكم عليه كالشخص العاصي المنحرف.

من هذه الكلمات يتضح أن هناك ثلاثُ حالات يمكن للشخص المشتبه فيه بقوة أن يعاقَب كعاصي منحرف بعد إنكاره الهرطقة، الأولى عندما يرجع إلى نفس الهرطقة التي اشتُبه فيه بها. والثانية عندما ينكر كل الهرطقات ثم يعود إلى هرطقة أخرى لم يشتبه فيه بها أو اتُهم بها من قبل. والثالثة هي عندما يأخذ أو يعطي أيَ معروف لهراطقة. وهذه الأخيرة تشمل وتتضمن عدة حالات.

ولكن جاء سؤال، ما الذي يجب عمله عندما يرفض الشخص الواقع تحت الاشتباه القوي أن يستجيب لأمر القاضي بأن ينكر الهرطقة، كيف عندها تكون الإجراءات ضد الشخص؟ ونجيب بأن القاضي يجب أن يعمل إجراءاته ضده وفقًا للشريعة، فيجب أن يضعه تحت الحظر الكنسي. وإذا استمر في العناد بعد سنة من الحظر الكنسي، فإنه يُدان بأنه مهرطق.

هناك آخرون يشتبه فيهم اشتباهًا عنيفًا، أي أن أفعالهم أثارت حولهم اشتباهًا عنيفًا، وهؤلاء يجب أن يعتبروا هراطقة، ويجب أن يُعاملوا على أنه مقبوضٌ عليهم بالهرطقة، وفقًا لقانون الشريعة. فهؤلاء إن أرادوا أن يعودوا إلى الإيمان وينكروا الهرطقة، فيجب أن يتوبوا، ولكن إذا رفضوا أن ينكروا الهرقطة، يجب أن يتم تسليمهم للمحكمة العلمانية لينالوا عقابهم.

ولكن إذا لم يعترف الواحد منهم بجريمته بعد أن تمت إدانته، ولم يقبل أن يُنكر الهرطقة، يجب أن يُدان على أنه شخص مهرطق غير تائب. لأن الاشتباه القوي كافٍ للإدانة.

وهناك نوع اسمه الهرطقة الواضحة، حيث ليس هناك دليل مباشر أو غير مباشر على الجريمة، كما سيتم عرضه في الطريقة السادسة من طرق تمرير الحكم، وفيها يُدان الشخص بالهرطقة حتى لو لم يكن مهرطقًا: فماذا عن هرطقة الساحرات وهي أكبر، حيث يكون هناك دائمًا دليلًا مباشرًا بسحر الأطفال أو الأشخاص أو الحيوانات، أو دليل غير مباشرٍ بأدوات السحر التي تم إيجادها.

ورغم أنه في حالة الهرطقة الواضحة هؤلاء التائبين والمنكرين لها بعد اعترافهم وتوبتهم يتم سجنهم مدى الحياة، لكن رغم أن القاضي الكنسي يمكن أن يقبل السجين على أنه تائب إلا أن القاضي المدني يمكنه بسبب الأضرار التي عملها السجين أن يقول أن هناك أضرارًا تم عملها للأشخاص والماشية والممتلكات، ويحكم عليه بالموت، والقاضي الكنسي لن يستطيع أن يمنع هذا، لأنه حتى لو لم يتم تسليمه للعقوبة، إلا أنه مجبر بأن يسلمه بطلب من القاضي المدني.



السؤال ٢٠. عن الطريقة الأولى للنطق بالحكم.

المتهمة إما أن يُحكم أنها بريئة ومغفورًا لها بالكامل، أو يُحكم أنها مذنبة ومشوَّهةٌ سمعتها بالهرطقة، أو يُحكم أنه يجب أن تخضع للاستجواب والتعذيب بسبب سمعتها، أو يُحكم أنها مشتبه فيها اشتباهًا طفيفًا بالهرطقة، أو يُحكم أنها مشتبه بها اشتباهاً قويًا أو شديدًا بالهرطقة، أو يُحكم أنها مشوّهة السمعة وكذلك مشتبه فيها بالهرطقة في نفس الوقت، أو يُحكم أنها معترِفة بهرطقتها ونادمة ولكن انتكست مرة أخرى، أو يُحكم أنها اعترفت بهرطقتها وغير نادمة، أو يُحكم أنها اعترفت ولكن بشهادة الشهود أو بطريقة أخرى تمّت إدانتها بالهرطقة، أو يُحكم أنها مدانة بالهرطقة ولكنها هربت أو غابت، أو يُحكم أنها عملت الضرر بواسطة السحر ولكنها أزالت الأسحار بطرق غير شرعية، أو يُحكم أنه ساحر من السحرة الرماة، أو مشعوذ ذو أسلحة سحرية مميتة، أو يُحكم أنها من المولدات الساحرات التي تهب الأطفال للشيطان، أو يُحكم أنها تعمل التماسات مخادعة في القضية حتى تحتفظ بحياتها.

وإذا وُجد بأنها بريئة بالكامل، فالحكم النهائي يجب أن يُنطق بالطريقة التالية:

هنا يجب أن يُذكر أنه قد وُجد أن المتهمة بريئة كليًا بعد أن تمّت مناقشة حقائق القضية باجتهاد باستشارة المحامين الماهرين، فلم تثبت عليها التهمة، لا باعترافها الشخصي ولا بدليل على الجريمة ولا بشهادة الشهود الشرعيين (حيث أنه تضاربت آراؤهم في المسألة)، والمتهمة لم يشتبه فيها أبدًا من قبل أو تم تشويه سمعتها فيما يتعلق بهذه الجريمة (ولكن الحالة ستكون مختلفة إذا كانت قد تشوهت سمعتها بجريمة أخرى) وسيتم العفو عنها بواسطة الأسقف أو القاضي بالحكم كالتالي:

نحن فلان، برحمة من الرب، أساقفة القرية الفلانية (أو القاضي)، نعتبر أنكِ يا فلانة من قرية كذا وأبرشية كذا قد تم اتهامك من قبَلنا بجريمة الهرطقة وتحديدا السحر، وهذا الاتهام لم يكن من الممكن أن نمرره بعيون مرتاحة، إلا

أننا قد تنازلنا الآن عن المطالبة بالاتهام المذكور والذي كان يمكن أن يثبُت أنه صحيح. وباستدعاء الشهود، وبالتحقيق معك، وباستخدام طرق أخرى تتوافق مع التشريعات، رأينا وفحصنا كل ما قيل في هذه القضية، وحصلنا على مشورة محامين متعلمين ولاهوتيين، وأعدنا الفحص والتدقيق في كل شيء.

ونحن الجالسين كقضاة في هذه المحكمة وليس أمام أعيننا إلا الرب والحق في القضية، وهذه الأناجيل الأربعة موضوعة أمامنا، نقول أن حكمنا سيجري بتأييد من الرب وأعيننا لن ترى إلا الإنصاف، فنحن نتقدم بحكمنا النهائي بهذه الطريقة، بذكر اسم المسيح. أنه بهذا الذي رأينا وسمعنا، وما عُرض أمامنا، وما تم تنفيذه في هذه القضية، لم نجد أن أي شيء قد تم إثباته ضدك من هذه الأشياء التي تم اتهامك بها من قبَلنا، ونحن ننطق ونعلن، ونعطي الحُكم النهائي بأنه لا شيء قد تم إثباته ضدك من الذي كان يمكن أن يُحكم عليك فيه كمهرطقة أو ساحرة. وبهذا الإعلان، والحكم، نحن نحررك.

ويجب ألا يوضع في أي مكان من الحكم أن المتهمة بريئة أو معفاة، ولكن يقال فقط أنه لم يتم الإثبات قانونيًا ضدها، لأنها ربما تعود بعد وقت قليل إلى المحكمة، بأدلة مثبتة ضدها. لاحظ أيضًا أن نفس الطريقة من التبرئة يمكن أن تستخدم في حالة الشخص المتهم باستقبال أو بحماية أو بعمل المعروف للمهرطقين، عندما لا يتم إثبات أي شيء ضده.

والقاضي العلماني المفوض من الأسقف يمكن أن يستخدم طريقته الخاصة في النطق بالحكم.



السؤال ٢١. عن الطريقة الثانية للنطق بالحكم عندما تكون المتهمة فقط سيئة السمعة.

الطريقة الثانية لأداء الحكم يمكن أن تستخدم عندما يجدوا بعد المناقشة المجتهدة في وقائع القضية واستشارة المحامين المتعلمين، أن المتهمة هي فقط سيئة السمعة كمهرطقة في قرية ما أو مدينة أو مقاطعة. ولم يثبت ضدها أي شيء لا باعترافها الشخصي ولا بأدلة على الجريمة ولا بشهادة الشهود، ولا يوجد شيء مثبت ضدها إلا أنها ضحية لقذف من عامة الناس: ولا يوجد أي فعل سحر يمكن أن يتم إثباته أو بموجبه يشتبه فيها اشتباهًا قويًا، كمثل أن تقول كلمات مهددة مثل «أنت ستشعر قريبًا بما سيحصل لك».

في هذه القضية لا يمكن الحكم على المتهمة، ولا تستطيع أن تحصل على التبرئة بالطريقة الأولى، ولكن التطهير الكنسي القانوني يجب أن يتم إجراؤه عليها. ويجب على الأسقف أو نائبه، أو القاضي، أن يلاحظ أنه، في حالة الهرطقة، ليس واجبًا أن يكون الشخص سيئ السمعة عند الأشخاص الصالحين والمحترمين فقط، لأن الانتقاد الذي يصدر من الشخص العامي البسيط له نفس الوزن.

وأي مهرطق يمكن أن يتم اتهامه بواسطة أي أحد، إلا بواسطة أعدائه الشخصيين، ويمكن أيضًا لأي أحد أن يسوِّء سمعته.

بالتالي يجب على الأسقف أو القاضي أن يَنطقوا بالحكم بالتطهير الكنسي بهذه الطريقة أو شبهها:

نحن فلان، برحمة من الرب أسقف قرية كذا، أو القاضي على مدينة كذا، بفحص الوقائع باجتهاد في القضية التي عملناها نحن ضدك يا فلانة من أبرشية كذا المتهمة أمامنا بجريمة الهرطقة، إلخ. فنحن لم نجد أنك اعترفت أو تمت إدانتك بالخطيئة المذكورة أو أنك حتى مشتبه فيها اشتباهًا طفيفًا، إلا أننا وجدنا

أنك حقًا ذات سمعة سيئة عند الصالحين في القرية الفلانية وعند السيئين، وأنه حتى تكونين ذات أثر جيد فنحن نفرض عليك بالقانون تطهيرًا كنسيًا، وقد عيناه لك في يوم كذا من شهر كذا في الساعة كذا، عندها يجب أن تَحضري بشخصك إلينا مع عدد كبير من الناس ذوي المنزلة الاجتماعية المتساوية معك لتطهيرك من السمعة السيئة. وأن يكونوا رجالًا ذوي إيمان كاثوليكي وحياة صالحة من الذين يعلمون عاداتك وطريقتك في الحياة ليس فقط في الوقت الحالي ولكن في الماضي. ونحن نفيدك بأنه لو فشلت في التطهير، فإنك ستكونين مدانة، وفقًا لعقوبات الشريعة.

هنا يجب أن نقول بأنه عندما يوجد أن الشخص سيئ السمعة بالهرطقة بشكلٍ وافٍ من العامة، ولا شيء ثبت ضده إلا هذه السمعة السيئة، فالتطهير يجب أن يتم عليه. وهو أن يُحضر مثل سبعة أو عشرة أو عشرين أو ثلاثين رجلًا، حسب حجم السمعة التي خرجت عليه وحسب حجم المكان الذي ساءت فيه سمعته، وهؤلاء الرجال الذين سيحضرهم لا بد أن يكونوا في مثل منزلته الاجتماعية وحالته.

مثلًا، إذا كان الشخص سيئ السمعة متدينًا، لا بد أن يكونوا متدينين، وإذا كان علمانيًا، لا بد أن يكونوا علمانيين، وإذا كان جُنديًا، يجب أن يكونوا جنودًا، ليطهروه من السمعة السيئة. وهؤلاء الراعين له يجب أن يكونوا من الذين يؤدون الإيمان الكاثوليكي صحيحًا وذوو حياة صالحة ويعرفون عاداته في الوقت الحالي ولوقت طويل في الماضي.

ولكن إذا رفض هذا التطهير، لا بد أن يعاقب بالحظر الكنسي، وإذا بقي معاندا لمدة سنة من الحظر، بعدها تتم إدانته كمهرطق.

وإذا قبِل بالتطهير وفشل فيه، يعني أنه لم يستطع أن يجد راعين له بالعدد الكافي، فإنه سيعتبر مداناً بالهرطقة.

وهنا يجب ملاحظة أنه، عندما يقال أنه يجب أن يطهر نفسه عن طريق رجال من نفس منزلته الاجتماعية، فهذا يَعني بشكل عام وليس بشكل محدد. يعني، لو أن أسقفًا هو الذي سيتم عليه التطهير، ليس ضروريًا أن يكون كل الراعين له أساقفة، ولكن يمكن أن يكونوا رؤساء دير وكهنة مثلًا، وبالمثل في الحالات الأخرى.

والشخص السيئ السمعة يجب أن يُطهر نفسه بالطريقة التالية، في الوقت المعين له للتطهير الكنسي القانوني، عليه أن يظهر بشخصه مع الراعين له أمام الأسقف الذي هو قاضيه، في المكان الذي تمّت الإساءة لسمعته فيه، ويضع يده على الأناجيل الموضوعة أمامه ويقول كالتالي:

أنا أقسم على هذه الأناجيل الأربعة أنني لم أؤمن أو أعلم أبدًا بهذه الهرطقة (ويسميها) التي تمت الإساءة لسمعتي بها.

وبعد هذا، كل الراعين له يجب أن يضعوا أيديهم على الأناجيل، وكل منهم منفردًا يقول: وأنا أقسم على الأناجيل الأربعة أنني أصدقه بأنه أقسم بالحقيقة. وعندها يتم تطهيره قانونيًا.

والشخص الذي تسوأت سمعته بالهرطقة يجب أن يتطهر في المكان الذي ساءت فيه سمعته. وإذا كان قد ساءت سمعته في عدد من الأماكن، يجب أن يُنكر الهرطقة في كل تلك الأماكن.

ويجب على هذا الشخص أن يحترم هذا التطهير الكنسي، لأنه ذُكر في الشريعة أنه، إذا وقع هذا المتطهر بعد ذلك في الهرطقة التي تطهر منها، فسيتم تسليمه كعاص منحرف للمحكمة العلمانية. ولكن الحالة مختلفة قليلًا إذا وقع في هرطقة أخرى لم يكن تطهر منها.



السؤال ٢٢. عن النوع الثالث من الحكم، على الشخص سيئ السمعة الذي يُفرض عليه الاستجواب.

الطريقة الثالثة في أداء عملية نيابية تتعلق بالإيمان هي عندما يكون الشخص متهمًا بالهرطقة، وبعد النظر بعناية في وقائع القضية وباستشارة المحامين الماهرين، نجد أنه متضارب في أقواله، أو نجد أن هناك أرضية كافية لتحويله للاستجواب والتعذيب: فإذا وُضع تحت الاستجواب والتعذيب، ولم يعترف بشيء، يمكن أن نعتبره بريئًا. هذا المتهم عندما يُقبض عليه بتهمة الهرطقة، لا تكون قد ثبتت عليه التهمة، لا باعترافه الشخصي ولا بشهادة الشهود ولا بالدليل على الجريمة، ولا يوجد أي دليل على أنه مشتبه فيه حتى نجعله ينكر الهرطقة، ورغم ذلك يكون هناك تضارب في أقواله عند التحقيق معه. وهناك أسباب تكفي لتحويله إلى التعذيب، في هذه الحالات تُتخذ الإجراءات التالية.

إذا بقي المتهم على إنكاره ولم يمكن إقناعه بواسطة الرجال الصالحين أن يعترف، فيجب أن ينطق الحكم بالطريقة التالية، والتي تعتبر نهائية:

نحن فلان، برحمة من الرب، أسقف قرية كذا، أو القاضي فلان في المقاطعة الخاضعة لحُكم الأمير فلان، بالنظر إلى وقائع القضية المرفوعة بواسطتنا عليك يا فلانة من بلدة كذا وأبرشية كذا، عند عمل التحقيق الدقيق، وجدنا أنك متضاربة في أقوالك، وهناك دلائل كافية لتحويلك إلى الاستجواب والتعذيب. حتى يمكن للحقيقة أن تخرج من فمك، ومنذ هذا الوقت ليس مسموحا لك بإزعاج آذان القضاة بمراوغاتك، ونحن نُعلن وننطق بالحكم عليك في هذا اليوم وهذه الساعة بأن يتم تحويلك إلى الاستجواب تحت التعذيب.

ويجب أن يوضع الحكم قيد التنفيذ بشكلٍ عاجل، ومع ذلك يجب على القاضي ألا يكون متحمسًا جدًّا لوضع الشخص تحتً التعذيب، لأن هذا يُلجأ إليه فقط في حالة نقص بقية البراهين. فيجب أن يبحث عن براهين أخرى، وإن لم يستطع إيجادها، وظن أن المتهم مذنب لكنه يرفض قول الحقيقة بسبب الخوف، فيجب أن يستخدم الإقناعات من أصدقاء المتهم الذين يبذلون قصارى جهدهم لاستخراج الحقيقة من فمه. ويجب ألا يُعجل بالأمر جدًّا، لأنه غالبًا التأمل وكآبة السجن، والإقناعات المتكررة من الرجال الصالحين ستجعل المتهم يكشف الحقيقة.

ولكن لو أنه بعد وضع المتهم في قلق، وبعد تأجيلات القضية، وبعد الكثير من النصائح للمتهم، اقتنع القاضي والأسقف بالنظر في كل الظروف أن المتهم يرفض قول الحقيقة، فيجب أن يتم تعذيبه بشكلٍ خفيف، بدون دماء، واضعين في حسبانهم أن هذا تعذيب وهمي وغير مؤثر. لأن البعض قلوبهم رقيقة وعقولهم ضعيفة وعند أقل تعذيب يعترفون بكل شيء سواء كان حقيقيًّا أم لا. والبعض الآخر يكون معاندًا مهما عذبته فلن تسمع منه الحقيقة. وهناك آخرين، كونهم قد تم تعذيبهم من قبل، فيمكنهم تحمل الأمر أكثر في المرة الثانية، لأن أذرعهم قد أصبحت معتادة على الثني والمد المستخدم في التعذيب، والبعض الآخر مسحورون، ولن يعترفوا أبدًا مهما عُذبوا حتى لو ماتوا، لأن الألم لا يؤثر فيهم. لذلك لا بد من بعض التأنّي عند التعذيب، ويُنظر بعناية في حالة الشخص المعذب.

وعندما يُنطق بالحكم، يجب ألا يؤخّر الجنود التجهيز للتعذيب. وبينما يعملون تجهيزاتهم، يجب أن يستخدم الأسقف والقاضي إقناعاتهم مع رجال صالحين آخرين ليقنعوا المتهم أن يعترف بالحقيقة، ويعدوه بأنه سيعيش، إن كان هذا ضروريًا، كما وضحنا أعلاه.

ولكن إن كان المتهم لم يتأثر برعب التعذيب وأصر على الإنكار، فإن يوما ثانيًا أو ثالثًا يجب أن يُعين له لاستمرار التعذيب، ولكن يجب ألا يكرّر هذا مرة أخرى. لأن التكرار ليس مسموحًا إلا إن كان هناك أدلة على أن المتهم سيعترف. ولكن لا شيء يمنع التعذيب ليوم آخر إضافي.

يجب أن يقال هكذا: نحن الأسقف فلان والقاضي فلان (إن كان موجودًا) المذكورون، عينّا لك يا فلان اليوم الفلاني لأجل استمرار تعذيبك، حتى تُعرف

الحقيقة من فمك. وخلال الوقت المعطى له، يجب أن يستخدموا إقناعاتهم بمساعدة الرجال الصالحين ليقنعوه أن يقول الحقيقة.

ولكن إن رفض أن يعترف، فليخضع للتعذيب في اليوم المعين، خفيفًا كان أو قاسيًا حسب شدة جريمته. ويجب أن يأخذ القضاة كل الاحتياطات أثناء التعامل مع المتهم، حتى يصلوا في النهاية إلى الحقيقة، ولكن هذا يتم تعلّمه بالخبرة وبرؤية العديد من القضايا، هذا يُعلّم أكثر من أي معلّم.

ولكن، لو أنه بعد أن يتم استجوابه وتعذيبه، لم يتم اكتشاف الحقيقة، فيجب ألا يؤذى مرة أخرى، ويُسمح له بأن يرحل. وإذا اعترف وكشف الحقيقة، وأنه مذنب وسأل الكنيسة أن تسامحه، فوفقًا للشريعة يجب أن يُعامل مثل المقبوض عليه بالاعتراف على نفسه بالهرطقة ثم تاب، ويجب أن يُنكر الهرطقة، والحكم يجب أن يُنطق عليه كما في حالة هؤلاء المدانين باعترافهم بالهرطقة. هذا سيتم شرحه في الطريقة الثامنة من النطق بالحكم، ويمكن أن يرجع القارئ إليها.

في المقابل، إذا اعترف بالحقيقة، ولكن لم يتب بل أصر على هرطقته، ولم يكن من العائدين إلى الهرطقة، فتبعًا للشريعة، بعد وقت معين وتنبيه، يتم إدانته بالهرطقة ويتم تسليمه للقاضي العلماني ليعاقَب عقابًا شديدًا، كما سنوضح لاحقًا في الطريقة العاشرة. ولكن إذا كان من العائدين إلى الهرطقة، يجب أن يدان بطريقة سيتم توضيحها أيضًا في الطريقة العاشرة من الحكم، ويمكن للقارئ أن يرجع إليها.



السؤال ٢٣. الطريقة الرابعة للحكم، في حالة الاشتباه الطفيف

الطريقة الرابعة لأداء عملية نيابية تتعلق بالإيمان تُستخدم في الحالة التالية، بعد أن تُفحص وقائع القضية باجتهاد وبعد استشارة المحامين الخبراء، وُجد أن المتهمة مشتبه فيها بشكل طفيف بالهرطقة. هنا المتهمة لم يُقبض عليها بالهرطقة ولم تتم إدانتها باعترافها أو بأدلة على الجريمة أو بشهادة الشهود، ولا توجد أي إشارة شديدة على الهرطقة ضدها، ولكن فقط إشارة طفيفة من النوع الذي -في نظر المحكمة- يولِّد اشتباهًا طفيفًا فيها. فهذه المتهمة يجب أن تُنكر الهرطقة التي اتُّهمت بها، ونلاحظ أنه إذا كان الأمر أمرًا عامًا، يجب أن تُنكر الهرطقة في مكان عام بالشكل التالي:

أنا فلانة من أبرشية كذا، مواطنة من مدينة كذا، خلال محاكمتي، أقسمت أمام السيد الأسقف الذي من مدينة كذا، على الأناجيل الأربعة التي وُضعت أمامي ووضعتُ يدي عليها، أني أؤمن من قلبي ولساني بالإيمان الكاثوليكي المقدس والرسولي التي تؤمن به الكنيسة الرومانية، وتعترف به وتعلمه وتراقبه. وأقسم أيضًا على أنني أؤمن من قلبي ولساني أن السيد المسيح يسوع وكل القديسين يمقتون هرطقة السحر الفاسدة، وأن كل من يتبعُها أو يتقيد بها فإنه يُعذب بالنار الأبدية مع الشيطان وملائكته، إلا إذا تابوا وندموا وعادوا إلى الكنيسة المقدسة. وأنا أنكر وأتنكر وأسحب نفسي عن تلك الهرطقة التي اشتبهتم بي فيها يا سيدي الأسقف وضباطك، التي هي تحديدًا، أنني صادقت الساحرات، أو دافعت عن ضلالاتهن بجهل، أو كرهت المفتشين عليهن، أو أنني لم أتمكن من المساعدة في كشف جرائمهن. وأيضًا أقسم أنني لم أؤمن مطلقًا بالهرطقة المذكورة، ولم أؤمن ولم أتقيد ولن أؤمن أو أتقيد بها ولم أعلِّمها ولا سأعلِّمها. وإذا وُجد في المستقبل أني مذنبة بالممارسات المذكورة (التي يمنعها الرب)، فإني سأسلِّم نفسي طوعًا للعقاب

المحدد بالقانون للحالفين كذبًا، وأنا مستعدة لأُكفِّر بما ترونه مناسبًا عن أقوالي وأفعالي التي اشتبهتم فيها، وأنا أقسم أن أحفظ هذه التوبة بأقصى قدرتي، ولا أنسى أي جزءٍ منها، فساعدني يا إلهي وأيتها الأناجيل المقدسة.

والإنكار أعلاه يجب أن يُعمل في خطاب عام، حتى يفهمه الجميع وعندما يُعمل، فالقاضي إن كان موجودًا، أو نائبه يجب أن يتكلموا معها في العلن بهذه الطريقة:

ابنتي، أنت أنكرت الاشتباه الذي لحق بك بشكل مهين، ولقد طهرت نفسك بهذا الإنكار. انتبهي من الآن فصاعدًا أن تقعي في الهرطقة التي أنكرتِها. لأنه عندها سيتم تسليمك للمحكمة العلمانية، لأنك قمت بإنكارك الآن، فلو عدت سيتم عقابك بشدة أكبر من ألا تكوني قد أنكرت، وستكونين تحت اشتباه قوي بدلًا من الاشتباه الطفيف. وعندما تنكرين هذا الإنكار ثم تعودي بعد ذلك، فإنك ستعانين من عقوبة العاصي المنحرف، وستسلّمين بلا رحمة إلى المحكمة العلمانية ليقع عليك أشد العقاب.

ولكن إن عملَت هذا الإنكار بالسر في غرفة الأسقف أو القاضي، وهذا يحصل عندما لا تكون القضية عامة، فيجب أن تُنكر بنفس الطريقة وبعدها يجب أن ينطق الحكم كالتالي:

نحن، برحمة من الرب، الأسقف الرباني، من مدينة كذا، أو القاضي (إن كان موجود) على مقاطعة كذا ، الخاضع لمنطقة الأمير كذا، رأينا وفحصنا بعناية وقائع القضية المرفوعة ضدك يا فلانة، والمتهمة فيها بأنك ارتكبت كذا وكذا (ويسميهم) مما وضعك في الاشتباه الطفيف بالهرطقة، ولقد حكمنا أنه من المناسب لك أن تُنكري الهرطقة التي اشتُبه فيك بها اشتباهًا طفيفًا. ولكن لن تتحرري بلا عقاب، حتى تكوني أكثر حذرًا في المستقبل. وباستشارة عديد من الأشخاص البارزين في القانون، وكوننا قيمنا وفهمنا الأمر كله ، واضعين الرب أمام أعيننا، وحقيقة الإيمان الكاثوليكي الغير قابل للدحض، والأناجيل الأربعة أمامنا، ليكون حُكمنا بتأييد من الرب وعيوننا لا ترى إلا الإنصاف، فنحن الجالسين في المحكمة كقضاة، نحكم بهذا الحكم عليك يا فلانة، الواقفة هنا بشخصك، بالطريقة التالية. أنه من

الآن فصاعدًا لا يجب أن يُعلم أنك قد آمنت أو شاركت أو دافعت عن هرطقة في كلامك، وقراءاتك (إن كنت متعلمة). ثم يذكر الأشياء التي ارتكبتها، والتي جعلتها مشتبهًا فيها بالهرطقة.

ويجب على كاتب العدل أن يعتني بأن يكتب العملية كاملة وأن يذكر أن هذا الإنكار قد حدث من شخص مشتبَه به اشتباهًا طفيفًا، وليس قويًا بالهرطقة، لأنه إن لم يكتب ذلك فإن خطرًا أكبر يمكن أن يحدث.



السؤال ٢٤. الطريقة الخامسة من طرق الحكم، إن كان المتهم تحت الاشتباه القوي

الطريقة الخامسة لأداء هذه العملية النيابية فيما يتعلق بالإيمان، تستخدم في الحالة التالية، أنه بعد الفحص الدقيق لوقائع القضية وباستشارة المحامين المتعلمين، وُجد أنها مشتبهٌ فيها بقوة بالهرطقة. هذه المتهمة تكون غير مقبوض عليها رسميًا بتهمة الهرطقة، ولا أُدينت باعترافها الشخصي ولا بأدلة على الجريمة ولا بشهادة الشهود، ولكن هناك إشارة قوية وذات وزن ضدها تجعلها مشتبهًا فيها اشتباهًا قويًا بالهرطقة.

الإجراءات في القضية هي كالتالي، يجب أن تنكر الهرطقة، فإن عادت بعد ذلك، يجب أن يتم تسليمها للمحكمة العلمانية لتعاني من أشد العقوبة. ويجب أن تنكر الهرطقة على العامة أو بشكل سري حسب إن كانت مشتبهًا بها من العامة أم لا، كما قلنا في حالة الاشتباه الطفيف.

والتحضيرات لهذا الإنكار تكون كالتالي: - عندما يأتي يوم الأحد والذي يكون مثبَّتًا لأداء الإنكارات وسماع الأحكام أو فرض التوبة، يجب أن يخطب المبشر خطبة أولًا. وبعد هذا يجب أن يقرأ كاتب العدل الجرائم التي أُدينت بها المتهمة، وتلك التي اشتُبه فيها بقوةٍ بسببها بالهرطقة.

ثم على القاضي أو نائبه أن يقول لها، انتبهي! وفقًا لما تمت قراءته فأنت مشتبهٌ فيك بقوةٍ بهذه الهرطقة، من أجل ذلك حريٌّ بك أن تطهري نفسك وتنكري الهرطقة المذكورة. وتوضع الأناجيل الأربعة أمامها، ويجب أن تضع يدها عليها، وإن كانت تستطيع القراءة، سيُعطَى لها الإنكار مكتوبًا لتقرأه، ويجب أن تقرأه في تجمُّع من الناس.

ولكن إذا كانت لا تقرأ، فيجب أن يقرأ كاتب العدل الإنكار جملةً جملة، وهي تعيد وراءه بصوتٍ عالٍ ومسموع بالطريقة التالية. يقول الكاتب، أنا فلانة من مكان كذا، والمتهمة تكرِّر وراءه نفس الكلمات، وهكذا حتى نهاية الإنكار. ويجب أن يكون الإنكار بالطريقة التالية.

أنا فلانة من مكان كذا من أبرشية كذا، واقفة بشخصي في حضوركم أيها اللوردات القديسين والأساقفة من مدينة كذا، وقاضي المقاطعة التابع لمنطقة اللورد كذا ، أقسم على الأناجيل الأربعة الموضوعة أمامي والتي تلمسها يدي، أنني أؤمن في قلبي ولساني بالإيمان الكاثوليكي والرسولي الذي تؤمن به الكنيسة الرومانية وتعمله وتمارسه وتبشر به. وأيضًا أقسم أنني أؤمن في قلبي ولساني أنه، إلخ. يجب عليها أن تقرأ المكتوب بخصوص الهرطقة التي اشتُبه فيها بها اشتباهًا قويًا.

مثلًا، إذا كانت الهرطقة هي هرطقة السحر، فيجب أن تقول كالتالي:

أنا أقسم أنني أؤمن بأنه ليس فقط الهراطقة البسيطين والمنشقين سيعذبون في النار الأبدية، ولكن أن الساحرات سيكُنَّ أشد عذابًا، لأنهن يُنكرن الإيمان أمام الشيطان، الإيمان الذي استلموه في التعميد المقدس، ويمارسن الفاحشة الشيطانية لإشباع رغباتهن الشريرة، ويعملن كل أنواع الضرر على البشر والحيوانات والأشجار على الأرض. وبناء على ذلك فأنا أنكر، وأتنكر وأنسحب عن هذا الكُفر الذي يقول كذبًا أنه لا توجد ساحرات في هذا العالم، وأنه لا أحد يجب أن يؤمن أن هذه الأضرار يمكن أن تُعمل بمساعدة الشياطين، وأعترف وأعلن أن هذا الكفر يعارض بوضوح قرار أمِّنا المقدسة الكنيسة وكل العلماء الكاثوليكيين، وأيضًا ضد القوانين الإمبراطورية التي أمرت بأن الساحرات يجب أن يُحرقن.

وأنا أيضًا أقسم أنني لم أُصر على الإيمان بالهرطقة المذكورة، ولا أؤمن أو أتقيد بها في الوقت الحالي، ولم أُعلِّمها ولا أنوي أن أُعلِّمها ولا يجب أن أُعلِّمها. وأيضًا أقسم أنني لن أفعل هذه الأشياء التي جعلتكم تشتبهون بي بقوة (وتسمي الأشياء). وإن فعلتُ هذه الأشياء المذكورة، فأنا مستعدة للعقاب المقرر بالقانون للعاصين المنحرفين، وأنا مستعدة أن أُسلم نفسي لأيّ توبةٍ تقررون أن تفرضوها عليَّ بسبب

هذه الأفعال والكلمات التي جعلتكم تشتبهون بي بقوة بالهرطقة. وأنا أقسم وأعد أن أفعل هذه التوبة إلى أقصى ما يمكنني، ولا أنسى أي شيءٍ منها، وليساعدني الرب والأناجيل.

والإنكار الذي تنطق به يجب أن يكون باللسان العاميّ حتى يفهمه الجميع، إلا إذا عملته في حضور رجال الدين الذين يفهمون اللغة اللاتينية. ولكن إذا عُمل الإنكار في السر في مكان الأسقف أو غرفته، عندما لا يكون الأمر عامًا، فإنه يؤدى بنفس الطريقة. وبعدها يجب أن ينصحها الأسقف بأن تحذر ألا تعود وتتسبب لنفسها في عقاب العاصي المنحرف. ويجب على الكاتب أن يعتني بأن يكتب أنها مشتبه فيها بقوةٍ بالهرطقة، حتى إذا عادت بعد ذلك، يمكن أن تعاقب عقاب العاصي المنحرف.

وعندما يتم عمل هذا، يجب على الحُكم أن يُنطق بالطريقة التالية:

نحن فلان، أسقف مدينة كذا، والأخ فلان (إن كان موجودًا)، المفتش على خطيئة الهرطقة في الأنحاء التابعة لحُكم الأمير فلان، والمعيّن من قِبل الرؤية الرسولية: بوضع في الحسبان أنك يا فلانة من مكان كذا وأبرشية كذا، قد عملتِ كذا وكذا (ويسميهم)، وكما يبدو من الفحص الدقيق لوقائع القضية، فإننا نعتبركِ مشتبهًا بها بقوةٍ بالهرطقة، ولقد جعلناك تُنكرين ما اشتُبه فيك به، بعد استشارات ونصائح الرجال الماهرين في القانون. ولكن لا بد أن تكوني حذرةً في المستقبل ألاّ تميلي إلى شبه هذه الممارسات، ولأن جرائمك لن تكون بلا عقاب، وحتى لا تكوني مثالًا لخاطئين آخرين، فباستشارة المحامين والعلماء في اللاهوت، وبفهم الأمر كله، واضعين الرب أمام أعيننا وحقيقة الإيمان الكاثوليكي الرسولي، وواضعين الأناجيل المقدسة أمامنا، ليكون حكمنا مؤيدًا من عند الرب، وألا ترى عيوننا إلا الإنصاف فنحن الجالسين في هذه المحكمة، ندين ونفرض عليك أداء التوبة بالطريقة التالية، أن تقفي هنا بشخصك أمامنا، وتقسمي ألا تفعلي أو تقولي أو تعملي هذه الأشياء من الآن فصاعدًا. وهنا يقول الأشياء التي فعلتها، والتي بسببها اشتُبه فيها بقوة بالهرطقة المذكورة، وبعض الأشياء الأخرى التي لو ارتكبتها كانت ستكون مذنبةً بالعودة إلى الهرطقة، مثلا أن عليها ألا تتبع أي ممارساتٍ مشبوهة، ولا تستقبل هؤلاء الذين تعلم أنهم أنكروا الإيمان، إلخ.

ولا بد أن نذكر أن هؤلاء المشتبه فيهم، الذين ليسوا مقبوضًا عليهم بالهرطقة، سواء كانوا مشتبهًا فيهم بقوةٍ أو اشتباهًا طفيفًا يجب ألا يُسجنوا مدى الحياة. لأن هذه العقوبة هي لهؤلاء الذين كانوا هراطقةً ثم تابوا. ولكن هؤلاء الذين اشتبه فيهم بقوة بسبب أفعالهم فيُرسلون إلى السجن لفترة، ثم يتم تحريرهم.

ويجب ألا يوسَموا بعلامة الصليب، لأن هذه العلامة هي علامة المهرطق التائب، ولا يُدانوا كهراطقة، ولكن فقط كمشتبهين، وبالتالي لا يوسمون بهذه العلامة. ولكن يمكن أن يؤمروا بأن يقفوا في بعض الأيام الدينية على أبواب الكنيسة، أو قرب المذبح، بينما يتم الاحتفال بالقداس الإلهي، حاملين في أيديهم شموعًا مضيئةً، أو يذهبون إلى حج مكانٍ ما، أو شيءٍ كهذا، وفقًا لطبيعة ومتطلبات قضيتهم.



السؤال ٢٥. الطريقة السادسة من النطق بالحكم، في حالة المشتبه فيهم اشتباهًا عنيفًا

الطريقة السادسة لأداء العملية النيابية فيما يتعلق بالإيمان هي عندما يكون الشخص المتهم بالهرطقة، قد وُجِدَ بعد الفحص الدقيق لوقائع القضية وباستشارة المحامين المتعلمين، أنه مشتبهٌ فيه اشتباهًا عنيفًا بالهرطقة. هذا الشخص لا يكون مُدانًا بالهرطقة باعترافه الشخصي ولا بأدلة على الجريمة ولا بشهادة الشهود، ولكن هناك إشاراتٌ، ليست طفيفة ولا حتى قويةً، بل خطيرة، تجعله مشتبهًا به بالهرطقة المذكورة، وبسبب هذا فيجب الحكم عليه أنه مشتبهٌ فيه بعنفٍ بالهرطقة.

لأجل فهم أوضح لهذا، سنضع أمثلةً على هرطقة واضحة وعلى هرطقة السحر. القضية ستكوّن تحت بند الهرطقة الواضحة عندماً لا يكونً المتهم قد تم استدعاؤه قديمًا في قضية لا تتعلق بالإيمان، وتم الحكم عليه فيها بالحظر الكنسي، ثم استمر في العناد خلال الحظر لمدة سنة، فأصبح مشتبهًا به اشتباهًا طفيفًا بالهرطقة، ثم تم استدعاؤه بعدها بسبب قضية تتعلق بالإيمان، لكنه رفض الظهور، وتم حظره كنسيًّا مرةً أخرى، فصار مشتبهًا به بقوةٍ بالهرطقة، فالاشتباه الطفيف سيصبح قويًا.

وإذا بقي معاندًا خلال الحظر لمدة سنة، سيتم الاشتباه به اشتباهًا عنيفًا بالهرطقة، لأنه عندها سيتحول الاشتباه القوي إلى اشتباه عنيف لو أنه لا يوجد دفاع يعارض هذا. ومن ذلك الوقت فإن ذلك الشخص ستتمٍ إدانته بالهرطقة، كما هو موضح في الشريعة.

كمثال على الاشتباه العنيف في هرطقة الساحرات عندما يقول المتهم أي شيء من الذي تمارسه الساحرات عندما يُردن أن يسحرن شخصًا. ويحصل غالبا أنهن يجبَرن من الشيطان على كشف أنفسهن بهذه الكلمات التهديدية، وبالأفعال، وبالنظرات أو اللمسات، وهذا لثلاثة أسباب. أولًا، حتى تتفاقم خطاياهن ويصبحن

أكثر انكشافًا أمام القضاة، ثانيًا حتى يمكن تخويف الشخص البسيط بشكل أكبر، وثالثًا، أن الرب يمكن أن يساء إليه أكثر. بالتالي الساحرة يُشتبه بها اشتباهًا خطيرًا عندما تستخدم الكلمات التهديدية مثل «**أنا قريبًا سأجعلك تشعر**»، أو شيء مشابه، ثم يحدث ضرر للشخص الذي تم تهديده أو لماشيته. وفي ذلك الوقت لن يكون الاشتباه بها طفيفًا، كما كانت الحالة مع هؤلاء الذين يصادقون الساحرات، أو هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوا شخصًا يصاب بالحب المفرط. انظر أعلاه لما تحدثنا عن الثلاث درجات من الاشتباه، الطفيف والقوي والعنيف.

في حالة الاشتباه العنيف بهرطقة عادية، فرغم أنه ربما قد لا يكون الشخص في الحقيقة مهرطقًا، حيث ربما يكون هناك خطأ في الفهم، فمع ذلك يدان على أنه مهرطق بسبب الاشتباه العنيف عندما لا يقدم دليل ضد هذا.

هذه الهرطقة تُعامَل بهذه الطريقة، إذا رفض المتهم إنكار الهرطقة وإعطاء تفسير مُرضٍ، فسيتم تسليمه إلى المحكمة العلمانية ليعاقب. ولكن إذا وافق، فيجب أن ينكر هرطقته، ثم يسجن مدى الحياة. ونفس الشيء بالنسبة لحالة الشخص المشتبه فيه بعنفٍ بهرطقة السحر.

ولكن رغم أن نفس الطريقة في العموم ستؤدّى في حالة المشتبه فيه بعنفٍ بهرطقة السحر، إلا أن هناك بعض الاختلافات. يلاحظ أنه، إذا أصرت الساحرة على إنكارها، أو ادعت أنها قالت هذه الكلمات ليس بتلك النية ولكن بطريقة النساء في الشجار، فإن القاضي لا يكون لديه دليل كاف حتى يحولها إلى الحرق بالنار، رغم الاشتباه العنيف. بالتالي يجب أن يضعها في السجن، ويبدأ في عمل تحقيق بأن يُعلِن في الملأ سؤالا، هل هذ المرأة قد عُرف عنها أنها فعلت شيئًا مثل هذا أم لا. وإذا وُجد أنها فعلت، يجب أن يحقّق في إذا كانت مسوءة السمعة بهذه الهرطقة، ومن ثم يمكن أن يُحولها إلى الاستجواب والتعذيب. وبعدها، إذا أظهرت علامات على هذه الهرطقة، أو أدّت صمت الساحرات، مثل ألا تُنزل الدموع، أو تكون غير متأثرة أثناء التعذيب وتتعافى بسرعة، فيجب أن تُعمل الاحتياطات التي شرحناها من قبل عندما تحدثنا عن مثل هذه الحالات.

وفي حالة فشل كل هذا، فإنها لا يجب تحريرها أبدًا ، بل يجب إرسالها إلى كآبة السجن لمدة سنة، وتعذب، ويتم التحقيق معها دائمًا خاصةً في الأيام المقدسة. ولكن

إذا وجد أنها ذات سمعة سيئة ، فيجب على القاضي أن يأمر بإحراقها، خاصةً إن كان هناك عددٌ من الشهود وإن كانت كُشفت في أفعال أخرى تتعلق بالسحر. ولكن إذا أراد القاضي أن يكون رحيمًا، فيمكن أن يرسلها إلى التطهير الكنسي، بأنه يجب أن تجد عشرين أو ثلاثين شخصًا يشهدون لها عند القاضي، ويُحكم عليها بأنها إذا فشلت في التطهير، سيتم إرسالها إلى الحرق بالنار.

وإذا حكم القاضي عليها بأن تطهر نفسها، فيجب أن يحكم عليها أيضًا بإنكار جميع الهرطقة، وبألم عقاب العاصي المنحرف، مع التوبة الدائمة، بطريقة للنطق بالإنكار مثل الطريقة الرابعة والخامسة من أداء العملية النيابية بما يتعلق بالإيمان.

ولاحظ أنه في كل الطرق التالية من النطق بالحكم، عندما يريد القاضي أن يعملها بطريقة رحيمة، فيمكن أن يتصرف بالطريقة التي شرحناها من قبل. ولكن بما أن القضاة العلمانيين دائمًا يستخدمون طرقهم الخاصة، فهي تكون صارمة وليست دائمًا منصفة، بالتالي لا توجد طريقة ثابتة يمكن أن تُعطى لهم كما هو الحال مع القاضي الكنسي، الذي يمكن أن يقبل الإنكار ويفرض التوبة الدائمة بالطريقة التالية:

أنا فلانة من مكان كذا وأبرشية كذا، أقف بشخصي أمامكم أيها اللوردات الموقرين والأسقف من مدينة كذا والقضاة، واضعة يدي على الأناجيل المقدسة التي أمامي، أقسم أنني أؤمن في قلبي ولساني بالإيمان الكاثوليكي والرسولي الذي تؤمن به الكنيسة الرومانية وتمارسه وتعلمه وتبشر به. وبناء على ذلك أنكر كل الهرطقة، وأتنكر وأنسحب عن كل الذين يقفون ضد الكنيسة الرومانية المقدسة والرسولية، مهما كان الضلال الذي يفعلونه. وأنا أقسم أيضًا وأعد أنني لن أقول أو أفعل أو أتسبب في فعل كذا وكذا (وتسميهم) وهي الأفعال التي فعلتُها من قبل وقلتُها، فجعلتني مشتبها بها بعنف بالهرطقة. وأنا أقسم أيضًا وأعد أنني سأقوم بأي توبة تريدون فرضها عليّ بسبب الجرائم التي عملتها، ولن أنسى أي جزء منها، فساعدني يا إلهي وأيتها الأناجيل. وإذا عملتُ لاحقًا أي شيء يعارض هذا الإنكار، فإني سأجبر نفسي على الخضوع للعقاب الخاص بالعاصي المنحرف، مهما كان قاسيا.

ويجب أن يعتني كاتب العدل بأن يكتب أن هذا الإنكار هو بسبب أن المتهمة مشتبه بها اشتباهًا عنيفًا بالهرطقة، حتى إذا عادت بعد ذلك، يمكن أن تتم محاكمتها وتسليمها إلى المحكمة العلمانية.

بعد هذا يجب على الأسقف أن يعفو عنها من حُكم الحظر الكنسي الذي جلبته على نفسها بسبب الاشتباه العنيف بالهرطقة. لأنه عندما يعود المهرطق إلى الإيمان وينكر الهرطقة، فإنه يتم إعفاؤه من حكم الحظر الكنسي الذي يُعمل على كل المهرطقين. ويجب أن يحكم عليها بالطريقة التالية:

نحن فلان، أسقف مدينة كذا، والقاضي على مقاطعة كذا (إن كان موجودًا)، التابعة لمنطقة حكم اللورد فلان، فأنت يا فلانة من مكان كذا وأبرشية كذا قد تم اتهامك من قِبلنا بكذا وكذا مما يمس الإيمان (يسميهم)، وبالفحص الدقيق لوقائع القضية وكل ما تم قوله وفعله فيها، وجدنا أنك ارتكبت كذا وكذا (ويسميهم). لذلك، اشتبهنا فيك اشتباهًا عنيفًا بهذه الهرطقة (ويسميها)، ونحن نأمرك بأن تنكري على العامة كل الهرطقة بشكل عام، كما تقتضي الإجراءات الكنسية. وبما أنه وفقًا لبعض معاهد الشريعة كل الذين يفعلون هذا يجب أن يدانوا كمهرطقين، لكنك تمسكت بالقرار الأكثر حكمة وهو الرجوع إلى الأم المقدسة الكنيسة، بالتالي نحن نعفو عنك من حكم الحظر الكنسي الذي يقع على كل الكارهين لكنيسة الرب. وإذا عدت بقلب صادق وإيمان صادق إلى وحدة الكنيسة، ستُحسبين من الآن وصاعدًا أنك من التائبين، ومنذ الآن ستعودين إلى الحضن الرحيم للكنيسة المقدسة.

ولكن بما أنه من الفاضح أن نمرر الأمر بعيون مرتاحة ونتركك بلا عقاب على إساءتك للرب وإضرارك بالبشر، لأنه أمر خطير أن تسيئ إلى الذات الإلهية أكثر من الإساءة لملك من ملوك البشر، وحتى لا تكون جرائمك حافزًا لخاطئين آخرين، وحتى تكوني حذرةً في المستقبل ولا تميلي إلى ارتكاب هذه الجرائم المذكورة، وحتى تعاني من عذابٍ أخف في الحياة التالية:

فنحن الأساقفة المذكورون والقاضي، قد أفدنا أنفسنا بنصائح الرجال المتعلمين في هذا الأمر، جالسين في المحكمة كقضاة، واضعين الرب نصب أعيننا والحقيقة التي لا تُدحض للإيمان المقدس، والأناجيل الأربعة موضوعة أمامنا، ليكون حكمُنا

مؤيدًا من عند الرب وألا ترى عيوننا إلا الإنصاف، فنحن نحكم وندين ونفرض عليك التوبة يا فلانة بالطريقة التالية، بظهورك بشخصك أمامنا في يوم كذا في ساعة كذا، وترتدين ملابس زرقاء رمادية مثل ملابس الرهبان، مصنوعةً بدون قلنسوة سواء أمامها أو خلفها، ومرسوم عليها صُلبان من القماش الأصفر بطول ثلاثة كفوف وعرض كفين، ويجب أن ترتدي هذا الرداء على كل رداء آخر لمدة قدرها كذا (يحدد مدة سنة أو سنتين، أقل أو أكثر حسب ذنب الشخص)، وفي هذا الرداء المذكور والصُلبان لا بد أن تقفي أمام باب كنيسة كذا في وقت كذا لمدة كذا من الوقت، أو في الأعياد الأربعة الكبيرة للعذراء المجيدة، أو في مدينة كذا ومدينة كذا على أبواب كذا وكذا من الكنائس، ونحن ندينك ونحكم عليك مدى الحياة، أو بمدة كذا من السنوات، في سجن كذا. (وهذا يحدّد بناءً على نظرة القاضي، ووفقًا لحجم الذنب وعناد المتهمة)

ونحن نحتفظ لأنفسنا بحق التخفيف من تلك التوبة، أو زيادتها، أو تغييرها، أو إزالتها، سواء كليًا أو جزئيًا، كما يبدو صالحًا لنا.

وعندما يُقرأ هذا الحُكم، يجب أن ينفّذ على الفور، ويجب إلباسها الرداء المذكور والصلبان عليه كما قيل.



السؤال ٢٦. طريقة الحكم على المشتبه فيهم الذين هم في نفس الوقت قد ساءت سمعتهم

الطريقة السابعة من أداء العملية النيابية فيما يتعلق بالإيمان هي عندما يكون الشخص متهمًا بخطيئة الهرطقة، وبعد الفحص الدقيق في وقائع القضية، وباستشارة الرجال المتعلمين، وُجد أنه مشتبه فيه ومسوء السمعة بالهرطقة. هذا الشخص لا يكون مُدانًا باعترافه الشخصيَ ولا بدليل على الجريمة ولا بشهادة الشهود، ولكن يوجد أنه مُسوء السمعة، وهناك إشارات تجعله مشتبهًا به بشكل طفيف أو قوي بالهرطقة، مثل أنه عقد صداقات مع هراطقة. وشخص كهذا بسببٍ سُمعته يجب أن يخضع للتطهير الكنسي، وبسبب الاشتباه فيه، لا بد أن ينكر الهرطقة.

الإجراءات في قضية كهذه تكون كالتالي. الشخص الذي تسوأت سمعته ومشتبه فيه بالهرطقة، يجب أولًا أن يطهر نفسه على العامة بالطريقة التي شرحناها في الطريقة الثانية. وبعد عمل هذا التطهير، فلأن هناك إشارات أخرى تجعله مشتبها به بالهرطقة، فلابد أن يُنكر الهرطقة بالطريقة التالية وأمامه الأناجيل الأربعة:

أنا فلان من مكان كذا وأبرشية كذا، واقف بشخصي أمامكم أيها اللوردات فلان والأسقف من مدينة كذا في المقاطعة التابعة للأمير فلان، ويداي تمسّان الأناجيل الأربعة أمامي، أقسم أنني في قلبي وبلساني أؤمن بالإيمان الرسولي المقدس التي تؤمن به الكنيسة الرومانية، وتعلمه وتبشر به وتراقبه وتمارسه. وبناءً على ذلك فأنا أنكر وأتنكر وأبغض وأنسحب عن كل هرطقة ترفع رأسها أمام الكنيسة الرسولية المقدسة، مهما كان الضلال الذي فيها، إلخ، كما في الأعلى.

وأنا أعد بأنني من الآن فصاعدًا لن أقول أو أتسبب في كذا وكذا (ويسميهم)، وهي الأفعال الذي أساءت إلى سمعتي، واشتبهتم بي بسببها، وأيضًا أقسم وأعد

أنني سأفعل كل ما بوسعي إلى أقصى قدرتي لأنفذ أي توبة تفرضونها علي، ولن أنسى أي جزءٍ منها، فساعدني يا إلهي على هذا وأيتها الأناجيل الأربعة. وإذا فعلت أي شيءٍ يُخالف هذا القسم والإنكار من الآن فصاعدًا، فإني سأُخضع نفسي للعقاب القانوني لهذا الفعل، مهما كان قاسيا، وسأكون مستحقا له إن فعلت هذه الأشياء مرةً أخرى.

عندما تكون الإشارات قوية جدًّا لجعل المتهم المسوّء السمعة أو غير المسوّء مشتبهًا به في الهرطقة، فيجب أن ينكر كل الهرطقة بشكل عام كما قلنا أعلاه. وإذا عاد إلى أي هرطقة، يجب أن يعاني من عقوبة العاصي المنحرف. ولكن إن كانت الإشارات بسيطة حتى مع سوء السمعة، فلن تجعل منه مشتبها به بقوة ولكن فقط مشتبها به بشكل طفيف، عندها يجب أن يعمل إنكارا محددًا وليس عامًا، حيث ينكر الهرطقة التي هو مشتبه به فيها. حتى إذا عاد إلى نوع آخر من الهرطقة، لا يكون خاضعًا لعقاب العاصي المنحرف. وحتى إذا عاد إلى نفس الهرطقة التي أنكرها لا يكون خاضعًا لذلك العقاب أيضًا، رغم أنه سيعاقب بشكل أقسى من لو كان لم ينكر.

ولكن هناك شك لو أنه بعد التطهير عاد إلى نفس الهرطقة التي تطهر منها شرعيًا هل سيخضع لعقاب العاصي المنحرف أم لا. والأظهر أنه سيخضع، من قانون الشريعة. بالتالي يجب أن يعتني كاتب العدل اعتناءً بالغًا بأن يكتب أن هذا الشخص قد عمل إنكاره هذا كمشتبه به اشتباهًا طفيفًا وليس قويًا بالهرطقة، كما قلنا أعلاه، لأن هناك اختلافًا كبيرًا بين القضيتين. وعندما يتم هذا، يجب أن يُنطق الحكم بالشكل التالي:

نحن فلان، الأسقف على مدينة كذا أو القاضي على المقاطعات الخاضعة لحكم الأمير فلان، قد اجتهدنا ووجدنا أنك يا فلان من مكان كذا وأبرشية كذا، قد تم اتهامك من قِبلنا بهذه الهرطقة (ويسميها)، ولرغبتنا في أن نتحقق قضائيًا إن كنت قد ارتكبت هذه الهرطقة أم لا، فبالتحقيق مع الشهود، وباستدعائك والتحقيق معك تحت القسم، وبكل الطرق المناسبة التي في سلطتنا، اتبعنا الإجراءات القانونية في القضية كما ينبغي.

وبفهم الأمر كله، والنظر في كل الحقائق باجتهاد، وبمناقشة كل وقائع القضية، والتحقيق في كل ما تم عمله وقوله، وباستشارة الرأي السديد للكثير من المتعلمين اللاهوتيين والمحامين، وجدنا أنك في مكان كذا وكذا قد ساءت سمعتك عند الرجال الصالحين المتزنين بالهرطقة المذكورة، لذلك عملًا بقوانين المؤسسات الشرعية، فرضنا عليك التطهير الكنسي حيث أتيت أنت ومن يشهدون لك وتطهرت أمامنا. ثم وجدنا أنك بعد هذا فعلت كذا وكذا (ويسميهم)، وبالتالي أصبحت مشتبهًا فيه بقوة أو بشكل طفيف في الهرطقة المذكورة، ونحن سنجعلك تنكر الهرطقة كمشتبهٍ فيه (إن كان مشتبهًا فيه بقوة عليه أن يقول «كل الهرطقة» وإن كان مشتبهًا فيه بشكل طفيف عليه أن يقول «الهرطقة المذكورة»)

ولكننا لا نستطيع ولا يجب أن نتحمل ما فعلته ونحن مجبرون على معاقبته بالعدالة، حتى تكون حذرًا في المستقبل، وحتى لا تمر جرائمك بلا عقاب، وحتى لا يتشجع الآخرين على الوقوع في خطايا كهذه ويكون من السهل تمرير هذه الإساءات للخالق، بالتالي فأنت يا فلان كونك قد طهرت نفسك بالوقوف شخصيًّا في المكان والزمان الذي تم تعيينه لك، فنحن الأساقفة المذكورون، جالسين في المحكمة كقضاة، واضعين الأناجيل الأربعة أمام أعيننا حتى يكون حكمنا مؤيدًا من عند الرب، وحتى لا ترى عيوننا إلا الإنصاف، نحن ننطق بالحكم أنه يجب عليك أن، إلخ.

وعليهم أن ينطقوا بالحكم كما يناسب تكريم الإيمان وإبادة الخطية، وأنه في أيام الأحد والأعياد، يجب أن يقف هذا الشخص عند باب كنيسة كذا، ويمسك بشمعة لها وزن كذا، خلال مراسم القداس الإلهي، ويكشف رأسه وتكون قدمه حافية، ويهب الشمعة عند المذبح، ويجب أن يصوم في أيام الجمعة، ولمدة معينة يجب ألا يجرؤ على الرحيل من هذا البلد، ولكن يقدم نفسه أمام الأسقف أو القاضي في أيام معينة من الأسبوع، ويخضع لأي توبة أخرى تكون مطلوبة منه تبعا لطبيعة ذنبه، لأنه من المستحيل أن نعطي قاعدة ثابتة. ويجب أن يتم تنفيذ الحكم بعد أن يُنطق مباشرة، ويمكن أن يُلغى الحكم أو يُخفف أو يتغير حسب ما تقتضيه حالة التائب ولأجل تصحيحه وإذلاله، لأن الأسقف لديه هذه السُلطة بقوة القانون.



السؤال ٢٧. طريقة النطق بالحكم على من يعترف بالهرطقة ولكنه تائب

الطريقة الثامنة لإنهاء العملية النيابية فيما يتعلق بالإيمان تُستخدم عندما يكون الشخص متهمًا بالهرطقة، وببعض التحقيق الدقيق في وقائع القضية وباستشارة المحامين المتعلمين، وُجد أنه اعترف بالهرطقة، لكنه نادم وتائب، وليس من العائدين إلى الهرطقة. وهذا عندما يعترف المتهم بنفسه في المحكمة تحت القسم أمام الأسقف والمفتش بأنه قد عاش لفترة طويلة مُصرًا على هذه الهرطقة التي هو متهم بها، أو أي هرطقة أخرى، وأنه قد آمن بها وتقيد بها، ولكن بإقناع الأساقفة والآخرين، أراد أن يعود إلى حُضن الكنيسة، وينكر تلك الهرطقة وكل هرطقة أخرى، وهو لم ينكر أي هرطقة من قبل، لكنه الآن مستعد للإنكار.

في هذه القضية تكون الإجراءات كالتالي، فرغم أن هذا الشخص أصر لسنوات طويلة على هذه الهرطقة وهرطقات أخرى، وأنه آمن بها ومارسها وقاد آخرين لهذا الضلال، إلا أنه وافق على إنكار هذه الهرطقات، فحتى يُرضي الأسقف والقاضي الكنسي، لن يتم تسليمه إلى المحكمة العلمانية ليعاني من أشد العقوبة، لكن بعد أن يُنكر هرطقته يجب أن يُحبس في السجن مدى الحياة (انظر الشريعة حيث تشرح كيفية التبرئة لمثل هذا الشخص). ولكن لا بد أن يؤخذ الحذر أنه لا يكون يتصنع ويتوب توبةً مزيفةً حتى يعودَ إلى الكنيسة.

يجب أن يُعمل إنكاره بالطريقة التي شرحناها، لكن ببعض الاختلاف . فيجب أن يعترف بنفسه بجرائمه أمام تجمع من الناس في الكنيسة في يوم عيد بالطريقة التالية. يجب أن يسأله رجل الدين، ألست أنت قد أصررت على هرطقة الساحرات كل هذه السنين؟ ويجيب بأن نعم. وبعدها، هل فعلت كذا وكذا من الذي اعترفت به؟ ويجب بأن نعم، وهكذا. وفي النهاية يجب أن يعمل إنكاره جاثيًا على ركبتيه. ومن ثم، كونه مُدانًا بالهرطقة وتم حظره كنسيًا، فبعد إنكاره وعودته إلى حضن

الكنيسة، يجب أن يُمنح الغفران، بالسلطة الرسولية للأسقف بالإعفاء من الحظر الكنسي. ويتم نطق الحكم بالطريقة التالية،

نحن فلان أسقف مدينة كذا، أو القاضي على المقاطعة التابعة للأمير فلان، نراك أنت يا فلان من مكان كذا وأبرشية كذا، قد تم اتهامك بناء على تقرير عام من رجال موثوقين بأنك عملت خطية الهرطقة، وبما أنك مصابٌ بهذه الخطية لعدة سنوات وقد عملت ضررًا كبيرًا في روحك، وبسبب أن الاتهامات ضدك قد جرحت قلوبنا، نحن الذين مهمتهم أن يزرعوا الإيمان الكاثوليكي المقدس في قلوب الرجال وأن نُبعد كل الهرطقات من عقولهم، ففي رغبتنا بأن نكون أكثر تأكدًا من إذا كانت هناك أي حقيقة في ذلك التقرير الذي أتى إلى أسماعنا، حتى يمكننا إن كان حقيقيًّا أن نمنحك علاجًا مناسبًا، فعملنا التحقيق بأفضل طريقة كانت أمامنا وسألنا الشهود وحققنا معك تحت القسم بخصوص ما تم اتهامك به، وعملنا كل ما كان مطلوبًا منا بالعدالة والشريعة.

وبما أننا نريد أن نُنهي قضيتك بنهاية مناسبة، وحتى يكون لدينا فهمٌ واضحٌ لحالة عقليتك السابقة، إن كنت تمشي في الظلام أو في النور، وإن كنت قد وقعت في خطية الهرطقة أم لا، فبرؤية القضية كاملة، اجتمعنا مع رجال متعلمين أصحاب علم لاهوتي وماهرين في الشريعة والقانون المدني، عاملين بقاعدة أن الحكم يكون سليمًا عندما يؤكد عليه كثيرين، وبعد الاستشارة في كل التفاصيل مع الرجال المتعلمين المذكورين، وبالتحقيق باجتهاد ودقة في كل ظروف القضية، وجدنا أنك، باعترافك تحت القسم الذي أقسمته أمامنا في المحكمة، مُدانًا بكثيرٍ من خطايا السحر (ويجب أن يشرحهم بالتفصيل).

ولكن بما أن الرب ذو رحمة لانهائية، فإنه ليس فقط الكاثوليكيين المتعلمين بل أيضًا الذين سقطوا من الإيمان يمكنهم أن يكونوا أكثر انكسارًا ويعملوا أعمال التوبة، وبالمناقشة الدقيقة في ظروف القضية، وجدنا أنك، باتباع نصيحتنا ونصيحة الصالحين الآخرين، قد عدت بعقل واع إلى وحدة وحضن الأم المقدسة الكنيسة، رافضًا تلك الضلالات المذكورة والهرطقات، ومعترفا بالحقيقة الغير قابلة للدحض للإيمان الكاثوليكي، واضعًا إياها في دواخل قلبك، لذلك، تابعين لخطوات الرب الذي لا يريد لأحد أن يهلك، منحنا لك هذا الإنكار العلني عن الهرطقة المذكورة

وكل الهرطقات الأخرى. وبعمل هذا، نحن نعفيك من حكم الحظر الكنسي الذي وقع عليك بسبب الهرطقة، ونعيدك إلى الأم المقدسة الكنيسة وأسرار الكنيسة المقدسة، شريطة أنك بقلب صادق، لا تزيف توبتك.

ولكن بسبب أنه شيءٌ مخزٍ أن نحتمل الإساءة ضد الرب خالق كل السماوات، بما أنها خطيئة كبرى أن تسيء إلى العظمة الأبدية أكثر من العظمة البشرية، ولأجل أن يرحمك الرب الذي يشفق على الخاطئين، حتى تكون مثالًا للآخرين، وحتى لا تمر خطيتك بدون عقاب، وحتى تكون أكثر حذرًا في المستقبل، وألا تميل إلى مثل هذه الجرائم، فنحن الأساقفة والقضاة، نيابةً عن الإيمان، الجالسون في هذه المحكمة كقضاة، إلخ كما في الأعلى.. حكمنا عليك بأن تلبس الكسوة الزرقاء الرمادية، إلخ. وحكمنا عليك بالسجن الأبدي، حتى تعاقب هناك بخبز المحنة وماء الكرب، محتفظين لأنفسنا بحق التخفيف أو التشديد أو تغيير أو إلغاء الحكم بشكل كامل أو جزئي، كما نراه مناسبًا.

بعد هذا يجب أن يتقدم القاضي خطوة بخطوة، في النطق بالحكم بالطريقة التالية أو شبهها:

ابني، الحكم عليك بالتوبة يتضمن هذا، أنه يجب أن تحمل هذا الصليب طول فترة حياتك، بأن تقف ممسكا به على درجات المذبح أو على باب كنيسة كذا، وإنك ستُسجن مدى الحياة، على الخبز والماء. ولكن، ابني، سماع هذا قد يكون صعبًا عليك، ولكني أؤكد لك أنه إذا صبرت واحتملت عقوبتك فستنالك الرحمة منا، فلا تيأس، بل تمنّ.

بعد هذا يجب أن يتم تنفيذ الحكم في حينه، ويجب أن يُلبس الكسوة المذكورة ويقف على درجة عالية من المذبح في مرأى من الناس وهم يمرون، ويحيط به ضباط من المحكمة العلمانية. وفي وقت العشاء يجب أن يُقاد بواسطة الضباط إلى السجن، وبقية الحُكم يجب أن ينفذ كما ينبغي. وبعد أن يُقاد خارج باب الكنيسة، لا يفعل القاضي الكنسي شيئا في هذا الأمر بعدها، وإذا كانت المحكمة العلمانية راضية، فلتسمح له، لكن إذا لم ترضَ، فلتفعل بالمتهم ما تشاء.



السؤال ٢٨. طريقة النطق بالحكم على المعترفين على أنفسهم التائبين لكنهم من العائدين إلى الهرطقة

الطريقة التاسعة من الوصول إلى الحكم بالنيابة عن الإيمان تُستخدم في حالة المتهمة بالهرطقة، التي بعد التحقيق الدقيق في ظروف القضية وبالاتفاق مع الرجال الحكماء، وُجد أنها قد اعترفت بهرطقتها وأنها تائبة، لكنها من العائدات للهرطقة. وهذا عندما تعترف المتهمة بنفسها في المحكمة أمام الأسقف أو القضاة أنها قد أنكرت في وقت آخر كل الهرطقة، وتم إثبات هذا قضائيًا، ولكنها بعد ذلك وقعت في هذه الهرطقة أو الضلالة، أو أنها قد أنكرت هرطقةً معينةً، مثل هرطقة الساحرات، وبعدها عادت إليها، ولكن باتباع النصائح أصبحت تائبة ومؤمنةً بالإيمان الكاثوليكي، وعادت إلى وحدة الكنيسة. هذه المتهمة، لا يجب أن تُمنع من أسرار التوبة والأفخارستيا إذا طلبتها بتواضع، ولكن سيتم تسليمها كعاصية منحرفة إلى المحكمة العلمانية لتعاني أشد العقوبة. ويجب أن يُفهم أن هذا يشير إلى التي أنكرت الهرطقة من قبل على أنها متهمةٌ مقبوضٌ عليها بالهرطقة، أو مشتبهٌ فيها بقوةٍ بالهرطقة، وليست متهمة كان مشتبهًا فيها اشتباهًا طفيفًا.

الإجراءات التالية يجب أن تُعمل في هذه الحالة. بعد التحقيق الجيد والدقيق وإعادة التحقيق إن كان ضروريًا بواسطة الرجال المتعلمين، وبعد التوصل إلى أن السجينة قد عادت بالفعل إلى الهرطقة، فالأسقف أو القاضي يجب أن يرسل إليها في الحبس ثلاثة رجال صالحين، متدينين أو رجال دين، متحمسين للإيمان، من الذين لا تشك فيهم المتهمة ولكن تثق بهم، وعليهم أن يدخلوا إليها في وقتٍ مناسب ويتحدثوا معها بلطف عن السوء في هذا العالم والبؤس الذي في الحياة، وعن عظمة الجنة ومُتعها. وبعدً هذا يجب أن يوصلوا لها نيابة عن الأسقف أو القاضي أنها لا

يمكن أن تهرب من عقوبة الموت، وبالتالي يجب أن تنتبه إلى تأمين روحها، وتُحضر نفسها للاعتراف وللحصول على سر الأفخارستيا.

ويجب أن يزوروها باستمرار، ويقنعوها بالتوبة والصبر، ويقووها بأقصى ما يمكنهم بالحقيقة الكاثوليكية، ويجب أن يجتهدوا في أن يجعلوها تتوب، حتى يمكن أن تحصل على أسرار الأفخارستيا لتوبتها الصادقة. لأن هذه الأسرار يجب ألا تُمنع عن هؤلاء العصاة.

وعندما تستلم هذه الأسرار، وتتحضر بواسطة هؤلاء الرجال للخلاص، فبعد يومين أو ثلاثة بينما يقوونها بالإيمان الكاثوليكي وبينما يحثونها على التوبة، فالأسقف أو القاضي في ذلك المكان يجب أن يُبلغ حاجب المحكمة العلمانية، أنه في يوم كذا وساعة كذا (في يوم عيد) يجب أن يكون موجودًا في ميدان كذا أو مكان كذا (لكن يجب أن يكون خارج الكنيسة) حتى يستلم من المحكمة عاصيةً منحرفة.

وفي الصباح من اليوم المحدد، أو في يوم قبله، يجب أن يُعلن في المدينة في المكان الذي من المعتاد أن تتم الإعلانات فيه، أنه في يوم كذا وساعة كذا في مكان كذا سيكون هناك خطبةٌ للدفاع عن الإيمان، وأن الأسقف أو القاضي سيُدين امرأةً معينةً من العائدات إلى خطية الهرطقة، وأنه سيسلمها إلى العدالة العلمانية.

ولكن إذا كان العائد إلى الهرطقة من المنتمين إلى أي تنظيم مقدس، أو كان كاهنًا أو متدينًا من أي تنظيم، فقبل أن يسلّم يجب أن تتم إزالة كل الامتيازات التي له من ذلك التنظيم الكنسي. وعندما يُزال من كل المؤسسات الكنسية، يجب أن يتم تسليمه للعدالة العلمانية ليستلم عقابه كما ينبغي.

وعندما يتم إنزال شخص من مرتبته أو تنظيمه ويسلّم إلى المحكمة العلمانية، يجب على الأسقف أن يجمع كل المتدينين في أبرشيته. لأنه فقط الأسقف والرجال المتدينين في أبرشيته يمكن أن يُنزلوا شخصًا من امتيازاته في تنظيم مقدس عندما يتم تسليمه إلى المحكمة العلمانية، أو عندما يسجن مدى الحياة لخطيئة الهرطقة.

وفي اليوم الذي يحدّد لإزالة درجة العاصي المنحرف وتسليمه إلى المحكمة العلمانية، يجب على الناس أن يجتمعوا في مكان مفتوح خارج الكنيسة، ويبدأ المفتش بإلقاء خطبة، ويجب أن يقف السجين في مكان عالٍ في حضور السلطات

العلمانية. وإن كان السجين رجل دين وتمت إزالة درجته، فالأسقف يجب أن يُحضِر الملابس الدينية، ويكون معه المتدينين من أبرشيته في ملابسهم الدينية، ويجب أن يتم إلباس السجين الملابس الدينية وكأنه سيمارس مهمته في منصبه الديني، ثم يجب على الأسقف أن يُزيل منه الدرجات والامتيازات من أعلاها إلى أسفلها. ويجب على الأسقف أن يستخدم الكلمات المنظمة من الكنيسة، وفي إزالة درجته يجب أن يخلع عنه ملابسه الدينية وكل ما يتصل بها من أدوات دينية.

وعندما تتم إزالة الدرجة يجب أن تتم العملية بالطريقة القانونية المعتادة، وكاتب العدل ينبغي أن يقرأ الحكم، ويجب أن يكون نطقه بالطريقة التالية سواء كان السجين رجل دين أو رجلًا من عامة الشعب:

نحن فلان، برحمة من الرب في مدينة كذا، والقاضي على المقاطعة التابعة للأمير فلان، بالنظر إلى أنه تم إبلاغنا بأنك يا فلان من مكان كذا وأبرشية كذا، قد أتيت أمامنا (أو أمام القاضي فلان أو الأسقف فلان) وتم اتهامك بالهرطقة أو الهرطقات (ويذكرها)، التي ثبتت عليك باعترافك الشخصي وبشهادة الشهود بأنك قد أصررت عليها لمدة طويلة، ولكنك بعدها بسماع النصائح، أنكرت في مكانٍ عام، وتنكرت وانسحبت عن هذه الهرطقات بالطريقة التي أُعطيت لك من الكنيسة، ولأن المفتشين والأساقفة صدقوا بأنك عدت إلى الكنيسة المقدسة للرب، فقد أعفوك من حكم الحظر الكنسي الذي كان واقعا عليك، هذا باعتبار أن توبتك هذه كانت من قلب صادق وإيمان جعلك تعود إلى الكنيسة المقدسة، ولكن بعد كل ما ذُكر وبعد سنوات طويلة ها أنت متهم أمامنا ووقعت مرة أخرى في الهرطقات نفسها التي أنكرتها (ويسميها)، ورغم أنه من المحزن أن نسمع هذه الأشياء عنك، إلا أننا مُجبرون بالقانون أن نحقق في الأمر وبأن نسمع الشهود ونستدعيك ونحقق معك تحت القسم، متخذين الإجراءات القانونية اللازمة.

وبما أننا أردنا أن ننهي هذه القضية بدون أي شكوك، فقد اجتمعنا مع الرجال المتعلمين في اللاهوت والماهرين في الشريعة والقانون المدني، وباستشارتهم وبالتحقيق بدقة في كل شيءٍ تم قوله وفعله، وبعد الاجتهاد ومناقشة كل الظروف، وجدنا بالدليل من الشهود وباعترافك الشخصي أنك قد وقعت في الهرطقات التي أنكرتها. لأنك قد فعلت كذا وكذا (ويسميهم)، وتبعًا لاستشارة الرجال المتعلمين،

حكمنا بأنك عاص منحرف، وفقًا لتشريعات الهيئات الشرعية، وهذا مع بالغ حزننا.

ولكن بما أنه أتى إلى علمنا وعلم كثير من الرجال الكاثوليك، وبإلهام من الإله، أنك قد عدت مرةً أخرى إلى حضن الكنيسة ولحقيقة الإيمان مُنكرًا الضلالات المذكورة والهرطقات بإيمان حقيقي، فقد سمحنا لك باستلام الأسرار الكنسية للتوبة والأفخارستيا المقدسة بناءً على طلبك. ولكن بما أن كنيسة الرب ليس لديها ما تفعله لك أكثر من هذا، وقد تعاملت معك برحمة شديدة بالطريقة التي ذكرناها، وأنت قد خذلت هذه الرحمة وأسأت استخدامها بالسقوط في الهرطقة التي أنكرتها، بالتالي فنحن الأساقفة والقضاة، الجالسين في هذه المحكمة كقضاة، واضعين الأناجيل الأربعة أمامنا حتى يكون حكمنا مؤيدًا من عند الرب وحتى ترى عيوننا بإنصاف، وليس أمام عيوننا إلا الرب والحقيقة التي لا تُدحض للإيمان المقدس وإبادة وباء الهرطقة، قررنا أنه في مكان كذا ويوم كذا وساعة كذا سيتم إسماعك حكمنا النهائي، وسنقول فيه بأنك قد عدت إلى الهرطقة وبالتالي ستتخلى عنك المحكمة الكنسية وتُسلمك إلى المحكمة العلمانية. ولكننا نُصلي أن تحكم عليك المحكمة العلمانية برحمة، وألا يكون هناك دماء ولا موت.

وهنا يجب على الأسقف ومساعديه أن ينسحبوا، والمحكمة العلمانية تؤدي عملها.

ورغم أن الأساقفة والمفتشين يجب أن يبذلوا كل ما بوسعهم بالتعاون مع الآخرين في أن يقنعوا السجين بأن يتوب ويعود إلى الإيمان الكاثوليكي، إلا أنه حتى لو تاب وعاد إلى الإيمان الكاثوليكي، فإنه مع ذلك سيعتبر عاصيًا منحرفًا وسيتم تسليمه إلى المحكمة العلمانية للحكم عليه بالحرق، ويجب ألا يُخبروه عن الحكم الذي سينطق بشأنه والعقوبة، ويجب ألا يراهم مرة أخرى قبل النطق بالحكم ولا بعده، حتى لا يجد شيئًا في نفسه ضدهم، وهو شيء يجب أن يتم الانتباه له في الإعدام من هذا النوع. ولكن كما قلنا، يجب أن يرسلوه إلى بعض الرجال الصالحين، خاصةً الذين هم في تنظيمات دينية، أو رجال دين، من الذين يثق فيهم، ويجب أن يخبروه، بالحكم وبأنه سيموت، ويقوونه بالإيمان، ويحثونه بأن يتوب ويزورونه بعد الحكم، ويُصلون معه، ولا يتركونه حتى تطمئن روحه إلى خالقها.

يجب أن نلاحظ أيضًا أن هذا الحكم الذي يسلم فيه الشخص إلى المحكمة العلمانية يجب ألا يُنطق في مهرجان أو يوم عيد، ولا في الكنيسة، ولكن في الخارج في مكان مفتوح. لأنه حكم يؤدي إلى الموت، ومن الأنسب أن يتم تبليغه في يوم عادي وخارج الكنيسة، لأن الكنيسة وأيام العيد مكرسة للرب.



السؤال ٢٩. طريقة النطق بالحكم على من اعترف بالهرطقة وهو غير نادم.

الطريقة العاشرة لإنهاء القضية نيابة عن الإيمان بالحكم النهائي تُستخدم عندما يكون الشخص متهمًا بالهرطقة، وبعد الفحص الدقيق لظروف القضية واستشارة المحامين الماهرين، وُجد أنه قد اعترف بالهرطقة وليس نادمًا، وهو ليس من العائدين إلى الهرطقة. هذه الحالة نادرًا ما توجد، ولكنها حدثت أثناء عملنا كمفتشين. في هذه الحالة، الأسقف والقاضي يجب ألا يتسرعوا في الحُكم على السجين، ولكن يجب أن يُبقوه تحت الحراسة مقيدًا، ويحاولوا أن يقنعوه بأن يتوب، حتى لو استمر هذا عدة شهور، ويتم إقناعه أنه إن استمر في كونه غير نادم، سيتم لعن روحه وجسده.

ولكن إذا لم يقتنع مهما كانت المحاولات، ولا حتى بالتهديد، بأن يتوب عن ضلالاته، وانتهت الفترة المحددة له من النعمة، فيجب على الأسقف والقاضي أن يسلماه إلى المحكمة العلمانية، ويجب أن يُنبهوا رسول أو حاجب المحكمة العلمانية بأنهم سيسلمون لهم مهرطقًا غير تائب. ويجب أن يعملوا إعلانًا بنفسهم في الأماكن المعتادة أنه في يوم كذا ووقت كذا في المكان المذكور، ستُلقَى خطبةٌ للدفاع عن الإيمان، وأنهم سيسلمون مهرطقًا إلى المحكمة العلمانية، وأن الكل يجب أن يكون حاضرًا.

بعد هذا يجب تسليم السجين إلى المحكمة العلمانية، لكن أولًا يجب أن يُنصح بأن يتوب عن هرطقته ويعود للحق، وإذا رفض تمامًا، فيجب أن يتم النطق بالحكم،

نحن فلان، برحمة من الرب في مدينة كذا، أو القاضي على المقاطعة التابعة للأمير فلان، بالنظر إلى أنك يا فلان من مكان كذا وأبرشية كذا، قد تم اتهامك أمامنا بسبب تقرير عام وبمعلومات من أشخاص موثوقين (ويسميهم) بأنك مهرطق، وأنك أصررت لعدة سنوات على هذه الهرطقات التي أفسدت روحك، وبما

أن مهمتنا هي إبادة وباء الهرطقة، ففي رغبتنا بأن نعرف أكثر عن هذا الأمر لنرى إن كنت قد مشيت في الظلام أم في النور، اجتهدنا في التحقيق في الاتهام المذكور، واستدعيناك وحققنا معك، ووجدنا أنك مصاب بالهرطقة المذكورة.

ولكن بما أن رغبة قلوبنا الأساسية هي أن نزرع الإيمان الكاثوليكي في قلوب الناس، وأن نُبيد طاعون الهرطقة، فقد استخدمنا عدة طرق مناسبة، من جانبنا وبمساعدة آخرين، لإقناعك بالعودة عن ضلالاتك وهرطقاتك والتي لا زلت تُصر عليها بقلب عنيد. ولكن بما أن الشيطان عدو الجنس البشري موجود بداخل قلبك، يلتف حولك ويوقعك في هذه الضلالات، ولأنك رفضت إنكار الهرطقات المذكورة، مختارًا الموت لروحك وجسدك في هذا العالم بدلًا من أن تتوب عن الهرطقات وتعود إلى حضن الكنيسة وتطهر روحك، وبما أنك قررت أن تبقى على خطيئتك،

فنظرًا لأنك مقيد بقيد الحظر الكنسي من الكنيسة المقدسة، ومحروم من الانتفاع بالكنيسة، فالكنيسة لا يمكنها أن تفعل لك شيئًا آخر وقد عملت كل ما بوسعها. فنحن الأساقفة والقضاة نيابة عن الإيمان، الجالسين في المحكمة كقضاة، وأمامنا الأناجيل الأربعة وحقيقة الإيمان المقدس وإبادة وباء الهرطقة، نحكم أنه في يوم كذا وساعة كذا وفي المكان المعين لك لتسمع الحكم الأخير، سنعطيك حكمنا بأنك مهرطق غير تائب، وأنه يجب أن يتم تسليمك إلى المحكمة العلمانية، لذلك بهذا الحكم نحن نطردك كمهرطق غير تائب من محكمتنا الكنسية، ونسلمك إلى المحكمة العلمانية، ونصلي بأن تُخفف عليك حكم الموت.



السؤال ٣٠. الشخص المعترف بالهرطقة وهو من العائدين إليها وهو غير تائب

الطريقة الحادية عشرة لإنهاء العملية نيابةً عن الإيمان بالحكم النهائي تُستخدم في حالة المتهمة بالهرطقة، والتي بعد التحقيق الدقيق في ظروف القضية واستشارة المحامين الماهرين، وُجد أنها اعترفت بالهرطقة وغير تائبة، رغم أنها من العائدات إلى الهرطقة، وهذا عندما تعترف بفمها في المحكمة أنها آمنت ومارست كذا وكذا. والإجراءات في هذه الحالة هي نفسها كما هي أعلاه، وبسبب أنها مهرطقة واضحة، فالحكم يجب أن يكون بالطريقة التالية في حضور الأسقف والقاضي،

نحن فلان، برحمة من الرب أسقف مدينة كذا، أو القاضي على المقاطعة التابعة للأمير فلان، بالنظر إلى أنك يا فلانة من مكان كذا وأبرشية كذا، قد تم اتهامك من قبل أمامنا (أو أمام فلان وفلان من أسلافنا) بجريمة الهرطقة (ويسميها)، وتمت إدانتك رسميًا بهذه الجريمة باعترافك الشخصي وبشهادة من رجال موثوقين، ولقد عاندتِ لسنوات كثيرة، لكن بعدها سمعت النصيحة الأفضل وأنكرت الهرطقة بشكل عام في مكان كذا وبالصيغة التي أعطتها لك الكنيسة، وقد صدّق الأسقف المذكور والقاضي بأنك قد تُبتِ عن الضلالات المذكورة وعدتِ إلى الإيمان الكاثوليكي وحضن الكنيسة، ومنحوك الإعفاء من الحظر الكنسي الذي كان مفروضا عليك، وقد أعلنت توبة بقلب صادق بأنك ستعودين إلى وحدة الكنيسة المقدسة التي احتضنتك برحمة. لأن الكنيسة المقدسة لا تغلق أبوابها لمن يريد العودة إلى حضنها.

ولكن بعد كل ما ذُكر أحزننا أنه تم اتهامك مرة أخرى بالوقوع في تلك الهرطقات الملعونة والتي أنكرتِها من قبل على العامة، نعم، لقد قمت بكذا وكذا (ويسميهم)

ـ في مخالفة لإنكارك السابق، ورغم أننا محزونون وقلوبنا مقطوعة بأن نسمع هذا عنك، إلا أن العدالة تجبرنا على التحقيق في الأمر، وفحص شهادات الشهود، وأن نستدعيك ونحقق معك تحت القسم كما ينبغي، وأن نلتزم بالإجراءات القانونية، ونحن نريد أن نُنهي هذه القضية بدون أي شكوك، ولقد استدعينا مجموعة من الرجال المتعلمين في اللاهوت وماهرين في القانون المدني والشريعة.

وبعد النظر في أقوال هؤلاء الرجال الحُكماء على كل جزءٍ تم قوله وفعله في هذه القضية، وبعد الفحص المتكرر للقضية كلها والاجتهاد في المناقشة لكل ظرف من الظروف، فكما يطلب القانون والعدالة، نحن نجدك مدانةً بالدليل وبشهادة الشهود وباعترافك المتكرر، أنك وقعت في الهرطقة مرةً، ثم وقعت فيها مرةً أخرى بعد أن أنكرتِها. ولأننا وجدنا أنك قد عملت وقلت كذا وكذا (وتسميهم)، بالتالي لدينا سبب، في رأي الرجال المتعلمين، بأن نحكم عليك أنك عاصية منحرفة وفقًا للأوامر الشرعية. ونحن نقول هذا بحزن، والرب يعلم وهو الذي لا تخفى عليه خافية ويعلم أسرار القلوب.

وبكل قلوبنا رغبنا ولا زلنا نرغب في إعادتك مرة أخرى إلى وحدة الكنيسة وأن نقودك بعيدًا عن قلبك المليء بالهرطقة الفاسدة، حتى يمكنك أن تحفظي روحك وجسدك من العذاب في الجحيم، ونحن قد بذلنا جهدنا إلى أقصاه بكل الطرق المناسبة لنقنعك بالخلاص، ولكنك استسلمت لخطيتك وأضلتك وأغوتك الروح الشريرة، واخترت بأن تتعذبي بالنار الأبدية المرعبة، واخترتِ لجسدك المؤقت هذا أن يُحرق هنا أمام الناس وتأكله النيران، وفضّلتِ هذا على أن تسمعي المشورة وتتركي ضلالاتك الملعونة، وتعودي إلى حضن الأم الرحيمة الكنيسة.

لذلك كنيسة الرب لا يمكنها أن تفعل لك أي شيءٍ بعد الآن، وقد فعلَت كل ما بوسعها لهدايتك: نحن الأسقف والقضاة نيابة عن الإيمان، الجالسون في هذه المحكمة كقضاة، واضعين الأناجيل الأربعة أمامنا حتى يكون حكمنا مؤيدًا من عند الرب وحتى ترى عيوننا بإنصاف، واضعين الرب أمام عيوننا وتكريم الإيمان الكاثوليكي المقدس، ففي هذا اليوم وهذه الساعة والمكان المعين سيتم إعلان الحكم

عليك يا فلانة، بأنك مهرطقة غير تائبة وعائدة إلى الهرطقة، ويجب تسليمك إلى المحكمة العلمانية، وبهذا فحكمنا النهائي هو أن نطردك خارج محكمتنا الكنسية كمهرطقة غير تائبة وعائدة إلى الهرطقة، ونسلمك إلى المحكمة العلمانية، والتي ستنفذ عليك حكم الموت حرقًا.



السؤال ٣١. الحكم على من قُبض عليها وأُدينت لكنها تنكر كل شيء

الطريقة الثانية عشر لإنهاء القضية نيابة عن الإيمان تُستخدم عندما يكون الشخص متهمًا بالهرطقة، وبعد التحقيق الدقيق في وقائع القضية وباستشارة المحامين الماهرين، وُجد أنه مُدانٌ بالهرطقة بالدليل على الجريمة أو بشهادة الشهود ولكن ليس باعترافه الشخصي. يعني، هو يمكن أن يكون مُدانًا بالدليل على الجريمة بأنه مارس الهرطقة بشكل علني، أو بشهادة الشهود، إلا أنه رغم القبض عليه وإدانته، فهو يُصر على إنكار كل التهم. انظر كلام «هنري أوف سيجوسيو» في كتاب **On Hersey** السؤال ٣٤.

والإجراءات في هذه الحالة هي كالتالي، المتهم يجب أن يتم تقييده بالسلاسل، ويجب أن يزوره الضباط، بشكل منفرد أو جماعة، ويعملوا ما بوسعهم لإقناعه أن يكشف الحقيقة، ويخبرونه أنه إذا رفض وأصر على الإنكار، فإنه سينتهي به الأمر إلى القانون العلماني، ولن يمكنه أن يهرب من الموت.

ولكن إن أصر على إنكاره لمدة طويلة، فالأسقف وضباطه، بشكل منفرد أو جماعة، وبمساعدة آخرين صالحين ومستقيمين، يقابلون الشهود ويعرفون منهم بالحيلة إن كانت شهادتهم حقيقية أم لا، ويُعرِّفوهم أن التسبب في لعن شخص يجعلك ملعونًا إلى الأبد، وإن كان أحد منهم خائفًا، يُمكنه أن يقول الحقيقة في السر، أن هذا المتهم يجب ألا يموت ظلمًا. ويجب أن يَحذر الصالحون أن يتحدثوا مع الشهود بطريقة تبين لهم أنهم يحاولون أن يعرفوا إن كانت الشهادة حقيقيةً أم لا.

ولكن لو أن الشهود بعد هذا التحذير أصروا على أقوالهم، والمتهم أصر على إنكاره، فيجب على الأسقف وضباطه ألا يتعجلوا في النطق بالحكم ويسلموا السجناء للقانون العلماني، بل يجب عليهم أن يُبقوا عليهم لبعض الوقت لمحاولة إقناعهم بالاعتراف، ولمحاولة حث الشهود (كل واحد منهم على حدة) بأن يراجعوا أنفسهم. ويجب على الأسقف وضباطه أن ينتبهوا جيّدًا للشاهد الذي يبدو أكثر وعيًا وأكثر ميلًا للخير. ويجب أن يتحدثوا إلى ضميره بإصرار حتى ينطق بالحقيقة إن كان الأمر كما في شهادة الشهود. وإن وجدوا أن هناك شاهد مضطرب، أو كانت هناك أي إشارة أن هناك من يُعطي شهادة زور، فيجب أن يحققوا معه في الأمر مع مجموعة من الرجال المتعلمين.

لأنه وجد غالبا أنه بعد أن يدان المتهم بواسطة شهود موثوقين وقد كان مُصرًا على الإنكار، فإنه يتراجع إن تم إبلاغه بأنه لن يُسلم إلى المحكمة العلمانية، بل سيتم التعامل معه برحمة إذا اعترف بخطاياه، عندها سيعترف بالحقيقة التي كان ينكرها لمدة طويلة. ووجد غالبًا أن الشهود، يمكن أن يتآمروا معا بدافع العداوة الشخصية لإدانة شخص بريء بخطية الهرطقة، ولكن بعدها، بعد تحقيق متكرر من الأسقف وضباطه، يبدأ ضميرهم في الاستيقاظ، بالإلهام الإلهي، وينكرون الدليل الذي قدموه ويعترفون بأنهم قالوا هذا ليُلفقوا التهمة على المتهم. بالتالي فالسجين دائمًا في هذه الحالة لا يجب الاستعجال بالحكم عليه، ولكن يجب أن يبقى لمدة سنة أو أكثر قبل أن يُسلم إلى المحكمة العلمانية.

وعندما يمر وقت كاف، وبعد كل الاحتياطات اللازمة، إذا وُجد أن المتهم مدانٌ رسميًا وأنه اعترف بذنبه بالطريقة الرسمية بأنه وقع في جريمة الهرطقة لفترة، ووافق على إنكارها وإنكار كل هرطقة أخرى، وأن يعمل هذا بالطريقة المرضية للأسقف والمفتش، فيجب أن يتوب في العلن عن كل الهرطقة، بالطريقة التي ذكرناها في الطريقة الثامنة.

ولكن إذا اعترف أنه وقع في الهرطقة، لكنه مع ذلك لازال متمسكًا بها، يجب تسليمه إلى المحكمة العلمانية كشخصٍ غير تائب، بنفس الطريقة العاشرة التي شرحناها.

ولكن إن بقي المتهم على إنكاره التام لكل التهم الموجهة ضده، لكن الشهود سحبوا شهاداتهم، وأنكروا ما قالوه، واعترفوا بذنبهم، وقالوا أنهم لفقوا له الجريمة وأنه رجل بريء وقد عملوا هذا بدافع العداوة والكره، أو أنه قد تمت رشوتهم، فيجب أن يتم تحرير المتهم، ويجب أن يُعاقبوا هم كشهداء زور. وهذا تم توضيحه من «باول أوف بورجوس» في تعليقه على الشريعة. والتوبة يجب أن تقال بواسطتهم كما يبدو مناسبًا للأسقف والقضاة، ولكن في حالة شهود الزور لا بد أن يُدانوا ويتم سجنهم مدى الحياة على الخبز والماء ويعملوا التوبة طوال حياتهم. بأن يقفوا على درجات سلم الكنيسة، إلخ. ومع ذلك، فإن الأساقفة لديهم الحق في تخفيف الحكم أو تشديده بعد سنة أو بعد مرور فترة معينة بالطريقة المعتادة.

ولكن إذا مرت سنة أو أكثر والمتهم مصر على إنكاره، والشهود مُصرون على أقوالهم، فيجب تسليمه إلى المحكمة العلمانية، ويجب أن يرسَل له رجال صالحون متحمسون للإيمان ومتدينون، ليخبروه بأنه لا يمكنه الهرب من عقوبة الموت وهو يصر على إنكاره بهذه الطريقة، بل سيتم تسليمه كمهرطق غير تائب قريبًا إلى المحكمة العلمانية. والأسقف وضباطه يجب أن يُبلغوا حاجب المحكمة العلمانية أنه في يوم كذا ومكان كذا (ليس بداخل الكنيسة) سيتم تسلميهم رجل مهرطق غير تائب. ويجب عليهم أن يعملوا إعلانًا في الأماكن المعتادة والكل يجب أن يكون موجودًا في يوم كذا وساعة كذا ومكان كذا ليسمعوا خطبة تقال نيابة عن الإيمان، ويتم تسليم المتهم بعدها إلى المحكمة العلمانية.

وفي اليوم المحدد للنُطق بالحكم يجب على الأسقف وضباطه أن يكونوا هنالك، والمسجون يجب أن يوضع في مكان عالٍ أمام تجمع من الناس حيث يمكن أن يروه، والمسؤولون من المحكمة العلمانية يجب أن يكونوا موجودين أمام السجين. ثم يُنطق الحكم بالطريقة التالية:

نحن فلان، برحمة من الرب أسقف مدينة كذا، أو القاضي على المقاطعة التابعة للأمير فلان، بالنظر إلى أنك يا فلان من مكان كذا وأبرشية كذا قد تم اتهامك بالهرطقة (ويسميها)، وفي رغبتنا بأن نعرف إن كانت التهم الموجهة لك حقيقية أم لا، وإن كنت مشيت في طريق الظلام أم في النور، فلقد حققنا مع الشهود،

واستدعيناك وحققنا معك تحت القسم، وجعلنا محاميًا يكون في جهة الدفاع عنك، وعملنا كل اللازم منا تبعا للتشريعات القضائية. ورغبة منا في إنهاء هذه القضية بطريقة بعيدة عن كل الشكوك، فقد اقتنعنا بواسطة مجموعة من الرجال المتعلمين في اللاهوت والماهرين في الشريعة والقانون المدني، بعد أن حققنا وناقشنا كل الظروف التي في القضية وكل ما قيل وحصل فيها، بأنك يا فلان مدان بخطية الهرطقة وبأنك مارستها لمدة طويلة، وبأنك قد قلت وفعلت كذا وكذا (ويسميهم)

ولكن بما أننا رغبنا ولا زلنا نرغب في أن تعترف بالحقيقة وتتوب عن تلك الهرطقة، وتعود إلى حضن الكنيسة المقدسة ووحدة الإيمان المقدس، حتى تحفظ روحك وتنجو من تدمير جسدك وروحك في الجحيم، فقد بذلنا كل الجهد نحن وآخرين، حتى نؤجل الحكم عليك لمدة طويلة، لمحاولة إقناعك بالتوبة، ولكن كونك معاند ومستسلم للفساد ورافض لنصيحتنا، ولا زلت مصرًا على العقل المتحجر والإنكار، ونحن نقول هذا بكل حزن وألم. ولكن بما أن كنيسة الرب قد انتظرتك طويلا حتى تتوب وتعترف بذنبك، وأنت قد رفضت ولا زلت ترفض، فإن نعمتها ورحمتها لا يمكن أن تعمل أكثر من هذا.

وبالتالي حتى تكون عبرة للآخرين حتى يبتعدوا عن كل أنواع الهرطقة، وحتى لا تمر خطيئتك بدون عقاب، فإننا نحن الأسقف والقضاة نيابة عن الإيمان، جالسين في المحكمة كقضاة، والأناجيل الأربعة أمامنا حتى يكون حكمنا مؤيدًا من عند الرب، وحتى لا ترى عيوننا إلا الإنصاف، جاعلين الرب أمام عيوننا وعظمة الإيمان المقدس، فإنا نُعلن وننطق بالحكم عليك بأنك في يوم كذا وساعة كذا ومكان كذا ستسمع الحكم عليك بأنك مهرطق غير تائب وسيتم تسليمك إلى المحكمة العلمانية. ونحن نصلي حتى تخفف المحكمة العلمانية عقوبة الموت بالحرق عليك.

الأسقف والقاضي يمكنهم أيضًا أن يجعلوا الرجال المتحمسين للإيمان، الموثوقين عند المحكمة العلمانية، أن يدخلوا إلى السجين في مكتب المحكمة العلمانية، ويحاولوا إقناعه بأن يقول الحقيقة، والاعتراف بذنبه.

ولكن بعد أن يتم نطق الحكم، وعندما يكون المتهم في المكان بالفعل الذي سيتم حرقه فيه، فإذا قال أنه يريد أن يعترف بالحقيقة ويعترف بذنبه، وعمل هذا بالفعل، فإذا أراد أن يُنكر الهرطقة، ورغم أنه يفعلها بدافع الخوف على حياته وليس بسبب حرصه على الحق ، إلا أنني سأكون مع الرأي الذي يرى أنه يُرحم ويعامل كالمهرطق التائب ويُسجن مدى الحياة. ومع ذلك، وفقا لتشريعات القانون، فالقضاة بغض النظر عن هذا يمكنهم دائمًا أن يعاقبوه بالموت بالحرق على الأضرار التي تسبب فيها.

